الجزء الثالث　　　　　　　　　　　　　　　　　　المجلد الثالث والخمسون

# مجلة
# مجمع اللغة العربية بدمشق
«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»



رجب الفرد من سنة ١٣٩٨ ﻫ
تموز «يوليو» من سنة ١٩٧٨ م

مجلة

# مجمع اللغة العربية بدمشق

مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً

ص . ب ٣٢٧

**انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م**

**تصدر اربعة أجزاء في السنة**

قيمة الاشتراك السنوي } في جميع البلاد العربية ١٥٠٠ قرش سوري
بدءاً من العام ١٩٧٧ } وفي سائر الأقطار ٦ دولارات

وإذا طُلِب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته الى قيمة الاشتراك

**( تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه )**

---

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتّاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

الجزء الثالث		المجلد الثالث والخمسون

# مجلة

# مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



رجب الفرد من سنة ١٣٩٨ هـ

تموز « يوليو » من سنة ١٩٧٨ م

# ما وراء البيان

الأستاذ شفيق جبري

إذا كنا نلجأ إلى تقليب النظر في محاسن البيان في قديم عصورنا فلا نفعل هذا لمجرد الاهتداء إلى ألفاظ حلوة وتراكيب تشتمل على مثل هذه الحلاوة ، إذا كان هذا هو غرضنا من المحافظة على أدبنا فلا خير في محافظتنا . إنا لا نستحسن ما يستحسن من بياننا القديم لمجرد الصيغة وحدها، فإن وراء هذا البيان الذي يبلغ منا كل مبلغ عقولاً راجحة ، وفطناً ثاقبة ومداخل ومخارج في أمور الحياة تعلمنا وترشدنا أبلغ تعليم وإرشاد . فإذا وقع نظرنا في مطالعاتنا على جمل لبلغاء كتّابنا فلا ينبغي لنا أن تشغلنا بلاغة هذه الجمل عن التدقيق في الذي تنطوي عليه ، فلا ينبغي لنا أن تصرفنا حلاوة الألفاظ عن حلاوة ما تعبّر عنه هذه الألفاظ ، ولسنا نحافظ على أصالة أدبنا القديم للأصالة وحدها ولكننا نعتقد أن هذا الأدب يتضمن كنوزاً من عظمة العقول مما لا سبيل إلى إحصائه ، فإن أكثر كتّابنا المتقدمين لم تكن بلاغتهم قائمة على اختيار الألفاظ وحدها والتأنق في تنسيقها والجهد في رصفها وإنما جمعوا بين بلاغة اللفظ وبلاغة المعنى الذي يفصح عنه هذا اللفظ ،

ولا ريب في أن الألفاظ وحدها إذا لم تدل دلالة صحيحة على المعاني كانت باطلة لا عمل لها في النفوس ، وأن المعاني إذا لم تصورها ألفاظ تدل عليها دلالة قوية ضاعت فلا نحسّ لها بأثر ، فالكتّاب البلغاء الذين اشتهروا في قديم عصورنا إنما اشتهروا لحسن تنسيقهم بين الألفاظ والمعاني ، ولذلك إذا مررنا بقطعة كان لألفاظها وقع في نفوسنا فجدير بنا أن نبحث عن محاسن ما وراء هذه الألفاظ . والنماذج من هذا الشكل كثيرة في أدبنا :

تأخرت أرزاق الجند وتراخت أعطياتهم على أيام المأمون ، وقد يدل هذا التأخر على اختلال النظام في الدولة ولا يستحسن أن لا يُعلم خليفة مثل المأمون بأمر من هذا النوع لأن كتمانه قد يؤدي إلى شيء من الفساد ، فما هي السبيل إلى إطلاع المأمون على حالة الجند ؟ لقد اهتدى عمرو بن مَسْعدة إلى هذه السبيل ، وكان يُعدّ من بلغاء الكتّاب في دولة العباسيين ، قال في كتابه إلى المأمون :

« كتابي إلى أمير المؤمنين ، ومن قِبلي من قوّاده ورؤساء أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ماتكون طاعةُ جندٍ تأخرت أرزاقهم ، وانقياد كفاةٍ تراخت أعطياتهم ، فاختلت لذلك أحوالهم والتاثت معه أمورهم » .

لا حاجة بنا إلى التنبيه على البراعة في هذه السطور القليلة فإن صاحبها قد فطن إلى ما يقال وإلى ما لا يقال في مسألةٍ مثل هذه المسألة الدقيقة ، فإذا اقتصر عمرو بن مسعدة على مجرد إعلام المأمون بتأخر الأرزاق وتراخي الأعطيات كان في هذا الاقتصار ما قد يغضب المأمون ، أو قد يسوؤه إذا لم يغضبه ، وإذا لم يشر في كتابه إلا إلى انقياد القواد ورؤساء الأجناد وإلى طاعتهم وأغفل ذكر حقوق الجند فقد يكون في هذه الإشارة مايخلّ بحقوق الذين يدافعون عن الدولة بأرواحهم . ولكن عمرو بن مسعدة جمع

بين ذكر الأمرين : أمر الانقياد والطاعة وأمر تأخر الأرزاق ، فأرضى بهذا الجمع المأمونَ والجندَ في وقتٍ واحد .

إن المأمون لم يهتم ببيان عمرو بقدر ما اهتم بما عبّر عنه هذا البيان ، فليس في كلام عمرو شيء من التأنق وإنما استعمل الألفاظ البسيطة للدلالة على ما يريد الدلالة عليه كالانقياد والطاعة والتأخر والتراخي والاختلال وغير ذلك . ولكن الذي أعجب المأمون إنما هو ما انطوت عليه الألفاظ البسيطة من فهم صحيح في مكاتبة خليفة مثل المأمون . فقد استعمل عمرو كل الأدب في كتابه فحرص على إعطاء المأمون ما يستحقه من الإجلال والتعظيم وحرص على حقوق الجند والقوّاد . وقد أدى وقع الكتاب في نفس المأمون إلى أن أمر للجند بإعطياتهم لسبعة أشهر وأمر لعمرو بن مسعدة برزق ثمانية أشهر . وبلغ من حسن أثر هذا الكتاب إلى أن قال المأمون لأحمد بن يوسف : لله درُّ عمرو ما أبلغه ! ألا ترى إلى إدماجه المسألة في الإخبار ، وإعفائه سلطانه من الإكثار .

ونجد في كتاب : أمراء البيان ، للأستاذ الرئيس محمد كرد علي فصلاً يتصل بعصر ابن الزيات ونشأته ووزارته ونماذج من إنشائه ، منها هذا الكلام القليل : فقد أمر الواثق ابن الزيات أن يتلطف بعبد الله بن طاهر ويعلمه أنه صرفه عن أمر الجزائر والعواصم وفوّض ذلك لابن عمه إسحق ابن إبراهيم ، فكتب ابن الزيات :

« أما بعد فإن أمير المؤمنين رأى أن يخلع ما في يمينك من أمر الجزائر والعواصم فيجعله في شمالك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

قال الأستاذ الرئيس كرد علي في خاتمة هذا الكتاب : وليس في الوصول إلى الغرض مع مراعاة المكتوب إليه أوجز ولا ألطف من هذا .

لا نظن أن من الهيّن أن يُعلمَ صاحب عمل في الدولة بصرفه عن عمله ، فقد يكون هذا العمل جزءاً من نفسه ، من حياته ، لا يعيش دونه إلا في كدرٍ وتنغيص ، كما أنه ليس من الهين أن يُعلَم بخَلفه في العمل الذي صُرف عنه ، فإن هذا الخلف قد يكون أبغض الناس إليه لا يصفو له قلبه ، ولا يخلص له حبه ، فكيف السبيل في مثل هذه الحال إلى حلٍّ وســط كما نقول ؟ كيف السبيل إلى إعلام المصروف عن العمل بخلفه في هذا العمل دون أن يثور غضبه ويهيج غيظه ؟ السبيل إلى ذلك ما فعله ابن الزيات في سطر واحد ، فلم يترك لعبد الله بن طاهر عذراً في العتاب ، فإن الذي خلفه إنما هو ابن عمه . ولا شك في أن ابن طاهر لا يسره صرفه عن العمل ولكنه لا يجد سبيلاً إلى الإفصاح عن ذلك ، فلم يأت الواثق بعدوٍ له ، وإنما أتى بابن عمه فقطع عليه كل طريق إلى العتاب

* * *

إذا أردنا أن نستشهد بنماذج من البيان الذي يختفي وراءه عقل كبير فإنا نجد أن أدبنا القديم حافل بأمثال هذه النماذج ، وقد يكون كتاب عمرو بن مسعدة إلى المأمون وكتاب ابن الزيات إلى عبد الله بن طاهر لا شهرة لهما في أدبنا ولا ذكر لهما في هذا الأدب ، ولكنهما على الرغم من قلة شهرتها أو من عدم هذه الشهرة يدلان على براعةٍ في بيان وراءه فهم ثاقب وفطنة نافذة . وإذا كانت كتب الجاحظ تعلّم العقل أولاً والأدب ثانياً فما أجدرنا بالتفتيش عن الكتب القريبة من هذا النمط وإن كان الجاحظ في هذا الباب السماء التي لا تطاولها سماء .

شفيق جبري

# ابن رشد العالم بالبصريات
## والفلك خاصّة

– ٢ –*

الدكتور عمر فروخ

ألف ابن رشد كتابين عنوان أحدهما « كتاب حركات الفلك » وعنوان الثاني منهما « موجز المجسطي » ( سارطون ٢ : ٣٥٦ ) . راجع في المجسطي ماتقدم « الجزء السابق ص ٣٢٥ » .

ولكن بروكلمان [١] لم يذكرها ( ١ : ٦٠٤ – ٦٠٦ ، الملحق ١ : ٨٣٤ – ٨٣٦ ) . ويقول كارمودي ( ص ٥٥٩ ) [٢] إنه لم ير كتاب « موجز المجسطي » . فلعل الكتابين قد ضاعا . ولكن بروكلمان ذكر لابن رشد ( الملحق ١ : ٨٣٦ ، السطر الثالث من أسفل ) كتاباً في الأنساب الكرية ( علم المثلثات الكروية ) ، ونفع هذا العلم إنما هو في

---

(*) نشر القسم الأول من هذا المقال في العدد الماضي « مج ٥٣ ج ٢ ص ٣١٣ » .

(1) Brockelman, Geschichte der Arabischen Litteratur.

(2) Francis James Carmody, The Planetary Theory of Ibn Rushd in OSIRIS, 1952, 556 - 586 .

الفلك . وفي كتبه الموجودة بين أيدينا إشارات كثيرة إلى علم الفلك . ويقول سارطون ( ٢ : ٢٩٥ ) إن ابن رشد كان كثير الاهتمام بعلم الفلك وحينا يمر القارىء المطالع بملاحظات ابن رشد في الفلك — في كتبه المختلفة — يدرك وشيكاً أن الرجل كان أعلم بالفلك مما تدل عليه تلك الملاحظات لما تضمنته ملاحظاته من الاشارات إلى مدارك وقواعد في علم الفلك يمكن أن تكون أجزاء من معرفة واسعة جداً .

ولكن لا بد هنا من الاشارة أولاً إلى المدرك القديم لهذا العالم الذي نحيا نحن فيه والذي أكثر ابن رشد من الكلام عليه في خلال بحثه في مسائل الفلسفة . لقد كان هذا « الموقف القديم » في الفلك موافقاً للموضوع الذي كان ابن رشد يعالجه في كل مكان : « دلالة العقل وسياق المنطق » عند النظر في الحقائق الفلسفية النظرية وفي الحقائق الدينية العملية. ولاشك في أن المبالغة في حب ابن رشد لفلسفة أرسطو قد حملته على أن يتقبل من فلسفة أرسطو كل شيء وما كان في الفلك مخالفاً للعقل. غير أننا — مع حبنا لابن رشد — لا نستطيع إلاّ لومه على متابعة أرسطو فيما كان أرسطو غير ملوم في اتباعه : إن أرسطو كان ابن بيئة وثنية تعتقد أن الشمس والقمر والكواكب وسائر النجوم الكبار الظاهرة للعين آلهة أو مساكن للآلهة ، وأنها — من أجل ذلك — يجب أن تكون كائنات حيــة ذوات نفوس تحركها وذوات عقول تجعلها قادرة على معرفة أحوال الناس ثم تكون مخالفة في مادتها لمادة هذا العالم الذي نعيش نحن فيه ، ذلك لأن طبيعة الآلهة المسيطرة يجب أن تكون مختلفة من طبائع الناس الذين تقع عليهم سيطرة الآلهة . ولكن ابن رشد لم يكن معذوراً في الميل إلى أشياء من رأي أرسطو في

ذلك ، فإنه ابن بيئة مؤمنة موحدة توحيداً صحيحاً . وأشد ما يمكن أن نحمله على ابن رشد من اللوم أن العلماء المسلمين كانوا قد فندوا كثيراً من آراء أرسطو . ونذكر في هذا المجال ابن حزم الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ( ١٠٦٤ م ) – قبل ابن رشد بخمسة أجيال – فقد قال إن هذه النجوم أجسام حجرية لا تعقل ولا صلة لها بحياة الناس وأنها هي نفسها « مدبَّرة » ( بالبناء لاسم المفعول ) تخضع لقوانين طبيعية عادية . ويقول ابن حزم : إن هذه النجوم إذا كان لها أثر فينا ، فإن أثرها هذا لايعدو أن يكون طبيعياً كأثر الريح والمطر والبرد والحر ، أو ما يشبه ذلك .

وافق ابن رشد الأقدمين في أن عالمنا الفلكي الذي تعد أرضنا جزءاً منه مؤلف من أفلاك ( مدارات مادية مكوكبة – أي مثبت فيها كواكب مفردة أو متعددة ، ولا يرى ابن رشد مبرراً لفلك لا نجوم فيه ) وأن هذه الأفلاك مستديرة ومركّب بعضها في بعض كطبقات البصلة المكورة . وقَبِلَ ابن رشد رأي أرسطو في أن عالم ما فوق فلك القمر ( أي القمر والشمس وجميع الأجرام السماوية الأخرى – لأن جميع هذه الأجرام السماوية تدور حول أرضنا في رأيهم ) جسم بسيط ، يقصد أن ذلك الجسم مؤلف من عنصر غير العناصر الأربعة ( الماء والهواء والتراب والنار ) ، ذلك لأن العناصر الأربعة في رأيهم يستحيل بعضها إلى بعض ولذلك تكون خاضعة للكون والفساد ، تتبدل الأجسام التي تتألف منها ثم تخضع تلك الأجسام للنشوء والفناء مرة بعد مرة . أما الأجرام السماوية فلا تتبدل ولا تتغير ولا تنشأ ولا تنعدم ولا تختلف في طبائعها وأفعالها . وإذا كان ذلك كذلك – كما يقول ابن رشد – فإن الأجرام السماوية أجسام حية عاقلة مدركة :

حية حياة كاملة خالدة وعاقلة عقلاً تاماً ومدركة إدراكاً صحيحاً . والجرم السماوي ( أي مجموع هذا العالم الذي نراه فوقنا ) تبدّى للفلاسفة القدماء بمثابة حيوان يسلك في حركته سلوكاً واحداً صحيحاً كما يسلك الحيوان السليم المزاج . ( راجع في ذلك كله تهافت التهافت ١٨٤ ، ٢١٦ ، ٢٥١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٩ ، ٤٨٠ ، رسائل : ما بعد الطبيعة ١٤١ ، ١٥٧ ، الخ ) .

ويكفي أن نستشهد هنا بهذه الجمل من أقوال ابن رشد ( تهافت ١٩٠ — ١٩٢ ) :

هذه الكواكب « موجودات مدركة حيّة ذوات اختيار وإرادة .. لعظم أجرامها وشرف وجودها وكثرة أنوارها ... فإذا تأمل الانسان هذه الأجسام العظيمة الحية الناطقة ( أي العاقلة ) المختارة المحيطة بنا ( ثمّ ) نظر إلى أصل ثالث وهو أنها مع عنايتها بما هنا ( أي بتأثيرها في الكائنات التي في أرضنا من النبات والحيوان ... ) هي غير محتاجة إليها ( أي إلى هذه الكائنات التي على أرضنا ) في وجودها ، علم أنها مأمورة ( من الله تعالى ) بهذه الحركات ومسخرة ( للعناية ) بما دونها من الحيوان والنبات والجمادات ، وأن الآمر لها غيرُها ، وهو غير جسم ضرورة ( أي بالضرورة : الضرورة تقضي بألا تكون جسماً ) لأنه لو كان جسماً لكان واحداً منها ... وأنه لولا مكان هذا الآمر لما اعتنت ( تلك الأجرام السماوية ) بما هاهنا على الدوام والاتصال ... والآمر هو الله سبحانه » .

لا شك في أن هذا النص الواضح الصريح مخالف للاسلام برُغم الآيات الكريمة التي حاول ابن رشد الاستشهاد بها على ما أراده . وتلك — بلا ريب —

من زلات ابن رشد حمله عليها حبّه البالغ لأرسطو ودفاعه عن عدد من آراء أرسطو التي قال بها تأثراً قومه الوثنيين .

* * *

وإذ وفّينا خضوع ابن رشد للأثر الوثني الذي كان لأرسطو شيئاً من حقه فإننا ننتقل إلى جانب إيجابي من الآراء العلمية الصحيحة التي تفتحت عنها عبقرية ابن رشد .

أخذ ابن رشد عن الأقدمين عموماً وعن أرسطو أن هذا الوجود الذي نحن جزء منه هو الوجود الممكن بحجمه ، فليس في الامكان أن يكون هذا الوجود أكبر مما هو عليه ولا أصغر مما هو عليه . لأنه لو جاز أن يكون هذا الوجود أوسع مدى مما هو لكان أوسع مدى بالفعل ( راجع تهافت التهافت ٧٩ – ٩١ ، ٢٤١ ) . ولقد التفت ابن رشد في أثناء هذا النقاش الطويل الذي ملأ بضع عشرة صفحة في محاولة إثبات قضية لا يمكن أن يكون عليها برهان مادي : هل كان بالإمكان أن يكون هذا الوجود أوسع مدى مما هو عليه الآن أو أصغر مدى ، وهل بالامكان أن يكون معه وجود آخر أكبر منه أو بقدره أو أصغر منه ؟ إن هذا الافتراض ليس جائزاً عند أرسطو ولا عند ابن رشد ، لأنه لو كان في الوجود عالمان أو ثلاثة عوالم أو أكثر منفصلة أو متصلة لما كانت سوى عالم واحد . غير أن لفتة ابن رشد كانت في جانب آخر . إنها كانت رداً على عناد المتكلمين ( أي على اعتراض لهم منتظر ) : ذلك الاعتراض من المتكلمين هو : أليس الله قادراً على أن يخلق عالماً آخر ؟ أما كان بالإمكان أن يكون الله تعالى قد خلق هذا الوجود أكبر مما عليه الآن أو أصغر لو شاء ؟

ورد ابن رشد على ذلك ( ص ٨٩ ، السطر الأول وما بعد ) بقوله إن هذا الاعتراض يكون حينئذٍ عقلياً ( مفارقاً : يتعلق بالإمكان النظري ولا يتصل بالواقع المادي ) الذي هو الوجود الفعلي لهذا العالم . وأحب أن أضرب مثلاً من عندي : لو تناول رجل بيده حبة عدس وسأل : ألا يمكن أن تكون « هذه الحبة من العدس أكبر مما هي عليه أو أصغر »، لكان الجواب العقلي المجرد : ان هذا ممكن بلا ريب . ولكن «هذه الحبة» التي في يد الرجل هي هي لا يمكن أن تكون أكبر ولا أصغر ، إذ لو كان ذلك بالإمكان ( فيما يتعلق بهذه الحبة نفسها ) لوجب أن تكون من قبل الآن كذلك .

ومع أن ابن رشد قد ذكر أن الأجرام السماوية حية وذات عقول تدبّر أجناس النبات والحيوان والجماد مما نجده على أرضنا فإنه كان لا يعتقد صواب التنجيم ، بمعنى أن الانسان يعرف من مواقع الكواكب وحركاتها مستقبل الانسان على الأرض ( راجع سارطون ٣ : ١٤٩٠ ، السطر ٧ وما بعد من أسفل ) . ولكن هذا لا يمنع أثر الشمس والقمر ( وسائر الأجرام السماوية في رأي ابن رشد ، في المد والجزر مثلاً ) .

وابن رشد يقسم علم الهيئة أو علم الفلك قسمين : صناعة النجوم التعاليمية ( أي الحسبان الفلكي أو علم الفلك النظري ) ثم صناعة النجوم التجريبية ( المستمدة من الرصد ، أي علم الفلك العملي ) وهذا مدخل العلم الفلكي ( راجع علم الفلك للمستشرق كارلو نلينو ٢٢ ) .

وابن رشد ينتقد نظام بطليموس انتقاداً شديداً . ولكن الكلام في ذلك يحتاج إلى شيء من التفصيل .

كان أرسطو ( ت ٣٢٢ قبل الميلاد ) يرى أن الأفلاك في نظامنا الشمسي متمركزة أي ذات مركز واحد ( أي أنها دوائر بعضها أكبر من بعض ولكنها كلها تحيط بمركز واحد ) . ولكننا لا نستطيع أن نفهم الخطأ في نظام بطليموس إلا إذا نحن أوردنا الملاحظات التالية على نظام أرسطو :

– أصاب أرسطو في جعل الأفلاك متمركزة .

– لم يصب أرسطو في جعل الأفلاك دوائر ( إن الأفلاك إهليلجية ، أي بيضوية الشكل ) .

– أخطأ أرسطو لما جعل الأرض مركز النظام الشمسي ثم قبل أن تكون الشمس في الفلك الرابع تدور حول الأرض . ولم يكن أرسطو في ذلك معذوراً ، لقد عرف أرسطو أن الفيثاغوريين كانوا يقولون بأن الأرض تدور حول « النار الوسطى » ( لا حول الشمس ، لأن الشمس كانت في رأيهم تدور أيضاً حول تلك النار الوسطى ) وأن الأرض كانت تدور على محورها ( وذكر ذلك أفلاطون أستاذ أرسطو ) . وكان أرسطو يصر على أن الأرض ثابتة لا يجوز لها أن تتحرك [1] .

وتبع ابن رشد آراء أرسطو ، إعجاباً بأرسطو من جانب ثم انتصاراً لرأيه هو في تخريج مظاهر الوجود كلها تخريجاً عقلياً ونظرياً ، من جانب آخر .

---

(١) لم يكن أرسطو وابن رشد معذورين في جعل الأرض ثابتة لاتتحرك . ومادام ابن رشد يقول : إن الشمس أكبر من الأرض ( وهذا صحيح ) مائة وخمسين أو مائة وستين أو مائة وسبعين مرة ، فإنه كان يجب أن يعرف من علم الحيل ( الميكانيك ) في الفيزياء أن الجسم الأصغر لايمكن أن يكون مركزاً يدور حوله الجسم الأكبر .

ومن المظاهر التي لفتت نظر الفلاسفة القدماء اختلاف حركات النجوم : رؤية الزُّهَرة مثلاً مرة في الغرب متأخرة عن الشمس ومرة في الشرق متقدمة على الشمس ، كما أن القمر يسلك هذا المسلك بالاضافة إلى الشمس وبالاضافة إلى الزهرة أيضاً .

وجهد كثيرون في تفسير هذه الظاهرة التي سميت « تحيراً » وسميت الكواكب التي تفعل ذلك ( كعطارد والزُّهَرة مثلاً ) : الكواكب المتحيرة. فاقترح أفلاطون مثلاً أن يكون في تلك النجوم قوتان تحركها : قوة موافقة لحركة الشمس ( من الشرق إلى الغرب ) وقوة « مضادة » لحركة الشمس ( من الغرب إلى الشرق ) ومنهم من اقترح أن يكون لعدد من الكواكب حركة لولبية ( كالصعود والنزول على سلم ، مثل تلك التي تكون في المآذن عادة ) ثم اقترح بطليموس (١) القلوذي تعدد الأفلاك ( المدارات حول الأرض ) لهذه الكواكب التي سميت متحيرة . لقد جعل بطليموس لهذه الكواكب أفلاكاً متعددة متداخلة ( ذات مراكز مختلفة في سطح واحد) فكان بعضها خارجاً عن بعض ( بعض الأفلاك متطرف عن الأرض ذات اليمين وبعضها متطرف ذات الشمال ) .

ولم يرض علماء الفلك العرب هذه الأوجه من التفسير لاختلاف

(١) بطليموس القلوذي ( كلوديوس بطليموس ) ولد في صعيد مصر ونشأ في الاسكندرية ( وليس له صلة قرابة بالبطالسة ملوك مصر اليونانيين ) ، من علماء الرياضيات والفلك والجغرافية والطبيعيات ، له كتاب ضخم اسمه باليونانية « التصنيف العظيم في الحساب » ويعرف بعنوان « المجسطي » . والمجسطي كتاب في الفلك وفي الحسبان الفلكي . وكانت وفاة بطليموس سنة ١٧٠ م

حركات النجوم في رأي العين . حاول جابر بن أفلح الأندلسي (ت ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥ م ) إصلاح نظام بطليموس ثم اقترح ابن طفيل الأندلسي (ت ٥٨١ هـ/ ١١٨٥ م ) على تلميذه نور الدين البطروجي أن يحاول ذلك ( ولا نعلم إذا كان ابن طفيل قد اقترح مثل ذلك على تلميذه الآخر ابن رشد ) . ومع ذلك فنحن لا نعلم مدى تينك المحاولتين ( محاولة جابر بن أفلح ثم محاولة البطروجي بإشارة من ابن طفيل ) . غير أن ابن رشد لم يرض نظام بطليموس ، فيما يبدو ، ولم يكن انتقاده هذا واضحاً . قال ابن رشد ( رسائل : السماء والعالم ٥ – ٦ ) :

« ... ليس للجسم المتحرك بها ( بالحركة المستديرة ، وهي الحركة الطبيعية ) مبدأ مضاد للمحرك ( في الاتجاه الذي يقتضيه المحرك الطبيعي المادي ) كالحال في الحيوان ( الذي يتحرك بإرادة منه ) . وإذا كان هذا هكذا ، فظاهر أنه يلزم أن يكون للحركة المستديرة – بما هي مستديرة – مراكز وأقطاب ، وما هو بهذه الصفة فهو كرة ضرورة . فأما الأكر المحروقة (؟) الأقطاب التي يصفها بطليموس في كتابه « في الاقتصاص » فشيء لا يصح على هذه المتحركات دوراً حركة طبيعية . وأيضاً لو كانت الكواكب تتحرك بذاتها – كما يظن قوم – لم تكن حركتها طبيعية أصلا ... » .

ومثل ذلك ، أو قريب منه ، قول ابن رشد أيضاً ( رسائل : السماء والعالم ٤٧ ) في الحركات المختلفة للكواكب ( الحركة المستقيمة والحركات المتحيرة ) :

« ولم يكن ظهر مثل هذه الاستقامة والرجوع ( الحركات المستديرة

المستقيمة على وتيرة واحدة إلى جانب الحركات المتحيرة ) المتقدمين من اليونانيين ( الفلاسفة قبل أرسطو ) إلا في الكواكب المتحيرة . وكذلك لم يكن ظهر للبابليين كثير من الحركات التي أثبتها بطليموس مثل حركات أقطار ( أقطاب ؟ ) أفلاك التداوير إلى الشمال والجنوب ، وكحركة الفلكين الخارجَيِ المركزِ اللذين لعُطارد والزُّهَرة مرة إلى الجنوب ومرة إلى الشمال » .

ولابن رشد رد على بطليموس في سبب الحركة التي للكواكب والتي كانت تتم في رأي القدماء بوساطة فلك محيط يحركها كلها بقوة مستمدة من الأول ( الله ) لأن ذلك الفلك المحيط قريب من الأول ، قال ( رسائل : ما بعد الطبيعة ١٣٥ ) :

« وأما وجود فلك تاسع ففيه شك ، فإن بطليموس ظن أن هاهنا حركة بطيئة لفلك البروج ، غير الحركة اليومية ، يتم دورها في آلاف السنين . وآخرون رأوا أنها حركة إقبال وإدبار ، وهو الرجل المعروف بالزرقال (١) من أهل بلادنا هذه وهي جزيرة الأندلس ومن تبعه منهم ، ووضعوا لذلك هيئة تلزم عنها هذه الحركة . والذي دعاهم إلى إثبات هذه الحركة أنهم رصدوا عودات الشمس إلى نقط معلومة من فلك البروج فوجدوها ( أي عودات الشمس ) تختلف . وآخرون رأوا أن هذا

---

(١) من أكابر الرياضيين والفلكيين في الأندلس أبو إسحاق إبراهيم النقاش المعروف بالزرقالي أو بولد الزرقيال ( ت ٤٩٣ هـ = ١٠٩٩ م ) ، كان بارعاً جداً في الرصد وفي استخدام الاسطرلاب ، وهو أول من جاء بدليل على أن حركة ( مثيل ) أوج الشمس ( أبعد نقطة لها عن الأرض ) بالنسبة إلى النجوم ( الثوابت ) تبلغ بالثواني ١٢،٠٤ ( بينا الرقم الحقيقي ١١،٨ ) .

الاختلاف قد يكون لمزيد حركة أو حركات في فلك الشمس . وآخرون رأوا أن ذلك لخلل في الآلات أو لتقصير في الآلات أنفسها عن دَرْك ذلك على كُنهه فيها » .

والذي دعا فلاسفة اليونان المتقدمين والمتأخرين ثم علماء العرب حتى أيام ابن رشد إلى هذا التعقيد أنهم فرضوا أن الأرض ساكنة وأن الكواكب والنجوم (والشمس فيها) تدور حول الأرض - وهذا بلا ريب هو الذي أدّى بهم إلى الخطأ . ولو أنهم أدركوا ما أدركه زكريا بن محمد القزويني (ت ٦٨٢ هـ/١٢٨٣ م) حين قال (عجائب المخلوقات ١:٢٤٨): « والأرض متحركة دائماً على الاستدارة . والذي نراه من دوران الفلك (الشمس والكواكب والنجوم) إنما هو من دوران الأرض (على نفسها) لا من دور (لا من دوران) الكواكب ، لما احتاجوا إلى كل ذلك التعقيد وإلى الوقوع في الأخطاء الكثيرة .

وذكر كارمودي (ص ٥٦٢) أن ابن رشد ينكر إمكان الحركات المتضادة للكواكب لأنها ليست جزءاً من النظر (التفكير) العقلي . ولكن ابن رشد نفسه يجعل هذا الحركات المتضادة التي للكواكب دليلاً على أن تلك الكواكب حية مدركة ذات اختيار وإرادة (تهافت التهافت ١٨٩ ، السطر ١٠ - ١٣) .

وكان ابن طفيل قد جعل العالم بجملته كروياً ومحدوداً متناهياً (حي بن يقظان ١٢٧ وما بعد) فأخذ ابن رشد عنه ذلك وقال (تهافت التهافت ٤٥ - ٤٧) :

« . . وأن العالم إنما يتناهي من جهة الجسم الكروي ، وذلك أن

الجسم الكري متناه بذاته وطبعه ، إذ كان يحيط به سطح واحد مستدير » وجسم العالم « لا يمكن فيه زيادة ولا نقصان ، ولذلك كان متناهياً بذاته ، وأنه لمكان هذا لم يصح أن يكون الجرم المحيط بالعالم إلا كريّاً » .

ويبدو أن ابن رشد قد استفاد من محاولة البطروجي أيضاً ، ولكنه لم يذكر البطروجي ولا ذكر ابن طفيل ( راجع أيضاً كارمودي ٥٥٩ ، ٥٨٥ ) .

وابن رشد من الذين يرون أن للأجرام السماوية أقداراً ( أحجاماً ) مختلفة . قال ( فصل المقال ٥ ) :

« لو ... رام إنسان واحد من تلقاء نفسه أن يدرك مقادير الأجرام السماوية وأشكالها وأبعاد بعضها عن بعض لما أمكنه ذلك – ولو كان أذكى الناس ، إلا بوحي أو شيء يشبه الوحي - بل لو قيل له إن الشمس أعظم من الأرض بنحو مائة وخمسين ضعفاً أو ستين ، لعدّ هذا القول جنوناً من قائله . وهذا شيء قد قام عليه البرهان في علم الهيئة قياماً لا يشك فيه من هو من أصحاب ذلك العلم » .

ويأتي هذا المعنى مكروراً في تهافت التهافت ( ص ٢٠٧ ) ليوازن ابن رشد بينه وبين العلوم الالهية ، كعلم الفقه والأصول – وبالجملة العلوم الدينية – فإن الفقيه أيضاً محتاج إلى علم البرهان من المنطق وغيره . يقول ابن رشد في حجم الشمس :

« لو قيل للجمهور – ولمن هو أرفع رتبة في الكلام[١] منهم – إن

(١) الكلام ( علم الكلام ) غايته الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية .

الشمس التي تظهر للعين في قدر قدم ( في قُطرها ) هي نحوٌ من مائة وسبعين ضعفاً من الأرض لقالوا هذا من المستحيل ، ولكان من يتخيل ذلك عندهم كالنائم ، ولعسر علينا إقناعهم في هذا المعنى بمقدمات يقع لهم التصديق بها من قرب في زمان يسير ، بل لا سبيل ( إلى ) أن يتحصل مثل هذا العلم إلا بطريق البرهان لمن سلك طريق البرهان » .

وعِظَمُ جِرمِ الشمس بالاضافة إلى كثافة مادتها وتلزّزها (تلاصق أجزائها ) هو — عند ابن رشد واستناداً إلى قول أرسطو — سبب شدة حرارتها ( رسائل : السماء والعالم ٤٩ ) . ويرى كارمودي ( ص ٥٧٤ ) أن كلمة شرف في وصف الشمس تدل على حجم الشمس وقلة حركاتها(١)، لأن حجمها الكبير يقاوم التأثيرات الخارجية عليها .

ويعرض ابن رشد لذبول الشمس ( أي لنقص حجمها وحرارتها بما يتحلل من جرمها بالإشعاع ) . وينكر ابن رشد ذلك فيقول ( تهافت التهافت ١٢٩ ) :

« ولو كانت الشمس تذبل — وكان ما يتحلل (٢) منها في مدة

---

(١) الشرف في الفلك يعزى في الأكثر إلى الارتفاع ( عن الأرض في فلك البروج ) أيضاً .

(٢) أول من أشار إلى خسران الشمس شيئاً من مادتها بالتحلل الإمام الغزالي ( ت ٥٠٥ هـ = ١١١١ م ) . قال الغزالي ( تهافت الفلاسفة — بيروت ، المطبعة الكاثوليكية — ص ٨٣ ) : « . . . فمن أين عرف ( جالينوس ) أنه لا يعتريها الذبول ؟ وأما التفاته إلى الأرصاد ( اعتماده الأرصاد : مراقبة الشمس ) فمحال لأنها لاتعرف مقاديرها إلا بالتقريب . والشمس التي يقال إنها كالأرض =

الإرصاد ( أي في المدة القصيرة التي اشتغل العلماء فيها برصد الشمس ) غير محسوس ، لعظم جرمها – لكان ما يحدث من ذبولها فيما ههنا من الأجرام له قدر محسوس . وذلك أن ذبول كل ذابل إنما يكون بفساد أجزاء منه تتحلل . ولا بد في تلك الأجسام المتحللة من الذابل أن تبقى بأسرها في العالم أو تتحلل إلى أجزاء أخر . وأيٌّ ذلك كان يوجب في العالم تغيراً بيّناً إما في عدد أجزائه وإما في كيفيتها . ولو تغيرت كميات الأجرام لتغيرت أفعالها وانفعالاتها . ولو تغيرت أفعالها وانفعالاتها – وبخاصة الكواكب – لتغير ما ههنا من العالم . فتوهم ( لعلها بصيغة الأمر ) أن الاضمحلال على الأجرام السماوية مخل بالنظام الإلهي الذي ههنا عند الفلاسفة . و ( مع ذلك فإن ) هذا القول لا يبلغ إلى مرتبة البرهان » .

لا شك في صحة ما يقوله ابن رشد هنا . إن حجم الشمس يجب أن ينقص لما يتحلل من أجزائها عند صدور النور ( والحرارة ) منها . ثم لا شك في أن ابن رشد قد أصاب لما قال أن هذا التقلص في الحجم لا يجوز

= مائة وسبعين ( كذا ) مرة أو ما يقرب منه ، لو نقص منها مقدار جبال مثلاً لكان لا يبين للحس . فلعلها في الذبول وإلى الآن قد نقص مقدار جبال وأكثر ، والحس لا يقدر على أن يدرك ذلك ... » ( ولقد أصاب الغزالي في هذا القول ) . ويقدر العلماء المعاصرون لنا أن الأرصاد الفلكية قد دلت على أن الشمس قد خسرت من مادتها – في مدى خمسين عاماً – مقداراً ضئيلاً ، ذلك لأن الشمس تشع في كل دقيقة خمسة وعشرين سعراً ( بالضم : كالوري ) ، وهو يساوي نحو اثنين من البليون ( غير أن هذا كله لا يمنع من أن الشمس تستعيد ما تخسره من طرق مختلفة ) .

أن يحدث ، ولكن تعليله لما أراد لم يكن تعليلاً مادياً ، بل هو تعليل « عقلي » من من جانب وفقهي من جانب آخر . وقد وقف العلماء المعاصرون لنا أمام هذه المشكلة ، ويرجى أن يكون تعليلهم أصح حين قالوا : إن المادة ( من الشمس ) تتحول إلى طاقة ثم تعود تلك الطاقة فتتحول ( في الفضاء الأرحب ) إلى مادة من جديد ( ينشأ منها أجرام جديدة ) فتظل النسبة في بناء هذا العالم الفسيح واحدة ، أو كذلك قالوا أو مثل ذلك .

ويقول ابن رشد ( تهافت التهافت ١٨٨ ) إن حدوث الفصول الأربعة في الأرض راجع الى بعد الشمس وقربها من الأرض عند مسيرها في فلكها المائل ( وكان الأمثل أن يقول إن ذلك راجع إلى ميل الأرض على محورها نحو الشمال - شمال الساكنين فيها - ونحو اليمين ، فينتج من ذلك أن يصبح في قطب الأرض القريب من الشمس صيف وفي القطب الآخر شتاء ، ويكون الخريف والربيع بينهما ) . قال ابن رشد :

« فإنه لولا قرب الشمس وبعدها في فلكها المائل لم يكن ههنا فصول أربعة . ولو لم يكن ههنا فصول أربعة لما كان نبات ولا حيوان .. مثال ذلك إذا بعدت الشمس إلى جهة الجنوب ( تخيلْ ميل القطب الشمالي من الأرض بعيداً عن الشمس ) برد الهواء من جهة الشمال فكثرت الأمطار .. وفي الصيف بالعكس » ( راجع رسائل : الآثار العلوية ٤٦ ؛ ما بعد الطبيعة ١٦٨ ) .

والمألوف عندنا أن يكون للجرم السماوي قطبان أحدهما يقال له شمالي ويكون في أعلى الجرم ( بالإضافة إلى تخيلنا لاستواء هذا الجسم في فلكه ) والآخر يقال له جنوبي . غير أن ابن رشد يرى ( من الناحية النظرية )

أن كل نقطتين متقابلتين في الكرة ( عند طرفي القطر المفروض - وللكرة أقطار غير متناهية ) تصلحان لأن تكونا قطبين شمالياً وجنوبياً . ولكن المعقول ( عند ابن رشد ) أن يكون القطبان في كل جرم سماوي في موضعهما المخصوص بهما في ذلك الجرم . قال ابن رشد ( تهافت التهافت ٤٨ ) :

« فالأجسام السماوية فيها مواضع هي أقطاب بالطبع لا يصح أن تكون الأقطاب منها في غير ذلك الموضع . . . وقد ظُنّ ... في بادىء الرأي أنه يمكن أن يكون القطبان في فلك أي نقطتين اتفقتا » .

ويتكلم ابن رشد على اختلاف موقع النجوم باختلاف موقع الانسان على الأرض ، فإن النسر الطائر [١] مثلاً يرى من الأندلس في موقع من السماء غير الموقع الذي يراه فيه إنسان آخر في غير الأندلس — في بلد على غير خط العرض الذي تقع عليه الأندلس ( رسائل : الآثار العلوية ١٧ ) . والصحيح أن النجم يكون دائماً في موضعه ولكن اختلاف المنظر [٢] يتبدل باختلاف موقف الناظر على سطح الأرض . والمقصود من التعبيرين واحد ،ذلك لأن القدماء كانوا يعتقدون أن الأجرام السماوية هي التي تدور حول الأرض ، فوضعوا تعبيرهم في قالب مخالف للقالب الذي نضع نحن اليوم تعبيرنا عن هذا الأمر فيه .

---

(١) النسر الطائر ، ويقال له أيضاً العقاب ( بالضم ) وفي الأفرنجية : الطير ، أكليلا ، صورة من صور السماء .

(٢) اختلاف المنظر هو ( من الناحية العملية ) تبدل موقع النجم بالإضافة إلى انتقال الواقف على الأرض من مكان إلى آخر ( اختلاف زاوية النظر بسبب دوران الأرض على محورها ودورانها حول الشمس ) .

وكلام ابن رشد في الكواكب المنقضة ( الشهب ) وذوات الأذناب والمجرة يختلط فيه الصواب القليل بالخطأ الكثير . وهو في هذه يعتمد أقوالاً سابقة ولا يتبناها كما يفعل في عدد من الأمور .

يروي[1] ابن رشد ( رسائل : الآثار العلوية ١٢ ) أن ذوات الأذناب شهب ثابتة ، وأن الشهب كواكب ( صغيرة ) منقضة . وتحدث ذوات الأذناب « إذا كان البخار الممتد ( تحتها ) له ثبات » وليست ذوات الأذناب رؤية ( من خداع البصر ) تعرض من ضياء الكواكب ( كالهالة التي ترى حول الشمس مثلاً - أو بالأصح حول العين - راجع فوق ، عند الكلام على الهالة في قسم البصريات ) . وكل ما يرويه ابن رشد عن ذوات الأذناب وعن الشهب يسنده إلى القدماء وإلى أرسطو خاصة ( ص ١٢ - ١٣ ) .

أما المجرة فيحاول ابن رشد أن يقول فيها قولاً أكثر وضوحاً : فهي ليست دخاناً ملتهباً كما قيل ، ولكنها تتألف من نجوم كثيرة متقاربة . ويؤكد ابن رشد أن المجرة مؤلفة من كواكب ( الآثار العلوية ١٨ ) .

وشكل الأرض عند ابن رشد أيضاً كروي ، وهو يورد على كروية الأرض دليلاً بارعاً ، قال ( رسائل : السماء والعالم ٦٢ - ٦٣ ) إن البدر يُخْسَفُ بظلِّ الأرض يُرى خسوفه ( الجزئي ) هلالياً . وهنالك عنده سبب آخر ( ص ٦٣ ) هو أنه إذا سار الانسان في الأرض أدنى (أقل) مسير ظهرت له في السماء كواكب لم تكن ظاهرة له من قبل .

* * *

(١) إن ابن رشد يستند في ذلك إلى أقوال الذين سبقوا .

وينسب إلى ابن رشد ملاحظتان في الفلك على غاية من البراعة : أولاهما رؤية الكلف على وجه الشمس والثانية منها مشاهدة عبور الكوكب عطارد على قرص الشمس بالبرهان الحسابي .

ا ) نقل العالم الرياضي الفلكي منصور جرداق (١) عن صناجة الطرب (٢) و « حضارة العرب » (٣) هذه الجملة : « وهو ( ابن رشد ) أول من رأى كُلَف الشمس وكتب عنها » . والجملة في « صناجة الطرب » ( ص ٤١٣ ) : « وابن رشد .. رأى كُلَفَ الشمس وكتب عنها قبل أن عرفها أهل أوروبا » . ولم أعثر على كتاب « حضارة العرب » .

وكُلَف (٤) الشمس بقع غير منظمة (٥) تظهر مظلمة على وجه الشمس

(١) مآثر العرب ٢٢

(٢) نوفل بن نعمة الله نوفل ( ١٨١٢ – ١٨٨٧ م ) من أهل طرابلس الشام أديب مثقف يحسن العربية والتركية والفرنسية ويهتم بالجانب الحضاري والثقافي من تاريخ الأمم . له عدد من الكتب منها « صناجة الطرب في تقدمات العرب » .

(٣) « حضارة العرب » كتاب من تأليف أسعد مفلح داغر ( ١٨٨٦ – ١٩٥٨ م ) كان من دعاة القومية العربية والعاملين على تحقيق الوحدة العربية والناشطين في المطالبة باستقلال العرب ، اشتغل بالصحافة مدة طويلة . له من الكتب « ثورة العرب » ( ١٩١٦ م ) – « حضارة العرب » ( ١٩١٨ م ) – مذكرات على هامش القضية العربية ( ١٩٥٨ م ) . ومع أن كتاب « حضارة العرب » قد أعيد طبعه ( ١٩١٩ م ) فأنا لم أستطع أن أقع على نسخة منه .

(٤) الكلف ( بضم ففتح ) جمع كلفة ( بالضم ) : بقعة ترى مظلمة على وجه الشمس لأنها فجوة أو رقعة أكثر برودة مما حولها .

(٥) غير منتظمة : متعرجة المحيط ، ليست دائرة مثلاً ولا هي مستقيمة الأضلاع .

وهي — فيما يبدو — فجوات واسعة في جرم الشمس لا يصدر منها نور . من أجل ذلك تبدو قاتمة . وإذا كان ابن رشد فعلاً أول من رأى الكُلَف وعرفها فتكون براعته في الفلك العملي ( الرصد ) عظيمة جداً وخصوصاً لأن الادوات التي تُعْرف تلك الكلف بها لم تكن في أيام ابن رشد وافية ولا كافية .

ب ) وينسب إلى ابن رشد أنه شاهد مرور الكوكب عطارد على قرص الشمس بعد حسبان حركة عطارد . وهذا يقتضي براعة أعظم من البراعة في رؤية الكلف . يقول منصور جرداق : ( مآثر العرب ٢٢ ) : « وعرف ( ابن رشد ) بواسطة الحساب الفلكي وقت عبور عطارد على قرص الشمس فرصده وشاهده بقعة سوداء على قرصها في الوقت المعين . وهذا الأمر لا يتصدى له في وقتنا سوى الراسخين في الرياضيات الفلكية » . ويذكر جرداق أنه أخذ ذلك من كتاب « خلاصة تاريخ العرب » ، من الصفحة ٢١٥ . وبالرجوع إلى هذا الكتاب ، وهو في الحقيقة تهذيب ( مختصر ) لكتاب العالم الفرنسي سيديو نقله إلى العربية محمد بن أحمد عبد الرزاق (١) أحد المترجمين في ديوان الترجمة في القاهرة ومعلم اللغة الفرنسية بالمدارس الملكية المصرية ، وكان قد أمره بذلك علي باشا مبارك (٢).

---

(١) محمد أحمد عبد الرزاق موظف في قلم الترجمة في وزارة المعارف المصرية ومعلم اللغة الفرنسية ، كانت وفاته سنة ١٢٩٠ ( ١٨٧٣ م ) .

(٢) علي مبارك عالم مصري ولد سنة ١٢٣٩ ( ١٨٢٤ م ) وذهب في بعثة إلى باريس فتعلم العلوم الرياضية والطبيعية والعلوم الحربية وتولى عدداً من الوزارات وله آثار عمرانية وثقافية منها دار الكتب المصرية . وله مؤلفات منها « الخطط ( بكسر الخاء ) التوفيقية » وغيرها . وقد أشرف على نقل كتاب « خلاصة تاريخ العرب » للعالم الفرنسي سيديو ( انظر هامش الصفحة التالية ) وقد كانت وفاته سنة ١٣١١ ( ١٨٩٣ م ) .

ولكن يبدو أن الترجمة لم تكن دقيقة فعمد علي مبارك نفسه إلى نقل الكتاب من جديد أو إلى تنقيحه تنقيحاً كبيراً ، فقد قال علي باشا مبارك : « فوجدت به ( في الكتاب المنقول ) أبواباً لم تترجم وأخرى لم تستوف حقها في الترجمة . فترجمنا ذلك وصححنا الكتاب وقابلناه على الأصل كلمة كلمة . ثم كلفنا به العالم النحرير الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ السيد الشرقاوي الشرشيمي وأمرناه أن ينشئه إنشاء عربياً فصيحاً . فأخذ ينشيء ويقرأ علينا ما كتبه بخطه . ثم صححنا أسماء البقاع والرجال وقابلناه على أصلها الفرنجي وسميناه « خلاصة تاريخ العرب » ( ص ٥ — ٦ ) . والجملة موضع الاستشهاد هي ، في كتاب « خلاصة تاريخ العرب » ( ص ٢١٥ ) ، التي تلي :

« وعزي إليه ( إلى ابن رشد ) شرحٌ على المجسطي ظن إبصاره بقعة سوداء في قرص الشمس يوم عرف من الحساب الفلكي زمن مرور كوكب عطارد » .

ثم بالرجوع إلى كتاب سيديو [1] ( ٢ : ٢٩ ) قرأنا :

« وكان ( ابن رشد ) يحب أن يرصد ( الكواكب ) وكان قد اعتقد أنه بَصُرَ بنقطة سوداء على ( قرص ) الشمس في يوم دلّه ( فيه ) الحسبان على ( أن ذلك كان ) عبوراً لـ ( كوكب ) عطارد » .

---

(1) Louis Pierre Sédillot, Histoire générale des Arabes, Paris 1877 .

وسيديو مستشرق فرنسي ( ١٨٠٨ — ١٨٧٥ م ) كان أبوه أيضاً مستشرقاً يعنى بالفلك . واتجاهه في دراسة التاريخ العربي اتجاه سليم .

ولم يذكر سيديو من أين أخذ ذلك . وقد لفت نظري أن ما قاله منصور جرداق كان أقرب إلى الأصل الفرنسي من قول الترجمة المباشرة عن اللغة الفرنسية ، مع اعتقادي بأن منصور جرداق لم يعرف في الأغلب كتاب سيديو في أصله الفرنسي .

ولا أعلم إذا كان منصور جرداق قد اطلع على كتاب سيديو في أصله الفرنسي ، مع أنه قد عدّ في كتابه « المعجم الفلكي » بضعة كتب باللغة الفرنسية منها كتاب لسيديو نفسه . وفيما يلي كلمة في عبور عطارد على وجه الشمس ندرك منها حقيقة المهمة التي نصب ابن رشد لها نفسه .

عطارد أصغر الكواكب في نظامنا الشمسي — وحجمه أكبر قليلاً من حجم القمر الذي يدور حول الأرض ثم هو أقرب هذه الكواكب إلى الشمس . وعطارد يدور على محوره في نحو ستين يوماً من أيام الأرض ويدور حول الشمس في نحو ثمانية وثمانين يوماً . والمفروض أنه في كل دورة من دوراته حول الشمس يعترض مرة واحدة بين الأرض والشمس ، ولكن هذا الاعتراض بين الأرض والشمس مكانياً لا ينشأ منه « اقتران » ( أي اجتماع الأرض وعطارد والشمس في خط نظر واحد ) إلا قليلاً . إن عطارد يمر أحياناً فوق قرص الشمس ( بالاضافة إلى الناظر إليه من أرضنا ) ويمر أحياناً فوق قرص الشمس .

وفي بعض الأحيان يرى عطارد ماراً على قرص الشمس ، فهذا المرور على قرص الشمس يسمى عبوراً . إلا أن هذا العبور قد يكون جزئياً فيمس عطارد قرص الشمس مساً في أعلاه أو في أدناه ويدوم بضع ثوان ويكون هذا العبور أحياناً على قطر الشمس مثلاً ويدوم بضع ساعات .

وفي رصد عطارد وهو مارٌّ على قرص الشمس عدد من المصاعب :

١ – إن العبور الطويل لعطارد على قرص الشمس نادر فيجب أن يتسقط الراصد هذا العبور طويلاً .

٢ - إن هذا العبور يكون في النهار فيمر الكوكب الصغير الضئيل النور على قرص الشمس الكبير المضيء ويرى جسماً صغيراً ضئيلاً يتحرك على وجهها .

٣ – يدخل في معادلة العبور هذه حركة عطارد حول الشمس وحركة الأرض على محورها وحول الشمس أيضاً .

٤ – إن معظم الأوقات التي يحدث فيها هذا العبور يكون بعد الضحى ( بعد ارتفاع الشمس عن الأفق الشرقي للأرض في رأي العين ) حين يكون نور الشمس على أشده .

٥ – وأكثر ما يحدث هذا العبور في أيار ( مايو ) أو تشرين الثاني ( نوفمبر ) ، وربما كان الجو غائماً فتتعذر الرؤية .

ولقد كان من الأيسر على ابن رشد ( من الناحية العملية ) أن يرصد عبور عطارد في الوقت الذي يكون عبور عطارد فيه في الصباح الباكر ( بعد قليل من شروق الشمس ) .

ا ) يرصد ابن رشد عطارد قبل طلوع الشمس ويعين موقعه في السماء بالاضافة إلى أفق الأرض وإلى نقطة شروق الشمس على الأفق .

ب ) يحسب ابن رشد سرعة عطارد في فلكه وسرعة الأرض حول نفسها ( على محورها ) ، مع حسبان سرعة الشمس ( لأن ابن رشد كان يعتقد أن الأرض ثابتة وأن الشمس هي التي تدور حول الأرض – ولكن

هذا لا يبدل شيئاً ، لأن حسبان حركة الشمس حول الأرض في رأي العين هو حسبان حركة الأرض حول نفسها ) .

ج ) وحينما يصح حسبان ابن رشد يبصر نقطة صغيرة تدخل قرص الشمس من الشرق ( عن يسار ابن رشد ) ثم تتقدم ببطء نحو الغرب .

د ) وإذا كان حسبان ابن رشد دقيقاً فإنه يرى هذه النقطة السوداء تغادر قرص الشمس من جانبها الغربي ( على يمين ابن رشد ) .

هـ ) ويكون من حظ ابن رشد أن يحدث عبور عطارد بعيداً عن كلف الشمس أو حينما لا تكون تلك الكلف مواجهة للأرض . وربما كان من غير العسير على ابن رشد أن يميز عطارد من كلف الشمس ، فعطارد جرم صغير منتظم ( دائرة تامة ) وكلف الشمس كبيرة في الأغلب وغير منتظمة .

و ) ولا أعتقد أن ابن رشد كان باستطاعته ( في التفريق بين الكلف الصغيرة على وجه الشمس وعطارد ) أن يدخل في حسبانه دوران الشمس على محورها ( في كل خمسة وعشرين يوماً مرة واحدة ) ليعرف الفرق بين سرعة عطارد على وجه الشمس وسرعة الكلف على وجه الشمس أيضاً .

ز ) وبما أن عطارد يكون أثبت في رأي العين من الشمس (بالإضافة إلى الواقف على سطح الأرض ) ، فلقد كان من المعقول أن يرى ابن رشد عطارد يقطع قرص الشمس من الشرق الشمالي إلى الغرب الجنوبي ( لأن الشمس في طلوعها ترتفع — في رأي العين — من الجنوب إلى الشمال : من أدنى إلى أعلى ) .

* * *

هذه كلمة في ابن رشد الفقيه الفيلسوف ، ولكنها في العلم الطبيعي والرياضي : في علم المناظر ( البصريات ) والهيئة ( الفلك ) . وقد بدا أن ابن رشد كان عالماً طبيعياً كما كان فلكياً أيضاً ، مع أن معظم الدارسين — وأكاد أقول جميع الدارسين ، منا على الأقل — قد وجهوا اهتمامهم كله إلى ابن رشد الفيلسوف النظري وأهملوا آراء ابن رشد الرياضية والطبيعية . فحبذا أن يقوم منا نفر ينصفون جميع علمائنا بالالتفات إلى آرائهم العلمية البحت ( حينما يكون مثل هذا الالتفات ممكناً ) .

بقيت كلمة اعتذار[١] :

لا يبعد أن يرى الزملاء الكرام — من علماء الرياضيات والطبيعيات - أخطاء قليلة أو كثيرة في هذا المقال ، فأرجو أن يحمل الذنب عليهم هم لا عليّ أنا . لقد كان من الأوجب أن يقوموا هم بمثل هذه الدراسات العلمية ( وإن كنت أنا لا أسمي مقالي هذا دراسة علمية ، بل أسميه عرضاً يسيراً لفكرة علمية معينة ) . فحبذا أن يكون لهذا المقال - برغم ما يمكن أن يكون فيه من الأخطاء - صواب واحد : حث البارعين منا في علوم التعاليم ( العلوم الدقيقة من الرياضيات والطبيعيات ) على الاهتمام بالآثار العلمية عند علمائنا وعند فلاسفتنا على السواء . والله من وراء القصد .

بيروت : عاشر ربيع الأول ١٣٩٨

١٨/٢/١٩٧٨ عمر فروخ

(١) كان للجنة المجلة بعض الملاحظات التي تتناول بعض الحقائق العلمية الخاطئة في المقال ، ولكنها طوتها أمام كلمة الاعتذار هذه مقدرة جهود الزميل الدكتور عمر فروخ وغيرته على التراث العربي العلمي والانساني وحرصه على إحيائه وجلائه .

# معبد الجهني

الدكتور يوسف فان اس

- ٢(*) -

إن هذا الاضطراب قلما يمس الفرق بين زوج « أم موسى » من جهة « وفرد من الأساورة » من جهة أخرى . فأحد الأمرين لا يتعارض مع الآخر . فهناك نساء كثيرات يسمين أم موسى ورد ذكرهن عند ابن سعد . وعلى كل حال ، فإن واحدة منهن تستحق اهتمامنا [١] ، وهي تلك التي قيل عنها [٢] إنها كانت تروي عن علي ، وكان ينقل عنها مغيرة ابن مقسم الضبي ( الكوفي توفي عام ١٣٣/٧٥١ أو بعد ذلك بقليل ). لقد كانت تلك المرأة ، كما رأينا في مكان آخر [٣]، زوجةً لعلي ، وعادت فتزوجت بعد وفاته ( في عام ٤٠/٦٦٠ ) . وزوجها لم يكن غير أبي يونس الآنف الذكر . وهو من مواليد الأوساط الفارسية الرفيعة . وكان قد انضم من قبل إلى بني تميم في البصرة [٤] . ومن المحتمل أن يكون

---

(*) نشر القسم الأول من هذا المقال في الجزء السابق ( مج ٥٣ ج ٢ ص ٢٧٩ )

(١) كل الآخرين كانوا يعيشون بالحجاز ( قارن ابن سعد ج ٥ ص ٤٠ س ١٠ ، وص ٥٢ س ٢٣ ، وص ٢٣٨ س ٢٤ ) .

(٢) ابن سعد ج ٨ ص ٣٥٦ س ٢٠

(٣) الذهبي « الميزان » رقم ١١٠٣٦

(٤) حتى إن المؤرخين العرب قد أخذوا بهذه العلاقة . فعند الذهبي ( الميزان =

ذلك « الملعون من بني عوانة » قد عاش في نفس هذه البيئة ، وهو

= رقم ٣٦٣٤ ) وابن حجر الذي مشى على إثره ( لسان الميزان ج ٣ ص ١٣١ ) يذكر شخصاً يدعى سيسويه ( كما جاء عند ابن حجر وفي مخطوطة للميزان ) أو سستويه ) كما جاء في مخطوطة أخرى « للميزان » صدرت عن سبط ابن العجمي ، ( توفي عام ١٤٣٨/٨٤ وبكلمة أخرى ، عن معاصر لابن حجر ) ، ويوصف بأنه زوج والدة موسى الأسواري . إن هذين الاسمين جاءا عن الأخبار التي كانت متداولة في بيئة الرواية التي كان البلخي والمقريزي على اتصال بها . أما لفظة « والدة موسى الأسواري » فقد استنتجت من عبارة أم موسى عند ابن سعد . وإنه لمن المشكوك فيه أن يكون هذا الاستنتاج صحيحاً . إنه في حدّ ذاته يبدو معقولاً : فموسى الأسواري كان قدرياً وكان معروفاً كذلك عند المعتزلة ( قارن « الميزان » رقم ٨٨٧٤ و٨٩٤٣ ، ابن المرتضى « الطبقات » ص ٦٠ س ١٣ وما بعده ) . إلا أنه توفي في أواسط القرن الثاني ولربما فيما بعد وكان يأخذ عن قتادة ( توفي عام ٧٣٥/١١٧ أو ٧٣٦/١١٨ ) ، وكان معاصراً لعوف الأعرابي ( توفي عام ٧٦٣/١٤٦ أو ٧٦٤/١٤٧ ) . ويعده ابن المرتضى في طبقة أبي الهذيل وبشر بن المعتمر والنظام وجميعهم توفوا في القرن الثالث . ففارق الزمن بينهم وبين معبد كبير . بالاضافة إلى ذلك ينبغي أن نعتبر أن ليس من دُعي « زوج أم موسى » يكون له من زوجته صبي يدعى موسى ، — ولا بد أن يكون هذا الأمر ما افترضه الذهبي ، إذا اعتبر أن نسبة موسى الاسواري تعود إلى أبيه أبي يونس الاسواري ، بل قد تكون الزوجة كنيت بأم موسى لأسباب أخرى . فهذا الاحتمال ينطبق بشكل أفضل على تلك التي كانت زوجة لعليّ سابقاً . ومما يجعلنا نحسب حساب الوقوع في الخطأ في هذه المرحلة المتأخرة من الروايات هو ان ابن حجر قد سمى أبا يونس الاسواري باسم يونس الاسواري فقط لاغير في مكان آخر ( « لسان الميزان » ج ٦ ص ٣٣٥ ) ، فالترتيب حسب الحروف الابجدية يدل على أن ابن حجر نفسه قد وقع في الخطأ وليس الناسخ أو مصفف حروف الطباعة في وقت لاحق . ومن جهة أخرى فإن الشهرستاني قد وقع في هذا السهو أيضاً ( قارن « الملل والنحل » ص ٣٥ س ٥ من تحت ، تحقيق Cureton ) وفي مكان آخر فإن يونس هذا قد ساواه ابن حجر بـ سيسويه / سستويه . وقد اخطأ في كتابة الاسم فأصبح سيبويه .

الشخص الذي وصفه يونس بن عبيد بأنه الثالث في الرابطة . فبنو عوانة هم أيضاً إحـدى قبائل بني تميم (١) . والمسألة الأصعب هي في التحقق من الاسم : فهو سنهويه عند ابن سعد وسنسويه عند البلخي والمقريزي . والمستندات الجديدة لا تساعد في تيسير هذه المسألة : فبدلاً من الشكلين السابقين يطالعنا ابن عساكر بشكل ثالث هو سنسويه . ويمكن قراءة الاسم على هذا الشكل بقدر ما يسمح بذلك الخط غير المنقّط تنقيطاً كاملاً – أو غير الواضح التنقيط على الأقل – . إلا أن ابن عساكر يشير إلى أن أبا داوود ( توفي عام ٢٧٥ / ٨٨٨ ) ، صاحب مجموعة الأحاديث المشهورة ، لم يشأ إلا أن يتلو الاسم بالتاء أي سُسْتويه . ومرة أخرى نجد الشكل الذي استعمله المقريزي في كتاب « خلق الأفعال » للبخاري (٢) . ويأتينـا الذهبي وابن حجر ، كما رأينا (٣) ، بالأشكال الثلاثة التالية : سيسويه وسّسويه وسيبويه . وفي طبعة كتاب « الشريعة » للآجري نقرأ الشكل الكامل المتفرخ وهو سيسفوه . أما في المخطوطة فنقرأ سيسفويه ، وهذا أقرب إلى الحقيقة إذا ما قيس بالشكل الآخر (٤) .

ولإيجاد الحلّ لا بد لنا من أن نثبت أياً من تصغيرات التحبّب هذه يمكن توضيحه توضيحاً لغوياً ، أو على أي منها يمكن العثور ، مرة

(١) قارن كحالة « معجم قبائل العرب » ص ٨٥٣

(٢) قارن علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي « عقائد السلف » ص ١٦٧ س ٨

(٣) انظر الحاشية ٤ من الصفحة ٥٢٧

(٤) قارن ص ٢٤١ س ٦ من تحت والحاشية .

أخرى ، في غير هذه الروايات . وهنا يتضح لنا أن تلاوة أبي داوود لها ما يبررها . فهي تعطي للاسم مدلوله : فكلمة سستويه تعني إلى حد ما « المستضعف الصغير » . ومن المؤكد أن أبا داوود كان ملماً بالفارسية ، باعتباره من مواليد سجستان . ومع ذلك فإن شهادة الذهبي في كتابه « المشتبه » تناقض ذلك . فهو لا يعرف إلا اسمي سنسويه وسسّويه(١). ولم يزد ابن حجر في كتابه « تبصير المنتبه » شيئاً إلى ذلك (٢) . كما أن المعلومات في « القاموس » (٣) وفي « تاج العروس » (٤) تقتصر على هذه المواد فقط . ولم يتوصل Noldeke إلى تفسير للاسمين يطمئن إليه ، وهو الذي عالج هذه الأشكال في دراسة لا تزال تعتبر مرجعاً إلى الآن (٥) . فهو يرى ، بالنسبة لسنسويه ، أنه مشتق من سسنفروه أو سسنخرّه . ويستبعد صلته بـ « ساسان » لأنه من الأصح في هذه الحال أن يكون الشكل المشتق منه ساسويه وليس سنسويه (٦) . أما بالنسبة لسسّويه ، فهو يرى له صلة بـ « سست » أي خامل (٧) . وهكذا

(١) « المشتبه » ص ٣٥٨ س ١١ وما بعده ( البجاوي )،هنا مع الحركات اللازمة

(٢) « تبصير المنتبه » ص ٦٨٠ س ١ ومابعده .

(٣) جـ ٤ ص ٢٣٤ س ١٠ والذي يليه ، وجـ ٢ ص ٢٢١ السطر الثاني قبل الأخير وما يليه .

(٤) جـ ٩ ص ٢٣٤ س ٢٢ وما يليه ، وجـ ٤ ص ١٦٧ س ٨ ومابعده .

(٥) Persische Studien فصل ١ في Sitzungsberichte, Wiener Akademie ١٨٨٨/١١٦ ص ٣٨٨ وما بعدها . قارن ايضاً W.Eilers في Acta Orientalia ١٩٥٦/٢٤ ص ٢٠٧ والتي تليها وص ٢١١ والتي تليها.

(٦) المرجع نفسه ص ٤٠٣ والتي تليها .

(٧) المرجع نفسه ص ٤٠٤

يبدو أن هذا الشكل ليس إلا وجهاً آخر لـ « سستويه » الوارد عند أبي داوود . ولم يقف Nöldeke على الأشكال الأخرى مع أنه محّص مراجع أدبية عديدة ، كعادة لمجموعته . أما يوستي ( Justi ) فلم يتعدّه بحثاً في مؤلفه ( كتاب الأسماء الفارسي ) « Iranisehes Namenbuch » .

بهذا نكون قد حصلنا على بعض المقاييس التي تسمح لنا بإلقاء نظرة أولى على مواد البحث . إن « رسم » الاسم ينطوي على كثير من التأويلات . وبالاضافة إلى ذلك يجب أن ننطلق من الواقع التالي ، وهو أن نساخ تلك النصوص المعنية لم يكونوا على معرفة جيدة بأشكال الأسماء الفارسية . فالوقوع في أخطاء نسخية كان أمراً غير مستبعد . ويمكننا أن نرى بالتأكيد في شكلي سيسفويه وسيسفوه المتفرّعَين خطأً من هذه الأخطاء . وهذا أكيد بالنسبة لشكل سيسويه الذي ظهر فيما بعد ، بل وأكثر تأكيداً بالنسبة لسيبويه الذي لم يقرأ ( أو يطبع ) إلا بهذا الشكل عند ابن حجر . ويبدو الأمر صحيحاً أيضاً بالنسبة لسنسويه ، مع أن هذا الشكل ورد في زمن مبكر عند البلخي والبخاري . إن مخطوطات هذه المؤلفات لم تكن بأية حال قديمة كقدم تلك المؤلفات . ومن ناحية أخرى ينبغي أن ندخل في حسابنا أن الناشر الذي كان على علم بالشكل الوارد عند المقريزي فقط ... نقول إن ذلك الناشر بالذات قد علل الشكل الذي اعتمده ، مستنداً عن قصد أو غير قصد ، إلى ما عرفه عند المقريزي . وهكذا فإن شكل سنهويه الوارد عند ابن سعد يبقى معزولاً . ويسهل علينا الآن الفصل بين شكل سنسويه أو شكل سستويه / سسّويه ، إذا ما رجعنا إلى قول الأوزاعي . يبدو لنا أن مؤلف

« القاموس » قد فهم سسنو يه على أنه تصغير تحبّب لاسم سُوسن أو سَوسن (١) . ونجـــد في « تاج العروس » ، علاوة على ذلك ، ملاحظة ساخرة تقول إن الاسم لا يقرأ سَسنويه فحسب ، وإنما أيضاً سُسنويه (٢). وهذا ممكن تماماً من الناحية اللغوية البحت . إن اختصار الصيغة المجردة في التصغير أمر شائع . من الحق أن المسألة بالنسبة للأمثلة التي عرفناها إلى الآن تتعلق بتشويه أول الاسم أكثر مما تتعلق بإدغامه (٣) . ولكن لا ننسى أنه قد ورد اسم أبّويه كاسم تحبب لعبد الله (٤) ، وحمّويه ( كصيغة أخرى لحمدويه ) لمحمد (٥) . وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار ماسبق فيكون الأوزاعي قد فعل ما فعله مؤرخ العراق بنقله الاسم على هـذا الشكل . لقد كان يقـدر ابن عون حق قدره (٦) . ويُظَنّ أنه اتصل به بطريقـة أو بأخرى . ومن المحتمل أن ينظر إلى قوله على أنـه جاء

(١) ج ٤ ص ٢٣٤ س ١٠ والذي يليه .

(٢) ج ٩ ص ٢٣٤ س ٢٢ تحت اسم سوسن .

(٣) قارن Noldeke المرجع نفسه ص ٤٠٨ والتي تليها .

(٤) قارن « الديوان » للصنوبري رقم ٣٥١ = ٣٩٤ السطر قبل الاخير ( إحسان عباس ) . إنني لا أرى ان يقرأ الاسم أبّويه حسبما يقول الناشر ، فهذا تركيب نحوي ولفظة أبّويه لها نفس الوزن . فيما يتعلق بالاسماء المشتقة من عبد الله قارن لفظة عبو الكردية لدى Noldeke ص ٤٠٧

(٥) قارن Noldeke ص ٤٠٩ وللتشديد قارن الذهبي « المشتبه » ص ٢٥٠ س٩ (البجاوي) . قارن ايضاً اسم سمّويه المشتق من إسماعيل لدى Noldeke ص ٤٠٨

(٦) قارن يعقوب بن شيبة « مسند عمر » ( بيروت ١٣٨٩/١٩٦٩) ص٥٦ س٤

متأخراً ، لأنه - أي الأوزاعي - كان أصغر سناً من ابن عون وأصغر من يونس بن عبيد أيضاً [١] بالاضافة إلى أنه لم يكن من أصل عراقي. لقد نقل الاسم في صيغته المجردة ، تلك الصيغة التي كانت أقرب إليه[٢] من التصغير الفارسي نظراً لنشأته في بيئة آرامية . وعليه ، فإن شكل سنويه يبدو كأنه الصيغة الصحيحة . وبالرغم من مكانة أبي داوود الأدبية فان شكل سستويه يبقى ، حسب تقديرنا ، اقتراحاً للقراءة ينم عن ذكاء وتبصر ليس إلا".

ويكمل الأوزاعي الروايات العراقية في نقطة واحدة : إنه يعرف الدوافع الدينية للملحد الفارسي . ومع ذلك فإنه عندما يعلن عنه أنه نصراني ، فإنما يفعل ذلك عن غاية في نفسه . وقصده لم يكن معبداً بقدر ما كان غيلان الدمشقي . فلا عجب إذاً ، أن يخالفه البخاري في ذلك : ففي الفقرة المذكورة من كتاب « خلق الأفعال » [٣] يرى هذا الأخير في سسنويه / سنسويه مجوسياً اعتنق الاسلام . ويقول إن أهل البصرة قد انضموا إليه ، بينما لم يحذُ الحسن البصري حذوهم . والغاية هي نفسها هنا وهناك : إن الإلحاد في الاسلام مردّه إلى التأثيرات

---

(١) توفي عام ١٥٧/٧٧٤ عن عمر يناهز السبعين عاماً ( قارن EI ط. ثانية ، تحت الاسم المذكور ) .

(٢) قارن لفظة شوشنتا السريانية « زنبقة » وهذا هو معنى الاسم المقصود هنا ، مع انه يعطى بصفة عامة للنساء .

(٣) انظر الحاشية ٢ من الصفحة ٣١٤

الخارجية (١) . ومن الصعب البتّ في أي منها على حق . فرواية البخاري هي أيضاً منقولة عن غيره . ولعله استنتج الانتماء الديني باستناده إلى تفسير الاسم : فصِلَةُ الأساورة بالمجوسية كانت صلة قريبة للعقل . لكنّ بني تميم الذين انضم الأساورة إليهم كانت بعض جماعاتهم تدين بالنصرانية (٢). وكانت الديانتان تُتّخذان كوسيله للتنفير والترهيب في الدعايات الدينية . وجاء في حديث واسع الانتشار أن القدريين هم « مجوس هذه الأمة »(٣) كما جاء في حديث أقل انتشاراً من الأول « اتقوا القدر ، فإنه شعبة من النصرانية » (٤) . وتشير إحدى الملاحظات التي يؤكد أصحابها أنها

---

(١) من المعروف ان ذلك كان تصوراً سائداً . كذلك يرى الجاحظ ان معتنقي الإسلام الجدد هم الذين يدخلون الهرطقات فيه ( قارن « الرد على النصارى » Finekel ١٧ ) . ولربما يكون الجاحظ قد قصد بدعاً أخرى غير هذه. وحسب روايات المعتزلة فإن يوسف السمتي قد اخذ نظرية « التكليف بما لا يطاق» عن زنديق من واسط يدعى ضرير ( قارن القاضي عبد الجبار « المغني » ج ٨ ص ٤ س ٨ والذي يليه ) .

(٢) قارن EI ط . أولى في باب Tamīm

(٣) قارن بالاضافة إلى ذلك بحثي Zwisehen Hadīt Und Theologie ص ١٣٧ وما يليها .

(٤) قارن الذهبي « الميزان » ٩٠٢١ وكذلك بحثي المشار اليه في الحاشية السابقة ، ص ١٢٩ . للحصول على مواد أخرى المرجع نفسه ص ١٣٩ الحاشية رقم ٣١ ( وكذلك A. S. Tritton Muslim Theology ص ١٨ وما بعدها .

نقلت عن الناسك والفقيه البصري مسلم بن يسار ( توفي عام ١٠٠ / ٧١٩ ) (١) أن أي عراقي لم يكن قط يفكر بتأثير الزّرادشتيّة أكثر مما يفكر بتأثير النصرانية . فلقد جاء في تلك الملاحظة أن معبداً يتكلم كالنصارى (٢) . اذاً فقد يجوز لنا ، والحالة هذه ، أن نوجح قول الأوزاعي على غيره .

أما بالنسبة لابن عون ويونس بن عبيد ، فمسألة الدين لم تكن بعد واردة عندهما . وكل همهما كان أن ينالا من معبد بالتعرض لعلاقته بالأعاجم وبالموالي . ويظهر ذلك تماماً في اختيار العبارات التي استعملها ابن عون ولم تكن تلك العلاقات أمراً مستحيلاً على الاطلاق . فلقد شارك الأساورة بني تميم في الثورة ضد الحجاج (٣) . وكانوا يُعتبرون مفاوضين لامعين يحسب لهم حساب (٤) . إنما لم تكن تلك العلاقات أيضاً غير مألوفة في البصرة آنذاك . ففي أيام معبد ، أي بعد تأسيس المدينة بستين عاماً تقريباً ، كان الذين اعتنقوا الاسلام جديداً يشكلون بالتأكيد أكثرية فيها . ولذا فإن حملة القدح والذم التي شنها ابن عون وزميله في أيامها لم تعط

---

(١) قارن « الميزان » رقم ٨٥١٠

(٢) قارن كتاب « العلل » لابن حنبل ( انقرة ١٩٦٣ ) ص ١٧٥ رقم ١٠٨٤ ، و« تاريخ دمشق » ، كذلك « تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٢٦ س ٦ وما بعده : ربيعة بن كلثوم بن جبر البصري عن ابيه ( توفي عام ١٣٠/٧٤٨ ، قارن « الميزان » رقم ٦٩٦٧ « تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٤٢ )

(٣) قارن A . Abd Discon , the Umayyad Caliphate لندن ١٩٧١ ص ١٦٧

(٤) قارن وكيع « اخبار القضاة » ج ١ ص ٣٤٥ س ١ وما بعده .

نتيجة تذكر . فأغلبية سكان المدينة كانت آنذاك تقول بالقدرية (١) . كما أن مكانة معبد كانت لا تزال صامدة بعض الشيء . وفي النصف الأول من القرن الثاني ، عندما طُرِدَ الأباضي حمزة الكوفي من الجماعة البصرية لهذا المذهب بسبب ميوله القدرية ،وُصِف بأنه من أتباع غيلان الدمشقي (٢). ولم يرِدْ اسم معبد ولا حتى اسم سنسويه على الاطلاق (٣) .

* * *

وها نحن نؤيد قولنا بدليل آخر . من الواضح أنه يمكننا أن نعود إلى البصرة ، إلى تلك المرحلة من تاريخها ، حيث نجد معبداً وقد كوّن لنفسه فيها مكانة طيبة . إلا أننا لا نعثر على أثر للفارسي الذي ضلله. يروي بعضهم ، وهو يحيى بن يعمر ، حديثاً معروفاً ، فيقول فيه : « كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني . فانطلقت أنا وحميد بن عبد

(١) أيضاً Zwichen Hadlit uud Theologie ص ٦١ وما يليها .

(٢) قارن كتاب « السير » للشماخي ( القاهرة ١٨٨٦ ) ص ٨٤ السطر قبل الأخير وما بعده ، و EI ط . ثانية ، باب Ibadiyya

(٣) لقد صرف النظر هنا عن الرواية المدنية التي لمحنا إليها بصورة عابرة فيما يسبق ، وفيها يوصف معبد بأنه أول القدريين في المدينة ( قارن الحاشية ٣ ص ٢٨٤ من هذا المقال ) . ويظهر أنها تأثرت بالطريقة التي صاغ بها ابن عون قوله فأصبحت بالتالي ثانوية . ومن المحتمل أن يكون أبو ضمرة أنس بن عياض من أهل المدينة والمذكور في الإسناد مسؤولاً عنها ، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الزمن الذي عاش فيه ( مابين ١٠٤/٧٢٢ و ٢٠٠/٨١٥ ) . لقد لعب هذا الرجل أيضاً دوراً لا يستهان به في نشر الأخبار المعادية للقدرية في مسقط رأسه ( قارن Zwischen Hadit urnd Theologie في الفهارس تحت الاسم المذكور ) .

الرحمن الحميري حاجَّين — أو معتمرين — فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر . فوفّق لنا عبد الله ابن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبي سيكِلُ الكلام إليَّ ، فقلت : أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قِبَلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفّرون العلم . وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنُف (١) . قال فإذا لقيتَ أولئك فأخبِرْهم أني بريء منهم وأنهم بُرآء مني . والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحُد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر (٢) ، ثم قال : حدثني أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر للسفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه (٣) ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام ... » .

ويمكننا أن نتوقف عند هذا الحد : يجيب النبي فيسترسل في تفسير

(١) ملاحظة لأحد الرواة المتأخرين . قارن Zwischen Hadit und Theologie ص ٤٨ فيما يتعلق بوصف مذهب القدرية المذكور هنا .

(٢) إن هذه الجملة ليست سوى تصور سائد ، وكثيراً ما استعملت في أمكنة أخرى ضد القدريين ( قارن الآجري « الشريعة » ص ١٨٧ س ٤ من تحت ، و ص ٢٠٣ س ٧ وما قبل الأخير ) . لقد كان الناس يشعرون بالحرج من تقواهم .

(٣) حركة تدل على الإصغاء والتعلم .

تعاليم الإيمان موضحاً مفاهيم الإسلام والإيمان والإحسان ومحدداً كلًا منها ومعلناً في جملة ما يعلنه أن الإيمان بالقدر خيره وشره هو من عقيدة الإسلام (١) . ويؤكد الرسول أنه تبين له فيما بعد أن ذلك الزائر الغامض لم يكن غير جبرائيل (٢) .

يشتمل هذا الحديث على شطرين : الشطر الرئيسي ، والتوطئة التي تروي الحكاية ( وهي التي أدرجت هنا بالدرجة الأولى ) ، هذه الحكاية التي يتداخل فيها اسما الراوي الأول عبد الله بن عمر والراوي الثاني يحيى ابن يعمر . ويوصلنا الإسناد إلى عبد الله بن بريدة ، أحد القضاة في مرو ، وقد توفي في عام ٧٣٣/١١٥ (٣) . ومن ثم يؤدي بنا إلى البصرة حيث نقع عليه عند اثنين من الحفاظ ، دون اختلاف جوهري في متنه . هذان الاثنان هما الناسك كهمس بن الحسن ( توفي عام ١٤٩ / ٧٦٦ ) (٤) ، ومطر الورّاق ( توفي عام ٧٣٧/١٣٠ ) ، أحد خصوم عمرو بن عبيد(٥).

---

(١) « أن تؤمنوا بالقدر خيره وشره » . قارن Zwischen Hadit Und Theologie ص ١١٩ فيما يتعلق بهذه العبارة .

(٢) قارن « صحيح » مسلم ، كتاب الإيمان ١

(٣) قارن الذهبي « تذكرة الحفاظ » ص ١٠٢ رقم ٩٥ ، وكيع « أخبار القضاة » ج ٣ ص ٣٠٦

(٤) كما عند مسلم « الإيمان ١ » ، وفيما يتعلق بكهمس قارن الذهبي « الميزان » رقم ٦٩٨١

(٥) كما جاء عند مسلم « الإيمان ٢ » ، مع مقدمة مختلفة بعض الشيء ، قارن أيضاً الآجري « الشريعة » ص ٢٠٤ س ٥ من تحت ، بالنسبة لمطر قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ١٧٦ ومابعدها .

ولربما جاز لنا أن نفترض ، ولو إلى حين ، أن تاريخ وفاة الورّاق هو بمثابة نقطة بداية : فإن الرواية القائلة أن معبداً هو مؤسس القدرية كانت قد أطلقت في البصرة قبل عام ٧٤٧/١٣٠ ، وذلك بعد فتنة ابن الأشعث بزمن بعيد ، ولربما أيضاً بعد وفاة الحسن البصري ( ٧٢٨/١١٠ ) . ومرة أخرى نرانا نقترب من عهد يزيد بن الوليد . إلا أن هذا التاريخ يتجاوز ذلك الماضي الذي رويت فيه حكاية سسنويه المرتدّ . وهكذا فإن ما كان ظناً واحتمالاً لدى معالجتنا شكل الرواية يصبح أكيداً لدى مراجعتنا الإسناد . ويمكننا توضيح ذلك توضيحاً أتم وأكمل .

إن هذا لا يعني أن الحديث كله قد زُيّف في البصـــرة في ذلك الزمن . فبصورة عامة تتطور الأحاديث بشكل أكثر تعقيداً مما نتصور [1] . والظاهر أن التوطئة التي يُذكر فيها معبد ، إنما أضيفت إلى الحديث فيما بعد . ويمكن التدليل على ذلك بتحليل مضمونـه . فليس المقصود من الحديث بحد ذاته التشديد على تعاليم القضاء والقدر بالدرجة الأولى . صحيح أن الحديث يذكر تقدير الخير والشر ، ولكنـه يذكره مع غيره من العقائد الاسلامية ولا يأتي مطلقاً في نقطة تستوعي الانتباه بصورة خاصة . فالناس لم يقفوا هـذا الحديث نظراً إلى إشارته إلى هذه المسألة الدينية ، وإنما وجدوا فيـه في وقت لاحق وسيلة مفيـدة لطرح هذه المسألة على بساط

---

(١) أعود هنـا إلى بعض ماذكرته في بحثي Zwischen Hadit und Theologie في معالجة موضوع آخر ( ص ٤٧ وما يليها ) . بالنسبة للطريقة المتبعة هنـا التي تبدو بديهية بعض الشيء والتي تنقصها الأمثلة لتصبح أكيدة ، أرجو الاطلاع على ما قلته في البحث المذكور .

البحث . ويتأكد ذلك إذا ما قارنا بين المصادر . لقد ورد هـذا الحديث مراراً وتكراراً ، وذلك لتميزه بطابع تعليمي ديني ؛ على ما يظهر . إلا أن التوطئة قد سقطت من أكثر الروايات ، وإذا ظهرت فإنما دون الاشارة إلى معبد . وهذا ما لدينا من المصادر نعرضه بإيجاز لأخذ نظرة عامة عنه :

هناك أولاً صيغ الرواية التي وردت دون الاشارة إلى التوطئة المذكورة أعلاه . وإحداها [1] تعود بنا إلى كهمس ، كتلك التي عالجناها إلى الآن ، وعليه فقد كانت معروفة في البصرة . نقلت عن محمد بن جعفر البصري المعروف باسم غندر ( توفي عام ١٩٢/٨٠٨ أو ١٩٤/٨١٠ ) [2]، وعن يزيد بن هارون الواسطي (عاش بين عامي ١١٧/٧٣٥ أو ١١٨/٧٣٦ و٢٠٦/٨٢١)[3]وكذلك نقلت عن وكيع بن الجراح (عاش بين عامي ١٢٩/٧٤٦ و١٩٧/٨١٢ ) [4] والذي يرد عند مسلم كثقة للصيغة الموسعة . وإلى جانب هذا ، فقد وردت أسانيد مختلفة تمام الاختلاف ليس لها أصول في البصرة. كتلك الذي ذكرها البخاري [5] وابن ماجه [6] والنسائي [7] ، وهي على

(١) « مسند » ابن حنبل ج ١ ص ٥١ س ٩ من تحت وما بعده ، وج ١ ص ٣١١ والتي تليها رقم ٣٦٧ وما بعده ، ابن ماجه « المقدمة » ٩ رقم ٦٣

(٢) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٩ ص ٩٦ وما بعدها

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٣٦٨

(٤) قارن Sezgin GAS ٩٦/١ والتي تليها .

(٥) « الإيمان » ٣٧ وتفسير سورة لقمان ٢

(٦) « المقدمة » ٩ رقم ٦٤

(٧) « الإيمان » ٣ ( = ج ٢ ص ٢٦٦ س ٣ وما بعده ) .

الوجه التالي : أبو هريرة ( توفي عام ٥٩/٦٧٩ ) 〉 أبو زرعة ( ابن عمرو ابن جرير الكوفي )[١] 〉 أبو حيان التيمي ( يحيى بن سعيد الكوفي ، توفي عام ١٤٥/٧٦٢ )[٢] وكذلك أبو فروة ( عروة بن الحارث الكوفي )[٣] 〉 إسماعيل بن عليّة ( = إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم البصري ، عاش بين عامي ١١٦/٧٣٤ و ١٩٣/٨٠٩ )[٤] وكذلك جرير ( ابن عبد الحميد الرازي ، من مواليد الكوفة ، توفي عام ١٨٨ /٨٠٤ )[٥] .

وهناك إسناد آخر عند ابن حنبل[٦] : ابن عباس (توفي ٦٨/٦٨٧ ) 〉 شهر ابن حوشب (الشامي ، توفي عام ١١١/٧٢٩ أو عام ١١٢/٧٣٠ ، وبعضهم يقول - بالاستناد إلى روايات مشوهة ؟ - إنه توفي عام ١٠٠/٧١٨)[٧] 〉 عبد الحميد ( ابن بهرام الفزاري المدائني[٨] 〉 أبو النضر ( هاشم بن القاسم

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٢ ص ٩٩ والتي تليها .

(٢) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٢١٤ والتي تليها .

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٧ ص ١٧٨ والتي تليها .

(٤) قارن ابن النديم « الفهرست » ص ٢٢٧ س ١٤ ومابعدها ( Flügel ) .

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٢ ص ٧٥ ومابعدها .

(٦) « المسند » ج ١ ص ٣١٨ س ٤ من تحت ، وج ٤ ص ٣٣٣ والتي تليها رقم ٢٩٢٦ م

(٧) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٣٦٩ وما بعدها ، « الميزان » رقم ٣٧٥٦

(٨) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٦ ص ١٠٩ والتي تليها .

الخرساني ، عاش بين عامي ١٣٤/٧٥٢ و ٢٠٧/٨٢٣ )[١] .

وهناك إسناد آخر نجده عند ابن حنبل[٢] يعود بنا إلى شهر بن حوشب الذي كان له بعض الشأن عند أهل البصرة خاصة ، ويعتبره غيرهم ضعيفاً [٣] .

لقد جاء هذا الاسناد مشوهاً في مطلعه : عامر أو أبو عامر أو أبو مالك 〉 شهر بن حوشب 〉 عبد الله بن ( عبـد الرحمن ) أبي حسين ( المكي ) [٤] 〉 شعيب ( بن أبي حمزة الحمصي ، توفي عام ١٦٢/٧٧٩ أو ١٦٣/٧٨٠ ) [٥] . وأخيراً نجـد عند ابن حنبل[٦] جزءاً من حديث فيه تفسير لمفهوم الايمان فقط ، مقرون ببعض الأمثلة . وهو يعتمد كذلك على إسناد كهمس الذي كان نقطة انطلاقنا .

إلى جانب ذلك نقع على نص يقتصر على تحديد مفهوم الإيمان أيضاً، ولكنه يختلف في صياغتـه ؛ وقد اشتمل على توطئة للقصة تختلف أيضـاً تماماً عن تلك التي نعرفها . أما الأسانيد فتختلف هي أيضاً بدورهـا عن تلك التي رأيناها ، وهي على الوجه التالي : ابن عباس 〉 أبو غمرة ( نصر

(١) قارن الذهبي « تذكرة الحفاظ » ص ٣٥٩ رقم ٣٥٠

(٢) « المسند » ج ٤ ص ١٢٩ س ١٥ وما بعده ، وكذلك ج ٤ ص ١٦٤ س ٥ وما بعده .

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٦ ص ١١٠ س ٦ من تحت والذي يليه .

(٤) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٥ ص ٢٩٣

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٣٥١ والتي تليها .

(٦) « المسند » ج ١ ص ٢٨ س ٩ من تحت والذي يليـه ، وج ١ ص ٢٣٨ رقم ١٩١

ابن عمران الضّبعي البصري ، توفي عام ١٢٨/٧٤٦ ) [١] 〉 شعبة بن الحجاج ( من مواليد البصرة ، توفي عام ١٦٠/٧٧٦ ) [٢] . وفي مكان آخر نجد الإسناد التالي : جرير بن عبد الله ( البجلي ، نزيل الكوفة ، توفي عام ٥٤/٦٧٤ ) [٣] 〉 زاذان ( أبو عبد الله الكوفي ، توفي عام ٨٢/٧٠١ ) [٤] 〉 أبو جناب ( يحيى بن أبي حيّة الكوفي توفي عام ١٥٠/ ٧٧٦ ) [٥] .

وأخيراً نقع على حديث ليس له قرابة مباشرة بحديثنا ، وهو يضيف إلى كل من مفهومي الايمان والإسلام ملاحظة عن سبل تحقيقها أفضل تحقيق ( أيّ الإيمان أفضل ؟ ) . وهذا الحديث يظهر بظهرين مختلفين ، أحدهما طويل والآخر قصير . وليس للأسانيد التي يرتبط بها من صفات مشتركة إلا أولها فقط : عمرو بن عبسة ( السلمي ، وهو من أهل الشام [٦] )〉 أبو قلابة ( عبد الله بن زيد الجرمي ، توفي عام ١٠٤/

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٤٣١ والتي تليها .

(٢) قارن GAS ٩٢/١ . إن الإسناد المذكور موجود عند ابن حنبل ج ١ ص ٢٨٨ س ١٠ من تحت وما بعده ، وج ٣ ص ٣١٨ والتي تليها رقم ٢٠٢٠ ، وعند أبي داود « السنّة » ١٥ ( = ج ٢ ص ٢٦٩ س ١٢ وما بعده ) .

(٣) قارن ابن عبد البر « الاستيعاب » رقم ٣٢٢

(٤) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٣ ص ٣٠٢ والتي تليها .

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٢٠١ وما بعدها . إن الإسناد المذكور موجود عند ابن حنبل ج ٤ ص ٣٥٩ س ١٠ وما بعده .

(٦) قارن ابن عبد البر « الاستيعاب » رقم ١٩٣٧

٧٢٢ ) [(١)] 〉 أيوب ( ابن أبي تميمة السختياني البصري ، توفي عام ١٣١/٧٤٨ [(٢)] 〉 معمر ( بن راشد ، توفي عام ١٥٤/٧٧٠ ) [(٣)] . والإسناد الثاني هو على الوجه التالي : عمرو بن عبسة 〉 شهر بن حوشب [(٤)] 〉 محمد بن ذكوان ( البصري ) [(٥)] 〉 الحجاج بن دينار ( الواسطي ) [(٦)] . وهذا يعني أن المواد التي بين أيدينا هي في معظمها عراقية المصدر . وغالباً ما تلتقي الأسانيد في البصرة أو في الكوفة ، وذلك على الرغم من التباين الشديد فيما بينها . إلا أن أحدها ، وقد ورد وفي مطلعه تشويه يستعصي تصحيحه ، فقد ضل عن طريقه وحلّ في مكة ومن ثمّ توجه إلى حمص . وهكذا نرى كيف كان الرواة يختلفون في هذه الرواية . وهي لم تتخذ صيغتها النهائية إلا بعد مرور ردح من الزمن .

ويختلف الأمر بالنسبة لتلك الروايات التي تبدأ بمقدمة معادية للقدرية . فالشطر الرئيسي قد استقر على تلك الصيغة التي انطلقنا منها . وفيها يبرز اسم يحيى بن يعمر على الدوام في كل إسناد . أما التباين فلا يظهر إلا في

---

(١) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ٥ ص ٢٢٤ ومابعدها .

(٢) قارن GAS ١/٨٧ والتي تليها .

(٣) قارن GAS ١/٢٩٠ والتي تليها . إن الإسناد المذكور موجود عند ابن حنبل جـ ٤ ص ١١٤ س ٨ ومابعده .

(٤) انظر الحاشية ١ ص ٢٩٧ والحاشية ٧ ص ٥٤١ والحاشية ١ ص ٥٤٢ الحواشي ٦٩ و ١٩٨ و ٢٠١

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ٩ ص ١٥٦ والتي تليها .

(٦) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ٢ ص ٢٠٠ والتي تليها . إن الإسناد المذكور موجود عند ابن حنبل جـ ٤ ص ٣٨٥ س ١٩ ومابعده .

المقدمة نفسها . لقد رأينا أن اسم معبد كان قد ذكر في اثنتين من صيغها. وأما في الأخرى فلا يؤتى على ذكره . وفي كلٍّ من الصيغتين يأتي الكلام عن القدريين بصورة عامة فقط . فلقد وردت في إحدى الجمل عبارة مقتضبة جداً مفادها أن الحديث مع عبد الله بن عمر أتى على ذكر القدر. فيحيى بن يعمر ورفيقه قد أوردا خلاصة الحديث (١) ، تماماً كما فعل أحد الرواة بشأن صيغة النص (٢) التي أوردناها . ويسوق الإسناد الرواية من يحيى إلى عبد الله بن بريدة ، ومنه إلى أحد أبناء بلده عثمان بن غياث الراسبي من المرجئين (٣) ، وليس إلى كهمس . وفي مكان آخر يخبر يحيى عبد الله بن عمر أنه هو ورفيقه التقيا ببعض القدريين أثناء سفرهما (٤) . والسند في هذه الرواية ليس عبد الله بن بريدة ، وإنما أخوه التوأم سليمان ( توفي عام ١٠٥/٤ – ٧٢٣ ) ، وكان يعتبر موضع ثقة أكثر من أخيه (٥) ،

(١) قارن ابن حنبل جـ ١ ص ٢٧ س ٥ ومابعده ، وجـ ١ ص ٢٣٣ والتي تليها رقم ١٨٤ ، « سنن » أبي داود ، « كتاب السنة » ، باب في القدر رقم ٦ ( = جـ ٢ ص ٢٧١ س ٨ من تحت ومابعده ) . وربما كانت هذه الرواية هي نفس رواية مسلم في « كتاب الإيمان ٣ » .

(٢) انظر الحاشية ١ ص ٥٣٧

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ٧ ص ١٤٦ والتي تليها ، والميزان رقم ٥٥٥١

(٤) قارن ابن حنبل جـ ١ ص ٥٢ س ٨ من تحت وما بعده ، وجـ ١ ص ٣١٤ رقم ٣٧٤ ، الصيغة نفسها مع بعض التوسيع جـ ١ ص ٥٣ س ٦ ومابعده ، وجـ ١ ص ٣١٥ رقم ٣٧٥

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ٤ ص ١٧٤

وقد نقل الخبر إلى علقمة بن مرثد ، معلم أبي حنيفة ( توفي قبل عام ١٢٠/٧٣٨ بقليل ) [١] . لذا فلا عجب إذا ما عثرنا على الرواية في المسند لأبي حنيفة أيضاً [٢] . وهي هنا تعرض الوقائع بشكل أوسع بعض الشيء . زد على ذلك ميزة ثانية لهذا النص وهي أن يحيى بن يعمر قد سلمه مباشرة إلى علقمة بن مرثد .

ونعثر أخيراً على نص فيه تلميح إلى البصرة ، إلا أنه لا يشير إلى مذهب معبد وإنما إلى مذهب آخر ، وأغلب الظن أنه لا يمت إلى معبد بصلة . وفيه يقول يحيى بن يعمر : « إن عندنا رجالاً يزعمون أن الأمر بأيديهم ، فإن شاؤوا عملوا وإن شاؤوا لم يعملوا » [٣] . وهذا موقف لم يكن معروفاً إلا في عهد عمر بن عبد العزيز [٤] ، وقد أخذته المعتزلة فيما بعد . فالحسن البصري – ولربما أيضاً معبد الجهني – لم يكن بعد قد

---

(١) عند نهاية حكم خالد القسري . قارن « تهذيب التهذيب » ج ٧ ص ٢٧٨ والتي تليها .

(٢) تحقيق صفوت السقاء ( حلب ١٩٦٢/١٣٨٢ ) رقم ١ . ذكر هذا الخبر في كتاب « الآثار » للشيباني . ( طباعة حجرية لكنو ١٨٨٣ ) ص ٦٧ س ٥ وما بعده .

(٣) قارن ابن حنبل « المسند » ج ٢ ص ١٠٧ س ١٤ وما بعده ، وج ٨ ص ١٦٦ رقم ٥٨٥٦

(٤) قارن مقالتي في Abr Nahraia ١٩٧١/١٢ ص ١٩ وما بعدها وكتابي Anfange Muslimircher Theologie ( بيروت ١٩٧٧ ) ص ١١٣ وما يليها .

فكّر مثل هذا التفكير (١) . وإن الإسناد ينتقل من يحيى إلى علي بن زيد ( البصري ، توفي عام ١٢٩/٧٤٧ أو عام ١٣١/٧٤٩ ) (٢) ، ومن هذا الأخير إلى حمّاد بن سلمة ( توفي عام ١٦٩ / ٧٨٦ ) ، أحد أسس أهل السنة في البصرة (٣) . لقد كان دور علي بن زيد كمحدث موضع خلاف ، ويقال عنه إنه حرّف بعض الأحاديث ، أضف إلى ذلك أنه كان شيعياً متطرفاً . وقد عرف عنه أنه ينقل الأحاديث عن ابن عمر مباشرة ، وهذا يتلاءم تماماً مع ما نحن بصدده ، ويذهب ابن عساكر المذهب نفسه في نقله الخبر على هذه الصيغة دون غيرها في كتابه « تاريخ دمشق » ، إنما مع فارق واحد وهو أنه ينسب إلى معبد مباشرة تلك النظرة التي وردت أعلاه ، فيقول عنه : « يزعم أن العمل أنف ، من شاء أحسن ومن شاء أساء » (٤) . ومسؤولية ذلك تقع على سليمان بن طرخان التيمي ، وهو أيضاً أحد خصوم عمرو بن عبيد المعروفين (٥) . فلقد أبلغ الخبر إلى ابنه معتمر بن سليمان ( توفي عام ١٨٧/٨٠٣ ) الذي عرف بإيراده أحاديث معادية للقدرية (٦) . وهكذا يتبين لنا أن التوطئة لم تستقر في صيغة ثابتة

---

(١) قارن M. Schwarz في Oriens ١٩٦٧/٢٠ ص ٦٣

(٢) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٧ ص ٣٢٢ وما بعدها .

(٣) قارن Zwischen Hadit und Theologie ، فيما يتعلق بدوره في الخلاف حول القدر ( ص ١١٢ — ١١٤ )

(٤) بالنسبة لهذه العبارة راجع ما تقدم من هذا المقال .

(٥) قارن Trad. Polemik ص ٣٩ وما بعدها .

(٦) قارن Zwischen Hadit und Theologie في الفهارس تحت الاسم المذكور .

مطلقاً ، ومن الواضح أن كل مخبر كان يشعر بحرية في سرد الخبر ،فكان ينوعه حسب الظروف والمقاصد منتهجاً في ذلك نهج « رواية بالمعنى » ، أو يسرده مقتضباً كما جاء في صيغة عثمان بن غياث .

ولكن مهما كانت صيغة تلك الرواية في تفاصيلها ، فإن مصدرها كان يحيى بن يعمر في جميع الحالات ، فهو إنما يروي حادثة وقعت له . وترانا مضطرين إلى التساؤل عن مدى الحقيقة التاريخية التي تختبىء وراءها. يزعم البغدادي (١) أن يحيى بن يعمر قد وضع « رسالة في ذم القدرية » . أما يصح ، والحالة هذه ، أن نرى في المقدمة التي نعالجها هنا مدخلاً إلى تلك الرسالة ؟ — وذلك طبعاً في صيغتها الأقل اتساماً بصيغة معينة — إن الأمر لا يبدو مستحيلاً . غير أن هذا لا يعني أن تلك الرسالة كانت أصلية . ولكي نبتّ في أصالتها لا بد لنا من أن نتفحص عن كتب الشخصين الآخرين اللذين لعبا دوراً في الرواية . والأمر يستدعي لذلك نشوء سلسلة من المعضلات .

إن عبد الله بن عمر الذي يدّعي يحيى بن يعمر أنه تكلم معه ،قد توفي في عام ٧٣/٦٩٢ ، أي قبل إعدام معبد الجهني بعشر سنوات . وقد وردت عنه في أكثر من مكان أقوال معادية للقدرية (٢) . ومن غير

(١) « أصول الدين » ص ٣١٦ س ١٢ والذي يليه .

(٢) قارن Zwischen Hadit und Theologie في الفهارس تحت الاسم المذكور . يروى عنه أنه نبه معبداً أيضاً إلى عدم الشرود في دقائق دينية وعندما سأله معبد مرة عما يحدث لإنسان يفعل كل ما يتصوره العقل من شر ولكنه ينطق بالشهادة ، نصحه ابن عمر ألاّ ينزلق هذا المنزلق الخطر ( بالمثل =

المستبعد أن تكون تلك الروايات قد جاءت متأخرة ، إلا أنها نسبت إلى جيل سابق . فمن الثابت ان بعض القدريين كانوا قد ظهروا في تلك الأيام أي في منتصف خلافة عبد الملك ، ولكن ليس من الواضح إذا كان الناس قد أدركوا جيدًا تعاليمهم . ومما يحملنا على عدم الأخذ بهذا هو مركز معبد المرموق لدى بلاط الخليفة الذي يوافق في تاريخه الحقبة التي نحن بصددها . كما أن القدريين أنفسهم كانوا لا يزالون يؤكدون أنهم لا يريدون أن يأتوا بأمور تغير مجرى الأحداث : فلقد جاء في رسالة الحسن البصري إلى عبد الملك – والتي كتبها بعد وفاة ابن عمر (١) – ، أنه لا يعبر إلا عن مبادىء متعارف عليها (٢) . إلا أنه من الممكن أن نستشف من هذا القول تلك الحقيقة السائدة ، وهو أن الصراع من أجل شهادة الأقدمين كان قد بدأ بالفعل . فأحد المثل العليا كان إذ ذاك ، ألا يقال قول جديد . وهكذا نرى أنه من غير الممكن لنا أن نصل إلى برهان قاطع من هذه الناحية .

= القائل : عشّ ولا تغترّ . قارن الميداني « الأمثال » ، تحقيق Freytag ج ٢ ص ٩٢ ، الزمخشري « المستقصى » ج ٢ ص ١٦٢ رقم ٥٥٠ ) . إن النتيجة الحتمية التي يمكن أن تلحق بالقدري – أو بالمعتزلي على الأقل – هي أن مثل هذا الإنسان نصيبه النار ، إلا أنه لم يؤت على ذكرها هنا عن قصد . وفي هذا يجب أن نرى مغزى الحكاية ( قارن « تاريخ دمشق » ) .

(١) إنما كتبت بتدبير من الحجاج ، لكن هذا الأخير لم يصبح حاكماً للعراق إلا في عام ٧٥/٦٩٤

(٢) قارن Der Islam ٢١/١٩٤٣ ص ٦٨ س ٩ ومابعده .

ومن ناحية أخرى فإن حميد بن عبد الرحمن الحميري ، رفيق يحيى ، لا يجدينا نفعاً هو الآخر . ففي بعض الصيغ لا يعطى اسمه أو لا يؤتى على ذكره قط . ومع ذلك فلا يمكن اعتباره مجرد اختلاق . فهذا الأمر يبدو غير معقول ، حتى ولو كانت الرواية مزورة . فها نحن نجده في مقطع للطبري يخبرنا فيه عن الأحداث التي جرت عند موت النبي [١]. ويذكره النظّام بصدد قصة يقال إنها جرت أثناء خلافة علي [٢] . وفي « التاريخ » لخليفة بن خياط يرد اسمه كمحدّث لأحد الصحابة [٣] ، عندما تولّى يزيد ابن معاوية الخلافة في عام ٦٠ / ٦٨٠ ؛ إلا أنه لم يكن هو نفسه من الصحابة . ويعدّه ابن سعد في عداد التابعين من أهل البصرة [٤] . ولقد توفي في الوقت الذي توفي فيه معبد تقريباً ، أي بعد عام ٦٩٩/٨٠ ) [٥] . لذا فروايته التي جاءت عند الطبري لا تعتمد على شهود عيان . فلا غرابة ، إذا ما اعتبرنا ما تقدم ، أن يظهر في محيط الحسن البصري [٦] . لقد كان فقيهاً بالدرجة الأولى ، ويقال إنه لم يكن في البصرة أفضل منه في السنوات

---

(١) « تاريخ » الطبري جـ ١ ص ١٨١٨ س ٩ ومابعده .

(٢) قارن بحثي في كتاب النكث للنظام ص ٧٨

(٣) « التاريخ » ص ٢٥٧ س ٥ ( زكـّار ) .

(٤) « الطبقات » جـ ٧ ، ١ ص ١٠٧ س ١ ومابعده .

(٥) قارن خليفة بن خياط « التاريخ » ص ٤٠١ س ٢ ، « الطبقات » ٤٨٧ رقم ١٦٦٢

(٦) قارن الحكاية عند حمزة الأصفهاني « التنبيه على حدوث التصحيف » ص ١٢٣ س ٣ ( طلس ) .

العشر الأخيرة من حياته [1] . ويحفظ وكيع في « أخبار القضاة » حكماً من أحكامه [2] . وكانت ابنته أم أبي بكر الهذلي ، النحوي البصري [3] . وينسب مبرّد أحدَ أحفاد يحيى إلى يحيى هذا بعينه [4] . وهكذا يبدو أنه كان لا يزال معروفاً معرفة جيدة حتى في الأزمان المتأخرة ، غير أننا لا نعرف شيئاً عن آرائه في علم الكلام .

لا يبقى لنا ، والحالة هذه ، إلا يحيى بن يعمر نفسه . لكن الصعوبات لا تلبث أن تبدأ بتاريخ وفاته . فالمرزباني يحدده في عام ٨٣/٧٠٢ [5] . أما خليفة بن خياط فلا يحدده بالضبط ، وإنما يجعله في السنوات العشر ما بين عامي ٨٠/٦٩٩ و ٩٠/٧٠٢ [6] ، تماماً كما يفعل بتاريخ وفاة كل من معبد وحميد بن عبد الرحمن . أما « طبقات النحويين » فإنها تعتمد على العام ١٢٩/٧٤٧ [7] ، بصرف النظر عن المرزباني . ويبدو لنا

(١) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٧ ، ١ ص ١٠٧ س ٤ ، الشيرازي « طبقات الفقهاء » ص ٨٨ س ٥ من تحت ( عباس ) حسب رأي ابن سيرين ( توفي عام ١١٠/٧٢٩ )

(٢) « أخبار القضاة » ج ١ ص ٣٠٧ س ١٠ ومابعده .

(٣) قارن المرزباني « نور القبس » ص ٤٠ س ٢ والذي يليه (Sellheim)

(٤) « الكامل » ص ٨٨١ س ٥ والذي يليه ( مبارك ) .

(٥) « نور القبس » ص ٢٢ السطر الأخير .

(٦) « تاريخ » خليفة ص ٤٠١

(٧) قارن الزبيدي « طبقات النحويين ص ٢٣ السطر الأخير ( أبو الفضل)، ياقوت « الإرشاد » ج ٧ ص ٢٩٧ س ٣ ( Margoliouth ) ، ابن خلكان « الوفيات » ج ٥ ص ٢٢٤ س ١٢ ( عبد الحميد ) .

أن هذا التاريخ خطأ متوارث ، فجميع الذين خلفوا يحيى والمذكورين في الأسانيد التي اطلعنا عليها حتى الآن قد توفّوا قبل هـذا التاريخ أو بعده بزمن قصير لا يكاد يذكر : فعبد الله بن بريدة توفي عام ٧٣٣/١١٥، وأخوه سليمان عام ١٠٥/٤ - ٧٢٣ ، وعلقمة بن مرثد حوالي عام ١٢٠/ ٧٣٨ ، وعلي بن زيد الذي نقل الصيغة « الحديثة » توفي عام ٧٤٧/١٢٩ أو عام ٧٤٩/١٣١ . وفي عام ٧٤٩/١٣١ توفي منافسه إسحاق بن سويد. وفي مكان آخر نقع على قتادة الذي يستشهد بيحيى (١) ، وقـد توفي عام ٧٣٥/١١٧ أو عام ٧٣٦/١١٨ . ويقول خبر جاء عنـد الطبري أن يحيى قدم إلى خراسان مع سلم بن زياد في عام ٦٨١/٦١ (٢) . فالتاريخ المتأخر المذكور أعلاه يبدو مستحيلاً كلياً ، إذا ما علمنا أن يحيى كان يأخذ بالفعل عن أبي ذرّ ( توفي عام ٦٥٢/٣٢ ) وعن عمّار بن ياسر ( توفي عام ٣٧/ ٦٥٧ ) وعن عائشة ( توفيت عام ٦٧٨/٥٨ ) كما يزعم الذهبي (٣) . وأما التاريخ الذي حدده المرزباني فيضعف الأخذ به ، وذلك إستناداً إلى ماورد عند ابن الجوزي من أن الحجّـاج قد نفاه المرة الثانية إلى خراسان في عام ٧٠٣/٨٤ (٤) . وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنه ، علاوة على ذلك ،

---

(١) قارن المحاسبي « فهم القرآن » ص ٤٣٩ السطر الثاني قبل الأخير ( القـوتلي ) .

(٢) « التاريخ » ج ٢ ص ٣٩٣ س ٣ ، كذلك H. A. R. Gibb, The Arab Conquests in Central Asia ص ٢١

(٣) « تذكرة الحفاظ » ص ٧٥ س ٦ من تحت .

(٤) قارن ابن خلكان ص ٢٢٣ س ١٦ ومابعده .

قد كتب إلى قتيبة بن مسلم (١) الذي لم يقدم إلى مرو إلا في نهاية عام ٨٥/٧٠٤ (٢) ، فإننا نرى أنفسنا مضطرين إلى أن نرجع إلى ما بعد هذا التاريخ . إن كل هذه المؤشرات التاريخية ليست ، والحق يقال ، جديرة بكل ثقة . إلا أنه من الأفضل أن نلتزم بذلك التاريخ العام الذي ذكره خليفة بن خياط .

أما السبب الذي من أجله نفاه الحجّاج ، فهو عبارة عن زعم سائد ليس إلا : فلقـــد قيل إنه لفت نظر ذلك الحاكم إلى معلوماته الضعيفة في اللغة الفصحى (٣) . وهنا جاز لنا أن نتساءل : أليس من الأحرى بنا أن نرى في تاريخ وفاته عند المرزباني — الذي يطابق تماماً تاريخ وفاة معبد — ونفيه إلى خراسان إشارة إلى نوع التعاطف مع ابن الأشعث ؟ ويعرض الذهبي لحكم مفاده أن يحيى قد كشف عن بدعة في مسألة القدر بقوله هذا: « نحن أقدر من الله » (٤) . ومما لا ريب فيه أن الرواية قد طبعت بطابع الجدل الحاد . ولكنها لا معنى لها بحد ذاتها إلا إذا نسبت إلى أحد القدريين . وعلى كل حال ، فان يحيى كان يروي حديثاً عن معبد الجهني (٥) . وما عدا ذلك فقد وصف بين الحين والآخر بأنه شيعي (٦) ، ربما لأنه كان

---

(١) قارن المرزباني ص ٢٢ س ٧ والذي يليه .

(٢) قارن Gibb, Arab Conquests ص ٢٨

(٣) قارن أيضاً المرزباني ص ٢١ س ١٥ ومابعده ، وعلى كل حال فهناك أيضاً تعليل مختلف س ١٩ ومابعده .

(٤) « الميزان » رقم ٩٦٦٠

(٥) قارن السمعاني « الأنساب » ج ٣ ص ٤٤١ السطر الأخير .

(٦) قارن ابن خلكان « الوفيات » ج ٥ ص ٢٢٢ س ١١ ومابعده .

ينقل عن أبي ذر وعن عمّار بن ياسر – وكذلك أيضاً عن عائشة — ، أو لربما ، وذلك هو الأرجح ، بسبب رواية رواهـا المرزباني (١) . لقد كان يحيى من النحويين والقرّاء (٢) ، وكان نزيل البصرة ، إلا أنه أقام في خراسان مدة طويلة وكان فيها قاضياً لمرو (٣) . ويقـال إن يزيد بن المهلب قد عزله عن هذا المنصب (٤) ، في بداية عهده على وجه الاحتمال – ( عام ٨٢/٧٠٢ ومطلع عام ٨٥/٧٠٤ ) (٥) . ولا يمكن تصور مثل هذا إلا إذا كان الحجّاج قد أعاده فعلًا إلى خراسان من جديد في عام ٨٤/٧٠٣ لقد كان يحيى كمعبد الجهني من أصل عربي قحّ ، وكان يوصف بأنه حكيم العرب (٦) .

الأخبار عنه غير واضحة ، ولا يعرف عن مكانته في علم الكلام أكثر مما تقدم . وهذا الواقع لا يتفق وما قيل عنه من أنه وضع « رسالة

(١) « نور القبس » ص ٢١ س ١٩ ومابعده .

(٢) قارن ابن الجزري « طبقات القراء » رقم ٣٨٧٣ ( Bergstrasser ).

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٣٠٥ س ٢

(٤) قارن المرزباني ص ٢٢ س ٩ ومابعده .

(٥) قارن ... Gibb, Arab Conquests ص ٢٥ ومابعدها .

(٦) قارن ابن حزم « جمهرة أنساب العرب » ص ٢٤٣ س ٥ من تحت ، هذا يذكّر بوصف الكندي بفيلسوف العرب . راجع أيضاً وكيع « أخبار القضاة » ج ٣ ص ٣٠٥ والتي تليها ، ابن سعد « الطبقات » ج ٧ ، ٢ ص ١٠١ ، ابن الأبّار « إعتاب الكتاب » ص ٥٣ ومابعدها ( اشتر ) ، « الأعلام » الزركلي ج ٩ ص ٢٢٥

في ذم القدرية » . فلو صح هذ القول ، لكان من المفروض أن نعثر على مواقفه الجبرية في المراجع التي لدينا . أما إذا كان الأمر مختلفاً ، بل وإذا كان يحيى ، على العكس من ذلك ، قد تعرض لبعض الهجمات بسبب مواقفه القدرية المتطرفة ، فهذا يعني أحد أمرين : فإما أن يكون البغدادي قد خلط بينه وبين شخص آخر ، وإما أن يكون قد نُظِرَ إلى تلك الرسالة على أنها مزوَّرة — وهذا أقرب الاحتمالين — . غير أن ابن النديم ـ الذي كان يعتبر معتزلياً ثاقب البصر في مثل هذه المستندات المشكوك في صحة أصحابها ـ لم يأت على ذكرها في عداد تلك المستندات . ومن جهة أخرى فإن الحديث الذي نحن بصدد معالجته ، بما فيه التوطئة ، يصح تماماً أن يدخل في رسالة ، كبحث الرسالة الآنفة الذكر ، فيكوّن عند ذاك مدخلها ، ثم تليه روايات ابن عمر المعادية للقدرية — أو التي فهمها الناس على أنها معادية للقدرية — . وعليه فقد تكون التوطئة غير صادرة عن يحيى بن يعمر نفسه .غير أنه ليس من المستبعد أن يكون الشطر الرئيسي في الحديث قد أخذ عنه بالفعل . ولا نزال نجد هذا المقطع أيضاً مع ذكر أسانيد أخرى . فمن الممكن إذاً أن تكون الرسالة قد استخدمت لبّ الحديث الأكثر قدماً ، ليس في المتن فحسب ، وإنما في الإسناد أيضاً . ومن المحتمل أن يكون المحدّثون قد وجدوا في ذلك تلميحاً لاذعاً من نوع خاص : ففي توطئة الحديث ذِكْرٌ لشخصين عاصرا معبداً ، أحدهما ، وهو يحيى ، كان وإياه على اتفاق تام في المذهب على ما يبدو ، وأما الآخر فأقل ما يقال عنه انه كان فقيهاً كمعبد ... نقول إنه لتلميح لاذع أن يلجأ هذان الشخصان إلى الاذعان للهداية على يد أحد الصحابة البارزين .

فإذا ما أطلقت يد يحيى في عرض المذهب البصري ونشره (١) بكل إيجابية ، كما جاء في بعض الروايات ، فإنما قد يكون ذلك من باب التشديد على مفعول تلك الهداية .

مما لا شك فيه أن المستند قد نشأ في البصرة . لقد انتشرت منه « نسخات » عديدة ، كل منها تعرض آخر ما وصلت إليه المناقشات حول القدر . ونعتقد أن أقدم تلك النسخات يعود عهدها إلى ما قبل عام ١٢٠/ ٧٣٨ . ففي هذا العام توفي علقمة بن مرثد الذي سلّم النص إلى أبي حنيفة في الكوفة . ومن الممكن أن تكون قد ظهرت في السنوات العشر التي تفصل عام وفاة الحسن البصري عن هذا التاريخ . إن صيغة النسخة التي لمعبد فيها نصيب ، تُنْسب إلى عبد الله بن بريدة ، إلا أن ذلك خدعة ، على ما يظن . فقد كان ابن بريدة قاضياً في مرو . وحتى لو سلمنا أن خراسان كانت في ذلك الوقت على ارتباط وثيق بالبصرة ، فإنه من غير المحتمل أن يسلك المستند هذا الطريق الملتوي . لقد كان القصد من ذلك على الأرجح ، التعريف بمعبد على أهون سبيل . ولا يخفى أن ذكر معبد كان في ذلك الوقت موضع انتقاد عند كل أولئك الذين كانوا يتذكرون الوضع على حقيقته : فعبد الله بن بريدة كان بحكم منصبه كخلف ليحيى في مرو الوسيط المطلوب . وكان من الصعب التحقق من رواياته بسبب المسافة البعيدة . ولا شك أن نسبة إحدى الصيغ الغامضة إلى أخيه سليمان قد فعلت فعلها هي أيضاً . فلربما يكون الاسناد قد أشار فيها ، في الأصل ،

(١) قارن مع النص الذي تقدم من هذا المقال .

إشارة عامة فقط إلى المسمى ابن بريدة . لذا فمن الصعب التثبت في نهاية الأمر مِنْ واضعِ هذا المستند ومِنْ محوره . وقد يجوز أن ننظر إليه على أنه تعبير جماعي للأقلية الجبرية في البصرة . وعلى ما يظهر ، فقد وضع مطر الورّاق ( توفي قبل عام ١٣٠/٧٤٧ ) في التداول صيغةً لنص تحليلنا بشكل قاطع على معبد الجهني .

* * *

ويمكننا الآن أن نوجز ما تقدم . من الظاهر أن مذهب القدرية لم يكن ليشكل بعدُ خطراً على الدولة قبل فتنة ابن الأشعث . فلم يعدم معبد بسبب مذهبه ـ ذلك المذهب الذي نادى به الحسن البصري أيضاً ـ وإنما بسبب نشاطه السياسي ، شأنه في ذلك شأن أخيه . فبعد إعدامه بسنوات ، بل وبشيء من التأكيد ، بعد وفاة الحسن البصري ( ١١٠/ ٧٢٨ ) ، حاول الناس أن يجدوا في هذا الحدث سبيلاً إلى النيل من تعاليم القدرية أيضاً . من أجل ذلك بدؤوا يصورون معبداً « كأول القدريين » ولقد تم ذلك في مكانين : في البصرة وفي الشام التي كانت تابعة لها بعض التبعية . ففي البصرة استطاعت هذه الأفكار أن تنضم إلى أفكار معادية للقدرية ، قد أضيفت ـ على ما يبدو ـ بين عامي ١١٠/٧٢٨ و ١٢٠/٧٣٨ كمقدمة إلى حديث متداول . وفي السنوات العشر التي تلت ذلك ، أي قبل عام ١٣٠/٧٤٨ على كل حال ، ما كان ذلك الحديث بحاجة إلاّ إلى اسم يلصق به . أما في الشام فإن هذه الامكانية لم تكن ميسرة فالناس كانوا قد شهدوا فيها إعدام معبد . ومثل هذه الاعدامات التي يرتبط طابعها السياسي باعتبارات دينية ، كان لها ولا شك وقع مروّع على الجماهير ، بل وأيضاً تأثير

مقبض للنفوس من بعض الوجوه . يضاف إلى ذلك كله أن معبداً لم يكن نكرة من النكرات ، وإنما شخصية سامية المقام حملت عبد الملك نفسه على تقديم الاحترام لها . ومن المحتمل أن الوضع الذي سبب الرجوع إلى مصير معبد ، إنما كان تجدد نشاط القدرية في عهد يزيد بن الوليد ( في عام ١٢٦/٧٤٤ ) . فالشام كانت مهيَّأة لذلك ففيها كان الحديث يتناول بصفة خاصة غيلان الدمشقي الذي تم إعدامه على الشكل نفسه ليكون عبرة لمن اعتبر . ويغلب على الظن أيضاً أن الوضع كان شبيهاً في البصرة : فمطر الورّاق كان معروفاً بعداوته لعمرو بن عبيد ، ومن المعروف أيضاً أن هذا الأخير كان من مؤيدي يزيد بن الوليد [1] .

وفي مجموعة ثانية من الأحاديث يطالعنا موضوع آخر بالاضافة إلى ما تقدم . ففيها يقال إن أحد الموالي قد ضلّل معبداً . ولا حاجة بنا إلى إثبات أن هذه الرواية بصرية المصدر ، ويبدو من الواضح أن عبد الله بن عون هو الذي قد وضعها ، وذلك بعد عام ١٣٠/٧٤٨ . ويظهر أن الأوزاعي قد أخذها عنه ونقلها إلى الشام . وقد كان يشاع ، من باب الاطمئنان النفسي ، أن البدعة أقل ما يقال عنها ، أنه لم يأت بها شخص لم يتنكّر لأصله الاسلامي والعربي القح . ولو افترضنا أن بصرياً لا يتفق مع الفريق القدري من سكان مدينته — ذلك الفريق الذي كان لا يزال يحسب له حساب في ذلك الوقت - نقول لو أن هذا البصري لم ينكر

---

(١) قارن ابن المرتضى « طبقات المعتزلة » ص ١٢٠ س ١٢ وما بعده ( Diwald Wilzer ) ، الشهرستاني « الملل والنحل » ص ١٧ س ١٥ ( Cureton ) .

أن فساداً قد قام في تلك المدينة عينها ، فإن أقل ما يمكن قوله في هذا السبيل هو أن ذلك الفساد لم يصدر عن أعيان تلك المدينة ، وإنما عن حطاط شعبها . وهل كان متوقعاً ، على كل حال ، أن يصدر عن الحطاط غير هذا [1] ؟... إن الذين كان لهم ضلع كبير في تزوير التاريخ هذا والذين تقع عليهم مسؤوليته أيضاً ، لم يكونوا إلا بعض تلامذة الحسن البصري ، أولئك الذين قرروا تفسير تراثه تفسيراً جبرياً ، في الوقت الذي أخذت فيه مشكلة القدر تستقطب الأفكار ودخلت فيه المعتزلة ميدان الصراع . فلقد تسلّم مطر الورّاق حلقة قتادة بعد وفاة هذا الأخير في عام ١١٧/٧٣٥ أو في عام ١١٨/٧٣٦ [2] ، كما كان قد تسلّمها قتادة من الحسن البصري . ويرجّح أن الورّاق كان مهتماً بنوع خاص بأن يضفي على الحلقة طابعاً شخصياً حسب مفهومه لها . ولقد سارت الأمور في البصرة على غير ما سارت عليه في الشام ، فحدث تفاعل بين أمرين : فبالإضافة

---

(١) انظر ما تقدم من هذا المقال . إن ابن عساكر ينعت أبا يونس الأسواري بلفظة حقير في أحد أخباره . وعندما كان يُذكر اسمه مقروناً بذكر اللواحق في نفس الفقرة فإنما كان يُقْصَد شيء من هذا القبيل . وفي أيام عثمان كانت تطلق لفظة لواحق أو روادف على الرعاع أتباع بعض الثائرين ( قارن الطبري ج ١ ص ٢٨٥٢ ) . غير أن تلك اللفظة كانت تعني في هذا المكان عرباً أو بالأحرى أعارب .

(٢) قارن أبو زرعة الدمشقي « التاريخ » ( مخطوطة استنبول ، فاتح رقم ٤٢١٠ ، ٣٢ ب س ١٣ والذي يليه .

إلى الالتزام بموقف معاد للقدرية ؛ قامت محاولة لحماية الحسن البصري من التهجمات ولاستغلاله لمآرب أهل السنّة . ولقد كان معروفاً في هذه الحلقات أنه بقدر ما تصبح صورة معبد قاتمة ، بقدر ذلك تتجلى شخصيـة الحسن وتتلألأ نوراً . فإلى هذه الحلقات يعود الفضل في أن المعتزلة نفسـها ليست هي وحدها التي اتخذت الحسن كمثال يحتذى ، وإنما أهل السـنّة أيضاً . . أجل ، لقد اتخـذ الحسن مثالاً يحتذى ، وذلك على الرغم من التزامه بالقدرية .

جمهورية المانيا الاتحادية يوسف فان اس

توبنجهن

# الحكيم الترمذي

## عارف من القرن الثالث الهجري

**بارنت رادكه (١)**

شهد القرنان الثالث والرابع الهجريان جماعةً من المفكرين المسلمين حاولوا تشكيل تجربتهم الروحية في منظوماتٍ نفسيةٍ وكلامية وفلكية. كان من هؤلاء الجُنيد بن محمد، وأبو سعيد الخرّاز، وأبو بكر الواسطي، وكان منهم المحدّث والفقيه محمد بن علي الترمذي العارف المُلقّب بالحكيم.

خلّف الترمذي لنفسه ترجمة — هي الترجمة الأولى الواسعة لمفكر مسلم فيما أعلم — تمكننا من التعرف على مجرى حياته بشكل يُطمأن إليه. يذكر الترمذي أنه قضى عشرين عاماً في دراسة الحديث والفقه ثم مضى إلى مكة لأداء فريضة الحج، وله من العمر ثمانٍ وعشرون سنة. وقد

---

(١) Bernd Radtke. دراسة قصيرة ألقيت في المؤتمر العشرين للمستشرقين الألمان الذي انعقد في «إرلانغن» بين ٣ و ٨ تشرين الأول ١٩٧٧. ترجمها إلى العربية الدكتور رضوان السيد المدرس بالجامعة اللبنانية.

دفعته تجربته الروحية خلال الرحلة – خصوصاً في مكة بالذات - إلى انتهاج الطريق العرفاني . وعندما عاد إلى وطنه أكبَّ على أعمال الزهد والورع، وقضى أيامه مصلياً وقارئاً للقرآن ومتجولاً بين المقابر المهجورة والخرائب المحيطة بالمدينة . وذهب بحثُه عن إمام يقتدي به عبثاً ؛ لكنه وجد بعض ما أمّلهُ في كتاب لأحمد بن عاصم الأنطاكي تلميذ المحاسبي ( - ٢٤٣ ﻫ ). تعلّم من الكتاب المذكور أشياء عن رياضة النفس ، ثم بدأ بتكوين حلقة من المريدين من حوله ؛ لكن الفقهاء والمحدثين لم يصبروا عليه طويلاً فبدؤوا يسعون به لدى السلطة الحاكمة ويتهمونه بالحديث عن حب الله بطريقة غير مألوفة وبادّعاء أنه نبيّ . واستدعاه أمير بلخ للتحقيق معه فاستطاع أن يبرىء نفسه مما نُسب إليه . لم تنل هذه الأحداث على أي حال من هدوئه الداخلي إذ تابع انقطاعه وتزهده وكانت الأحلام والرؤى هي التي تسدّد خطاه وتعطيه الثقة بصواب الطريق الذي اختاره لنفسه ، وبأن الله اختاره من بين الناس . وقد جاءت ترجمته لنفسه ، للأسف ، خالية من تحديد تاريخي لأحداث حياته باستثناء حالة واحدة . لكن الثابت أنه عاش إلى ما بعد ٨٨٣ م ، وأنه نيّف على الخامسة والستين . ويفيد تحليل كل ما بين أيدينا من أخبار في كتب التراجم المتأخرة أن الترمذي توفي سنة ٩٠٠ م. أما العام ٨٩٨ م الذي يتكرر ذكره في المراجع تاريخاً لوفاته فلا سند له في المصادر التي نعرفها .

معلوماتنا عن مؤلفات الترمذي أدق من معلوماتنا عن حياته ؛ ففؤاد سزگين يذكر في مصنفه « تاريخ التراث العربي »(١) ما لا يقل عن ثمانين

(١) Geschicltc des Arabischen Schrifttuns I, 653 Fb.

كتاباً من كتب الترمذي ؛ هذا فضلاً على مجموعة جوتنجن رقم ٢٥٦ التي تحتوي على عدة مؤلفات معروفة ورسائل كثيرة جديدة ؛ وهي مما لم يعرف بوجوده سزگين . صحيح أن بعض ما ذكره سزگين ليس دقيقاً ؛ لكن الباقي بعد التصحيح والشطب وافر حقاً . وعلى سبيل المثال فان رسالة « المسائل الغضة » التي يذكرها سزگين بوصفها عملاً مستقلاً هي في الحقيقة جزء من كتابه « الأكياس والمغترين » ، ورسالته بعنوان « غور الأمور » هي غالباً الكتاب نفسه الذي يرد باسم « الأعضاء والنفس » . ومع أن وفرة مصنفات الترمذي أمر يبعث على السرور إلا أن الوفرة هذه لم تقلل من الصعوبات التي تقف في طريق فهم عالمه الفكري . وهو يكرر نفسه غالباً ويستطرد وينسى موضوعه الأصلي ، ونادراً ما يعالج موضوعاً بشكل منطقي ومنظم حتى النهاية . أما مصطلحاته فهي غير ثابتة ؛ وربما كان ممتعاً بالنسبة لدارسي الإيرانيات أن يعلموا أن مصنفات الترمذي كانت مصدراً مبكراً للترجمات الكلامية والصوفية من العربية إلى الفارسية .

هناك حتى الآن نشرات وطبعات عديدة لكتب من كتب الترمذي بيد أنها جميعاً لا تستند إلى الأسس العلمية النقدية للتحقيق . وأعدُّ الآن لنشرة جديدة من كتاب « ختم الأولياء » الذي كان عنوانه الأصلي غالباً « سيرة الأولياء » ، كما أنني أخطط لنشر عدة من آثار الترمذي .

لا بد قبل البدء بعرض الخطوط الكبرى لمنظومة الترمذي الفكرية من التنبيه إلى أنني لن أعرض لمصادر عرفانه وبيئتها هنا ؛ سواء كانت تلك المصادر إسلامية أو أجنبية . ولكي يكون فهم عالمه الفكري ممكناً لا بدّ من الإلمام بمفهومه الانتروبولوجي عن الانسان . يتضمن هذا المفهوم

باختصار تقسيماً لمصادر الطاقة الإنسانية إلى قسمين اثنين : النفس والقلب . أما مكان النفس فهو فيما تحت السرّة ، وتحكمه سبع خصائص أخلاقية سيئة أعظمها سوءاً الشهوة . ومصدر الشهوة هو الهوى المنبعث من الجحيم ، يتغلغل في الإنسان عن طريق الشيطان . إن الغريزة الحاكمة – أو كما يسميها الترمذي « الجوهر » – تشدّ الإنسان إلى الجحيم ، ويعني ذلك أنها تدفعه للقيام بأعمال تؤدي به إلى جهنم . والنفس الغريزية هذه لا تدرك العالم إدراكاً مباشراً ملتذاً ، بل يجوز أن تصل إلى أغراضها الشهوانية هذه بواسطة أداةٍ تستخدمُها لذلك . هذه الأداةُ هي الذهنُ الذي مكانُه الصدر .

أما المصدر الثاني للقوة الإنسانية فيكمن في القلب . والقلب هنا هو مكان المعرفة . وأريد هنا أن أحدد المعرفة المقصودة مبدئياً بأنها « الإدراك الفطري لله » أو كما اقترح هلموت ريتر « العرفان السابق لله » . وهي لا تعني عند الترمذي تعرّفاً فاعلاً بل معرفة ممتلكة .

لكن ، ما هو مضمون هذه المعرفة ؟

لكي تمكن الإجابة على هذا التساؤل لا بدّ من عرض موجز لمفهوم الترمذي العقيدي ، فالترمذي يُفرّقُ – كما هو معهود عند آخرين – بين الله وصفاته . إنه يسمي الذات الإلهية في كتاباته بالباطن والهوية . أما الصفات فيشير إليها بشكل عام بالظاهر . صفات الله هذه الصادرة عنه ، بطريقة تركها الترمذي غامضة ، تتجمع حول ذاته في شكل مجالات نورانية . وبفضلٍ من الله ورحمة يتلقى كل إنسان جزئيات من نورانية الصفات المبثوثة في مجالاتها النورانية . هذا النور الفطري هو الذي يجعل كل إنسان يدرك

بالفطرة أن الله موجود . المعرفة الأولية هذه يسميها الترمذي معرفة الفطرة أو الجبلّة ؛ وهي تحدث في النفس قدرةً على التدبّر والتبصّر يدعوها الترمذي « بصيرة » أخذاً من الآية القرآنية الكريمة : « كلا بل الإنسان على نفسه بصيرة » . بهذه البصيرة يستطيع الإنسان أن يدرك آثار فعل الله في العالم الخارجي المدرك .

لكن ؛ كيف يمكن تعليل الواقع المشاهد الذي يُظهر أن هناك مؤمنين وكفاراً رغم أن الإنسان يعرف بفطرته وجود الله ؟ . ويجيب الترمذي على ذلك بأن الانسان لا ينكر في الحقيقة وجود الله إلا إذا لم تكن طبيعته أو فطرته سليمة ؛ لكن المسلم وحده يتحقق تماماً أن الله واحد ؛ ويعني هذا أن المسلم يمتلك نوعاً أعلى من المعرفة ؛ تلك التي يسميها الترمذي معرفة التوحيد ، المعرفة الفطرية بوحدانية الله .

إن الإدراك العرفاني يعني بالنسبة للترمذي أن يحوّل الإنسان معرفته الفطرية بوجود الله إلى معرفة واعية . وهو يصف النهج الذي ينبغي اتخاذه للوصول إلى ذلك على النحو التالي : إن نور المعرفة المنبعث من القلب يضيء حنايا الصدر . وهنا يصل النور إلى مركز الإدراك الداخلي ؛ الفؤاد. عند هذا يتدخل الإدراك العقلي ( العقل ) مضافاً إلى الفؤاد ؛ والعقل الذي يتدخل مركزه في الرأس . وتدخّله يكون بإضاءته لمضامين المعرفة من خلال خاصته الخاصة به وهي التمييز . والعقل هذا يمتلكه المسلم فقط في حين يظل الذهن شائعاً في الناس جميعاً .

عملية الإدراك هذه التي يصحبها التمييز تتم بشكل تدريجي . هذه العملية هي عند الترمذي سريان الجالات النورانية لصفات الله ، لكن ليس

بمعنى أن العارف يصعد ليرى الله أو ليتّحد به . إن الترمذي ، شأنه في ذلك شأن العارفين القدامى ، لايعرف بعدُ تلك التصورات التي تستبق رؤية الله يوم القيامة برؤية معراجية حياتيـة . ويعني هذا أن النور الإلهي الفطري لن يرى في هذا العـالم معاينة ، بل بعين الفؤاد وتمييز العقل . إن أعلى الدرجات التي يبلغها العارف هي درجة الإدراك الواعي للوحدانية والإدراك الواعي للفردية ، وبعبارة أخرى فإن المعرفة الواعية بالله ممكنة من جانب العقل المميّز . أما ما وراء ذلك فلا يستطيع العقل أن يدركه . إن إدراك ذات الله ليس متاحاً للعقل .

خلال عملية المعرفة تتدخل النفس محاولةً إعاقةَ ذلك . إنها تتدخل آتيةً مما تحت السُّرة صاعدة في اتجاه الصدر فتثير ضباباً في الفؤاد وتعطل عملَ العقل ، وتمنع الإنسان بذلك من إدراك الله بعين فؤاده . لذا فإن واجب العارف أن يبطل التأثير السيء للنفس . إن عليه أن يواجهها في عملية كفاح روحي . الوسيلة الأولية لذلك هي الانصراف إلى أعمال زهدية . وليس معنى ذلك أن تصـــوُّف القرن الثالث وقف عند الطرق البدائية للزُّهاد القدماء . لقد صارت النظرة أحدّ ، كما ساد اعتقادٌ مؤداه أن الزهد لا يعني الكثير إن لم يكن موجهاً من الداخل . لقـد حاولوا أن يواجهوا النفس مباشرة ؛ فيتصدوا لخبثها وحبائلها ورغباتها المستورة حتى أعمق أعماقها بالتحذير والمحاسبة تارة وبمحاولة تحريرها من صفاتها السيئة تارة أخرى . هذه الطريقة الملحة في التربية الذاتية وضع أسسها وطبّقها المحاسبي. وقد أدّت الخبرة الذاتية وطرائق تربية النفس هذه إلى نشأة ما يسمى بعلم الباطن الذي وضعه هؤلاء في مواجهة علوم الحديث والفقه التقليدية ؛ تلك

العلوم التي سموها علوم الظاهر . ويسمي الترمذي علماء الباطن : حكماء . إنه يصفهم على النحو التالي : « والحكماء عن تدبير الله ينطقون (؟) كيف دبّر شأن الآدميين وكيف ركّبهم .. ويصفون تركيب أجسامهم ، ومكامن العدوّ منها وسلطان الشهوات فيها ، ويميزون بين عمل القلوب وعمل النفوس ، وخدع النفس وخُدَع العدوّ ، فإن للنفس وسواساً تَدِقّ في جنبه وساوس العدو . . ويصفون طريق أهل الإرادة ، ويعرّفون المريدين مكامنَ النفس لإنشاد العطايا الواردة على السالكين لذلك الطريق إلى الله ، وينقلون المريدين إلى درجات العطايا قولاً وهداية ؛ فإن التقوى في هذا الطريق أصعب وأدق وأغمض .. » (١) .

والصدق عند الترمذي هو أبرز جوانب السعي في مجاهدة النفس . ويكاد يكون العارف الوحيد الذي وقف ضد السعي للوصول إلى منزلة الصدق ! إنه يلاحظ في هذا المجال أن مجاهدة النفس سعياً للوصول إلى الصدق تشكل انشغالاً بها لا يؤدي إلى إضعافها بل إلى تقويتها .وهو يصف هذه العملية بهذه الكلمات : « ... لأن النفس تتبجح وتتزين للخلق به وتباهي الأشكال من العمال ... » (٢) .

إن السالك يعيش أحياناً خلال انشغاله التام بمجاهدة النفس عطايا ربانية تعطيه إحساساً بالراحة والانبساط . لكن يبقى هناك خطر كامن . إن النفس التي تدعمت خلال الصراع معها ، والتي ما تزال مملوءة بالهوى والجشع ، يمكن أن تنقضّ على ثمرات هذه العطايا لتلهي السالك عن هدفه

(١) الأكياس والمغترين ( مخ إسماعيل صائب بأنقرة / ١٥٧١ ) ق ١٢٥ أ

(٢) مخطوطة لايبزغ رقم ٢١٢ / ق ١ ب

الأول الذي هو الله . في مثل هذه الحالة على السالك أن يدرك عبثية سعيه نحو الصدق ، وأن يوقف كل مساعيه وإحساساته في هذا الاتجاه ؛ حتى تلك التي تتصل بمساعيه للوصول إلى الله . إن عليه أن يعود لإنزال نفسه في منزلة انعدام الحيلة والاضطرار ؛ لأنه عند ذلك وعند ذلك فقط تنزل رحمة الله . وبرحمة الله وفضله يبلغ السالك ما لم يستطع أن يبلغه بمجاهداته من أجل الصدق : يبلغ منزلة طمس النفس . عندها تتابع عملية الإدراك سيرها في طريقها الصحيح : طريق التحول إلى معرفة واعية دون التأثيرات الضارة للنفس .

وقد حاول الترمذي إثارة اهتمام معاصريه بنقده للنهج الذي يسعى إلى منزلة الصدق . وقد تبادل الرسائل مع أبي عثمان الحيري ( ت ٩١٠م) بنيسابور ، ومع محمد بن الفضل البلخي ( ت ٩٣١ م ) ، ويبدو أن البلخي هذا غادر بلخ إلى سمرقند بسبب مجادلات كلامية . أما الحيري فقد كان تلميذاً لأبي حفص الحدّاد ( ت ٨٨٠ م ) الذي حاول للمرة الأولى ، مستنداً إلى علم الباطن ، رسم منهج تربوي للمريدين . وكان البلخي صديقاً للحيري وأحد المعجبين بطريقته . يكتب الترمذي إلى الحيري : « .. ورد عليّ كتابك يا أخي ، وكتابٌ بعد كتاب ؛ وولّدْتَ فيّ ذكر عيوب النفس في باب المعرفة ؛ فان قدرت يا أخي ألاّ تشتغل بذكر العيوب — وكل هذا سوى الله تعالى فافعل ! فإن لله تعالى عباداً عرفوه معرفة .. واتقوا من ذكر النفس .. » (١) .

(١) مخطوطة إسماعيل صائب بأنقرة ١٥٧١ / ق ٦١ ب

ويتفق الترمذي في نقده للحيري مع أبي بكر الواسطي (ت ٩٣٢م) الذي كان يعتبر طريقة الحيري فيما يتصل بالتركيز على نواحي ضعف النفس شركاً .

ولنعد مرة ثانية إلى القلب الإنساني . إن عملية «حضور» المعرفة الفطرية لله في القلب تحدث عند أفراد الناس بدرجات متفاوتة عمقاً .هذا العمق يختلف من إنسان إلى آخر باختلاف قدر المعرفة المعطاة له في عالم الذر . والترمذي يقسم العمق المتحقق إلى ثلاث درجات : أدنى هذه الدرجات مقدار الإيمان الذي يشيع في أعماق عامة المسلمين . ويدخل ضمن نطاق هذه الدرجة المحدثون والفقهاء والمتكلمون . إن مداركهم مكتسبة من خلال حواسهم الظاهرة ؛ وعقولهم المشدودة إلى نفوسهم الأمّارة ؛ ذلك أنهم بحكم الطبيعة الدنيا المعطاة لهم يستطيعون فقط امتلاك معارف محدودة القيمة والمضامين . هذا التقييم لطبيعة معارف هؤلاء لا ينبغي أن يدفع السالك إلى إهمالها ؛ ذلك أنها تحدد له الطريق الصحيح لسلوكه الظاهر .

ويبلغ الحضور والعمق درجة عالية عند جماعة الحكماء . لكنهم رغم ذلك لا يصلون إلى وعي النور المحض مباشرة ؛ ذلك أنهم لا يستطيعون التخلص تماماً من إسار النفس . علماء الباطن هؤلاء الذين يسميهم الترمذي حكماء كانوا يدعون في القرن التاسع الميلادي صوفية .

وهنا يثار تساؤل : لماذا يسميهم الترمذي إذن حكماء ولا يسميهم صوفية ؟! والجواب بإيجاز :

١ - كلمة صوفي واشتقاقاتها مثل تصوف ، متصوفة ، صوفية ؛ لا تظهر في كتابات الترمذي على الإطلاق .

٢ – ربما لم تكن هذه الكلمة قد شاعت عندما كتب الترمذي أعماله . وهنا لا بد أن نلاحظ أنه يتعذر ترتيب مؤلفاته تاريخياً . والأمر الجدير بالذكر أن كثيراً من عارفي القرن الثالث الهجري ممن جاؤوا من شرقي العالم الإسلامي ؛ ممن "سمّوا في المصادر المتأخرة صوفية" - كانوا في حياتهم يحملون لقب حكيم ، من هؤلاء على سبيل المثال صديق الترمذي يحيى بن معاذ الرازي ، وأبو بكر الورّاق البلخي ؛ الذي جعلته المصادر اللاحقة تلميذاً للترمذي ، ومحمد بن الفضل البلخي الذي تبادل الترمذي معه الرسائل .

٣ – هناك احتمالات أخرى لا يتسع المجال هنا لمناقشتها بالتفصيل .

فربما كان هؤلاء الحكماء جماعة خاصة إلى جانب المتصوفين ولم يكونوا منهم . وربما كانت كلمة حكيم استعمالاً خاصاً بشرقي العالم الاسلامي ؛ لأن كلمة صوفي لم تكن شائعة هناك إذ ذاك ، أو لأنهم أرادوا اجتنابها لسبب من الأسباب . وفي هذه الحالة فإن السؤال الذي يعرض هو : كيف يمكن فهم كلمة الحكيم كلقب للترمذي استناداً إلى ما سبق ؟. هذا التساؤل أيضاً لا تسهل الإجابة عليه في هذه العجالة . إن جعفراً الخلدي الذي جمع كثيراً من كتابات الصوفية لا يعتبر الترمذي واحداً منهم . ولا بأس هنا أن نذكر أن الترمذي حمل على السماع والرقص اللذين كانا معروفين في أوساط الصوفية آنذاك ؛ بيد أن هذا لا ينهض دليلاً على عدم انتمائه إليهم لأن صوفية آخرين فعلوا الشيء نفسه .

يضع الترمذي فوق الحكماء طائفة ثالثة هي طائفة العارفين الحقيقيين الذين يسميهم هو العلماء بالله . إن التعبدية الداخلية لهؤلاء لا يهزها العالم

الخارجي كما لا تؤثر فيها وساوس النفس . إنهم لا يرون أمام أعينهم غير الله . لقد انتهت الأنا عندهم ؛ وفي مكانها حلّ الله . معرفتهم تفوق كيفاً معارف الطائفتين بخاصيّة مميزة هي اليقين . واليقين هذا ليس أمراً يمكن أن يكتسبه الانسان بمجاهداته الخاصة ، بل هو نور يقذفه الله في الصدر مباشرة ، ويمكن أن يعرض للانسان كلمح البرق . أناسٌ كهؤلاء يحظَوْن بنعم الله وعطاياه . إنهم يتلقون حديثاً ، ويطلعون على أسرار الكون ، ويعرفون الإنسان الشقي أو السعيد ، وهم ذوو بصيرة نفاذة ولهم كرامات . هؤلاء أيضاً ينقسمون إلى فئات عُليا ودنيا بدورهم . أعلاهم جميعاً الأولياء ، ولا شك أن الترمذي اعتبر نفسه ذاك الوليّ المصطفى من الله .

بارنت رادكه

# وقفة
# مع
# ديوان بشار بن برد

## - ٣(*) -

الدكتور شاكر الفحام

٥٧ – كان بشار بن برد مولى بني عُقيل بن كعب ( كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ) ، وقد فخر بشار بهذا الولاء وتبجّح :

إنني من بني عُقيل بن كعب   موضع السيف من طُلى الأعناق

وسارت له قصائد يشيد فيها بوقائع مواليه العامريين ، ومَنْ خلفهم من قبائل قيس عيلان عامة :

أمنتُ مضرة الفُحشاء ، اني   أرى قيساً تضرُّ ولا تُضارُ (١)

وفي عداد هذه القصائد تأتي قصيدته النائية ( ٢ : ٨ – ١٤ ) ،

---

(*) نشر القسم الأول من هذا المقال في الجزء السابق ( مج ٥٣ ج ٢ ص ٣٤٠ )

(١) الأغاني ( ط . دار الكتب ) ٣ : ١٣٩ ، ديوان بشار ١ : ٤ – ٦ . ورواية الشطر الثاني في ديوان بشار ( ٣ : ٢٥٠ ) : أرى قيساً يُشَبُّ ولا يُضارُ ولعل الصواب : أرى قيساً تُسبُّ ولا تضارُ .

التي ذكر فيها انتصارات قومه من بني عامر بن صعصعة على أعدائهم من بني حنيفة ، في الوقائع التي دارت بينهم ، إثر مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٦ هـ (١).

ـ بدأ بشار قصيدته متغزلاً ، وتوحي هذه المقدمة الغزلية بأن القصيدة قيلت في أيام العباسيين ، بعد أن حرّم الإمامُ المهديُّ على بشار طريقته في تصبي النساء ومقاربتهن (٢) :

ولو لا أمير المؤمنين سقيتها أواماً يناجيها بنا حيث حلّتِ ..
لقد كنتُ في ظل العذارى مرفّلا أحب وأعطى حاجتي حيث حلتِ
فغيَّر ذاك العيشَ تاجٌ لبسته وطاعة والٍ حرّمت وأحلّتِ
ونبئت نسواناً كرهن تحاشمي ولله أبلي أكثرت أم أقلتِ
إذا أنا لم أعط الخليفة طائعاً يميني فلا قامت لكأسٍ وشلّتِ

ولذلك اضطرب الشارح في تعليقه على الأبيات :

أ ــ ذكر في مفتتح القصيدة ( ٢ : ٨ ) أن بشاراً قالها « يتغزل ويفتخر بأيام بني عامر مواليه في اليمامة سنة ١٢٦ هـ » .

ب ــ ثم عرض لقول بشار في القصيدة ( ٢ : ١٠ ) :

فمن مبلغٌ عني قريشاً رسالةً وأفناءَ قيسٍ حيث سارت وحلّتِ

(١) الكامل لابن الاثير ٥ : ١٤١ ـــ ١٤٢ ، الأغاني ( ط . الساسي ) ٧ : ١١٥ ـــ ١١٦ ، ٢٠ : ١٤١ ـــ ١٤٢ ( ترجمتا يزيد بن الطثرية القشيري ، والقحيف العقيلي ) ، أنساب الأشراف للبلاذري ( مخطوط ) ٨ : ٣٦٢ ـــ ٣٧١

(٢) الأغاني ( ط . دار الكتب ) ٣ : ١٨٢ ـــ ١٨٤

فذكر أن بشاراً « خصّ قريشاً وقيساً ، لأن قريشاً قوم بني العباس ، وقيساً أنصارهم ، وكذلك نمير ، وسيذكر عُقيلاً بعد هذا ، وهم قومه أهل ولائه ، .... أشار إلى قتال الخارجين عن الدعوة العباسية من ضبيعة وبكر » .

وهذا القول يجانب الواقع ، ولا تؤيده روايات المؤرخين والاخباريين، لأن بشاراً يفخر في هذه القصيدة بوقائع العامريين وانتصاراتهم على أعدائهم من بني حنيفة ، أيام بني أمية ، بعد مقتل الوليد بن يزيد ، وهي وقائع حركتها الحمية ، حمية الجاهلية ، وغذتها العصبية القبلية .

ج — وعلّق الشارح على بيت بشار التالي ( ٢ : ١٠ ) :

بأنا تداركنـــا ضبيعة بعدما أغارت على أهل الحمى ثم ولّتِ

فقال : « وذلك أنه لما قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٧ هـ ( الصواب : ١٢٦ هـ ، وأظنه من خطأ المطبعة ) ثار أهل اليمامة على عاملهم علي بن المهاجر ... وانقسم سكان اليمامة فريقين ... وتقاتل الفريقان في فَلَج من قرى اليمامة ، فكان لهم فيه يومان : يوم فَلَج الأول، ويوم فلج الثاني ، وكان النصر فيها لبني عامر وقيس وعقيل ومن معهم ، ثم أراد عمر بن الوازع الحنفي الثأر لقومه ، فجمع خيله وأغار على الأعداء ، وأتى النشاش ، فأقبلت إليه بنو عامر واقتتلوا ، فهزموه ، وفرّ عمر بن الوازع فلحق باليمامة ،فكان هذا يوم النشاش ، ولم يكن لحنيفه بعده جمع».

ولكن العودة إلى المراجع التاريخية تبين أن يوم الفلج الأول كان لعامرٍ على بني حنيفة ، وأن يوم الفلج الثاني كان لحنيفة على بني عامرٍ ،

وأن يوم النشاش كان لعامر على حنيفة (١).

– ويلوح لي أن كلمة « ضبيعة » الواردة في بيت بشار محرفة عن كلمة « حنيفة » ، وبذلك يستقيم معنى البيت ، ويلتقي مع ما جاءت به الرواية التاريخية .

٥٨ – ورد في قصيدة بشار التائية ( ٢ : ٨ – ١٤ ) أبيات عزاها الرواة للقحيف العقيلي . ولم أظفر بقصيدة العقيلي تامة ، فرأيت أن أذكر ما عثرتُ عليه من أبياتها ، لأقرنه بما يماثله من أبيات بشار في القصيدة التائية المذكورة .

أ - قال القحيف العقيلي :

لقد أرسلت خرقاءُ نحوي جريَّها ... لتجعلني خرقاءُ ممن أضلَّتِ
وخرقاء لا تزداد إلا ملاحة ... ولو عُمِّرت تعمير نوح وجلَّت
. . . . . . . . . . . .
فمن مبلغ عني قريشاً رسالة ... وأفناء قيس حيث سارت وحلَّت
بأنا تلافينا حنيفة بعدما ... أغارت على أهل الحمى ثم ولت (٢)

(١) الكامل لابن الأثير ٥ : ١٤١ – ١٤٢ ، أنساب الأشراف ( مخطوط ) ٨ : ٣٦٢ – ٣٧١ ، الأغاني ( ط . الساسي ) ٧ : ١١٥ – ١١٦ ، ٢٠ : ١٤١ – ١٤٢ ، وفلج ، بفتح الفاء واللام : مدينة قيس عيلان بن مضر بن نزار باليمامة ، وهي لبني جعدة وقشير وكعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، كما أن حجر ، بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم ، أمّ قرى اليمامة ، مدينة بني ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، إلا أن الأصل فيها لبني حنيفة ( معجم البلدان – حجر ، فلج ) .

(٢) تلافاه ، بالفاء : تداركه .

اقد نزلت في معدن البرم نزلة | فلأياً بلأيٍ من أضاخ استقلت
تشكُّ نميرٌ بالقنـــا صفحاتهم | فكم ثَمَّ من نذر لها قد أحلّتِ
تركنا على النشّاش بكر بن وائل | وقد نهلت منها السيوفُ وعلّتِ
وبالفلَج العاديّ قتلى إذا التقت | عليها ضباعُ الغَيْل باتت وظلّتِ [1]

ب – وقال بشار العقيلي ( ٢ : ١٠ - ١٤ ) :

لقد أرسلت صفراء نحوي رسولها | لتجعلني صفراءُ ممن أضلّتِ
فمن مبلـــغ عني قريشاً رسالة | وأفناء قيس حيث سارت وحلّت
بأنا تداركنا ضبيعة بعدمـــا | أغارت على أهل الحمى ثم ولّت
وقد نزلوا يوماً بأوضاح كامل | ولأياً بلأي من أضاخ استقلت
فشكّ نمير بالقنـــا صفحاتهم | وكم ثَمّ من نذر لها قد أحلّت
تركنا على النشناش بكر بن وائل | وقد نهلت منها السيوف وعلّت
وبالفلج العاديّ قتلى إذا التقت | عليها ضباع الجرّ باتت وضلّت

٥٩ – أصلح الشارح بيت بشار ( ٢ : ١١ ) المحرّف في المخطوطة، وقوّمه على النحو التالي :

فشكّ نمير بالقنـــا صفحاتيهم | وكم ثَمّ من نذر لها قد أحلّتِ

ثم عقب على ذلك فقال : « والأحسن أن يقال : فشكّت » لقوله بعده : قد أحلّت » . ونرجح أن تكون الرواية : تشكُّ نمير ، بصيغة المضارع ، كما وردت في أنساب الأشراف ( ٨ : ٣٦٩ ) .

---

(١) الأغاني ( ط . الساسي ) ١٦ : ١١٩ ، ٢٠ : ١٤١ ، طبقات فحول الشعراء : ٤٧٩ – ٤٨٠ ، معجم البلدان : ( فلج ، معدن البرم ، النشاش ) ، أنساب الأشراف ٨ : ٣٦٩

٦٠ – قال بشار (٢ : ١٢) :

تركنا على النشناش بكر بن وائل     وقد نهلت منها السيوفُ وعلَّتِ

فعلّق الشارح بأن ياقوتاً الحموي قد أنشد هذا البيت (معجم البلدان - فلج ، النشاش) ، إلا أنه نسبه إلى القحيف العقيلي غلطاً . وما ذكرناه آنفاً (الرقم : ٥٨) لا يجيز نسبة الغلط إلى ياقوت .

٦١ – قال بشار (٢ : ١٤) :

وبالفَلَجِ العاديّ قتلى إذا التقت     عليها ضباع الجرّ باتت وضلَّتِ

وذكر المراجعان أن كلمة : « ضلّت » قد وردت في المخطوطة : « ظلت » بالظاء المشالة ، دون أن يعقبا على ذلك بشيء . والذي يبدو لي أن رواية المخطوطة : « ظلت » بالظاء المشالة هو الرواية الصحيحة ، وينبغي أن تصحح معها جارتُها ، كلمة « بانت » لتصبح « باتت » بالتاء المثناة من فوق بدل النون . وبذلك تلتقي رواية الديوان برواية معجم البلدان : (فلج) ، ويتضح مراد الشاعر الذي رمى من وراء تعبيره : « باتت وظلّت » ، أن يظهر كثرة القتلى من أعدائه ، وقد غودروا في أرض المعركة طعاماً للضباع ، فهي تنهش من لحومهم ليل نهار .

– ثم فسَّر الشارح : « ضباع الجرّ » أنها « التي تجر لحم الميت إلى وجارها لشدة حرصها » . ولا أظن اللغة تساند مثل هذا التفسير ، والأولى ، فيما أراه ، أن تكون : « الجر » اسم موضع . وقد جاءت رواية معجم البلدان : « ضباع الغَيْل » ، والغَيْلُ : بالفتح ثم السكون ، وادٍ لبني جعدة في جوف العارض ، يسير في الفَلَج (معجم البلدان – الغيل) . وقد تكون « الجر » آتية بمعناها اللغوي ، قال في اللسان (جرر) : والجرّ : أصلُ الجبل وسفحه .

٦٢ — أنشد ياقوت في معجم البلدان : ( بيروت ) ، الأبيات الثلاثة التالية منسوبة إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان :

إذا شئت تصابرت ولا أصبر إن شئت
ولا والله لا يصبـ ـرُ في البوبة الحوتُ
ألا يا حبذا شخصٌ حمت لقياه بيروتُ

والبيتان الأولان من الأبيات الثلاثة قد وردا ضمن قصيدة بشار التي مطلعها ( ٢ : ١٨ ) :

أحبَّى فيم خلّيتَ ؟ وفيم الحبل مبتوتُ

٦٣ — قال بشار ( ٣ : ٢٢ ) :

إن تجفُني سلمى فـإني امرؤ أصبو وأصبي ، ربما قد جفيت

وجملة : « ربما قد جفيت » قلقة في موضعها ، لا تستقيم عربية ، وقد أراد الشارح أن يحتال لها ، فجعل « أصبو وأصبي » جملتين معترضتين . ويلوح لي أن كلمة « ربما » قد تكون محرفة عن « وبما » ، وقد بيّنا طريقة استعمالها فيما سلف ، ( رقم ١٩ ) .

٦٤ — وقال ( ٢ : ٢٧ ) :

فـلم أبق على النفس ولو اسطيـع أبقيتُ

وقال الشارح في تعليقه : « كتب في الديوان : ولو اسطعت ، وهو غير متزن ، ولعل صوابه : ولو اسطيع » . وأرى أن ما في الديوان صحيح سليم ، يتزن به البيت ، ولا حاجة لتغييره . قال في اللسان ( طوع ) : « وأما قوله تعالى : ( فما اسطاعوا أن يظهروه ) [ سورة الكهف ، آ : ٩٧ ] فإن أصله : استطاعوا ، بالتاء ... ومنهم من يقول:

أسطاعوا ، بألف مقطوعة ... قال ابن سيده : واستطاعه ، واسطاعه ، ( بهمزة وصل ) وأسطاعه ، ( بهمزة قطع ) ... أطاقـــه » . فرواية الديوان : « أسطعتُ » ( بهمزة قطع ) ، صحيحة ، لا علة فيها .

٦٥ – وقال بشار في هجاء أبي هشام الباهلي ( ٢ : ٤٧ )

وعلى وجهِـكَ المحتّت سيما . . . . . .

وسياق البيت يقتضي أن يقال : وعلى وجهه المحتت سيما ، بضمير الغائب .

٦٦ – قال بشار (٢ : ٥٠ ) :

يا صـــاحِ قل في حاجتي أذكَرْتَهـــا فيما ذكرتا

وذكر الشارح أن القصيدة من مجزوء الرجز ، والصحيح أنها من مجزوء الكامل المرفل .

٦٧ – قال بشار متغزلاً بعبدة (٢ : ٥٤ ) :

عظتي فيهـا رويـــدا قد ملتْ الواعظـاتِ

وفسر الشارح ( عظتي ) بأنها مصدر مضاف إلى مفعوله . والذي أراه في رواية البيت :

عظنني فيهـــا رويـدا قـد ملتُ الواعظـاتِ

فبشار يخاطب العاذلات القائلات ( ٢ : ٥٢ ) :

اسلُ عن عبدة قد أنـ ـزفتْ فيها العَبَرات

بأن يخففن من عذلهن ، لأن حبه لعبدة مقيم لا يبرح ، وأن يستجيب في هواها لنصح ، وأن يطيع واعظة .

٦٨ – ولبشار أبيات في هجاء آل سليمان بن علي ( ٢ : ٥٦ – ٥٧ ) ، وقد ذكر الشارح عدة أبناء لسليمان بن علي ، نقلاً عن جمهرة

ابن حزم ، ثم ضمّ إليهم داود بن سليمان ممدوح بشار ( الديوان - الورقة ٢٤١ ) ، ولكنه عاد وهو يشرح المدحة المذكورة ( ٣ : ١٩٢ ) فرجح أن يكون ناسخ الديوان قد سها ، وأن ممدوح بشار هو سليمان بن داود ابن علي . وهو ترجيح نوافقه عليه ونراه يبلغ مرتبة اليقين ، إذ تؤكده أبيات بشار في قصيدته المذكورة ( ٣ : ١٩٢ - ١٩٩ ، الأبيات : ٣٢، ٣٨ ، ٤٩ ) .

٦٩ - وقـــال بشار يصف المهالبة قوم الممدوح خداش بن يزيد ( ٢ : ٦٠ ) :

ركب لعيدان المـلو ك ، عن المكارم غيرُ راتِبَهْ

وضبطت « ركب » بالفتح ثم السـكون . وأرجح عليها : « رُكُب » بضم الراء والكاف ، جمع ركوب ، قال في اللسان ( ركب ) : « رجل ركوب وركّاب : كثير الركوب » ، وعيدان الملوك : المنابر ، كما ذكر الشارح . وقد كرر بشار معناه في مدائحه ، قال في مديح سليمان ابن داود الهاشمي ( ١ : ٢٣٦ ) :

ركّابُ هول وأعواد لملكة ضرّاب أسباب همّ حين يلتهبُ

وقال في مديح روح بن حاتم ( ٢ : ٢٥٣ ) :

ركّاب أعـواد المـلو ك ، مباريا سَبَلَ الرواعدْ(١)

وقال في صفة صاحب له ( ٣ : ٩٥ ) :

وصاحبٍ يعطي ويبدي العلا ركّاب أهـوال وأعوادِ

وقال في مديح سفيح بن عمرو ( ٣ : ١٣٢ ) :

وركّاب أعواد المنابر لا يني خليفة ملك للصعاليك أوحدا

(١) انظر تعليقنا الآتي على هذا البيت برقم ٨٢

٧٠ — وقال بشار في مديح أحد أصحابه ( ٢ : ٦٤ ) :

صحبته في الملك أو سوقةً . . . . . .

وضبط « سوقة » بالجر ، والصواب ضبطها بالنصب . فبشار قد خبر صاحبه : ملكاً وسوقةً ، فحمده في حاليه ، لم ينكر من أمره شيئاً . جاء في اللسان ( سوق ) : « السُوقة : خلاف الملك ،... يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر ،... وربما جُمع على سُوَق ...، السُوقةُ من الناس : الرعية ، ومن دون الملك ، وكثير من الناس يظنون أن السُوقة أهل الأسواق . والسوقة من الناس : من لم يكن ذا سلطان، الذكر والأنثى في ذلك سواء ، والجمع السُوَق ... قال زهير :

يطلب شأو امرأين قدّما حسنا نالا الملوك ، وبذّا هذه السُوقا ».

وجاء في الأساس ( سوق ) : « وهو من السُوقة ، والسُوَق : وهم غير الملوك » . وقال شرحبيل لأبي حنش التغلبي : « أملكاً بسوقة ؟ » أي أتقتل ملكاً بدل سوقة ؟ ( أمثال الميداني ١ : ٤٥ ، في شرح المثل : إن أخي كان ملكي ) . فالانسان ملكٌ أو سوقةٌ . وعلى هذا جرى العرب في كلامهم (١) . وردده بشار في شعره . قال في صفة صاحب له ( ٣ : ٩٥ ) :

---

(١) انظر أقوال اللغويين في تفسير السوقة والسوق ، وشواهدهم من كلام العرب في : التكملة للجواليقي : ١١ — ١٢ ، ودرة الغواص للحريري : ١٩٨ ، ولسان العرب وتاج العروس ( سوق ) .

صحبتـــه في الملك أو سوقةً فزاد في عـــدّة حسّادي (١)

وقال في مديح سلم بن قتيبة الباهلي ( ٣ : ٢١٩ ) :

سيدٌ ، سوقةٌ وفي الملك ، فيّا ضٌ ، يحامي عن عرضه بالبدور (٢)

وقال دعبل الخزاعي في كافيته المشهورة ( أمالي الشريف المرتضى ١ : ٤٣٧ ) :

يا سلم ، ما بالشيب منقصـــة لا سُوقـةٌ يبقـي ولا ملكا

٧١ — وقال بشار يصف صاحبته بالجمال والنعمة ( ٢ : ٨٠ ) :

لُباخيّة الأرداف ، لم ترع ثلة بفيء ، ولم تركب بعيراً بهودج (٣)

ضبطت « ثلة » بضم الثاء المثلثة ، والصواب فتحها . جاء في اللسان والقاموس : الثلة ، بفتح الثاء ، جماعة الغنم ، والثلة ، بضم الثاء ، الجماعة من الناس ( وانظر المختار من شعر بشار : ٢٥٦ ) .

---

(١) استشهد الواحدي والعكبري بهـذا البيت حين عرضا لشرح بيت أبي الطيب المتنبي :

أزل حسد الحساد عني بكبتهم فأنت الذي صيرتهم لي حُسّداً

(٢) قال في اللسان ( بدر ) : « والبدرةُ : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف . سميت ببدرة السخلة ، والجمع : البدور ، وثلاث بدرات » .

(٣) كرر بشار هذا المعنى في شعره ، من ذلك قوله ( الديوان ٢ : ١٦٠ ، أمالي الشريف المرتضى ٢ : ١٣٨ ، المختار من شعر بشار : ٢٥٥ ) :

من البيض لم تسرح على أهل ثلة سواماً ، ولم ترفع حداج قعود

وقوله ( أمالي الشريف المرتضى ٢ : ١٣٩ ، المختار : ٢٦٠ ) :

وصفراء مثل الخيزرانة لم تعش ببؤس ، ولم تتبع مطية راعِ

٧٢ – وقال في صفة جارية ( ٢ : ١٠٩ ) :

مبتّلةٌ ، فخمةٌ ، فَعْمة        هضيم الكشح ، بوصها أرجحُ

والشطر الثاني لا يستقيم وزناً ، ولعل صوابه : هضيم الحشا ، بوصها أرجح . والبيت من البحر المتقارب .

٧٣ – وقال يصف محبوبته عبدة ( ٢ : ١٣٩ ) :

مُكرَبٌ فوق معقد المرط منها        واحتشى المرط من أباة رباحِ

وفسر الشارح المكرب بأنه العضو الممتلىء لحماً وعصباً ، ورأى ، تبعاً لذلك ، أن الصواب في البيت : « تحت معقد المرط » بدل : « فوق معقد المرط » ، لأنهم يستحسنون خصوبة الردف والفخذين ، وفسر الأباة : بالقصبة ، وأن الشاعر قصر الأباءة تخفيفاً ، ورباح : بلد بالهند يجلب منه الكافور .

ويبدو لي أن صحة البيت :

مكربٌ فوق معقد المرط منها        واحتشى المرطُ من أناةٍ رَدَاحِ

قال في تاج العروس ( كرب ) : « المكرب ، بضم الميم ، وفتح الراء ، من المفاصل : الممتلىء عصباً ، ووظيفٌ مكرب : امتلأ عصبا » . وقال الزمخشري في الأساس : « ومن المجاز : هو مكرب المفاصل : موثقها » . والأناةُ من النساء : التي فيها فتور عن القيام وتأنٍ . وامرأة رَداح : عجزاء ، ثقيلة الأوراك ، تامة الخَلْق ، وقال الأزهري : ضخمة العجيزة والمآكم ( لسان العرب ) . وبشار في ذلك جارٍ على مذاهب العرب في أوصاف النساء . قال المرار بن منقذ ( المفضليات ١ : ٨٨ ) :

فهي هيفاء ، هضيمٌ كشحُها        فخمةٌ حيث يشدُّ المؤتزرْ

وقال الحكم الخضري (حماسة أبي تمام ٢ : ١٠٦) :

تساهم ثوباهـا ، ففي الدرع رأدةٌ وفي المرط لفّاوان ، ردفُها عَبْلُ

ومن شعر بشار في هذا المعنى قوله (١ : ١١٨) :

أزّرت دعصـةً ، وتمت عسيبا مثل أيم الغضـا دعـاه الأباءُ

وقال (٢ : ٢٨٠) :

عبل مسوّرها ، وعث مؤزرهـا مثل المهـاة ، رداح ، نبتها رَوَدُ

وقال (٣ : ٣٠) :

عسيباً كأيم الجن ما فات مرطها ومثل النقا في المرط منهـا ملبّدا

وقال (٣ : ٢٤٥) :

قد جلّ ما بين حجليها ومئزرهـا واهتزّ كالأيم ما عالى عن الأُزُرِ

٧٤ وقال في المديح (٢ : ١٤٧) :

من المتحرفين يـدأ وجودا عليّ مديحُه ، وعليه نُجْحُ

وكلمة « المتحرفين » بالحاء المهملة والفاء ، لا معنى لها في البيت ، وقد جهد الشارح ليفسرها . وأرجح أن الكلمة مصحفة صوابها :

من المتخرقين يـدأ وجودا . . . . . .

قال في اللسان : « تخرّق في الكرم : اتسع . والخِرّقُ ، بالكسر ، الكريم المتخرّق في الكرم ... ويقال : هو يتخرّق في السخاء : إذا توسع فيه . وأنشد ابن بري للأبيرد اليربوعي :

فتى ، إن هو استغنى تخرّق في الغنى وإن عضّ دهرٌ لم يضع متنه الفقرُ[1]

(١) البيت من حماسية رواها أبو تمام في باب المراثي (الحماسة ١ : ٤٥٤)

... قال ابن الأعرابي : رجل مخراق ، وخِرّق ، ومتخرّق : أي سخيّ » وجاء في الأساس ( خرق ) : « وفلان خِرّقٌ : يتخرق في السخاء ، يتسع فيه . وهو منخرق الكف بالنوال، ومخروق الكف : لا يليق شيئاً».

٧٥ – وقال بشار يذكر سعدى وما أثارته في نفسه ( ٢ : ١٥٩ ) :

أهبت بنات الصدر بعد رقادها　　فأصبحن قد وافين غير رُقود

جعل الشارح « أهبت » بمعنى زجرت الإبل ، من الفعل « أهاب » ، وفسّر بنات الصدر بعزائم النفس . وهو تفسير لا تؤيده كتب اللغة . ولعل الصحيح أن الفعل إنما هو « أهبّ » بمعنى أيقظ ، لحقت به تاء التأنيث . لأن الشاعر يتحدث عن سعدى التي أثارت في نفسه الهموم ، وبعثت الأشواق والأفكار ، بعد أن كانت نائمة . وهو معنى مألوف طرقه الشعراء ، وقد تأتى له بشار واصطنع له هذا الطباق الجميل بين الإهباب والرقاد . قال في الأساس ( بنى ) : غلبتني بنات الصدر ، وهي الهموم، وقال في اللسان : هبّ من نومه : انتبه ، وأهبّه : نبّهه .

٧٦ - قال بشار ( ٢ : ١٧٣ – ١٧٤ ) :

يقول إذ أبصرني مقبلاً　　في القوم معتمّاً ولم أرتد
لفارغ مما بــه شغله　　لم يشجَ بالحبّ ولم يشهد

وأرى أن « لم يشهد » محرفة ، صوابها : « لم يسهد » بالسين المهملة . قال في اللسان : « سهِد » بالكسر ، يسهَدُ سَهَداً وسُهْداً وسُهاداً : لم ينم . . . وقد سهّده الهمُّ والوجع » . ولبشار أبيات عدة يصف فيها ما يعتري المحبّ من الهم والسهد كقوله ( ٢ : ١٩٢ ) :

فالقلب صبٌّ ممنّى حين يذكرها والعين عبرى تقاسي الهمَّ والسهدا (١)

٧٧ — وقال يتحدث عن عبادة وما تلقاه من حسد جاراتها « وقديماً كان في الناس الحسدُ » (٢ : ١٧٥ — ١٧٦) :

يحسدن منها قصباً مالئاً للقُلْب والخلخال والمعضد (٢)

والدر والياقوت يحسدنها مناطةفي الأوضح الأجيد

وقال المراجعان في التعليق : « مناطة : معلقة » ، وهو تفسير لا تجيزه العربية ، فناط فعل ثلاثي . قال في اللسان : « ناط الشيء ينوطه نَوْطاً : علّقه . . ويقال : نيط عليه الشيء : عُلّق عليه . قال رقاع ابن قيس الأسدي :

بلاد بها نيطت عليَّ تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابُها

... ونيط به الشيءُ أيضاً : وُصل به .. يقال : نطتُ هذا الأمرَ به أنوطه ، وقد نيط به ، فهو منوط ... ورجل منوط بالقوم : ليس من مصاصهم . قال حسان :

وأنت دعيٌّ نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدحُ الفردُ» .

وقد لاح لي في تصحيح البيت وجهان :

الأول ، وهو الراجح : مناطَه في الأوضح الأجيد ،

ومناط ، بفتح الميم ، اسم مكان ، أي موضع تعليق الدر والياقوت . ولا ضير في إفراد الضمير العائد على « الدر والياقوت » فان المعنيَّ بها مفرد ، وهو العقد . وعلى هذا التقدير يجوز في « الدر والياقوت » الرفع على الابتداء ، وأرجح منه النصب على الاشتغال .

---

(١) وانظر ديوان بشار ٣ : ٢٩١ ، ٢٩٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٩ ، ٣ : ٣

(٢) انظر ما علق به المراجعان على تفسير الشارح لهذا البيت (٢ : ١٧٥ — ١٧٩) ، وما سبق أن علقنا به في الرقم (١٤) .

الوجه الثاني ، وهو مرجوح : «مُنتاطةً» في الأوضح الأجيد

يقال : انتاط به : تعلَّق . وعلى هذا التقدير يجب في : « الدر والياقوت » النصب ، والتقـدير : يحسدنها الدرَّ والياقوتَ . قال في اللسان : « حسده على الشيء ، وحسده إياه ، قال يصف الجن مستشهداً على حسدتك الشيء بإسقاط على :

أتوا ناري فقلت : منـون أنتم ؟ فقالوا : الجنُّ ، قلتُ : عِموا ظلاما

فقلت : إلى الطعـام ، فقـال منهم زعـيم : نحسد الإنس الطعامـا

وقد يجوز أن يكون أراد : على الطعام ، فحذف وأوصل » .

٧٨ – قال بشار ( ٢ : ١٨٤ ) :

يا ويحها طفلةً خلوتُ بهـا ليست ذنوبي فيهـا من العدد

فأعهدينا من الظنون على تبـ ليغ واشٍ من قول ذي حسد

ضبطت « طفلة » بكسر الطاء المهملة ، والصواب أن تضبط بفتح الطاء المهملة . قال في اللسان : « الطفل ، بالفتح : الرخص الناعم . . والأنثى : طَفْلة ، قال الأعشى :

رَخصةٌ ، طفـلةُ الأنامل ترتبـ ـبُّ سُخاماً تكفُّه بخلال [1]

... ويقال : جارية طَفْلةٌ : إذا كانت رخصة ... والطِفل والطِفلة [ بكسر الطاء المهملة ] : الصغيران » .

– وفصلت كلمة « تبليغ » في البيت الثاني ، فأثبت التاء والباء في صدر البيت ، وبقية الكلمة في عجزه ، والقصيدة من المنسرح ، وحقُّ كلمة « تبليغ » أن تقع كلها في مطلع العجز .

---

(١) الشاهد من قصيدة الأعشى الشهيرة في مديح الأسود بن المنذر اللخمي والتي مطلعها :

ما بكاءُ الكبير بالاطلالِ وسؤالي ، وهل تردُّ سؤالي ؟

– بقي قوله : « من قول ذي حسد » ، وكلمة « من » لا محل لها ، وهي محرفة عن واو العطف . وطالما تحدث الشعراء عن الوشاة والحاسدين . قال بشار ( ٢ : ١٦٤ ) :

فلما ذكت عين وأشرفت العدا     وجاهرنا واشٍ ، ودبّ حسودُ

وقال أبو نواس ( د : ١٩٧ ) :

حتى إذا ما أتي صدرتُ به     عن كل واش ، وعن ذوي الحسدِ

وقد جاء بيت بشار على وجهه الصحيح ، عروضاً ورواية ، في الديوان ( ٣ : ٧ ) .

٧٩ – قال بشار ( ٢ : ٢٠٣ ) :

وعناقُ خلال ذا     كَ تداوي به الصدى

ضبطت « تداوي » بتاء المضارعة المثناة من فوق ، وأظنها من خطأ المطبعة ، والصواب : « نداوي » بنون المضارعة ، لأن الشاعر يخاطب حبابة ، ويتحدث إليها .

٨٠ – قال بشار ( ٢ : ٢٠٣ ) :

قد كنتُ آملُ من نُعْمٍ مودتها     فما وأتْ لي ، وما جاءت بموعودِ

ورد « جاءت » بالهمزة ، وهي محرفة عن « جادت » بالدال المهملة . وأظنها من خطأ المطبعة . قال في اللسان : « الموعود : من المصادر التي جاءت على مفعول » . ومن قول بشار ( ٢ : ٢٧١ ) :

إن لم تجودي بموعود فلا تعدي     ما أقبح الوعد حتى زانه الجودُ

٨١ – وقال في مديح روح بن حاتم المهلبي الأزدي ( ٢ : ٢٥٢ ) :

سامٍ لزلزلة الحرو     ب ، يظله خرق المطاردْ

وضبط الشارح « خرق » بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء ، وفسرها بالأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح ، والمطارد جمع مطردة ، محجة الطريق .

— ويلوح لي أن الصواب « خرق » بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء ، جمع خِرْقة بكسر فسكون . والمطارد : الرماح ، ( وقد نبّه المراجعان إلى تفسير المطارد بالرماح تعقيباً على تفسير الشارح ) . قال في اللسان : « والمِطْرد : رمح قصير يطرد به . قال ابن سيده : والمطرد من الرمح : ما بين الجُبَّة والعالية . وجبة الرمح : ما دخل من السنان فيه » . وخرق المطارد : الرايات . فالممدوح ملك عظيم تظله الرايات ، وتخفق فوقه . وهو معنى تداوله الشعراء ، وأكثروا من ذكره في مديح السادة الرؤساء . قال الفرزدق ( النقائض ١ : ١٨٤ ) :

ومعصب بالتاج يخفق فوقه خرق الملوك ، له خميسٌ جحفلُ

قال شارح النقائض : خرق الملوك ، يعني الرايات . وقال جرير ( د : ٣٩٩ ) :

وتيم تماشيها الكلابُ إذا غدوا ولم تمش تيمٌ في ظلال الخوافقِ

وقال بشار في مديح سليمان بن داود الهاشمي ( ١ : ٢٣٥ ) :

إذا لقيت أبا أيوب في قصد أو غازياً فوقه الراياتُ تضطربُ

٨٢ — وقال بشار في مديح روح ( ٢ : ٢٥٣ ) :

ركّاب أهوال الملو ك، مناوياً سبل الرواعدْ

وركب الهول : من استعارات العرب الجميلة . قال تأبط شراً ( شرح الحماسة للمرزوقي ٢ : ٨٣٣ ) :

يركبُ الهول وحيداً ولا يصـ ـحبـه إلا اليماني الأفـل (١)

ولكني توقفت عند قوله : « ركّاب أهوال الملوك » ، وقوله : « مناوياً » ، ورجحت أن تكون الرواية :

ركّاب أعـواد الملو كِ ، مبارياً سَبَلَ الرواعدْ

وصفه بالإمارة ، والسخاء . وأعواد الملوك : هي المنابر . وهذا المعنى ردده بشار في شعره ، قال يمدح سليمان بن داود الهاشمي ( ١ : ٢٣٦ ) :

ركّاب هول ، وأعواد لملكة ضراب أسباب همٍّ حين يلتهبُ

وقال في مديح خداش وآل بيته من المهالبة ( ٢ : ٦٠ ) :

رُكُبٌ لعيـدان الملو ك ، عن المكارم غيرُ راتِهْ

وقال في مديح سفيح بن عمرو ( ٣ : ١٣٢ ) :

وركّاب أعواد المنابر لا ينِي خليفة ملك للصعاليـك أوحدا

٨٣ - وقال بشار في مديح روح وتغلبه على قلعة ورزن (٢:٢٥٤):

وتركت قلعة ورزنٍ كمسارب البقر الروائدْ

قال الشـارح : « قلعة ورزن ، ويقال : ورزين ، من أكبر قرى الري . وكان الممدوح قد فتح الريّ كما علمت من ترجمته » . وكان بشار

---

(١) وقريب من هذه الاستعارة قولهم : ركب الكره ، وركب الموت ، وركب حد السيف . قال الحماسي :

ونركب الكره أحياناً فيفرجه . عنا الحفاظ وأسـياف تواتينا

وقال :

إذا المرء لم تغضب له حين يغضب فوارس إن قيل اركبوا الموت يركبوا

وقال :

ويركب حدّ السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحلُ

( انظر شرح الحماسة للمرزوقي ١ : ١٠٩ ، ٢ : ٦٦٩ ، ٣ : ١٩٢٩ )

قد عرض لقلعة ورزن في قصيدة له أخرى يمدح بها روح بن حاتم . قال ( ١ : ٣٣٨ ) :

وعلى ورزن هجمت المنايا والمنايا في دورهم أسراب[١]

وعلق الشارح على ذلك بقوله : « ورزن : اسم مكان ، ولعله هو المسمى : أرزن ، فأبدلت الهمزة واواً للتخفيف ... » . قلتُ :

أ - الذي رأيتُ في معجم البلدان لياقوت الحموي : « ورزنين [ بنونين ، على صيغة جمع ورزن جمعاً سالماً ] : من أعيان قرى الريّ ، كالمدينة » . ولعل كلمة « ورزن » التي وردت في قول الشارح من خطأ المطبعة .

ب - ورزن موضع غير أرزن .

ج - ذكر الشارح أن الممدوح قد فتح الريّ ؛ وأنه قد ذكر ذلك في ترجمته . ولدى العودة إلى ترجمة الممدوح روح بن حاتم في الديوان ( ١ : ٣٣٢ ) لا نجد إشارة لفتحه الري والذي ذكرته كتب التاريخ والأخبار أن الممدوح شارك في فتح طبرستان حين عصت في أيام المنصور[٢] .

---

(١) قال في اللسان ( هجم ) : « هجم على القوم : انتهى اليهم بغتة ، وهجم عليهم الخيلَ وهجم بها .... يتعدى ولا يتعدى » .

(٢) انظر أخبار روح بن حاتم في كتب التاريخ العامة - كالطبري ٩ : ١٢٨ ( سنة ١٤٢ هـ ، فتحه طبرستان ) ، ٩ : ٣٢٧ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ( سنة ١٥٩ هـ وسنة ١٦٠ هـ ، ولايته السند ) ، ٩ : ٣٤٧ ( سنة ١٦٥ هـ ، ولايته البصرة ) ، ١٠ : ٩ ( سنة ١٦٧ هـ ، كان على صلاة الكوفة واحداثها ) ، ١٠ : ٣٣ ، ٥١ ( سنة ١٧٠ هـ ، وسنة ١٧١ هـ ، ولايته افريقية ) ، ١٠ : ٥٢ ( سنة ١٧٤ هـ ، وفاته ) ، وانظر معجم البلدان - ( طبرستان ) ، وفتوح البلدان للبلاذري ٣٣٠ - ٣٣٤ ( فتح جرجان وطبرستان ونواحيها ) ، ومختصر =

٨٤ — وقال بشار في مديح روح (٢ : ٢٥٥) :

بجؤولة قرعوا العـــلا وبفضل أعمـــام.ووالدْ

جاءت الكلمة « قرعـــوا » بالقاف ، وأرجح أن تكون « فرعوا » بالفاء . قال في الأساس : « وفرع [ الرجلُ ] قومه ، وتفرّعهم : علاهم شرفا ، مثل تذرّاهم » . وقال في اللسان : « فرع فلان فلاناً : علاه . وفرع القومَ وتفرّعهم : فاقهم ، وفرعتُ قومي : أي علوتهم بالشرف أو بالجمال » . وقال بشار في مديح محمد بن أبي العباس السفاح (٣ : ٣٩) :

فرعت قريشاً في أرومتهـا التي يمد يديه دونهـــا كل أصيدا

٨٥ — وقال بشار (٢ : ٢٦٠) :

وثقيلة الأرداف ، مخطفة الحشا مثل الغزالة مقلتين وجيـــدا

قال الشـــارح : « أنث الغزالة التي هي الحيوان ، ولا يعرف تأنيثه في كلام العرب ، إذ الغزالة بالتأنيث هي الشمس ... » . ولكن النقول عن اللغويين تخالف ما أورده الشارح . قال ابن سيده في المخصص (٨ : ٢٢) وهو يتحدث عن أسنان الظباء : « .... فأما أبو زيد [ الأنصاري ] فقال : يقال لولد الظبي حين تلده أمه : غزال ، والأنثى : غزالة ، وجماعه :

---

= البلدان لابن الفقيه : ٣٠٨ ، وتجد ترجمته وأخباره في تهذيب ابن عساكر ٥ : ٣٣٦ ، والبيان المغرب ١ : ٨٤ — ٨٥ ، والحلة السيراء لابن الابار ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ، والاعلام للزركلي ٣ : ٦٣ .

الغزلان » (١) . وقال في اللسان ( غزل ) : « والغزال من الظباء : الشادن قبل الإثناء حين يتحرك ويمشي . وتشبه به الجارية في التشبيب فيذكّر النعتُ والفعلُ على تذكير التشبيه . . . والجمع : غزلة وغزلان مثل غلمة وغلمان ، والأنثى بالهاء [ أي : غزالة ] . . . » . ومن كلمات الزمخشري في الأساس ( جدي ) : « ولها جيد جداية : وهي الغزالة » . وذكر الخفاجي في شرح درة الغواص : ٢٩ ، أن الصفدي أنكر في شرح لامية العجم أن تكون الغزالة مؤنث الغزال ، وقال : لم يسمع إلا بمعنى الشمس ، وردّه الدماميني ، وأورد له شواهد .

٨٦ – قال بشار ( ٢ : ٢٦١ ) :

ألا من لصبٍّ عازبِ النوم ساهد ومن لمحبٍّ مُثْبَتٍ للعوائد

قال الشارح : « مثبت ، بفتح الباء الموحدة : اسم مفعول من : أثبته إذا قتله » . وهذا التفسير لا يلائم معنى بيت بشار ، ولا تساعد عليه كتب اللغة . ولعله سهو من الشارح . قال في اللسان ( ثبت ) : « وأثبته السقمُ : إذا لم يفارقه ، . . . . والمُثْبَتُ : الذي ثقل فلم يبرح الفراش ، والثِّباتُ : سير يشدّ به الرحل ، . . . ورجلٌ مُثْبَتٌ : مشدود بالثبات ، . . . وفي حديث مشورة قريش في أمر النبي ﷺ ، قال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ، وفي حديث أبي قتادة : فطعنته

(١) كنت اطالع بآخرة كتاب الفرق لثابت بن أبي ثابت ( ط . الرباط ، بتحقيق الأستاذ محمد الفاسي ، ١٩٧٣ ) فوجدت فيه ( ص : ٨٩ ) : « ويقال له : غزال ، والأنثى : غزالة ، من حين تلده أمه إلى أن يبوع بَوْعا . وبَوْعُه : سعيه » .

فأثبته : أي حبسته وجعلته ثابتاً في مكانه لا يفارقه . وأثبت فلان ( بالبناء لما لم يسمّ فاعله ) ، فهو مُثْبت : إذا اشتدت به علته ، أو أثبتته جراحة فلم يتحرك . وقوله تعالى : ( ليثبتوك ) [ سورة الأنفال ، آ : ٣٠ ] : أي يجرحوك جراحة لا تقوم معها » .

وترددت كلمة : « مثبت » في أشعار بشار بما يلائم هذه المعاني التي أوردها اللغويون . قال بشار ينسب بعبدة ( ١ : ٢٢٠ ) :

أعبيد ، قد أثبته بهوىً في مضمر الأحشاء لاهبُه

وقال بشار يخاطب فؤاده ( ٣ : ٢٣ ) :

أقول لمثبت وبه حَراكٌ ولا يسمّح بانقياد

وقال يخاطب كاعباً وخريدا ( ٣ : ١٤٣ ) :

أطلقا ، يا هديتا ، عن أسيرٍ مُثْبَتٍ من هواكما في قيودِ

وكان تفسير الشارح لمعنى : « أثبت » و « مثبت » في البيتين الأول والثاني صحيحاً ، يطابق ما أجمع عليه اللغويون . فسبحان من لا يسهو !

٨٧ — وقال بشار ( ٢ : ٢٧٠ ) :

يادام ، كنت لحاجاتي وصاحبتي حتى اشتكيت وغال النوم تسهيدُ

قال الشارح : « دام : اسم امرأة ، سميت بالفعل ، كما سموا : جلا » . ولعل كلمة « دام » محرفة عن « رام » بالراء المهملة ، منادى مرخم رامة . وهو اسم معروف ، سمّي به العرب ، وورد في شعر بشار ، قال ( ٣ : ١٥٣ ) :

يا رام ، قومي اصبحينا غير تصريد     لا تبخلي ، ليس ذاك البخل كالجودِ

٨٨ — قال بشار في صفة حاله ( ٢ : ٢٨٢ ) :

أقام في بلد حتى بكى ضجرا     من بعضها ، وبكت من بعضه بلدُ

ضبط : « بعضها ... بعضه » بالعين المهملة ، ولعل الصواب أن تكونا بالغين المعجمة . ومثل هذا المعنى أوحى للشاعر الأندلسي أن يقول :

مللت حمص وملتني فلو نطقت     كما نطقت تلاحينا على قدَرِ

٨٩ — قال بشار من قصيدة يمدح بها المهدي وابنه موسى (٢٨٨:٢):

وأنت يا سيد الإسلام سيدهم     وكل دين له من أهله سندُ

ولعل رواية البيت : وأنت يا سند الاسلام ، بالنون ، ليتسق البيت ويتلاءم صدره وقافيته .

٩٠ — وقال في ذكر جند خراسان ( ٢ : ٣٠٣ ) :

لا يفشلون ولا ترجى سقاطتهم     إذا علا زأرُ آساد لآسادِ

والسقاطة ، لا مورد لها في البيت ، ولا توافق نسقه . والصحيح : ولا يُرجى سقاطُهمُ ، قال اللغويون : السقاط ( بوزن كتاب ) : العثرة والزلة ، ويقال : فلان قليل العثار ، ومثله : قليل السقاط . ويقال : ساقَط فلانٌ : إذا لم يلحق ملحق الكرام . قال سويد بن أبي كاهل اليشكري ( المفضليات ١ : ١٩٧ ) :

كيف يرجون سقاطي بعدما     جلّلَ الرأسَ مشيبٌ وصلَعْ

وقال يزيد بن الجهم الهلالي ( شرح المرزوقي على حماسة أبي تمام ٤ : ١٧٣٠ ) :

رجوت سقاطي واعتلالي ونبوتي     وراءكِ عني طالقاً ، وارحلي غدا

وقال جرير ( د : ١٧١ ) :

أبنو قفيرة يبتغون سقاطنا حُشِرتْ وجوهُ بني قفيرة سودا

وقال ذو الرمة في رجزٍ له :

لا يُتَشَكَّى منِّيَ السقاطُ

٩١ — قال بشار في فتنة المقنع ، وغلبة المهدي عليه (٢ : ٣٠٦):

مثل المقنع في ضرب له سلفوا أذباح أصيد للأبطال صيّادِ

وذكر الشارح أن المقنع ظهر بخراسان في سنة ١٩٥ه ، وهو ، لا شك ، خطأ مطبعي صحته : ١٥٩ ه ، تبعاً لما أورده ابن الأثير في الكامل .

٩٢ — قال بشار يمدح المهدي ويشيد بما قام به أبوه المنصور وعمه السفاح من توطيد الملك لبني العباس . ( ٢ : ٣٠٩ ) :

قاما بما بين يعبور إلى مسبل مستضلعين بتُبّاع وقُوّادِ

واستظهر الشارح أن تكون كلمة « يعبور » ، بياء تحتية ، وعين مهملة ، اسم بلد من أقصى بلاد الاسلام في تلك الأزمان . وقد رأيت أن أعرض الشواهد التي جاء بها الشارح ، وأضم إليها شواهد أخرى ، وأضع ذلك كله أمام القارىء الكريم ، لأني لم يتح لي أن أقطع برأي .

قال بشار يهجو حماداً في بيت اعتوره التحريف ( ٣ : ٢٩٩ ) :

ضعضعت حبة جلده بقصيدة وردت قريش دونها يعبورُ

وقال بشار ينوه بشعره ( الأغاني ٣ : ٢٤١ ) :

وقد ملأت البلاد ما بين يغـ ـبور إلى القيروان فاليمنِ

وقد أصلح محقق الأغاني كلمة « يغبور » فجعلها « فغفور » . وقال هارون مولى الأزد شاعر المولتان ( الحيوان ٧ : ١٨٠ ) :

قد كنتُ صعّدت عن بُغبور مغترباً     حتى لقيتُ بها حلف الندى حكما

وذكر المحقق أن مخطوطتي : ط ، ه روتا الكلمة « يعبور » بالياء المثناة التحتية والعين المهملة . وقال الفرزدق يهجو عبد الرحمن بن الأشعث الذي فر عقيب الثورة على الحجاج ، إلى بلاد الترك ، يهزأ منه ومن زوجه ( الديوان ١ : ٢٩٩ ) :

تؤامرها في الهند أن تلحقا بهم     وبالصين صين استان أو ترك بغبرا

وضبطت « بغبرا » في مخطوطة أيا صوفيا بفتح الباء الموحدة الأولى وسكون الغين المعجمة وضم الباء الموحدة الثانية ولم يعقب عليها شارح الديوان بشيء . وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي وهو يتحدث عن الصين : « قال ابن الكلبي عن الشرقي : سميت الصين بصين ، وصين وبغر ابنا بغبر بن كماد بن يافث ، ومنه المثل : ما يدري شغر من بغر ، وهما بالمشرق ، وأهلها بين الترك والهند . قال أبو القاسم الزجاجي : سميت بذلك لأن صين بن بغبر بن كماد أول من حلها وسكنها » . وجاء في معجم البلدان ( قرميسين ) : « وبقرميسين الدكان الذي اجتمع عليه ملوك الأرض، منهم : فَغْفُور ملك الصين ، وخاقان ملك الترك ، وداهر ملك الهند ، وقيصر ملك الروم ، عند كسرى ابرويز » . وجاء في تاج العروس ( بغبر ) : « وبُغْبُور ، بالضم ، لقب ملك الصين ، ويقال له : فُغفور أيضاً . وجاء في الآثار الباقية للبيروني : ١٠١ ، « ملوك الصين : بغبور »،

وجاء في كتاب نخبة الدهر لشيخ الربوة : ١٤٩ ، « والقامرون : اسم ملك الملوك ، كما يسمى ملك الصين : بغبور ، وملك الصنف : مهراج ، وملك الهند : قندهار ، وملك الفرس : كسرى ، وملك اليمن : تبّع ، وملك الروم : قيصر ، وملك مصر : فرعون ، وملك الحبشة : نجاشي ، وملك الشام : هرقل ، وملك الفرنج : الباب ، وملك الساحل : البربر ، وملك التتر : الخان » . وجاء في النخبة أيضاً : ٢٤٠ ، « وغانة : اسم علم على كل من يملك هذا الصقع ، كما يطلق البغبور : على من يملك الصين ، وقاقان : على من يملك الترك » . وقال المعري في رسالة الغفران (ص:٢٠٢) على لسان الجني أبي هدرش الخيثعور ، أحد بني الشيصبان :

وكنت آلف من أتراب قرطبة خوداً ، وبالصين أخرى بنت يغبورا

هذه جملة النصوص والشواهد ، ولعلنا لا نبعد عن الصواب إذا قلنا أن الكلمة « بغبر ، أو : بغبور » تعني الأرض المترامية الأطراف فيما وراء النهر ، التي تضم سمرقند وبخارى حتى تبلغ تخوم الصين ، ومن هنا جاز للشعراء أن يضيفوها إلى الترك تارة وإلى الصين تارة أخرى . بل إن هذه الكلمة تتضمن الدلالة على الأرض تارة ، وعلى مليكها تارة أخرى .

٩٣ — وقال يهجو أبا هشام الباهلي ( ٢ : ٣٢١ ) :

يا عبد باهلة ابتليت بحية فتركت طاعتنا ، ورحت تهدد

وكان يصح قوله : « ابتليت بحية » لو كان مراد الشاعر أن يصف نفسه بالحية التي لا يقام لها ، والتي تنال بأذاها أبا هشام المهجو . وهو معنى مألوف طرقه القدماء ، ووصفوا به أنفسهم مفاخرين ، مدلّين ،

وأضفوه على ممدوحيهم يشيدون بشجاعتهم ، وقهرهم الأعداء ، وردده بشار نفسه في شعره . قال جرير ( د : ١٤٠ ) :

ما ظنكم ببني ميثـــاء أن فزعوا ليلًا ، وشدَّ عليهم حيـــةُ الوادي

وقال بشار يمدح المهدي وولي عهده موسى فشبه أحدهما بالأسد والثاني بالحية ( ٢ : ٣٠٨ ) :

بين الإمام وموسى لامرىء شرف هذا الهمامُ وهذا حيـــةُ الوادى

وقال ( ٣ : ٩٦ ) :

تخـدم أقواماً وخليتني وقد تراني حيـة الوادي

ولكن سياق البيت وما يليه يدل على أن الشاعر يتعجب لاقدام أبي هشام على هجائه ، ولجرأته أن يتعرض له ، وهو لا يصدق أن يقدم على ما أقدم عليه ، وهو بتمام عقله ، ولذلك فهو يقول له : « ابتليت بجنة » ( بالجيم المكسورة والنون المشددة ) .

٩٤ – وقال في هجاء أبي هشام ( ٢ : ٣٢١ ) :

وكذاك عبـد السوء يشتم ربه سفهاً، ولكن هل تجاب الأعبد ؟

ضبط « الســوء » بضم الســين ، والصواب فتحها . جاء في التـاج : « ورجلُ سَوءٍ بالفتح ( فتح السين ) ، أي يعمل عمل سَوْءٍ ، وإذا عرفته وصفت به ، تقول : هذا رجل سَوْءٍ ، بالإضافة ، وتدخل عليه الألف واللام فتقول : هذا رجلُ السَّوْء ، بالفتـح والاضافـة ... ولا يقال : هذا رجل الســوء بضم الســـين .... وإذا عرفت قلت : هذا الرجلُ السَّوْءُ ، ولم تضف » .

٩٥ – قال بشار يفتخر ( ٢ : ٣٢١ ) :

تجري من الذهب المصنم راحتي كرماً ، وناري باليفاع توقَّدُ

وفسر الشارح « المصنم » بالنون ، بأنه المرسوم عليه صورة الصنم .
وأميل إلى أن تكون الكلمة : « المصتم » بالتاء المثناة من فوق . قال في اللسان : « ألف مصتم : متمم ، وألف صتم : أي تام . ومال صتم : تام ، وأموال صُتْم . . . وأعطيته ألفاً صَتْماً ومصتماً . قال زهير :

. . . . . . . صحيحات ألفٍ بعد ألف مصتَّم[1] » .

وقال ذو الرمة :

يعوّضه الألوفَ مصتّماتٍ ... مع البيض الكواعب والحلالا

وقال بشار ( ١ : ٣٣٠ ):

أعطى من الصتم والولائد والـ ... عُبدان حتى حسبته لعبا

وهذا الذي اخترته هو أحد وجهين اقترحهما المراجعان .

٩٦ ـ قال بشار في هجاء الباهلي ( ٢ : ٣٢٢ ) :

مولاك أرقب من ربيعة عامر ... . . . . . .

فذكر الشارح أن ربيعة عامر هم بنو ربيعة بن عامر بن عقيل ، وهو حصر لا دليل عليه ، فقد يكون المقصود :

ربيعة بن عامر بن صعصعة . ( وهو ماترجحه لولاء بشار فيهم ) . .

أو ربيعة البكاء بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

إلى جانب ما ذكره الشارح نفسه ( انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ) .

٩٧ ـ وقال في الهجاء ( ٢ : ٣٢٢ ) :

---

(١) البيت بتمامه في معلقة زهير :

فكلاً أراهم أصبحوا يعقلونه ... صحيحات ألف بعد ألف مصتَّم

فتركت عقر قناتكم عند امرىء — جمح الشبابُ به الأنيقُ الأغيدُ

وقال ( ٢ : ٣٢٣ ) :

يا عبد باهلة الذي لزم الخنا — وأضاع عقر قناته لا تسعدُ

ضبطت « القناة » ، بالقاف والنون في البيتين ، وأجهـد الشارح نفسه في تفسيرها . وأرى أن صحتها في الموضعين : « الفتاة » ، بالفاء والتاء المثناة من فوق : عقر فتاتكم . . . . عقر فتاته .

إن بشاراً يرميهم بالفاحشة والذل ، وأن نساءهم تغتصب ، قال في اللسان : « العُقْر ، بالضم : ما تعطاه المرأة على وطء الشبهة ، . . . . وقال أحمد بن حنبل : العقر : المهر ، وقال ابن المظفر : عقر المرأة : دية فرجها إذا غصبت فرجها . . . . وقال الجوهري : هو مهر المرأة إذا وطئت على شبهة ، فسماه مهرا » . فبشار يهجوهم هجاء بذيئاً يذكّر بهجاء جرير الفرزدق في مثل قوله ( النقائض : ٣٤١ ) :

نام الفرزدقُ عن نوارَ كنومه — عن عُقْرِ جِعْثِنَ ليلة الإخفارِ

وقوله ( النقائض : ٥٩٣ ):

وما قَصَدَتْ في عُقْرِ جعثن منقرٌ — ولكن تعدوا في النكاح وأسرفوا

. . . . . . — فضُيّع فيها عُقرها المتردَّفُ

وقوله ( النقائض : ٥٩٦ ):

وما منع الأقيانُ عُقْر فتاتهم — . . . . . .

وقوله ( النقائض : ٧٠٨ ) :

أتمدح سعداً بعد أسلاب جاركم — وجرّ فتاةٍ عُقْرُها لم يُحلَّلِ

وقوله ( النقائض : ٧٧٨ ):

نسيتم عُقر جعثن واحتبيتم ألا تبّاً لفخرك بالحُبــاة

وقوله ( النقائض : ٨٤٥ ) :

هلا طلبت بعُقر جعثن منقراً وبجرّها ، وتركتَ ذكر الأبلق

وقوله ( النقائض : ٩٣٦ ):

أخزى بني وقبان عقرُ فتاتهم واغترّ جارهم بحبل غرور

وقد أعاد بشار القول في هجاء باهلة وبني زيد فقال ( ٣ : ٨٦ ).

بل افتُرعت منهم فتاةٌ وسيطةٌ فمـا قدحوا في عُقرها بزنادِ

٩٨ – يذكر الشارح أن قصيدة بشار التي مطلعها ( ٢ : ٣٢٦ ) :

أنّى شبابُك قد مضى محمودا ودع الغواني إن اردن صدودا

هي في مديح قتيبة بن مسلم الباهلي وآله وذكر مواقعه ، ولعل الصواب أن يقال : هي في مديح سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي ، والاشادة بأبيه قتيبة ، وآله من سراة بني الحصين .

٩٩ – وقال بشار يصف نحر المرأة ( ٢ : ٣٢٩ ) :

وكفى بمضطرب العقود ، فانه نحـر يزين زبرجداً وفريدا

ضبط « مضطرب » بكسر الراء ، والصواب : فتحها . لأنهـا صيغة اسم المكان ، فالشاعر يتحدث عن نحر محبوبته الذي تضطرب عليه العقود وتتحرك ، لا عن العقود المضطربة فيصحّ كسر الراء .

١٠٠ – وقال بشار يتحدث عن معارك أبي حفص قتيبة بن مسلم الباهلي أبي الممدوح ( ٢ : ٣٣٥ ) :

قاد الجنود من البصيرة للعدا حتى وقعن بصين ثغر قُودا

خيلًا مخففة ، وخيلاً حُسراً لا يعتلجن مع الشكائم عودا

وكلمة « الجنود » في صدر البيت الأول محرفة عن « الخيول » ( بالخاء المعجمة والياء المثناة من تحت ) ، يدل على ذلك قوله : « وقعن ... قودا » في العجز ، فنون النسوة التي أسند اليها الفعل وقع ، لا يصح أن تكون ضمير الجنود ، والقود : من صفات الخيل لا الجنود . وبهذا التصحيح يستقيم مطلع البيت الثاني :

خيلًا . . . . وخيلاً حسرا . . . . . . .

لأنها بدل من الخيول التي وردت في البيت الأول .

— وكلمة « ثغر » ( بالثاء المثلثة والغين المعجمة ) في البيت الأول ، في النفس منها شيء ، ويخيّل إليّ أنها محرفة عن كلمة « بغر » أو « بغبر » ، انظر ما سبق ( رقم ٩٢ ) .

— أما البيت الثاني ففي شطره الأول تصحيف ، وصحته :

خيلًا مجففة ، وخيلًا حسرا . . . . . . .

قال في اللسان : « فرس مجفف : عليه تجفاف . وتجفيف الفرس : أن تلبسه التجفاف الذي يوضع على الخيل من حديد أو غيره في الحرب » . وفي الاساس : « جفف أهل الحروب : صنعوا التجافيف » وفي تاريخ الطبري ( ٥ : ٣٤٤ ) : « وإن معه لمجففة أمامه » . وبذلك يتألق معنى بشار الذي يصف به قوة القائد العظيم فاتح بلاد الترك ، وحسن تأهبه للقاء اعدائه ، وتتم له الصنعة الجميلة التي كان يزين بها أشعاره .

١٠١ — وقال يصف خيل قتيبة بن مسلم وما أنزلته بالأعداء (٢ : ٣٣٦) :

ومنعن خاقان المسارح ، فانثنى عجلا ، يشلُّ سوامه مزؤودا

والمعنى واضح لا غموض فيه ، فقد تغلب جند قتيبة على أرض خاقان الترك ، ومضى خاقان مهزوماً يطرد السائمة ، والمال الراعي ، خائفاً يبتغي النجاة. وقد رأى الشارح أن تغير المسارح إلى المسالح، باللام بدل الراء، ولا حاجة لهذا التغيير ، لأنه يفسد المعنى ، ويبدل الفكرة . وما في الديوان صحيح مستقيم ، يتسق ومقصد الشاعر وغايته ، ويلائم بقية الأبيات . قال في اللسان : « السرح : المال يسام في المرعى ، من الأنعام . والمسرح ، بفتح الميم ، مرعى السرح ، وجمعه المسارح . سرحت الماشيةُ ؛ وسرحها هو : أسامها . يتعدى ولا يتعدى » . والسوام يرعى المسارح ولا صلة له بالمسالح .

— بقي أن ننبه إلى خطأ مطبعي فقد ضبطت المسارح بالكسر ، وصوابه النصب على أنه مفعول به ثان لمنع .

١٠٢ — وقال بشار (٢ : ٣٣٧) :

وأبو قتيبة في الكريهة مثلُه أسد يرشح للقاء أسودا

فقال الشارح : « أبو قتيبة ، هو مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي » . والحق أن الشاعر يمدح بهذا البيت : سلم بن قتيبة ، ممدوحه ، فبعد أن أطال في وصف مناقب أبيه قتيبة فاتح بلاد الترك عطف على ابنه الممدوح ليجعله ندّ أبيه ونظيره في الشجاعة واللقاء . وإن كتب التراجم والأخبار تؤيد ماذهبنا إليه ، جاء في كتاب المعارف لابن قتيبة :

« قتيبة بن مسلم الباهلي ويكنى أبا حفص - هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين ... من باهلة .

وكان مسلم بن عمرو [ يعني أبا قتيبة ] عظيم القدر عند يزيد بن معاوية ، ويكنى أبا صالح ...

... فأما سلم [ بن قتيبة بن مسلم ] فولي البصرة مرتين : مرة لابن هبيرة ، ومرة لأبي جعفر [ المنصور ] ، وكان سيد قومه ، ومات بالري . وكنيته أبو قتيبة » .



- للبحث صلة - شاكر الفحام

# مسالك النقد اللغوي

## المصدر الصناعي

الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي

المصدر الصناعي ، كما أسمي عند المتأخرين ومجمع اللغة العربية في القاهرة ، هو اسم المعنى الذي صيغ من الكلمة بإضافة ياء النسبة وتاء النقل ، للدلالة على معنى المصدر وحقيقته المطلقة — دون حدثه — أو التعبير عن الحال والهيئة الحاصلة بالمصدر : كالخصوصية والوحدانية والكمية والكيفية والإنسانية والحيوانية والفاعلية والمفعولية . وجاء في مجلة المجمع القاهري ( ١ / ٢١٥ ) : ( إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء ) .

وقد عرضنا في كتابنا ( أخطاؤنا في الصحف والدواوين ) المطبوع عام ١٩٣٩ للمصدر الصناعي في ردّنا على من عاب استعمال لفظ ( المسؤولية ) ،

فذكرنا أن قياسه يعتمد على ماجاء منه عن العرب ، كالعبدية والعبودية والحرية ، والحرورية واللصوصية والخصوصية ، بفتح الأول وضمه في الألفاظ

الثلاثة ، والوحدانية والربوبية ... وقد حكي عنهم ( المولوية ) صفة المولى ، و ( الأوليّة ) صفة الأول ، كما روي ( الألمعية والأريحية ) . قال ابن سيده في المخصص ( وشيخ بين الشيخوخية .. ) وقال ( .. ووليدة بيّنة الولادة والوليدية ) ، وجاء في التاج ( الوُلودية ) وحُكي فيها ضم الواو وفتحها . فكان بطرد ذلك والقياس عليه ما لا يحصيه عدّ من مصطلحات الفلسفة ومواضعات مختلف العلوم .

وقد بحث هذا المرحوم الأب أنستاس ماري الكرملي في مجلة مجمع اللغة العربية لآذار ونيسان من عام ١٩٣٧ . فاعتلّ لقياس صياغته بما جاء في شرح ديوان المتنبي للعكبري ، حول انتقاد سيف الدولة بعض أبيات المتنبي ، وقول المتنبي : ( والحائك يعرف جملته وتفاريقه ، لأنه هو الذي أخرجه من الغزليّة إلى الثوبيّة ) . إذ صاغ الشاعر ( الغزلية والثوبية )، وقد خلت منها المعاجم ، فدل بهما على حال الثوب وحقيقته وهو ( غزل) قبل أن ينسج ، والهيئة الحاصلة له بعد النسج .

وقال ابن جني في سر الصناعة ( ١/١٨٧ ) : ( وكذلك تاء تجفاف ، لولا الاشتقاق لوجب القضاء بأصليّتها )، فصاغ ( الأصليّة ) من الأصل، كما صاغ المتنبي ( الثوبية والغزلية ) من الثوب والغزل .

وجاء في نهج البلاغة ( ١/١٩٤ ) : ( الأول قبل كل أول ، والآخر بعد كل آخر ، بأوليته وجب أن لا أول له ، وبآخريته ، أن لا آخر له ) . فجاء بـ ( الآخريّة ) على قياس ( الأوّليّة ) .

وجاء فيه (٢/٨١ ) : ( ليس لأوليّته ابتداء ولا لأزليّته انقضاء . هو الأول لم يزل ، والباقي بلا أجل ) . فكأنه يشير إلى أن ( الأزلية)

اسم مصدر من قولك ( لم يزل ) . قال الجوهري في صحاحه ( الأَزَلُ بالتحريك القِدم ، يقال للقديم أزلي ، ذكر بعض أهل العلم أن أصل الكلمة قولهم للقديم لم يزل ، ثم نسب إلى هذا فلم يستقم إلا باختصار ، فقالوا : يَزَلِيّ ، ثم أبدلت الياء ألفاً لأنها أخف ، فقالوا : أزلي ، كما قالوا في الرمح المنسوب إلى ذي يزن أزَنيّ ) .

وفي نهج البلاغة أيضاً ( ٢/١٤٥ ) : ( ولا يوصف بشيء من الأجزاء ولا بالجوارح والأعضاء ولا بالغيرية والأبعاض ) فأتى بـ ( الغيريّة ) اسم مصدر من ( الغير ) .

هذا وقد استعمل الامام أبو علي المرزوقي في كتابه ( شرح ديوان الحماسة ) : ( الفتيانيّة ) ، وهو اسم مصدر صناعي من ( فتيان ) . وفتيان اسم قبيلة والنسبة إليه ( فتياني ) . قال صاحب التاج ( بنو فتيان أيضاً قبيلة منها أشجع ، وهو فتيان بن سبع بن بكر بن أشجع ) ، وأردف : ( وفي بيت المقدس جماعة يعرفون بالفتيانيين ، فلا أدري أهم من بجيلة أو أشجع ، أو نسبوا إلى جدّ لهم يقال له فتيان ) .

وجاء في شرح الحماسة للمرزوقي ( وقال آخر :

أفي الحق أني مغرم بـك هائم ... وأنـك لا خلّ هواك ولا خمر
فإن كنت مطبوباً فلا زلت هكذا ... وإن كنت مسحوراً فلا برَأَ السحر )

قال المرزوقي : ( وهو مطبوب أي مسحور ، ومعنى البيت : إن كان الذي بي وأقاسيه داءً معلوماً يعرف دواؤه ، فلا فارقني فإني التذّ به ، وهذا هو : الفتيانية ، والهوى والتجلد على البلاء ) .

فتبين بهذا أنه قصد بـ ( الفتيانية ) : ذهاب المحب على وجهه ، عند

غلبة الهوى عليه ، وصبره على المعاناة مهما اشتدت به الحرقة وبرح به السقم. ويبدو أنه اشتهر من ( الفتيانيين ) من عوف بذلك فذهب أمره مثلاً . وقد تحمل ( الفتيانية ) على أنها نسبة إلى ( فتيان ) جمع ( فتى ) ، كما ذهب بعض الأئمة إلى استعمال ( الصبيانية ) نسبة إلى ( صبيان ) جمع ( صبي ) ، ولا يخفى أن الكوفيين قد أجازوا النسبة إلى الجمع . قال أبو منصور الثعالبي في فقه اللغة ( ٢٨١ ) : ( فإن مد يده نحو الشيء كما يمد الصبيان أيديهم إذا لعبوا بالجوز فرموا به في الحفرة فهو السّدْو . والزّدْو لغة صبيانية في السّدو ) . قال المرحوم الدكتور مصطفى جواد في كتابه ( المباحث اللغوية في العراق ) : ( قال صبيانية لأنها مختصة بجموع الصبيان ، ولم يقل صبوية ) . والرأي عندي أن ينسب إلى الجمع كلما كانت النسبة إليه انهض بالمعنى المراد ، وألصق بالدلالة المعنية .

وما أظن المرزوقي أراد النسبة إلى الجمع ، وإنما أراد الاضافة إلى اسم المتلَم ، ولو نسب إلى الجمع لأشار إليه واعتل له ، كما هو مذهبه .

وقد عاب الأب الكرملي على مجمع القاهرة تسمية الصيغة بـ ( المصدر الصناعي ) فآثر عليها ( المصدر المصنوع أو الموضوع أو المصوغ ) . ثم أخذ على المجمع قوله : ( إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء ) ، فقال : ( وتسمى تلك الياء ياء المصدر ولا تقل ياء النسب ، فإذا تم ذلك سميت الكلمة بالمصدر اليائي ، وسمي كذلك لاختتامه بالياء المذكورة ، وهي التسمية التي جرى عليها أصحاب الفن ) .

وانتقد الدكتور مصطفى جواد على مجمع القاهرة تسمية الصيغة بالمصدر فقال : ( قلت إن تسميته بالمصدر غير صحيحة لأن المصدر يعمل في

الاعراب كعمل فعله ، وهذا لا يعمل ولا فعل له في الغالب ، كالانسانية والجاهلية . والتحقيق أنه اسم يائي أو اسم نسبي أو اسم صناعي ، وكل هذه الأسماء الثلاثة تصح عليه ، دون اسم المصدر الصناعي ، ثم إن لفظ الصناعي في العصر الحاضر اختص بالصناعة الحديثة ) .

والرأي عندي ما سبق إلى بيانه المرحوم الشيخ أحمد الاسكندري في مجلة المجمع القاهري ( ٢١٤/١ ) ، إذ قال : ( ويظهر أن تسمية هذه المصادر بالنظائر عند أوائل النحاة ، كما يقول ابن سيده ، لم تشتهر عند المتأخرين وأهل زماننا ، فسماه بعضهم بالمصدر الصناعي وذاعت هذه التسمية. إذ لو سمي بالمصدر اليائي لم يُفد المراد لأنه لم يتكون بزيادة الياء وحدها ، بل بزيادتها مع تاء النقل مجموعتين . وأيضاً فإن قولنا المصدر اليائي يوهم أن المراد اليائي المقابل الواوي . ولا غبار على تسميته بالمصدر الصناعي ، أي المنسوب إلى الصناعة من ناحية من نواحيها ، فهي بمعنى المصنوع ، فيكون نظير قولهم المصدر القياسي ، بمعنى المقيس ، والمصدر السماعي ، بمعنى المسموع ) .

على أني أستحب على ( المصدر الصناعي ) : ( اسم المصدر الصناعي ) . فإذا كان بعض الأئمة قد أسمى هذه المصادر بـ ( النظائر ) كما نقله الشيخ أحمد الاسكندري عن ابن سيده ، فقد أسماها آخرون بـ ( أسماء المصادر ) أيضاً . قال صاحب المزهر ( ١١٣/٢ ) : ( وقال أبو عبيد في الغريب المصنف : باب أسماء المصادر التي لا يشتق منها أفعال ، هو رجل بيّن الرجولة ، وراجل بيّن الرجلة ، وحر بين الحرية والحرورية . . وعربي بين العروبية ، وعبد بيّن العبودة والعبودية ) . ويعضد هذا ويسدده أن

الأئمة قد اصطلحت على تسمية اسم المعنى الذي يدل على الحال أو الهيئة الحاصلة بفعل المصدر بـ ( اسم المصدر ) ، كما أسمت اسم المعنى الذي ليس له فعل يجري عليه بـ ( اسم المصدر ) أيضاً . ففي الجاسوس على القاموس : ( الفرق بين المصدر والاسم أن المصدر يتضمن معنى الفعل فينصبه مثله ، والاسم هو الحال التي حصلت من الفعل .. ) . وقال ابن الحاجب في أماليه ، على ما حكاه السيوطي في الأشباه والنظائر ( ٢/١٨٥ ) : ( اسم المصدر هو اسم المعنى ، وليس له فعل يجري عليه ) . فتبين بهذا أن قولنا ( اسم المصدر الصناعي ) أسوغ من ( المصدر الصناعي ) وألصق بما يتميز به ( المصدر ) من ( اسمه ) . ففي التاج : ( ويقال الخصوصية والخصية والخاصة : أسماء مصادر ) . وفي اللسان ( والاسم : الخَصوصية والخُصوصية والخصية والخاصة والخصيصَى ، وهي تمد وتقصر ) .

أما قول الأب الكرملي أن الياء المزيدة في ( اسم المصدر الصناعي) هي ياء المصدرية ، لا ياء النسب ، فإنه أمر اعتباري . ذلك أن أكثر أسماء المصادر الصناعية قد تحولت في الأصل عن أسماء منسوبة أنزلت منزلة الصفات المشتقة الدلالة على حال الموصوف وهيئته واستعملت كذلك ، نحو قولك : ( هو إنساني أو حيواني أو كمي أو كيفي أو جزئي أو كلي ). فاذا أريد التعبير بها عن جوهر حال الموصوف ومجرد حقيقته ، أحيل الوصف إلى اسم مصدر صناعي ، بإلحاق تاء النقل من الوصفية إلى الاسمية ، نحو قولك ( الانسانيـة أو الحيوانية أو الكمية أو الكيفية أو الجزئية أو الكلية ) . فحق بهذا أن تسمي الياء ياء النسب ، وعليه قول الأئمة . قال ابن سيده ( فأما النظائر عندهم فما جرى على وجه النسب ) . وقـال

صاحب الكليات ( والكيفية اسم لما يجاب به عن السؤال بكيف ، أخذ من كيف بإلحاق ياء النسبة وتاء النقل من الوصفية إلى الاسمية ، كما أن الكمية اسم لما يجاب به عن السؤال بكم . بإلحاق ذلك أيضاً ) .

على أن لك أن تسمي ( الياء ) ياء المصدرية إذا كان الأصل الذي تحوّل عنه اسم المصدر الصناعي صفة مشتقة كـ ( فَعول وفاعل ومفعول ) . ففي التاج ( خصّه الشيء خصوصية بالضم والفتح أفصح .. ثم قالوا : الياء فيها إذا فتحت للنسبة ، فهي ياء المصدرية كالفاعلية والمفعولية ، بناء على خَصوص ، فعول ، للمبالغة في التخصيص ) . أي أن فتح الأول في ( خصوصيّة ) يجعله على زنة ( فَعول ) التي للمبالغة ، فإذا لحقتها الياء المشددة فهي ياء المصدرية ، لأنها أحالته من معنى الوصف إلى معنى المصدر . قال صاحب الكليات ( والخَصوصيّة بالفتح أفصح ، وحينئذٍ تكون صفة ، وإلحاق الياء المصدرية لكون المعنى على المصدرية والتاء للمبالغة ) وعليه صاحب الفروق .

فإذا ضُمّت الخاء كانت على ( فُعول ) ، وهي زنة لمصدر ، فإذا لحقت بها الياء المشددة ، كانت ياء النسبة لأنها أحالت المصدر إلى اسم منسوب بمعنى الوصف المشتق . قال صاحب الكليات ( وإذا ضُمّ يحتاج إلى أن يجعل المصدر بمعنى الصفة ، والياء للنسبة ، والتاء للمبالغة ) . وعليه صاحب الفروق .

وشيء آخر : فقد قال الشيخ أحمد الاسكندري بعد حكاية ابن سيده : ( وأنت تراه قد نقل عن أوائل النحاة تسمية هذه الهيئات والأحوال المصدرية باسم النظائر ، وأن هذه الأحوال عبّر عن معناها بزيادة ياء النسب على المصادر الأصلية ، وتراه يقول : هذا غير مستعمل

في لغة العرب ، مع أنه ورد عنهم بضع عشرات من الكلمات سنذكر شيئاً منها ، فلعله يريد أنه نادر الوقوع ، إذ إن العرب لم تكن تريد من هذه المصادر المصنوعة بزيادة الياء والتاء كل ما يريد أرباب التدقيق الفلسفي ) .

وقال الشيخ الاسكندري : ( وتراه لم يتعرض لتكوين اللفظ المصدري من النسبة إلى أسماء الأعيان أو الأسماء المشتقة أو الأسماء التي تؤدي مؤدى الأدوات مثل : كيف وكم ومع . في قولهم الخشبية والذهبية والفاعلية والمفعولية والظرفية والكيفية والكمية ، كما تعرّض لذلك غيره ) .

أقول إن ابن سيده قد قصَر كلامه على إلحاق الياء المشددة والتاء بالمصدر أو اسم المعنى الذي يشبهه ، ولعل هذا ماتعنيه (النظائر) . وقال : ( وهذا غير مستعمل في لغة العرب ) . وكلامه صحيح لا غبار عليه . قال ابن سيده : ( فأما النظائر عندهم فما جرى على وجه النسب ، وهذا غير مستعمل في لغة العرب ، إنما يقولونه بوسيط كقولهم : فعل ذلك على جهة العدل ، وعلى جهة الجور ، وعلى جهة السهو ، وعلى جهة الخير ، وعلى جهة الشر . ولا يقولون : على العدلية ولا على الجورية ولا على الخيرية ولا على الشرّية ) . وحقيقة الأمر أنه لا معنى لالحاق الياء والتاء بالمصدر إذا كنت تبغي معنى المصدر وحسب . فإن اتخاذ ( العدلية ) بمعنى العدل ، و ( الجورية ) بمعنى الجور ، على ما مثل ابن سيده ، غير سائغ ولا متقبل . فالعرب لم تجوِّز به ، واللغة تأباه وتعافه ، ومن ثم لا يسعك إلا استغرابه وقضاء العجب منه ، لأنه عبث لا طائل وراءه . وهذا ما دفع الاسكندري أن يقول ( أو أن العرب لم تكن تريد من هذه المصادر المصنوعة بزيادة الياء والتاء كل ما يريد أرباب التدقيق الفلسفي ) .

لذلك كان الأصل في إلحاق الياء والتاء بالمصدر أو اسم المعنى عامة أن تزيد في معناه شيئاً كالمبالغة مثلاً . وقد صرح الشيخ الاسكندري ، هو نفسه ، بذلك فقال : ( وإذا أريد التعبير عن هذه الأحوال بلفظ الجنس فقط بلا ضميمة أخرى تشير إلى إرادة شيء آخر غير مطلق الحدث أو ذات العين ، تخلّف التعبير أحياناً عن إفادة المعنى الزائد على مطلق الحقيقة ) . وهو كلام ظاهر الاستقامة . فإذا أحلت المصدر الأصلي مثلاً ، إلى اسم مصدر صناعي، فأنت تفعل ذلك ابتغاء زيادة في معناه أو خصوصية في دلالته ، وهذا أسلك في طريقة العربية ، بل هذا هو خاص اللغة وسرّها .

فـ ( الانتاج ) مثلاً مصدر . فإذا أحلته إلى اسم مصدر صناعي فقلت ( الانتاجية ) كما يقولونه اليوم ، فلا بد أنك قد أردت به شيئاً آخر لا يمكن التعبير عنه بمجرد لفظ ( الانتاج ) . كأن تعني به مثلاً : ( خصب الانتاج ) أو ( قوته وشدته ) أو ( مبلغه ) أو نحو ذلك . فإذا قال العرب ( فعلت هذا على جهة العدل ) ولم يقولوا ( العدلية ) فقد أصابوا وجه الرأي لأنهم لا يريدون بقولهم غير المعنى المصدري وحسب ، فلا حاجة بهم إلى صوغ اسم مصدر يعني معناه ويُغني مغناه .

أما قول الشيخ الاسكندري ( وإذا أريد التعبير عن الأحوال بلفظ الجنس فقط بلا ضميمة أخرى تشير إلى زيادة شيء آخر غير مطلق الحدث أو ذات العين ) ، فلا ينبغي أن يراد بـ ( مطلق الحدث ) فيه : إيقاع الفعل . ذلك أن اسم المصدر الصناعي لا يُبتغى به إيقاع الفعل ، كما يقصد بالمصدر ، وإنما يراد به مطلق معناه مجرّداً عن الحدث ، مع زيادة .

وإذا كانت ( الخصوصية ) بضم الخاء قد تحولت من المصدر أي

( الخصوص ) إلى اسم المصدر الصناعي بإلحاق الياء والتاء ، فلا شك أنها غدت تدل على معنى ( الخصوص ) وزيادة . وقد أشار الأئمة إلى هذا حين قالوا : التاء فيه للمبالغة ، ذلك ما قالوه في توجيهه .

هذا وقد منع الدكتور مصطفى جواد في كتابه ( دراسات في فلسفة النحو والصرف ) صياغة اسم المصدر الصناعي من ( الحياة ) فقال : ( أما الحياة فاسم غير مستغرق في الإسمية ، فيجب أن يستعمل على حاله الأصلية ، إذا أريد به حاق معناه الأصلي ، وإذا أريد غير ذلك جيء بالاسم الدال على التعبير ونسب إلى الحياة فيقال : القوة الحيوية للغة ) والجواب عن ذلك أننا إذا أردنا مجرد المعنى المصدري غير وقوع الحدث ، لم نقل ( الحيويّة ) . لكن إذا ابتغينا أن نجمع إلى الدلالة على حال الحياة ، طبيعتها وجوهرها ، من حيث استمرار حركتها وتدفق أحداثها وتجدد صورها ، قلنا ( الحيوية ) وكلما ابتغينا مثل هذه ( الزيادة ) من معنى المصدر ، لحاجة في التعبير ، كان لنا أن نصوغ منه اسم المصدر الصناعي . فقد قال الكتاب ( اتفاقية ) اسم مصدر صناعي من ( الاتفاق )، وعنوا به ( العُهدة أو العهد أو العقد ) فزادوا في معنى ( الاتفاق ) . و ( العُهدة ) كما قال ابن سيده في المخصص ( .. كتاب العهد والشراء ، والعقد العهد والجمع عقود ) ! وقد رد الأستاذ محمد العدناني ( صاحب معجم الأخطاء الشائعة ) على من عاب ( الاتفاقية ) ، فاحتج بأنه ( مصدر صناعي ) واستدل بما جاء في الجزء الأول من مجلة المجمع القاهري حول قياسه ، ولكنه لم يعرض لفرق مابين (الاتفاق) مصدراً ، و (الاتفاقية) اسم مصدر صناعي ، من معنى ، وهو فرق ليس منه بد ولا عنه منصرف، لجواز هذه

الصيغة من المصدر . ستقول : ألم يأت الكتاب بـ ( الاتفاق ) اسماً ويستعملوه فيما استعملوا فيه ( الاتفاقية ) وينزلوه منزلته ؟ قلت نعم ، وهُوَ مِنْ قبيل ( التسمية بالمصدر ) ، وقد جمعوه على ( اتفاقات ) كما استعمل الأئمة ( الابتداء ) اسماً وجمعوه على ( ابتداءات ) ، وجمع علماء المنطق ( إنتاجاً ) على ( انتاجات ) ، على ما جاء في كتاب : القطوف الدانية ، للشيخ محمد أمين السفرجلاني ( ٢٨٩ ) . على أن الأوْلى أن يفرّق في المعنى بين ( الاتفاق ) المصدر الذي استعمل استعمال الأسماء ، و ( الاتفاقية ) اسم المصدر الصناعي المسمى به ، فيقصد بالأول ( ماتم الاتفاق عليه ) ويراد بالثاني ( صك ما اتفق عليه ) .

هذا وكثيراً ما سمى العلماء ( المذاهب الكلامية ) بأسماء مصادر صناعية تحولت من ( المصادر ) كـ ( البدائية ) و ( والعنادية ) . وقد يعنون بهذه الأسماء أصحاب المذاهب أيضاً ، على تقدير حذف المضاف . قال الجرجاني في ( تعريفاته ) : ( البدائية هم الذين جوزوا البداء على الله تعالى ) . وقال : ( العنادية هم الذين ينكرون حقائق الأشياء ويزعمون أنها أوهام وخيالات كالنقوش على الماء ) . وهكذا .. وفي علم الكلام وعلم البيان كثير مما جاء على صيغة ( اسم المصدر الصناعي ) . فمن الأول قولهم : ( الأحدية والكونية والقدرية والجبرية والأولية والجمعية والربوبية والعرفية والماهية والغائية .. ) . ومن الثاني في علاقات المجاز : ( المصدرية والمظهرية والجزئية والكلية والسببية والمسببية والكونية والمحلية والحالية .. ) .

فاتضح بضم ذلك كله والتأني له : حالُ ( اسم المصدر الصناعي ) وقياسه وخاصته ، وشدة الحاجة إليه في التعبير والاصطلاح ، وتحقيق المعاني ، وضبط دقيقها .

صلاح الدين الزعبلاوي

# وسائل تنسيق حركة الترجمة

## على مستوى الوطن العربي

**الأستاذ وديع فلسطين**

قبل التعرض لوسائل تنسيق حركة الترجمة على مستوى الوطن العربي ، يخلق بنا أن نتعرّض أولاً لهموم الترجمة وأوضاعها لنتبين أحوالها وظواهرها ، ثم نتطرق إلى الأسباب الداعية — في أصوب الآراء — إلى إعمال قواعد التنسيق فيها ، ارتفاعاً بمستواها ، وتحقيقاً لرسالتها ، وتأكيداً للدور الذي تضطلع به في خدمة الفكر العربي ، وتأتياً لأجزل الفوائد على الحركة الثقافية عامة ، والنهضة التِّقْنيَّة بوجه خاص .

فالترجمة **ما** برحت عملاً فردياً ، ينهض به أفراد توسموا في أنفسهم القدرة على الاضطلاع بتبعاتها ، واستوثقوا من أن لديهم أدوات الترجمة ، فهماً وعمق ثقافة ، ودراية بالأساليب والمصطلحات ، وتمرساً على الصياغة العربية التي تؤدي المعنى واضحاً ، ولا يستعصي عليها تركيب فرنجي ما .

ولا تسل عن الدوافع التي تحدو المترجمين الى الترجمة ، فقد يكون الكسب دافعهم الوحيد ، وقد تكون الشهرة مطمعهم ، وقد يكون

التبشير بعقيدة معينة غايتهم ، وقد يكون اشباع الهواية هو قصاراهم ، والمهم أنهم قد دخلوا الميدان ، وأسهموا فيه بجهودهم الفردية ، وتركوا آثاراً هي وحدها المعيار في الحكم على عملهم .

ولئن كانت هناك هيئات ثقافية عربية أو أجنبية وقفت جهدها كله أو بعضه على الترجمة ، فقد كان اعتمادها في المقام الأول على جهود أفراد نيطت بهم ترجمة كتب قد عينت لهم وحددت ، أو كتب هم مختاروها ، ثم تولت تلك الهيئات نشرها واخراجها في النسق المقرر لها .

ولا نكاد نعرف في كل الوطن العربي هيئة متخصصة للترجمة ، لها رجالها المتفرغون المتخصصون الذين يعملون كفريق متآلف في عمل واحد كبير أو أعمال هي في جملتها مفضية إلى عمل واحد كبير ، كترجمة دائرة للمعارف ، أو نقل الأمهات من كتب التراث الانساني ، أو ترجمة كتب العلوم بفروعها ، وهي شتى ، فإن استثنينا جماعات كالتي ترجمت دائرة المعارف الاسلامية ( ولم تتمها ) لاحظنا أن هذه الجماعات هي بدورها فردية الجهد في الصميم . ومشروع « الألف كتاب » – والكتب الألف لما تتم – قد قام على أكتاف أفراد . ومشروع ترجمة مسرحيات شكسبير قام به أفراد . ومشروع ترجمة كتاب « قصة الحضارة » لويل ديورانت اضطلع به أفراد ، انقطع واحد منهم انقطاعاً شبه تام له ، ومع هذا لم تساعفه فسحة العمر على انجازه ، فانتقل العبء إلى سواه . وسلاسل المسرحيات العالمية وأشباهها هي من صنع أفراد ، وهلم جرا . بل ان الكتب الضخام في الفكر الأجنبي قد اضطلع بترجمتها أفراد روّاد . فإلياذة هوميروس ترجمها فرد ، والكوميديا الالهية لدانتي ترجمها فرد ، وجمهورية

أفلاطون ، ورأس المال لكارل ماركس ، والشهنامه للفردوسي ، ونظرية النسبية لأينشتين ، ونظرية النشوء والارتقاء لداروين ، وروح الشرائع لمونتسكيو ، والمنطق لجون ديوى ، والمهابهرتا من الأدب الهندي ، هذه جميعاً كتب أمهات تصدى لترجمتها أفراد ذوو همة عالية ، فكان انجازهم لها من محرزات لغة الضاد الباقية .

فلسبب ما ، يؤثر المترجم أن يستقل بالكتاب الذي يترجمه ، لا يشاركه فيه أحد ، ولا تتوزع المسؤولية بينه وبين سواه ، ويمضي في ترجمته إلى آخر الشوط غير عابىء بما يعترضه من مشاق . وقليلة نسبياً هي الكتب التي يشترك في نقلها أكثر من مترجم واحد ، وهذه إن لم يكن لها محرر يجانس بين أساليبها ومفرداتها وتراكيبها ، خرجت مفككة الأوصال ، وكأنها « كرنفال » لمختلف الأساليب والصياغات .

ولعل الجماعة الوحيدة التي وضعت لنفسها خطة تعاونية واضحة ، ومنهاجاً مرسوماً محدد الهدف ، هي جماعة « علم النفس التكاملي » بإشراف أعلامها الدكاترة يوسف مراد ومصطفى زيور وصبري جرجس . فقد استهلت هذه الجماعة عملها بأن تواضعت على مصطلحات دقيقة في علم النفس كان لها فضل صوغها وسكّها وتداولها ، وحرصت على استعمالها في جميع كتبها المترجمة ودراساتها المنشورة . وقصرت كل جهدها على كتب علم النفس دون سواها ، بادئة بأعلامه : فرويد وأدلر ويونج ، ووزعت العمل بين أفرادها ، وكلهم من مدرسة واحدة أو متقاربة فكرياً ، فملؤوا بجهدهم ركناً هاماً في مكتبة الضاد ، سواء بما انتقوه للترجمة من كتب فلاسفة علم النفس الأوائل ، أو بما توخوه من أسلوب عربي شديد النصاعة ، أو بما تفاهموا عليه من مصطلحات متداولة بينهم ، تنسيقاً للعمل ، واتماماً

لجوانبه ، فجاءت كتبهم متتامّة ، فيها المترجم المعتمد ، وفيها المؤلف الرصين ، وفيها كذلك الرسائل الجامعية والدراسات المنهجية في علم النفس . ناهيك « بمجلة علم النفس » التي أصدروها فحفلت بالدراسات المترجمة والموضوعة ، وكانت لها بدورها عناية واضحة بالاستمساك بالمصطلحات الدقيقة المتعارف عليها بين أعضاء الجماعة ، واحتفال بالأساليب العربية المشرقة . فاستطاعت هذه الجماعة أن تخدم علم النفس أجل الخدمات ، وأن تخدم الضاد بما قد رفدتها به من تراث علم النفس ، وأن تسدي في باب المصطلحات مساهمة مقدورة ، لأن ما وضعته من مصطلحات كان ثمرة ذوق سليم ، وفهم صحيح ، ومعاناة يومية منهجية في الميدان الذي تخصصت فيه .

ولسنا نخطيء كثيراً إذا قلنا ، معممين الحكم ، إن الترجمة عمل هواة لا محترفين . وأولئك الهواة هم الذين يختارون الكتب التي يتصدون لنقلها أو يوافقون على نقل ما اختاره لهم سواهم ، وهم الذين ينجزون ترجمتها من ألفها إلى يائها وفقاً لما يتوخونه هم من مناهج ، وهم الذين يسعون بها إلى الناشرين ارتجاء إخراجها . وقليل من القراء من تساعفه الأسباب فيعمد إلى مراجعة هذه الترجمات جميعاً ومقابلتها بالأصل ابتغاء معرفة حظها من الدقة والأمانة وحسن الفهم . فالقارىء حين يقرأ كتاباً مترجماً يفترض — كقضية مسلمة — أن ناقله متمكن أمين ، وعى النص أجمل وعي ، وتمثل معناه أصدق تمثل ، وترجمه ترجمة تتأبى على المطاعن . فإن تعثر في عبارة أو فاته معنى لغموضه ، عزا الأمر إلى قلة فهمه هو ، أو ردّه إلى المطبعة وأغاليطها . وما أكثر ما جنت المطبعة على الكتب ، وما أكثر ما تجني الناس على المطبعة بردّ كل تصحيف إلى سبب وحيد ،

هو حروفها الصماء في أيدي العامل الأمي أو القليل الحظ من المعارف .

وهكذا يدخل الكتاب المترجم إلى مكتبة الضاد ، ويستأثر لنفسه بمكان فيها - متواضعاً كان ذلك المكان أو متعالياً - ويظل الكتاب مقصداً المراجعين ومثابة للباحثين - ولا سيما الذين يجهلون لغته الأصلية - إلى ما شاء الله لهذا الكتاب أن يعمّر . ولا تتزعزع ثقة القارىء في كتاب مترجم نال حظه من الاستقرار في المكتبة العربية إلا إذا انبرى له ناقد على دراية كاملة بنصه الأصلي وموضوعه المتناول بين دفتيه ، ثم عقد مقارنة دقيقة بين النص والترجمة ، فإما أن ينتهي إلى اقرار أمانة المترجم وحسن فهمه ، فتبقى للكتاب منزلته كعمل فكري صادق ، وأما أن تسوقه المقارنة والمقابلة إلى كشف معايب صارخة في الكتاب ، وعندئذ تتزعزع ثقة القارىء في هذا العمل بوصفه مرجعاً ، وفي المترجم بوصفه ناقلاً .

وقد ارتأى بعض الجهات الناشرة للكتب المترجمة أن يُعيِّن لكل مترجم مراجع أو أكثر ، وهو إجراء أريد به أصلاً الاطمئنان إلى ضبط الترجمة ، والاستيثاق من عدم خروجها على النص أو سوء تأويلها له . ولكن هذا الاجراء بات في حقيقة الأمر يلقي ظلالاً كثيفة على المترجم، ومدى قدرته على القيام بالمهمة المسندة إليه . بل إن أمانة المترجم نفسها تغدو - في عين القارىء - موضوع استفهام وتساؤل .

فإذا ألقينا نظرة عامة على الكتب الكثيرة المترجمة التي تخرجها المطابع في الوطن العربي ، ألفينا أنفسنا تلقاء ظواهر غير صحية ، نوجز بعضها في ما يلي :

أولاً – ان هناك كتباً سقيمة الموضوع (كالروايات السوقية المثيرة) تؤلف نسبة غير قليلة من الكتب المترجمة . ولا نخال هذه الكتب مغنماً للضاد ربيحاً ، بل لعلها – مع التساهل – ترف وسرف في المكتبة العربية.

ثانياً – ان هناك كتباً متخصصة ينقلها مترجمون غير متخصصين ، فلا تسلم من خلط ، ولا سيما في نقل أسماء الأعلام والأماكن والمصطلحات.

ثالثاً – ان الأساليب التي تنقل بها هذه الترجمات تنقصها السلامة اللغوية والصقل البياني ، فتخرج عليلة ، أجنبية التراكيب ، منبهمة المعاني .

رابعاً – ان بعض النقلة كلفون بالتبسيط ، بدعوى النزول إلى القارىء ، حتى لقد رأينا اللهجة العامية تتسلل إلى الكتب المترجمة ، ولا سيما في الأدب المسرحي ، بل لقد ارتفع ذات يوم صوت داعياً إلى ترجمة مسرحيات شكسبير باللهجة العامية لأن العامية هي لغة الخطاب في الحياة اليومية الدارجة ، والمسرح قطعة من تلك الحياة اليومية الدارجة بكل خصائصها .

خامساً – ان هناك ترجمات متعددة للأثر الواحد حتى في البلد الواحد. وربما أغنت ترجمة واحدة دقيقة سليمة عن كثرة من الترجمات .

سادساً – ان أمهات الكتب لاتلقى من المترجمين عناية أو أولوية ، بل لعلهم عنها منصرفون . حتى إننا لو حصرنا كتب الأمهات في الفلسفة والعلوم المختلفة والآداب العالمية والفنون بأبوابها والاقتصاد بمذاهبه وكتب الصناعة ( كصناعة النفط وهي أولى صناعات العالم العربي اليوم ) ، ولو حصرنا الموسوعات ، ما كان منها عاماً أو متخصصاً ، ثم بحثنا عما نقل منها إلى الضاد ، لألفينا ركن الترجمة مليئاً بالثغرات في المكتبة العربية .

سابعاً – ان الترجمة كرسالة عمر وحياة ، ينقطع لها متفرغون من طراز عادل زعيتر أو منير البعلبكي مثلاً ، ليست مما نعهده اليوم في حركة الترجمة المعاصرة .

ثامناً – ان طائفة غير قليلة من الكتب المترجمة تنقل لا عن اللغة الأصلية التي وضعت بها ، بل عن لغة فرنجية أخرى ترجمت إليها ، مما يجعل الترجمة العربية – حتى مع الحرص الشديد على ضبطها – غير ممثلة تمثيلاً صحيحاً دقيقاً للنص الأصلي . فالترجمة عن نص مترجم لا يمكن أن ترقى إلى مستوى الترجمة عن النص الأصلي الوثيق بلغة كاتبه .

تاسعاً – بل لقد لوحظ أن بعض الكتب المؤلفة أصلاً باللغة الانكليزية والمترجمة إلى اللغة العربية عن هذه اللغة ، تسند مراجعتها إلى مراجعين هم باللغة الافرنسية أدرى ، فيضاهون الترجمة العربية لا على النص الانكليزي ، كما هو مستصوب ، بل على النص الافرنسي ، وهو أمر مستغرب بل مستكره .

عاشراً – ان بعض ما يسمى « ترجمات » هو في حقيقة أمره تلخيصات أو إعادة صياغة للنص الأصلي باللغة العربية وبأسلوب المترجم . وما أكثر ما يعمد المترجمون إلى حذف فقرات بل صفحات وفصول برمتها دون إشارة إلى هذا الاختصار بداعي الأمانة العلمية . ولهم في ذلك حجة مقبولة عندهم ، وهي أن من حق المترجم التصرف في الأصل على الوجه الذي يرتئيه ، وكأنما منحت للمترجم رخصة تبيح له أن يعمل بالنص الفرنجي ما يشاء دون ملامة .

حادي عشر – ان قلة قليلة من المترجمين هي التي تحفل بحقوق التأليف والنشر المقررة في اتفاقيات شبه دولية . والكثرة الكاثرة منهم

غير محتفلة بهذه الحقوق ، تستبيحها بلا قيد ، اعتقاداً منها بأن أصحاب حقوق التأليف والنشر لن يدروا بأن كتابهم قد نقل إلى الضاد ، أو استناداً إلى أن الدول التي تنتمي إليها لم تنضم إلى اتفاقيات صون حقوق المؤلفين والناشرين ، وهي الحقوق التي تسقط بانقضاء نصف قرن على وفاة واضع الكتاب ، فيغدو كتابه تراثاً إنسانياً عاماً مشاعاً مباحاً لكل مترجم وناقل وناشر .

ثاني عشر — ان هناك كتباً مترجمة تظهر وليس عليها اسم مترجم، فإما أن المترجم آثر الاستخفاء لأن موضوع الكتاب ليس مما يطابق رأيه أو مما يشرفه ، وإما أن ناقل الكتاب هو من المبتدئين الشداة ، والناشر يستنكف من وضع أسمائهم على غلاف الكتاب لأنه لا وزن لهم في سوق الرواج . ناهيك بأن هناك أسماء مستعارة لمترجين تظهر على أغلفة الكتب ، فإن بحثت عن أصحابها عزّ عليك أن تهتدي إليهم في دنيا القلم .

والذي لا ريب فيه أن هذه الظواهر التي ترافق حركة الترجمة المعاصرة هي بالعلل أشبه ، وهي تلح علينا أشد إلحاح في أن نبحث عن وسائل لمعالجتها كيما تستقر الترجمة استقراراً عزيزاً في ركنها المقرر في المكتبة العربية ، فتغدو جزءاً من صميم تلك المكتبة لا كَلاًّ عليها .

وإذا اطرحنا الجوانب الادارية والميكانيكية في حركة الترجمة ، أعني الجوانب المتعلقة بالناشر والطابع والموزع والطابعة والإخراج والورق والتكاليف وهلم جرا ، فقوام الترجمة كتاب منقول ومترجم ناقل . فإن حسن الكتاب المنقول ودعت إليه حاجة حضارية أو فائدة علمية أو قيمة فنية أو رسالة إنسانية ، وإذا أحسن المترجم صنيعه فهماً ثم استيعاباً

ونقلاً وتدقيقاً وأمانة وجمال صياغة ، حققت الترجمة المقصد المنشود .

أما إذا ساء الكتاب موضوعـاً ومادة ، أو ترخص المترجم في أداء مهمته ، أو إذا اجتمع الأمران معاً ، فحدّث بسوء العاقبـة ، حتى ولو أحرز الكتاب رواجاً في السوق لسبب من أسباب الاستهواء ، أو لداع من دواعي المناسبات .

فاختيار الكتاب إذن هو الخطوة الأولى في أي توفيق يراد للترجمة أن تحققه . فإن وقع الكتاب لمترجم موصول الأسباب بموضوعه ، شديد الاتقان لمادته ، لأسلوبه نصاعة وبيان ، تحققت المجانسة بين الكتاب والناقل ، وحدث التعاطف الفكري والوجداني الذي من شأنه المؤكد إغناء المكتبة العربية بهذا الكتاب الجديد .

ومن الذي يختار الكتاب ؟ قد تختاره هيئة متصدية لأعمال الترجمة . وقد يختاره المترجم الناقل . ولا بد في الحالين من الاطلاع على عشرات من الكتب لاختيار أفضلها ، أي أن الترجمة تسبقها مطالعات واسعة لغربلة الكتب الفرنجية واختيار ما يصلح منها للترجمة . فليس كل كتاب فرنجي صالحاً بالضرورة للترجمة . وإن صلح من حيث إمكان نقله كعملية آلية فقد لا يصلح من حيث موضوعه وجدواه بالنسـبة للقارىء العربي على وجه التخصيص .

فالكتب الفرنجية المتاحة ، ناهيك بما يصدر منهـا باللغات العالميـة واللغات الاقليمية في كل يوم طالع ، ليس إلى حصرها من سـبيل ، وليست جميعها مما يرفد الفكر العربي بأسباب الغنى أو الجدة أو الفائدة . وطموح المترجمين لا يقودهم بجال إلى ترجمة هذه الكتب جميعاً . ولا معدى

إذن عن الالمام بالقدر الأوفى من هذه الكتب وانتقاء مالو ترجم لكان للضاد غنماً وجدوى .

والخطوة الثانية في نجاح مهمة الترجمة هي وقوع الكتاب لمترجم مالك أداته ، له بموضوعه دراية وثقى ، وله بمصطلحاته وأعلامه معرفة كاملة ، وله قبل ذلك وبعد ذلك أسلوب عربي تنصاع له المعاني انصياعاً جزلاً ، وتنقاد له التراكيب الأعجمية فتنصب على يديه في أجمل قالب عربي وأبدعه .

والكتاب قد يختار لموضوعه ، وقد يختار لمؤلفه ، أو لكليهما معاً . فالموضوع الجيد أو الفريد أو الفاتح في الفكر فتحاً جديداً ، يفرض نفسه على الحياة الفكرية ، ويسترعي انتباه المترجمين في كل لغة . والكاتب الذي استقرت سمعته الأدبية أو العلميــة أو الفكرية ، هو بدوره فارض نفسه على دنيا الفكر ، وكتبه جميعاً مآلها إلى النقل مجاراة لشهرته العريضة .

وإن تهيـأ للكتاب الجيد مترجم جيد ، لم يبق للمراجـع محل في حركة الترجمة ، لأن الترجمة نقل ، والنقل أمانة ، ولا مكان للخيانة في النقل اللهم إلا إذا افتقر المترجم إلى أولى أدوات صناعته .

والمترجمون في جملتهم أفراد مجتهدون ، نالوا تدريبهم على الترجمة في الحياة العلمية العريضة ، فاستوعبوا اللغات التي هم بها معنيون استيعاب حياة لا استيعاب دروس مقررة في معهد ، وكانت لهم مطالعات أوقفتهم على كثير من العلوم والفنون ، وكانت لهم مشغلة بالمصطلحات وما تؤديه من دقيق المعاني ، وكان في متناولهم جمهرة من المعاجم المتخصصة والعامة التي ألفوا الاسترشاد بها ، ومرنوا على استخدامها .

وصفوة القول في المترجمين أنهم لا يحملون شهادة في الترجمة ترخص لهم مزاولة هذا العمل ، ولا يقسمون يميناً على التدقيق في هذه الصناعة ، وإنما الأمر كله رهن بالضمائر ، وهي وحدها الرقيب الحي ، كما أن السمعة الأدبية التي يكتسبها المترجم هي عنده أسمى الشهادات .

* * *

والسؤال الجوهري الذي يفضي إليه هذا التمهيد هو : كيف السبيل إلى الارتقاء بالترجمة فناً ورسالة ، وعلماً وعملاً ، بل استثماراً للفكر الفرنجي الذي تنقله إلى حضن الضاد ؟ وكيف يكون التصدي للظواهر المرضية التي لا تفتأ تبتلي الترجمات العربية ، مما ألمحنا إلى ذروٍ منه في ما تقدم ؟ وكيف يكون التنسيق الواجب لحركة الترجمة على الصعيد العربي بأسره ، بحيث يتأتى للترجمة أن تؤدي رسالتها في تغذية الفكر العربي بجديد من ألوان الخصب ، واطلاع العرب على أحدث ما وصل إليه التقدم العلمي في الخارج . ولا خلاف على أن العرب ما انفكوا عالةً على العالم الخارجي في العلوم العصرية والتقنية المتطورة . وكل الكتب التي تتناول فتوحات العلوم الحديثة ، كغزو الفضاء ، والعقول الالكترونية ، والتقنية ، والتسيير الذاتي للآلات ( Automation ) هي في حقيقتها كتب موضوعة بلغات الفرنجة ، وربما ترجم منها إلى الضاد قدر يسير ، أو لعل ما صدر منها في العربية هو حصيلة مطالعات في الكتب الأجنبية عمادها الأكبر على الترجمة والنقل .

ولسنا نفهم التنسيق المرجّو على أنه إنشاء هيئة مركزية في العالم العربي يعهد إليها وحدها في شؤون الترجمة ، فتبسط سلطانها على المترجمين في ربوع الوطن العربي ، ويكون لها دون سواها الرأي في شؤون الترجمة .

وإنما نفهم التنسيق على أنه تقريب للجهود الفردية المبعثرة ، وارتفاع بمستوى الترجمة قلباً وقالباً ، وتيسير المشكلات التي تعترض القائمين بهذا العمل ، وتهيئة الأسباب والأدوات التي من شأنها تمكين المترجمين من أداء عملهم على أكمل وجه وأبعثه على الرضا ، وتشجيعهم على التصدي لترجمة الكتب النفيسة ، والسعي للاعتراف بالترجمة كقطاع هام في الحركة الثقافية العربية المعاصرة ، والدعوة إلى مؤتمرات لبحث شؤون الترجمة ووسائل النهوض بها .

والحاجة ماسة إلى انشاء جهاز ثقافي تشارك فيه الدول العربية المختلفة برجال بصيرين بشؤون الترجمة ، تكون مهمته الأساسية رصد نشاط الترجمة في الأقطار العربية ، وفهرسة الكتب التي سبقت ترجمتها عن اللغات المختلفة ، وتهيئة الأدوات المعينة للمترجمين كالمعاجم المتخصصة في كل فن ، وتوجيه حركة الترجمة بحيث تهتم في المقام الأول بالكتب والموسوعات المستقرة في التراث الانساني ، والتخطيط لحركة الترجمة وذلك بالتوصية بترجمة كتب معينة تدعو إليها حاجات الفكر أو المجتمع العربي ، وتشجيع المترجمين حتى ينشأ جيل من المترجمين الأكفاء المتفرغين الذين يتصدون لأمهات الكتب .

وأياً كان قوام هذا الجهاز المقترح ، وأياً كان مقره ، فإن الرسالة التي تناط به هي ، بشيء من التبسيط ، مايلي :

أولاً — ان أول المعينات على الترجمة الصحيحة الدقيقة ، ولا سيما الموضوعات العلمية ، هي المعاجم المتخصصة التي تقدم لقارىء العربية مصطلحات (١) دقيقة واضحة مستقرة لمرادفات لها أعجمية ، بحيث ينتفي

---

(١) يراجع في موضوع المصطلحات كتاب الأمير مصطفى الشهابي « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » الطبعة الثانية — ١٩٦٥ — مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

كل خلط أو سوء فهم عند القارىء . فلكل مصطلح معنى واحد يؤديه ولا ينصرف إلى سواه ، وهو مصوغ صياغة سهلة واضحة تساعد على تداوله . وهناك هيئات شتى تنبرى لوضع المصطلحات واصدار مجموعاتها ، كمجامع اللغة العربية والجهات الحكومية وبعض الأفراد من ذوي الهمة ، ولكن هذه الجهود تنزع إلى التضارب بدلاً من التجانس والتوافق ، لأن واضعي المصطلحات يتعصبون لها ، ولا يرتضون أي عدول عنها ، وهم يستعملونها ضاربين صفحاً عن المصطلحات المقابلة التي سكّها غيرهم من علماء التخصص في بلدان عربية أخرى . والنتيجة الطبيعية لهذا التضارب هي أن علم المصطلحات قد بات فوضى ، ولا رابط بين أطرافه . ولا بد من هيئة تقوم بترجيح المصطلحات واعداد مجموعات أو قواميس متخصصة لها في كل علم وفن ، تتوحد في كل منها مصطلحات العلم بعد المقارنة والمفاضلة بين جميع مصطلحات هذا العلم كما يتداولها واضعوها ، بحيث يخرج قاموس موحد على غرار « المعجم العسكري الموحد » لكل علم من العلوم . فإذا انبرى مترجم لكتاب في علوم الفضاء ، استعان بقاموس الفضاء الموحد على ترجمة الكتاب ، ولم تستعص عليه عبارة أو تغمض بسبب عقبة المصطلحات .

ثانياً — ان مما لا ريب فيه أن جهود الأفراد — وهم الحاملون لعبء الترجمة الرئيسي — إنما تنكص عن التصدي لعمل مهظ كترجمة دائرة معارف عالمية موثوق بمادتها . كما أن ميزانيات الفرادى من الناشرين تنوء بمثل هذه الأعمال الكبيرة ، وربما ناءت بها ميزانية جهة حكومية واحدة . ولا بد للجهاز المقترح لتنسيق حركة الترجمة من أن تناط به هذه المهمة وأشباهها ، فيستعين بذوي الخبرة في كل علم وفن ، سواء على

أساس التفرغ الكامل ، أو على أساس التعاون كفريق متآلف يتفرغ كل عضو منه لفرع اختصاصه ، وبهذا يستطاع إخراج هذه الموسوعات الضخمة التي لا غنى عنها في مكتبة الضاد ، ولا معدى عن مراجعة مادتها كلّ عقد من الزمان على الأكثر لتبقى دائماً جديدة محافظة على قيمتها .

وقد يجادل البعض في جدوى ترجمة الموسوعات ما دام المثقفون عامة قادرين على مطالعتها في لغاتها الأصلية . وعلى هؤلاء يردّ بأن لمعظم اللغات الكبرى موسوعات خاصة بها . ثم انه لو أخذ بهذه الحجة لما كان هناك مسوغ أصلاً لكل أعمال الترجمة ، ما دام المثقفون لا يجدون مشقة في قراءة الكتب الأصلية بلغات مؤلفيها .

وقيمة الموسوعات أنها خلاصات مركزة موثوق بمادتها في جميع أبواب المعارف الانسانية . وهي مرجع قريب التناول لكل طالب راغب في استيضاح حقيقة علمية أو قراءة مادة معينة ، فتوافيه في الموسوعة في أسطر أو أنهر أو صفحات وفقاً لأهمية هذه المادة ، ويغنيه ذلك عن قراءة الكتب والمتون الشديد التبحر والعمق .

وليكن من مهام جهاز تنسيق الترجمة السمي لترجمة دائرة من دوائر المعارف ، تستخدم في فصولها المصطلحات العلمية المقررة في المعجمات المتخصصة الموحدة التي سلف الحديث عنها .

ثالثاً — ان جهود المترجمين في أنحاء الوطن العربي جهود متفرقة ، ولا رابطة بينها إلا ما قد ينشأ من صلات شخصية بين بعض المشتغلين بالترجمة بجهودهم الفردية . وهؤلاء وأولئك يجهلون ما ينشغل به زملاؤهم وأندادهم جهلاً تاماً ، فيتكرر الجهد في الترجمة أحياناً ، وتتعدد الترجمات للأثر

الواحد ولعل مما يستصوب للجهاز المقترح أن يصدر نشرة دورية إخبارية على غرار نشرة معهد المخطوطات العربية يورد فيها أخبار الترجمة والمترجمين وينبه إلى صدور كتب هامة تستحق عناية المترجمين ، ويعلن عن المسابقات والجوائز الخاصة بالترجمة . وحتم على هذا الجهاز المقترح أن يرصد حركة الترجمة رصداً حثيثاً دؤوباً ، فيعد فهارس مبوبة للكتب المترجمة على الصعيد العربي ليسترشد بها المترجمون وهم يهمّون بترجمة كتاب ما .

رابعاً – ان من المهام الرئيسية التي يتعين على الجهاز المقترح الانبراء لها ، التوصية بترجمة كتب معينة لأنها تمثل قيمة خاصة بالنسبة للقارىء العربي ، كأمهات الكتب ، والكتب التي تتناول القضايا الحيوية للوطن العربي ، والكتب التي لا غنى عنها في ميادين الفكر ، والكتب التي كان لصدورها دوي في الحياة الانسانية .

ومن مؤدى هذه التوصية أن يقوم الجهاز المقترح بدور القارىء المحلل ( المغربل ) المستصفي للكتب الأجنبية باللغات العالمية وما يتيسر من اللغات الأخرى ، فتجيء توصيته بعد دراسة مسهبة للكتب الأجنبية ومفاضلة بينها وتقييم لمادتها ومراعاة لحاجات الحركة الفكرية العربية .

وليس من قبيل الشطط أن يطالب الجهاز المقترح برصد معاونات أدبية ومالية تشجيعاً لطبع الكتب التي يوصي بترجمتها ، كأن ييسر وسائل الطباعة أو يساعد في التوزيع أو يتعهد باقتناء كمية معينة من نسخه المطبوعة ، أو يوصي الدول من أعضائه بشراء نسخ منه ، أو يجزل للمترجم مكافأة على جهده ، أو يضطلع هو بمهمة نشر الكتب من ألفها إلى يائها .

وعند التوصية بترجمة كتب أجنبية ، يراعي الجهاز المقترح أولويات

معينة ، حتى ينصرف الجهد الأول والأكبر إلى ترجمة الكتب التي تلبي للضاد حاجات في الصميم قبل ترجمة الكتب الثانوية القيمة التي يجوز إرجاؤها إلى زمن متأخر .

خامساً – لا بد لنشاط الترجمة ، إن عاجلاً أو آجلاً ، من أن تنسحب عليه الاتفاقات الدولية لحماية حقوق التأليف والنشر . كما لا بد له من التعاون مع الهيئات الثقافية الدولية أو الأجنبية التي تعالج شؤون الترجمة بين مختلف اللغات . وليس أحق من الجهاز المقترح باجراء الاتصالات اللازمة في هذه الشؤون باعتباره الوكالة المتخصصة المعهود إليها في تنسيق حركة الترجمة في ربوع العالم العربي .

ويرجى مع الوقت أن ينتفع بهذه الاتصالات الخارجية في تنشيط ترجمة الكتب العربية إلى لغات الفرنجة ، فيصبح هذا النشاط من الاختصاصات المسندة إلى الجهاز المقترح .

سادساً – من الغايات البعيدة التي ينبغي للجهاز المقترح أن يتوخاها إيجاد فئة متخصصة من المترجمين المتفرغين الذين ينقطعون للترجمة المستأنية الرصينة ، دون أن يتحيَّف ذلك على معاشهم . فلو انصرف مترجم عاماً كاملاً إلى نقل كتاب أو كتابين من أمهات الكتب الغربية ، فقد تحفى قدماه حتى يجد ناشراً . وإن وجده فلن يكافئه على جهد سنة إلا مكافأة ضئزى . وأمثال هذه الجهود لا بد أن تتبناها الهيئة المقترحة بما يكفل للمترجمين إنصافاً في اقتضاء حقوقهم ، ويؤكد لهم أن التفرغ لأعمال الترجمة لا يعد جهداً ضائعاً أو مبخوس القدر ومهضوم الحق .

وليس من مؤدى ذلك أن يكون المترجمون المتفرغون موظفين في

الجهاز ، بل حسبهم أن يدركوا أن جهدهم محمي من عيون الجهاز اليوافظ ، لا يجور عليه ناشر أو مستغل .

سابعاً – ولا ندري لم لا يكون من مشروعات الجهاز ، ولو في مرحلة تالية ، إصدار مجلة دورية تعنى بشؤون الترجمة وتفرد باباً خاصاً في كل عدد لنقد الكتب المترجمة وتبيان ما فيها من وجوه اتقان وأوجه نقص . وهي بهذا تؤدي في الواقع رسالة مزدوجة ، فتعرف القارىء بالكتب المترجمة وتنبه إلى جوانب التميز وجوانب القصور في الكتب المترجمة . ولا ريب في أن في تسليط أضواء النقد على الأعمال المترجمة كفيل بالارتقاء بمستوى الكتب المنقولة ، لأن كل ترخص أو إهمال أو تهاون في الترجمة سيبرزه النقاد أمام أعين القارئين .

وإذا جاز أن تكون هناك مجلات متخصصة للمأثورات الشعبية ( الفولكلور ) والسينما والمسرح ومجلات للشعر والمخطوطات وللتربية وعلم النفس ، فليس ثمة ما يسوغ عدم صدور مجلة متخصصة لشؤون الترجمة ، تطرح فيها القضايا[١] التي تهم المترجمين وتهم القراء عامة . ومن تلك القضايا المناهج التي يسلكها المترجم ، وهل يتقيد بالحرف ، أو يضحي بالحرف في سبيل المعنى . وهل يحق للمترجم الإبقاء على نص الكتاب بكل ما فيه من آراء ولو خالفها هو ، أو خالفت مواضعات الجماعة ، أو أن من حقه حذف هذه الآراء وفقاً لتقديره الخاص ( ولعل المنهاج الأصوب في هذا الصدد هو إبقاء آراء المؤلف على حالها مع تعليق المترجم عليها في هامش

---

(١) في قضايا الترجمة يراجع كتاب «فن الترجمة» للأستاذ محمد عبد الغني حسن – ١٩٦٦ – الدار المصرية .

الكتاب أو صلبه تعليقاً مستقلاً ينسب إليـه هو لا إلى المؤلف ) . ومن الموضوعات التي يطيب لمجلة الترجمة مناقشتها ، كيفية اختيار الكتب للترجمة وهل يتوخى المترجم أذواق الجمهور فيترجم لهم ما يستهويهـم ، أو يحتكم إلى ذوقه الخاص ويستند إليه وحده في اختيار الكتب التي ينقلها . ثم هل يكون المترجم متخصصاً فيقصر كل جهده على باب بعينه ، أو يكون غير متخصص ، فينقل كتب الأدب والتاريخ والاقتصاد والسياسة والفلسفة والسير وما إليها ما دامت مصطلحاتها مبذولة في المعاجم المتداولة . فهنـاك من يقول أن كتب الاقتصاد ينبغي ألا يترجمها إلاّ رجـال الاقتصاد . ولكن رجال الاقتصاد علمـاء في مادتهم ، غير علماء في تراكيب الضاد وأسـاليبها وقواعدها نحواً وصرفاً . فإن ترجموا الكتـاب الاقتصادي فقد لا يخلو من العجمة في عباراته ، واللحن في أسلوبه . وربما كان من صواب الرأي أن توكل الكتب الشديدة التخصص إلى أوليائها أرباب هذه العلوم ، على أن يعهد بعد ذلك إلى دُراةٍ باللغة والأدب في صقل أسلوبها ، لتستقيم تراكيبه مع التراكيب المعهودة في لغة الضاد ، وتزول عنها أمارات الركاكة والعجمة .

وما أكثر القضايا التي تتسع صفحات مجلة الترجمة لمناقشتها : قضايا المصطلحات ، وهل يستحسن التوسع في تعريبها ، أو يوجه أو الجهد وأكبره إلى إحياء مصطلحات عرفها القدامى وتداولوها في كتبهم . ثم هناك قضايا أولويات الترجمة ، وهل تكون للانسانيات ، أعني الآداب والفنون والاجتماع ، أو تكون للعلوم النظرية والعملية . ثم ما هو الرأي في الكتب التي تتناول شؤون عالمنا العربي من زوايا قد لا نرضى عنها ، فهل نترجم هذه الكتب لتكون مادتها تحت أبصارنا وأفهامنا ، أو نحاذرهـا اعتقاداً منا بأنها إلى التحامل والإجحاف أميل ؟

ولا بد لهذه المجلة من التعريف بآداب لغات قليلة الحظ من عناية المترجمين ، كلغات الهند والصين واليابان والبلدان الآسيوية والإفريقية وبلدان أوربة الشرقية والشمالية ، وكذلك التعريف بآداب أمريكا اللاتينية .

كما تتسع المجلة لنشر تجارب أعلام المترجمين في ميادين الترجمة ، فيتحدث كل منهم عن الصعوبات التي اعترضت سبيله ، وكيف استطاع خضد شوكتها وإلانة جانبها .

وبحكم كون المجلة متخصصة في شؤون الترجمة ، فهي تساعد بلا ريب على عقد الصلات بين المترجمين الموزعين في ربوع العالم العربي ، كما تعين على كشف المترجمين الذين يستطيعون نقل الكتب من لغات كالأندونيسية والأوردية والمنغولية والإفريقية وما إليها ، إن وجد أمثال أولئك المترجمين .

فإن تعددت الترجمات لأثر فكري واحد ، فلعل في مجلة الترجمة مجالاً للمقارنة بين هذه الترجمات المختلفة بميزان نقدي لا يمين .

وصفوة القول أن ظهور هذه المجلة عن الجهاز المقترح ، يعين القراء — ولو كانوا قلة — على إدراك أن الترجمة ليست عملاً آلياً يحسنه كل من يقتني قاموساً ، ولا هو عمل تؤديه العقول الألكترونية ، بل إن للترجمة فلسفة ومناهج وأساليب ، ولها رسالة لا يحسنها إلا قوم تمرسوا بها بعد طول معاناة في ميادين الفكر ، قراءة وكتابة وخبرة بتطويع الأساليب ، ودراية بالألفاظ ومعانيها ومؤدياتها وظلال معانيها ، وملابسات استعمالاتها المختلفة .

ثامناً — وربما فطن الجهاز المقترح إلى ضرورة تبني اقتراح إنشاء معهد للتدريب على الترجمة ، يكون أساتذته أفذاذ المترجمين في الوطن العربي . وهؤلاء يحاضرون الطلاب في قواعد الترجمة ومناهجها ، وأهم من

ذلك يحاضرونهم في تجاربهم الخاصة ومغامراتهم مع الأفكار والألفاظ والتراكيب والصياغات ، ويوطئون لهم ولوج هذا الميدان من باب المعاناة والمران الذاتي فضلاً عن باب الدراسات المعهدية النظامية .

وكما أن خريجي كلية الآداب لا يكونون بالضرورة أدباء ، كذلك الشأن في خريجي معهد التدريب على الترجمة ، فلن يكونوا جميعاً مترجمين أشداء ما لم تتوافر لهم الموهبة أصلاً ، وما لم يكونوا مؤهلين باستعداد خاص لخوض هذا الميدان . ولكن خبرة المجربين لا تثمن بمال بالنسبة للشداة من المترجمين ، وهي خبرة لا سبيل إلى تحصيلها إلا بالاحتكاك الوثيق بشدنة الترجمة في هذا المعهد وفي خارجه ، إن أمكن . فإن كان لي أن أومىء إلى تجربة خاصة ، فإنني — على بعد العهد — ما زلت أذكر بالعرفان والشكران التوجيهات السديدة التي لقننيها في أول العمر وريّقه أستاذان فاقهان في شؤون الترجمة هما خليل ثابت وفؤاد صرّوف . كما كان انتفاعي كبيراً بالملاحظات البصيرة التي أسمعنيها رجال من طبقة خليل مطران ونقولا الحداد والأمير مصطفى الشهابي وسلامه موسى وإسماعيل مظهر وعادل زعيتر وسابا حبشي ، ولكل منهم تاريخ في الترجمة عريق حافل .

تاسعاً — ولسنا نتصور جهازاً خاصاً بالترجمة إلاّ ورهن يمينه مكتبة عامرة ، وتضم جميع كتب المراجع كالموسوعات والمعاجم العامة والخاصة ، وتضم أكبر حشد ممكن من الكتب المترجمة والكتب الفرنجية ، وتتابع كل جديد يصدر من الكتب المنقولة ، وتستقبل أحدث الكتب الصادرة باللغات الرئيسية وبغيرها من اللغات ، إن كان إلى ذلك سبيل .

فالمشتغلون بالترجمة لا غنى لهم عن كتب المراجع في كل علم وفن ،

يرجعون إليها كلما أعوزهم أن يضبطوا علماً أو يتحققوا من واقعة أو يستيقنوا من اسم نبات أو حيوان عرض لهم في غضون الترجمة ، أو يتثبتوا من النصوص في مصادرها الأصلية المنقولة عنها . فالمترجم الحريص على سمعته لا يرضى لنفسه أن يكون دون المؤلف دراية بموضوعه وإلماماً بمفرداته . وهو في هذا السبيل يتهيأ للترجمة لا بقراءة الكتاب المراد نقله وحده ، بل باستقصاء جميع المراجع التي كانت تحت يد المؤلف ، وقد تدعوه ضرورة إلى التوسع في مطالعاته وكأنه يهم بتأليف الكتاب لا بترجمته . فالكتب ، ولا سيما الدراسات الأكاديمية منها ، تتشعب موضوعاتها حتى لتغطي ميادين متباعدة . فالعاكف على ترجمة سفر اقتصادي مثلاً ، كثيراً ما يلفي المؤلف وقد انتقل به من ميدان الاقتصاد إلى ميدان القانون الدولي ، ثم إلى ميدان الفلسفة وميادين الدين ، بل الأنثروبولوجيا ( وهو علم السلالات البشرية ) ، لأن لموضوعه أصولاً هنا وصلات هناك جمع المؤلف أطرافها المتباعدة ، واستخرج منها مادة متكاملة للكتابة .

وحتمٌ على المترجم المدرك لقداسة مهمته أن يراجع مكتبته في هذه الموضوعات جميعاً ، فإن لم تسعفه ، ففي مكتبة الجهاز المقترح ضالته ومنشود غايته .

عاشراً — ما زال هناك اعتقاد شائع بأن الترجمة ليست عمل إبداع ، بل هي في ميادين الفكر ثانوية المقدار ، لأنها صناعة نقل لا تقتضي المشتغل بها إلا الإلمام بلغتين أو أكثر ومعرفة كيفية استخدام المعاجم . أما الإبداع فهو حكر على الشاعر ، ولو لم ينظم في كل عمره إلا قصيدة واحدة ، وعلى الروائي ، وإن اقتصر انتاجه على رواية واحدة ، وعلى المؤلفين ذوي الدراسات الموضوعة .

ومن مؤدى هذا الاعتقاد الهبوط بمنزلة المترجمين في سلّم الطبقات ، بينما ترتفع منزلة سواهم من أهل القلم ، قائلي الشعر ورواة القصص وغيرهم من الدارسين .

وفي اعتقادي أن أي مقارنة بين الآثار الذهنية ، هي مقارنة لا محل لها . ومن أكبر الخطأ القول مثلاً ان الأدب مثلاً أسمى منزلة من العلم ، أو ان الشعر أخلد من الرواية ، أو ان الترجمة أقل مستوى من البحث الموضوع . فلكل من هذه الأبواب ضرورة في الحياة ، ولكل من المشتغلين بها رسالة يؤديها ، فتحتل جميعها أماكنها في دنيا الفكر دون أن تطرد منها الواحدة الأخرى . فإذا كانت الحياة العملية تحتاج إلى الطبيب الجراح والطبيب المحلل والطبيب المتخصص بالعيون ، فلا يستغنى بواحدهم عن الآخرين ولا هم يصنفون إلى طبقات عليا ودنيا ، فإن الحياة الفكرية بدورها تحتاج إلى الشاعر بأحلامه ورؤاه وحماسته ولهوه ، كما تحتاج إلى الروائي بتصوراته ورمزياته وتجسيده للخيال ، وتحتاج كذلك إلى المترجم وهو يقرب آداب الدنيا وعلومها وفنونها إلى قارىء الضاد .

وليس ثمة ريب في أن الجهاز المقترح سيدأب دأباً متواصلاً في سبيل إلغاء كل ميل في التفكير العام إلى إهدار قيمة المترجمين والنقلة . فهم إذ يترجمون ، لا يفتقرون إلى موهبة القلم ، ولا هم من الإبداع محرومون ، ولا انصرفوا إلى الترجمة باعتبارها أهون المآتي الفكرية ، وإنما اختاروا هذا المجال إيماناً بجدواه في ارتقاء الفكر العربي ، واعتقاداً منهم بأنهم يؤدون فيه للضاد من الخدمات ما قد لا يحسنه سواهم .

وإذ تتغير النظرة إلى المترجمين ، تتراءى آثار ذلك في حقوقهم الأدبية

والمادية ، فلا يُفتأت عليها ما دام الجهاز المقترح حاملاً أمانة الترجمة مبشراً بقيمتها ، مؤكداً ضرورتها ، ولا سيما لبلدان ما زالت تلهث وراء التقدم العلمي والتقني ، وتعجز عن اللحاق به .

أفليس من المفارقات الصارخة أن الأمة العربية التي يكاد يكون كل اقتصادها مستنداً إلى النفط ، ليس لديها كتاب واحد باللغة العربية ، يتناول هذه الصناعة من جوانبها الجيولوجية والجيوفيزقية والجغرافية والكيميائية والاقتصادية ، وعمليات التنقيب والحفر والكشف والاستخراج والتكرير والشحن والتوزيع والنقل والبيع ، ناهيك بشؤون الناقلات ، وبالمرافيء وأمورها المعقدة ، وبالصناعات البتروكيميائية ، وهي دنيا وحدها . ومثل هذا الكتاب لا يعهد في وضعه إلى أديب مبدع أو شاعر مفلق ، بل لابد من ترجمته بأقلام متخصصين في هذا الميدان .

حادي عشر — وتأكيداً للتعاون والتشاور بين النقلة والمترجمين في الأقطار العربية يرجى من الجهاز المقترح أن يدعو في الحين بعد الحين إلى حلقات أو ندوات يشترك فيها أكبر عدد ممكن من المشتغلين بالترجمة ويشاركون بالدراسات والآراء والمقترحات ، ويبحثون سبل التعاون في ميدان هم جميعاً من عمده . وأمثال هذه الحلقات الدورية لايراد منها أن تنتهي إلى قرارات أو توصيات ، بل يكفي لها أن تكون مناسبة دورية لتقليب الرأي في أمور الترجمة وتبادل الأفكار والتجارب حولها ، والتماس أسباب حل المشكلات التي تؤود المترجمين .

وبعد ، إن حركة الترجمة وجدت لأنها ضرورة للتلاقح الفكري والتقارب الانساني . وهي ضرورة لا في اللغة العربية وحدها ، بل في

جميع لغات العالم . والمترجمون ماضون في طريقهم ، كلٌّ بما هو ميسر له . ولكن هذه الحركة تسير على غير هدى ، فلا تحكمها خطة مرسومة ، ولا يعرف لها هدف معلوم ، وهي تعتمد على جهود فردية متناثرة ، وأذواق خاصة ، واعتبارات شتى .

فإن قدر للجهاز المقترح أن يصبح حقيقة واقعة ، وأن يحمل على عاتقه الرسالة التي توضحت قبلًا ، لوجد فيه المترجمون أكبر عون ، ولكان بحكم وظيفته وبحكم اتصالاته وبحكم متابعته الشاملة لحركة الترجمة في الوطن العربي خير أداة لإسداء الرأي إلى المشتغلين بصناعة الترجمة ، ولتوجيههم إلى تحقيق مآرب الضاد العليا من فن الترجمة .

القاهرة وديع فلسطين

# التعريف والنقد

## شرح أبيات سيبويه

### المنسوب إلى أبي جعفر النحاس

### القسم الثاني *

الدكتور محمد خير الحلواني

عرضنا في البحث السابق ما أحاط بتحقيق هذا الكتاب من أوهام، وصوبنا ما استطعنا تصويبه من نصه ، وسيكون لنا في هذا البحث مسلك آخر ، نرود فيه مجاهل قد نصل بعدها إلى الحقيقة ، أو إلى مايشبه الحقيقة.

– ١ –

وأول ما يهمنا الحديث عنه هو أن الكتاب في وضعه الراهن مضطرب أشد الاضطراب ، عبثت به أيدي النساخ ، وشوهته أيدي الملفقين ، يدنو من كتاب سيبويه حتى يكاد يلتصق به ، ويبعد عنه حتى يكاد يعارضه ، وهو تارةً كتاب في النحو في الكوفي ، يصدر عن مذاهبه ، ويستعمل

(*) نشر القسم الأول من هذا المقال في الجزء السابق ( مج ٥٣ ج ٢ ص ٤١١ )

مصطلحاته ، وتارة أخرى كتاب في النحو البصري يقول بآرائه ، وينحو نحوه ، ويردّ على نحاة الكوفة صراحة .

ولعل أهم ما فيه من اضطراب أنك تجد العنوان في شيء ومايتضمنه في شيء آخر ، ففي الباب الذي عقده لما يجري « على المعرفة من سببها » ساق شواهد لما يجري على النكرة دون المعرفة . ( انظر : الصفحة ١٧١ وما بعدهـا ) وفي الباب نفسه تجد مقاطع غير قصيرة تنتمي إلى أبواب بعيدة جداً عن الموضوع العـام ، كمجيء الأسماء الجامدة صفات كالمشتقة ( ص ١٧٢ ) واستعمال لغة : أكلوني البراغيث ( ص ١٧٣ ) وواضح جداً أن عنوان الباب لا يحتمل هذه الشوائب .

وفي باب سماه ( باب ما يرتفع ) ساق هذا الشاهد :

وابن اللبون إذا ما لُزّ في قَرَنٍ لم يستطع صولة البُزْلِ القناعيس

وقال بعده : « حجة بأن ( ابن اللبون ) لا يكون معرفة إلا بالألف واللام ، ولو أخرجت منه الألف واللام كان نكرة (ص ١٩٣ ) وساق شواهد أخرى فيها ( بنات الماء ) و ( الثريا ) وكلها يجمعها باب آخر سماه سيبويه ( باب من المعرفة يكون فيه الاسم الخاص شائعاً في الأمة ) ، وليس هـــذا فحسب ، بل انتقل إلى شواهد أكثر مجافاة للموضوع العام ، تدور حول استعمال ( مَنْ ) نكرة موصوفة ، ( ص ١٩٤ وما بعدها ) . ثم انتقل بعـد ذلك إلى تقديم صفة النكرة على موصوفها ( ص ١٩٦ ) .

وفي باب آخر سماه « باب من العطف على المضمر » تحـدث عن حروف الجر التي لا يجوز أن تجر الضمائر ( ص ٢٦٢ — ٢٦٣ ) وفي باب

( أي ) تحدث عن استعمال ( مَنْ ) نكرة موصوفة ( ص ٢٦٦ ) وعن استعمال ( ذا ) اسماً موصولاً ( ص ٢٦٧ ) وفي باب ( ما يذهب فيه الجزاء – أي ما يأتي فيه جواب الشرط غير مجزوم – تحدث عما لا يذهب فيه الجزاء ( ص ٢٩١ ) وعن جواب الطلب ( ص ٢٩٤ ) . وهذا كثير .

ويرتد بعض هذا التباين بين العنوان وما يتضمنه إلى أن الكتاب في أقسامه الأخيرة ، يتابع سيبويه في استطراداته التي يوضح فيها قياساً أو يشرح بها ظاهرة ، فهو يثبت الشاهد من دون تمهيد ، بل من دون إشارة إلى ما يريده ، ولا يجد في نفسه حاجة إلى أن يربطه بعنوان الباب الكبير ، كما يرتد بعضه الآخر إلى عملية النسخ ، فلا أشك في أن الناسخ أو النساخ الذين تعاوروا على نقل الكتاب ، قد قدموا مقاطع فيه ، وأخروا أخرى ، جهلاً أو سهواً .

– ٢ –

ولكن الشيء الذي يثير الانتباه هو ذلك التباين الغريب بين عنوانه جملة ، ومحتواه العام ، فهو موسوم بشرح أبيات سيبويه ، والحقيقة أنه ليس كذلك ، وإنما هو في قسمه الأول كتاب مستقل في النحو ، قد يلتقي بسيبويه في بعض الأبواب والشواهد ، ولكنه ينأى عنه في المصطلح ، والمذهب ، وبعض الأبواب ، وهو في قسمه الأخير تلخيص لسيبويه ، لا شرح لشواهده .

والذي يؤكد ذلك ما يلي :

١ – فيه أبواب ليست من أبواب كتاب سيبويه ، من ذلك الباب الذي عقده لِ ( ما يكون ظرفاً وما يكون اسماً ) فهو باب خاص مرّ به

سيبويه مروراً عابراً في بعض فصوله ، ( انظر : ١/٧٩ ، بولاق ) ولم يفصل التفصيل الذي تجده في هذا الكتاب . أضف إلى ذلك أنه لا يلتقي بسيبويه بغير شاهد واحد ، ثم لم يقف منه موقف الشارح ، بل عرضه عرض المحتج به ، وزاد عليه شاهدين آخرين ، وفوق ذلك تراه ينقل عن الخليل ويونس ، ويعرِضُ لِلُغة اليمن ولغة مضر ، وليس شيء من هذا في سيبويه [١].

ويتبع ذلك أنه يبدأ بعض الأبواب بَدْءاً بعيداً عن كونه شرحاً لشواهد خاصة ، ويدل على أنه كتاب مستقل ، يقول في ( باب المضاعف الذي يرد على أصله في الشعر ) : « اعلم أنهم يبلغون بالمضاعف من الكلام الأصل في الشعر ، نحو : رددوا ، وشددوا ، يريد : شدّوا وردّوا ، قال الشاعر :

مهلاً أعاذلَ قد جربتِ من خلقي أني أجود لأقوام وإن ضَنِنُوا

فرد التضعيف كما ترى ، وإنما يفعلون ذلك على أن يردوا الفعل إلى أصله ، وأصله : ضننوا ، بنونين » ( الصفحة ١١ ) .

وفي باب آخر عقده لإسقاط حروف الجر ، وسماها ( الصفات ) — كما يسميها نحاة الكوفة — قال : « إذا حسنت الصفة في اسم ، ثم نزعتها منه ، فانصب الاسم الذي نزعت منه الصفة ، قال الشاعر :

أمرتُكَ الخيرَ فافعل ما أُمِرْتَ به فقد تركتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ

فقال : أمرتك الخيرَ ، على معنى : أمرتك بالخير » . ( ص ٢٥)

(١) وانظر أيضاً : ٢٩ و ١١٨

وهذا في القسم الأول كثير ونقع عليه أحياناً في القسم الثاني ( انظر : ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ) .

٢ — وهناك شيء آخر ذو دلالة واضحة جداً ، هو أن كثيراً من شواهده يوجهها غير توجيه سيبويه ، بل يخالفه فيها أحياناً ، من دون أن يذكر رأي سيبويه ألبتة ، ولا سيما في القسم الأول منه ، وقد يقع هذا في القسم الثاني .

ولا شك أن عرض الشواهد كلها هنا يحتاج إلى مكان أرحب مما يتسع له هذا البحث ، ولهذا سأكتفي بعرض ثلاثة نماذج فقط ، مشيراً إلى مواضع النماذج الأخرى .

● ساق في بعض الأبواب قول ضابيء البُرْجمي :

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فإني ، وقيّارٌ بها ، لغريب

وقال عنه : « مقدم ومؤخر ، ومعناه : فإني لغريب بها وقيار ، قال : وسمعت الخليل بن أحمد وعيسى بن عمر ينشدان هذا البيت بالنصب» . ( ص ٣٣ ) .

ففي هذا النص شيئان يخالف بهما سيبويه ، أولهما أنه اعتمد رواية الرفع في ( قيار ) ، على التقديم والتأخير كما قال ، أما سيبويه فقد اعتمد رواية النصب ، والثاني أنه جعل رواية الرفع أجود من رواية النصب ، فقال : « وأجوده الرفع » . أما سيبويه فقد ساقه ليدل على أن خبر الأول يجزىء عن خبر الثاني . ( انظر ١/ ٣٨ بولاق ) . والغريب أن المؤلف يروي سماعه عن الخليل وعيسى بن عمر ، وهي الرواية التي توافق رواية سيبويه الذي أخذ عن الشيخين كليهما .

● وفي موضع آخر أثبت الشاهد المعروف :

يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدار

ثم شرحه بقوله : «يا سارق الليلةِ ، فأضاف إلى الليلة حين جاورت الليلةُ الاسمَ الذي أضيف إليها ، فأما الخليل فإنه أنشدني :

يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدار

على تأويل : يا سارق أهلِ الدارِ الليلةَ . فهما لغتان ، يا سارق الليلةِ أهلَ الدار ، لغة بني تميم ، ويا سارق الليلةَ أهـلِ الدار ، لغة قيس » . ( ص ٤٤ ٤٥ ) .

والرواية التي سمعها المؤلف من الخليل أثبتها سيبويه ، ولكنه لم يجعلها لغة قيس ، كما فعل المؤلف ، بل قصرها على ضرورة الشعر ، قال : «ولا يجوز : يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدار . إلا في شعرٍ كراهيةَ أن يفصلوا بين الجار والمجرور . » ( سيبويه ٨٩/١ — ٩٠ بولاق ) .

● وأثبت في موضع آخر قول رؤبة :

إني وأسـطارٍ سطرن سـطرا
لقـائل : يا نصرُ نصرُ نصرا

ثم قال : « فهذا يُروى على ما أخبرتك به ، ويرويه بعضهم : يا نصر نصراً نصرا . على : انصرني انصرني . فوضع المصدر وهو قوله : نصراً مكان : انصرني . كما تقول : ضرباً ضربا ، تريد : اضرب اضرب . » ( ص ٢١٤ — ٢١٥ )

ولعله يريد بـ ( بعضهم ) شيوخ سيبويه ، لأنه في ( الكتاب ) على رواية النصب ، وأنت تراه يجعل ( نصرا ) مفعولاً مطلقاً ، على حين يجعلها سيبويه عطف بيان . ( انظر ٣٠٥/١ بولاق ) .

ومعظم توجيهاته في باب الاستثناء لا تختلف عن توجيهات سيبويه فحسب ، بل تناقضها مناقضة صريحة ، كالشواهد ذات الأرقام ( ٤٨٠ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ) فهو يصدر فيها عن مذاهب كوفية ثابتة في كتب الكوفيين ، وفي كتب مَن نقلها من المتأخرين .

٣ - وهناك دليل ثالث ، هو أن المؤلف ينقل بعضاً من شواهد سيبويه عن الشيوخ القدماء ، وبعض ما ينقله عنهم من تأويلاتٍ لأوجهِ الظواهرِ لم يثبته سيبويه ، وسأعرض من ذلك نموذجين اثنين :

● اثبت في الصفحة ( ٤٥ ) هذا البيت :

وكرارِ خلفِ المُحْجرين جوادَه     إذا لم يحام دون أنثى حليلها

ثم علق عليه بقوله : « قال : وكرار خلفِ .. حين فرق بين الاسم والاسم أضاف إلى الصفة ، وأحلها محل الاسم ، وأما يونس فإنه أنشدني :

وكرارِ خلفَ المحجرين جوادِهِ

على تأويل : وكرارِ جوادِه خلفَ المحجرين . »

فهذا البيت من رواية سيبويه حقاً ، ولكن رواية يونس لا وجود لها في ( الكتاب ) ( انظر ١/٩٠ بولاق ) وروايته إنشادَ يونس بهذه المباشرة يقطع بأن المؤلف أخذ عن يونس ، ولم ينقل الشاهد عن سيبويه .

● وفي الصفحة ( ١٣٥ ) أثبت قول الشاعر :

يا مَيُّ إن تفقدي قوماً ولدتِهِم     أو تُخْلَسيهم فإن الدهر خلاسُ

عمرٌو وزيدٌ مناةِ والذي عهدتْ     ببطن عرعرَ آبي الضيمِ عباسُ

ثم قال : « والخليل رواه بالنصب على البدل » . ورواية الخليل ورأيه

لم يذكرهما سيبويه ألبتة . (انظر : ١/٢٢٥ بولاق) .

وعلى هذا تجد المؤلف لايشرح رأي سيبويه ، ولايوضح توجيهه الذي ذهب إليه ، بل يروي عن الشيوخ القدماء انشاداً خاصاً ، على أن بعض هذه الشواهد تلتقي برواية سيبويه (انظر : ٩ ، ٣٣، ٤٠، ٤٤ ، ٥٧، ١٣٤)

٤ – والدليل الرابع يَعْضُدُ الدليلَ الذي قبله ، فهناك شواهد ليست في سيبويه ، وقد نقلها المؤلف عن أمثال الخليل ويونس ، أو عن العرب مباشرة ، مما يؤكد أن الكتاب ليس شرحاً لشـــواهدَ ، وأن مؤلفه قديم معاصر لأولئك الشيوخ ، وأن له سماعاً من فصحاء العرب ، فما رواه عن الخليل وليس في سيبويه قول الشاعر :

إنِ الحيَّ والقومَ الذي أنا منهمُ لأهلُ مقاماتٍ وشـاءٍ وجاملِ
(ص ٥٩)

وقـــوله :

فلا لغـــو ولا تأثيم فيهـا وما فاهوا بـه لهـم مقـــيم
(ص ٤٩)

وهذا من شواهد النحو التي شاعت في المتأخرين .

أما ما أنشده عن يونس وليس في سيبويه فهو قول الشاعر :

إن شرخ الشباب والشعَرَ الأسـ ـود ما لم يُعاصَ كان جنـــونا
(ص ٣٥)

وقـــوله :

وأعور من نبهـانَ أمّا نهاره فأعمى وأما ليـله فبصـير
(ص ٤٨)

ومما رواه عن العرب التميميين قول ذي الرمة :

تلك الفتـــاة التي علقتها عرضاً  إن الكريم وذا الاسلام يختلب
(ص ٣٦ . وانظر : ٤٧ ، و٦٢ )

٥ - وفي معظم المواضع تجد عبارته في تحليل الشـــاهد وشرح ظاهرته تقصر عن عبارة سيبويه ، بل تكاد تكون مبهمة إذا هي قيست إليهـا ، والمعروف أن كتب الشروح إنما تفيض في التوضيح ، وتعرض الظاهرة عرضاً أكثر تفصيلاً من عرض الكتاب المشروحة شواهده . ودونك هذه النماذج الثلاثة :

● وفي الصفحة ( ٢٥٦ ) أثبت بيت ( الكتاب ) :

ونحن اقتسمنا المال نصفين بيننـا  فقلت لهم هذا لهـاها وذا ليـــا

وكل ما قاله في شرحه هو : « أراد : وهذا ليا ، ففصل وقدم . » أما عبارة سيبويه فهي : « كأنه أراد أن يقـول : وهذا لي ، فصيَّر الواو بين ( ها ) و ( ذا ) » ( ٢/٣٥٤ هارون ) فليت شعري كيف يكون ذاك الكلام شرحاً لهذا . ؟؟

● وأثبت في الصفحة ( ٢٦٠ ) قول يزيد بن الحكم :

وكم موطن لولاي طحت كما هوى  بأجرامه من قـلة النيق منهوى

وقال بعده : « حجـة بأنه قال : لولاي ، ولم يقل : لولا أنا ، لأن ( لولا ) ترفع ، وأنا ضمير مرفوع . » أما سيبويه فقد ساق في الظاهرة كلاماً طويلاً ثم أثبت الشاهد ( انظر ٢/٣٧٣ هارون ) .

● وفي الصفحة ( ٢٩٩ ) أثبت قول الشاعر :

صددت فأطولت الصدود وقلمـا  وصال على طول الصدود يدوم

ثم علق عليه بقوله : « قلما لايليه إلا الفعل ، وفصل في هذا البيت .» أما سيبويه فقد ذكر أنهم أخلصوا ( قلمـا ) للفعل ، ولكن « قد يجوز في الشعر تقديم الاسم » . ( انظر ٣/١١٥ )

٦ – وإلى جانب هذا نجـد في الكتاب ظواهر نحوية مشروحة ولم يثبت المؤلف لهـا شواهد ألبتـة ، من ذلك قوله : « ويمنع صرف المعدول من الأسماء مثل : جمار ، وحذام ، ورقاش ، وحلاق ، وبداد ، وجماد . فـ ( جعار ) معدول عن جاعرة ، وسميت بذلك لعظم بطنها ، وهي الضبع . وجماد معدول عن جامدة ، وحلاق عن حالقة ، و .. الـخ » ( ٣١٥ – ٣١٦ )

وكذلك فعل في قوله : « وقالوا حاجة وحاج ، وساعة وساع ، وقالوا : تمرة وتمر ، وحيقة وحيق . » (ص ٣٢٧ )

ولا شك أن مثل هذه الظواهر المشروحة بلا شواهد ، ذات دلالة على طبيعة الكتاب ، وعلى أنه ليس بشرح للشواهد .

٧ – وإلى جانب هذه الأدلة المتقدمة ، نجد المؤلف قلمـا ينسب البيت إلى قائله ، وكثيراً ما يكتفي بقوله : قال ، أو : قال الشاعر ، وأيّ كتاب في شرح الشواهد يفعل هذا ؟ فمنذ فجر الدراسة النحوية عني النحاة بشواهد سيبويه ، ونسبوا معظمها إلى قائليها ، وهي قصة معروفة تناقلتها كتب الطبقات والأخبـار ، فكيف يتصدى شارح لأبيـات سيبويه ولا يكلف نفسه مَؤُونَةَ النسبة ، بل إنك لتجد البيت في سيبويه منسوباً إلى قائله ، ولا تجده كذلك في هذا الكتاب .

٨ – وآخر هذه الأدلة أنك تجد المؤلف لا يذكر اسم ( سيبويه )

ألبتـة ، في معرض الحديث عن الشاهد ، ولا في معرض شرح موضـع الظاهرة المحتج لها ، وإنما ذكره في الكتاب كله مرتين فقط ، ذكره ذكراً عابراً ، كأن ينقل عنه خبراً أو ينسب إليه رأياً . ( انظر : ٢١٣ ، و ٣٢٧ ) وكان أقرب إلى المنطق أن يكثر من ذكره والعودة إلى آرائه ومذاهبه ، كما تفعل كتب الشروح المعروفة .

٩ ـ وعلى الرغم من هذا كله نجد مواضع من الكتاب تدل دلالة واضحة على أنه متصل بسيبويه وشواهده ، على شكل يوحي بأنه تلخيص له ، لا شرح لأبياته فقط ، ولا سيما في قسمه الثاني ، ففي الصفحة (١٤١) أثبت قول الشاعر :

ومن يك سـائلاً عني فإني وجروة لا تُرار ولا تعـار

وقول الآخر :

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فـإني وقيار بهـا لغريب

ثم قال : « وضع هذين البيتين حجة في أنه صير الواو في معنى ( مع ) يريد : فإني مع جروة - فإني مع قيار » . ويلقاك مثل هذا في الصفحات ( ١٤٢ ، ١٤٨ ، ٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ) .

ولا شك أن هذا الاضطراب في أبواب الكتاب يـدل على أنه غير سَوِيّ ، وأنه لم يؤلفه رجل واحد ذو مذهب واضح ، ولقد حرت في أمر مؤلفه أول الأمر ، ثم استوى لي رأي هو إلى اليقين أقرب منه إلى الشك والزعم ، وهو أن الكتاب في أوله ملفق من أحد كتابي الكسائي أو كليهما أعني : المختصر في النحو ، والحدود ؛ أما قسمه الثـاني فمأخوذ

من كتاب أبي عمر الجرمي ، الذي لخص فيه كتاب سيبويه ، وذلك أن ناسخاً على مقدار غير قليل من الجهل لفق كتاباً في النحو جمعه من هنا وهناك ، نقل فيه مذاهب شتى لا تجتمع في كتاب واعٍ ، وربط فيه بين المتباعدات التي لايدنو بعضها من بعض .

والذي يدل على أن قسمه الأول من كتابيْ الكسائي أشياء كثيرة ، دونك بيانها وتفصيلها :

١ – ان المؤلف يروي مباشرة عن عيسى بن عمر ، والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وأبي الحسن الأخفش ، ويذكر ذكراً عابراً سيبويه وقطربا ، ( انظر : ٩ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٧١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ) ، وتختفي هذه الأسماء في القسم الثاني ، وإذا ذكرت فإنما يكون الكلام فيها منقولاً عن سيبويه ( انظر : ٢٧٧ ، ٣٠٨ ) .

والمهم في الأمر أن الكسائي هو النحوي الكوفي الذي لقي هؤلاء الشيوخ وروى عنهم ، أما تلميذه الفراء فقد لقي يونس بن حبيب وسيبويه ، والأخفش ، وقطربا ، ولكنه لم يرو عن غير يونس .

٢ – ويؤكد هذا أيضاً ما في القسم الأول من دلالة على سعة رواية المؤلف ، فهو ينقل عن العرب الفصحاء مباشرة دون واسطة ، إذ روى عن بني دارم ، ونهشل ، وعبس ، وأسد ، وقيس ، ( انظر : ١٩ ، ٢١ ) وقد يعمم في الرواية ، كأن يقول : وبنو تميم الشاميون ، يجعلون كذا وكذا .. أو : سمعت بعض التميميين ينشدون ، أو بعض الكنديين ، أو يقول : اليمانون يقولون كذا ، أما المضريون فيقولون كذا ... أو : أهل

الغور ينشدون ، وبعض العرب النجديين . ( انظر : ٢٤ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ) وهذا أسلوب كوفي نجده في كتاب الفراء : معاني القرآن ، أو كتابه : المذكر والمؤنث ، ونجده في كتب ثعلب وأبي بكر بن الأنباري الكثيرة ، أضف إلى ذلك أن الكسائي رحل إلى البادية وأنفد فيها خمس عشرة قنينة حبر - كما تقول الرواية - عدا ما وعته حافظته من كلام العرب ورواياتهم . والأماكن التي يحددها هذا الكتاب تطابق الأماكن التي ارتادها الكسائي ، وهي بوادي نجد ، وتهامة ، والحجاز .

٣ - وفوق هذا نجد في الكتاب مذاهب كوفية صريحة ، بعضها ينسب إلى الكوفيين جميعاً ، وبعضها ينسب إلى الكسائي خاصة ، وهي :

ا - القولُ بأن خبر ( ما ) الحجازية منصوب بنزع الخافض ، لا بـ ( ما ) نفسها كما يرى سيبويه ونحاة البصرة ( انظر : ٢٦ ، ٥٧ ) .

ب - جوازُ العطف على اسم ( إنَّ ) بالرفع قبل مجيء الخبر ، وإن كان اسمها معرباً ، وهذا رأي ينسب إلى الكسائي خاصة ، ( انظر ٣٥ ، ٣٦ ) .

ج - جعلُ فاء السببية هي الناصبة للفعل المضارع ، لا ( أنْ ) مضمرة وجوباً كما يرى البصريون ( ص ٥٠ ) .

د - جعل ( إنْ ) المخففة من الثقيلة نافيـــةً ، واللام الفارقة بعدها أداة حصر ، وهذا مذهب كوفي مشهور ( انظر : ٥٩ ) .

هـ - جعلُ ( إلا ) في الاستثناء بمعنى الواو في بعض المواضع . ( انظر : ٢٤٥ - ٢٤٦ ) وهذا مذهب يأباه البصريون ويرفضونه .

٤ — وكذلك نجد مصطلحات كوفية كتسمية الزائد حشواً ، وتسمية حرف الجر صفة ، وتسمية النفي جحداً ، وتسمية الفعل المتعدي واقعاً ، ( انظر : ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٩ ، ٦١ ، ٦٢ ) . صحيح أن بعض البصريين استعملوا أحياناً بعض هذه المصطلحات ، إلا أنك حين تضع هذا الدليل بجانب ما تقدَّمَهُ تجده مما يُستأنس به ، ويركن إليه .

٥ — وهناك دليل آخر هو ما نجده في القسم الأول خاصة من نسبة الأوجه النادرة التي يأباها البصريون إلى لهجات عربية ، وتلك سمة كوفية تلتمس في آثار النحاة الكوفيين ، وفي كتب الطبقات التي تحدثت عنهم ، ( انظر : ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٤ ) .

٦ — وفي موقفه من القراءات دليل آخر ، فهو لا يكاد يذكر من القراء إلا ابن مسعود ، وهو — كما تعرف — مقرىء أهل الكوفة ، وكثيراً ما يُذكر في كتب نحاتهم . ( انظر : ٦٠ ، ٦١ ) .

على أن الكتاب يضطرب في هذا نفسه ، إذ نراه يتناقض ، ويذكر من الأوجه أو يبدي من الظواهر ما ينفي أن يكون كوفياً ، فعلى الرغم من أنه ذهب مذهب الكوفيين في عمل ( ما ) الحجازية في ( ص ٢٦ ، ٥٧ ) . نراه يعود إلى رأي البصريين في الصفحة ( ٧٧ ) فيجعلها عاملة عمل ( ليس ) ، ويجعل الخبر منصوباً بها لا بنزع الخافض .

بل إنه يذكر الكوفيين ويرد عليهم في بعض الأحيان ، وقد يسميهم بغداديين ، كما كان يفعل بعض نحاة القرن الرابع كابن السراج ، والفارسي ، وابن جني . ( انظر : ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٢٠ ) .

- ٤ -

بقي أن نتحدث عن القسم الثاني من الكتاب ، وهو الذي أخذ من كتاب الجرمي الذي لخص فيه كتاب سيبويه . فالمعروف في تاريخ هذا العلم أن أبا عمر الجَرْمي من أوائل النحويين الذين عنوا بالكتاب، وبشواهده ، وقد هيأت له عنايته أن يلخص الكتاب كله على سعته وشموله ، ولقب ملخصه هذا بالفرخ ، أي فرخ كتاب سيبويه ، وقد اختلف القدماء في تقويمه ، فعدّه بعضهم كتاباً جيداً ، ورآه آخرون ضعيفاً غير سويّ . ( انظر : إنباه الرواة ٢/٨٠ ومابعدها . والزبيدي ٧٤ (ط ٢) ، وبغية الوعاة ٢/٩ )

والحق أن الكتاب في صفحاته المتأخرة يلتصق التصاقاً محكماً بكتاب سيبويه ، لايخرج عليه ولا يخالفه في الرأي ، بل إنه ليتابعه في استطراداته التوضيحية ، جاعلاً شواهده هي المنطلق إلى الحديث الموجز عن القاعدة اللغوية .

ولا بد هنا من ذكر الأمثلة ، وسأكتفي باثنين فقط إيثاراً للإيجاز :

١ - جاء في الصفحة ( ٢٥٩ ) مايلي : « قال الشاعر :

كمُنْيةِ جابرٍ إذ قال ليتي أصادفه وأفقِدُ بعض مالي

حجة أنه قال : ليتي ، ولم يقل ليتني . »

أما كلام سيبويه فهو : « قال الشعراء ليتي . إذا اضطروا ، كأنهم شبهوه بالاسم حيث قالوا : الضاربي . والمضمر منصوب ، قال الشاعر :

كمنية جابر ... الخ . » ( ٢/٣٧٠ هارون )

وواضح من النصين أن الكلام في الأول موجز غاية الايجاز ، وأنه يتابع سيبويه في الفكرة والشاهد .

وفي الصفحة ( ٢٠٥ ) ومابعدها باب خاص عن ( كم ) ، جاء فيـه ما يلي :

« وجدّاء لايُرْجى بها ذو قرابة لعطف ولا تخشى السماء ربيبها

هذا حجة لإضمار ( ربّ ) . كأنه قال : ورب جدّاء . »

فهـو كما ترى يتحدث عن ( ربّ ) وإضمارها بعد الواو ، وليس لهذا صلة بباب ( كم ) ولكنه يتابع سيبويه في بعض أقيسته التي يوضح بهـا الظاهرة ، فـ ( كم ) الخبرية يجـر تمييزها بـ ( من ) مقدرةً ، لا بالإضافة ، وقد قيس هذا على إضمار ( رب ) بعد الواو والفاء وبل .

وإلى جانب هذا نجده ينقل أحياناً عبارة سيبويه اللفظية ، كما فعل في الصفحة ( ٢٢٥ ) حيث أثبت قول الشاعر :

فهـــي ترثي بأبي وابنيـــما

قال : « إنما أراد : وابني ، و ( ما ) زائدة وصل بها كلامه ، ( وإنما حكت ندبتها ) » فالعبارة الأخيرة لفظ سيبويه نفسه . ( انظر : ٢٢٣/٢ هارون ) وفيه : « وإنما حكى ندبتها » .

وجاء في الصفحة ( ٢٥٤ ) عند الكلام على قول الشاعر :

بعـد اللتيـــا والتي والـــلاتي

« وحذف المضاف إليه ليس بأشدّ من حذف صلة التي . » وجاء في سيبويه : « فليس حذف المضاف إليه في كلامهم بأشدّ من حذف تمام الاسم . » ( ٣٤٧/٢ هارون ) . وكذلك نجد مثل هذا في الصفحة ( ٢٣١ )

حيث يقول عن ذي الرمة : « كان يسميها مرة مية ، ومرة ميا » وهو لفظ سيبويه نقله عن شيخه يونس بن حبيب . (انظر : ٢٤٧/٢ هارون) .

وثمة شيء آخر هو أن المؤلف يشوه في بعض المواضع البحث النحوي الذي في سيبويه ، حتى إنك لاتكاد تقف على غرضه إن لم يكن بجانبك كتاب سيبويه ، فبدلاً من أن يكون هو شرحاً لـ (الكتاب) تجد (الكتاب) شرحاً له ، ودونك مثالاً واحداً على هذا :

جاء في باب ( كم ) ما يلي : « قال الشاعر :

على أنني بعـــد ما قد مضى ثلاثون للهجـــر حولاً كميلا
يذكرنيك حنينُ العجـــول ونوحُ الحمـــام ينادي هديلا

حجة للفصل ، وذلك أنه فصل بين ( ثلاثين ) وبين ( حولا كميلا ) بالهجر ، ولو جاء الكلام على وجهه لقال : ثلاثون حولاً ، كما تقول : ثلاثون درهماً لك عندي ، ولاتقول : ثلاثون الك عندي درهماً » (ص٢٠٥)

فالباب كما ترى باب ( كم ) ، والكلام كله يخلو من ذكر ( كم ) ومن طيفها ، وموضع الشاهد نفسه غامض ، ولابد لك من العودة إلى (الكتاب) حتى تقف عليه ، فسيبويه يوازن بين ( كم ) وألفاظ العقود من حيث جواز الفصل بينها وبين التمييز ، أما ( كم ) فالفصل بينها وبينه عربي جيد ، لأنها اسم جامد لاتصرف لها في التقديم والتأخير ، وإنما هي ملازمة لصدر الكلام ، أما العقود فإن الفصل بينها وبين ماتميزها قبيح ، لأنها أسماء متصرفة ، تتقدم وتتأخر ، وإذا حصل الفصل فإنما يحصل في ضرورة الشعر ليس غير . (انظر : ١٥٨/٢ هارون) ذاك هو موضع الشاهد ، فأين هو مما جاء في الكتاب المحقق ؟

وأحياناً ترى المؤلف يخطىء فهم سيبويه ، وتضلّ به السبل إليه ، وقد وقع منه هذا في غير موضع من كتابه ، ودونك مثالاً واحداً عليه : جاء في الصفحة ( ٢٣٨ ) عند الكلام على قول الشاعر :

أودى ابن جلهـم عبّـاد بصرمته إن ابن جلهم أمسى حية الوادي

« رخم جلهمة ، وهي أمه . » وجاء في كتاب سيبويه ( ٢٧٢/٢ هارون ) :

« وأما قول الأسود بن يعفر :

... البيت ...

فإنما أراد أمه جلهم . والعرب يسمون المرأة جلهم ، والرجل جلهمة . »

وإذن فإن البيت يخلو من الترخيم ، وإنما أتى به سيبويه لينبه على ذلك ، فالشاعر يريد أمه ، واسمها : جلهم ، بغير تاء ، فأتى به على حقيقته من دون حذف . ولو كان يريد أباه لـكان في الكلام ترخيم .(١)

* * *

نخلص من هذا كله إلى أن ناسخاً متأخراً أتى على حدود الكسائي ومختصره ، وعلى تلخيص الجرمي للكتاب ، فنقل من هذا ومن ذاك ، ولفق بين الآراء المتبـاينة ، فأتى كتابه المنسوخ ممسوخاً مشوهاً ، لا هو بالنحو الكوفي ، ولا هو بالنحو البصري ، ليس شرحاً للشواهد وليس بعيداً عن الشـواهد ، وليت الجهد الذي بذل في تحقيقه توفر على كتاب أكثر نفعاً ، إذن لأفاد في نشر التراث ، وقدم مانحتاج إليه .

محمد خير الحلواني

---

(١) وانظر مثل هذا في الصفحة ( ٣٢١ )

## من أوائل المتصوفة في بغداد
## دراسة عن حياة الحارث بن أسد المحاسبي وتعاليمه
## ( ٧٨١ - ٨٥٧ للميلاد )
تأليف مارغريت سمث

An Early Mystic of Baghdad. A Study of the life and Teaching of Harith b. Asad al - Muhasibi, by Margaret Smith, Sheldon Press, London, 1977

**مراجعة الدكتور صفاء خلوصي**

هذا كتاب راجعناه بالانكليزية لمجلة اسلامك ريفيو للفقيد عبد المجيد عبد الرزاق عام ١٩٥٠ ولا أعتقد أن رأينا فيه قد تغير كثيراً ، فقد طبع لأول مرة عام ١٩٣٥ وها هو ذا يظهر بطبعة ذات غلاف رقيق ، يضم ثلثمائة وإحدى عشرة صفحة من القطع المتوسط ، بما في ذلك مسرد المصادر العربية والفارسية والعبرية والسريانية والأفرنجية باللغات الثلاث : الانكليزية والفرنسية والألمانية ، وفهرس أبجدي للنقاط المهمة في الكتاب بالإضافة إلى المصطلحات الصوفية ، ولا بد من الإشارة إلى ورق الكتاب ونمط طباعته في زمن شاعت فيه الكتب ذات الورق العادي والحروف الدقيقة المرهقة للعين ، فورق كتاب المحاسبي جيد وطباعته

ممتازة . وقد كسرت المؤلفة الكتاب على أربعة عشر فصلاً ، استهلته ببيئة المحاسبي وباكورة حياته الأولى ، فقـد ولد المحاسبي في البصرة سنة ٧٨١ للميلاد وعاش ودرّس في بغداد . وقد اعترف به علمـاء المسلمين أستاذاً للتصوف الإسلامي في أوائل أيام نقاوته وبساطته وتدل كتاباته على أنه من عظماء المتصوفة الزهاد وأكابر الفقهاء ومع أنه كان غزير الانتاج فإن الكثير من مؤلفاته لم يطبع بعد ؛ لذلك اعتمدت الأستاذة الباحثة مارغريت سمث على مؤلفاته المخطوطة المبثوثة في مكتبـات الشرق والغرب ، وكان ظهور المحاسبي توطئة لظهور الإمام الغزالي الذي جعل للتصوف مـكانة عند أهل السنة ، فضلاً عن أن متصوفة العرب والفرس الذين أعقبوه كلهم عيالٌ عليه ولا سـيما أولئك الذين أثروا في متصوفة المسيحية . وأهم مـآثر المحاسبي كتابه المشهور : ( الرعاية لحقوق الله ) ؛ وبعد أن تفرغ الأستاذة مارغريت سمث من حياة المحاسبي الظاهرية تعمد إلى دراسة حياته الباطنية فتبحث في تحول المحاسبي إلى صوفي حقيقي بأعمق معاني الـكلمة وتدرس مشاعره نحو الله جل شأنه ونحو جيرانه والناس الملتفين حوله ، وتخصص الفصل الثالث لمريديه وخلصائه وعلى رأسهم الجنيد والطوسي والخوّاص والسـريّ السقطي وتتطرق إلى اثنين وعشرين مؤلفاً من مؤلفاته ومن بينها الرعاية والوصايا وكتاب التوهم ، والبعث والنشور ، والمكاسب والورع وآداب النفوس ومحاسبة النفوس وفهم الصلاة ، وكتاب العلم ، والتفكر والاعتبار ، وفهم القرآن ، والغيبة ؛ وعندما تسرد الأستاذة مارغريت مصادر المحاسبي تعدد بينها المحدّثين الأوائل والجيل الثاني من الثقات كالحسن البصري وسفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم ومعاصريه كالأنطاكي وبشر الحافي وذنون المصري ، والمصادر اليونانية

والمسيحية والعبرية . وتستغرق خمساً وعشرين صفحة في بحث النظرية النفسية للمحاسبي فتتطرق للباطن والظاهر والروح العلوية والسفلية والعقل وموضع المشاعر والعواطف والقصد والإرادة ونظرية المحاسبي في المعرفة . وتخصص السيدة الباحثة ثلاثة فصول متتابعة لموضوع ( الفقه الزهدي عند المحاسبي ) وكلهـا تدور حول الخالق والمخلوق وطبيعة الإثم والخطيئة وأعداء الروح وإبليس والذات والإغراء وهدفه والنفاق والكبرياء بأشكالها المختلفة والغبطة والحسد وآثام اللسان وإيهام الذات والندم والتوبة واختبار الذات وتمحيصها . أما الفصل العـاشر فمحوره الفقه الأخلاقي بما في ذلك الأمل والورع والإحسان والعدل والصبر . وأبرز تعاليم المحاسبي التعبدية تتركز في أهمية الوحدة والصمت والصلاة التأملية . وبعد الفراغ من كل هذا تعرج مارغريت سمث على تعاليم المحاسبي الصوفية ، ومن ثم تجعل الفصل الثالث عشر خلاصة لتعاليم المحاسبي كافة وتدير الحديث حول تأثير المحاسبي على معاصريه وتحدثنا عن نقاده ومريديه وبالتالي عن تأثيره على من جاء بعده كالحلاّج وابن سينا والسهروردي وطبقة الشاذلية من أمثال السبكي وابن حجر العسقلاني ؛ وتجد مارغريت سمث أن تأثير المحاسبي على الإمام الغزالي كان من القوة بحيث يستحق أفراد فصل خاص به هو الفصل الرابع عشر ، الفصل الختـامي ، ويتشعب عندها الكلام فتستطرد إلى ابن العبري والتصوف الغربي وموسى بن ميمون والتصوف المسيحي وتوماس اكوانياس Thomas Aquinas ودانتي ؛ ولعل هذا الفصل هو أطرف ما في الكتاب وأمتعه ، ومن يقرأه يؤمن بأن المحاسبي كان أبا التصوف في العالم فمتصوفة الإسلام والمسيحية والموسوية مدينون له جميعاً على رأي الأستاذة مارغريت

سمث ، فتوماس اكويناس المتوفى عام ١٢٧٤ للميلاد درس كتب المتصوفة العرب وتأثر بالمحاسبي بشكل ملحوظ عن طريق الإمام الغزالي ؛ وهذا نمط من كتابات توماس اكويناس يذكرنا بآراء المحاسبي وأقواله ونظرياته : يقول القديس توماس وكأنه يترجم عن المحاسبي بالحرف الواحد : « إننا نقدم لله عبادة روحانية قوامها العبادة الباطنية في العقل ، والعبادة الجسمانية التي قوامها الاخضاع الخارجي للبدن واستسلامه وفي كل أفعال العبادة يشير ما هو ظاهري إلى ما هو باطني والثاني أهم من الأول بكثير . فالعبادة الظاهرية إنما تقدم من جراء العبادة الباطنية .

وكان ريموند لل Raymond Lull الكاتالوني المتوفى سنة ١٣١٤ المعروف بالعلامة المنوّر أحد المتصوفة المسيحيين في إسبانيا الذين استوحوا أفكارهم من كتاب العرب وفقهائهم وهو الذي أسس كلية اللغات الشرقية بروما تدّرس في جملة ما تدّرس العربية والدين الاسلامي الحنيف ، يقول عنه بعض الكتّاب المحدثين : « لقد أصبح كشعلة ملتهبة تضطرم حيوية وتدعو إلى الاتجاه إلى الله وإلى التأمل وعلى الأخص إلى العمل » وأكبر الظن أن الكثير من تعاليمه ومواعظه قد استقي مما كتبه المحاسبي ومن جاء بعده . وفي استعراضه لموضوع الخطايا وعلاجها نجد صدًى مردداً لتعاليم المحاسبي الزهدية ، ومن أقواله المأثورة : « بين الأمل والخوف جعل الحب مقامه » وعلى لسان العاشق الإلهي يقول ـ وأقواله أصداء لما قالته متصوفة العرب ـ : « أملي في تذكري وفهمي وحبي للعدالة من أحب ورحمته وصدقتي وإحساني تكمنان في أنني أحب محبوبي أكثر من نفسي وأكثر من أي كائن سواه وصبري في خشيتي وحبي لمن أحب ، وقواي العقليـة

في تذكري وفهمي وحب الشرور التي تنالني من حبيبي ، وفي عبادتي وحبي وفهمي إياه كنزي . ويقول العاشق كذلك : « أنا لا أميّز بين الأفراح والأتراح التي تبعث بها إلي » . هذا كلام المحاسبي وقد أعجب به ( ريموند لل ) وردده وكأنه من بنات أفكاره . لنستمع إليه وهو يتحدث عن ( الوحدة ) إنه ليقول : « الوحدة سلوى ورفقة بين المحب والمحبوب ، لأن السلوى والرفقة هما وحدة القلب العاشق عندما لا يتذكر غير شخص الحبيب » .

وقد امتد تأثير المحاسبي إلى الشاعر الإيطالي دانتي فهناك الشيء الكثير من تأثير التصوف الاسلامي فيه وأبرز ما نرى ذلك في الكوميديا الإلهية ومع أن ( دانتي ) مدين بمعظم ما جاء به إلى ابن عربي فهناك مع ذلك آثار من التعاليم الصوفية الأولى التي سبقت ابن عربي وعلى الأخص تلك التي جاء بها المحاسبي ومن بينها فكرة ( المطهر ) Purgatory حيث ينال الآثمون عقاباً يطهرهم مما اقترفوه وهو عقاب وقتي وليس بأزلي ، فثواب الصالحين الذين توفاهم الله من بعدما تابوا وأنابوا جنات النعيم . أما الأولياء وخيار المؤمنين فلهم فرحة الأزل برؤية ربهم الكريم وسماع صوته ،صوت المحبوب الأزلي الأبدي .

وهكذا نرى أن تأثير المحاسبي المباشر وغير المباشر في المتصوفة الذين جاؤوا بعده من مسلمين ومسيحيين وموسويين كان عميقاً بعيد المدى ؛ وقد شبهه بعض الباحثين بالراهب الألماني توماس آ كيمبيس Thomas A Kempis الذي عاش في القرن الخامس عشر وقد كتب في التاريخ والسير والمواعظ وأناشيد كنيسة واستنسخ الكتاب المقدس وألف عدة كتب في العبادات والطقوس الدينية ، أهمها كتابه ( محاكاة المسيح ) الذي نقل إلى العديد

من اللغات وظهرت له ما لايقل عن ثلاثة آلاف طبعة ، وعلى ذلك فالمحاسبي هو توماس آ كيمبيس العرب ، غير أننا نستميح السيدة مارغريت سمث العذر ونقول إن توماس آ كيمبيس هو محاسبيّ الألمان ، ذلك لأن المحاسبي هو السابق والمتصوف الألماني هو اللاحق الذي يجب أن يشبه به والمحاسبي هو أول من أوضح بجلاء طريق التصوف الهادف إلى تحقيق الوحدة الروحانية مع الله ووضع أسس حتى الوجود التي أصبحت السبيل التي سلكها الكثير من المتصوفة الذين ترسموا خطاه على مر الأجيال سواء في الشرق أو الغرب .

وبعد ، فهذا هو كتاب الحارث بن أسد المحاسبي الذي بذلت فيه المستشرقة جهداً لاينكر وتجلت فيه أنفاس أكابر المتصوفة من المستشرقين وعلى رأسهم آربري ونكلسون الذي يُخيّل إليّ أنه هو الذي اقترح عليها هذا الموضوع يوم كان رئيساً لقسم اللغة العربية بجامعة كمبردج ، وهو الذي شجعها للمضي قدماً في هذا السبيل .

اكسفورد : صفاء خلوصي

## كتاب « حَجَّة أحمد بن طُوَيْر الجنة »
### ترجمة وتحقيق هـ . ت . نوريس

## وكتاب « ملك القلعة : الاختيار والمسؤولية في العالم المعاصر »
### تأليف : غاي إيتون

(1) The Pilgrimage of Ahmad son of the Little Bird of Paradise. Translated and edited by H. T. Norris, ( Aris & Respousips Ltd, ENGLAND )

(2) Gai Eaton , « King of The Castle , Choice & Responsibility in The Modern World, » Imperial Iranian Academy of Philosobphy, London , 1977

**مراجعة الدكتور صفاء خلوصي**

سميراي هذا الشهر كتابان جديدان ظهرا بالانكليزية مؤخراً لايجمع بينهما سوى خيط دقيق واحد ، هو أن موضوعهما إسلامي ، الأول بعنوان : « حَجَّةُ أحمد بن طُوَيْر الجنّة » وهو ترجمة انكليزية قام بها المستشرق الشاب ايتش . تي . نوريس المدرس بكلية الشرقيات بجامعة لندن ، والثاني كتاب عنوانه : « ملك القلعة أو الاختيار والمسؤولية في العالم المعاصر » تأليف غاي إيتون ، ولنبدأ بالكتاب الأول فهو مخطوط موريتاني أو بالأحرى شنقيطي - وحبذا لو أعيد اسم شنقيط واستعيض به عن ( موريتانيا ) الاسم

الذي فرضه الاستعمار الأوربي على هذا القطر فرضاً ، وأود أن أطبق هذه الدعوة في مقالي هذا فحيثما ورد اسم ( موريتانيا ) فهو ( شنقيط ) إرضاءً لأرواح السلف الصالح الذين ما كانوا ليعرفوا لها غير هذا الاسم . يسرد المخطوط الشنقيطي قصة حجٍ في القرن التاسع عشر تتضمن رحلة من شنقيط إلى مكة المكرمة يتحدث فيها لنا المؤلف أحمد بن طُوَيْر الجنة عن القافلة التي سارت شمالاً إلى الساحل وركب رجالها متن البحر الأبيض المتوسط وسط العواصف والزوابع إلى أن بلغوا أرض مصر ومن ثمَّ قدموا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، عادوا بعدها عن طريق مصر إلى طرابلس الغرب ، فتسرد خلال ذلك حكايات عن جيش الصحابة ورجال القيروان، ويُمضي الحجيج أياماً في تونس الخضراء ويتلقفون حكايات من تونس ويتحدثون عن ملاقاتهم للفرنسيين في الجزائر ، والانكليز في جبل طارق ، والعودة إلى مراكش ، والتقاط بعض الأشعار والقصص من فاس وإنشاء معتكف لأحمد والعودة إلى ودّان . ومع أن الكتاب في ( أدب الرحلات ) من نحو كتاب ( النفحة المسكية في الرحلة المكية ) للشيخ عبد الله السويدي و ( نفحة الشمول في الرحلة إلى إسلامبول ) الآلوسي ، فهو لا يخلو من التفاتات أدبية بارعة ونظرات في الأدب العربي قام بترجمتها الأستاذ نوريس الذي يبدو أنه قد أولع بالشمال الإفريقي ، فقد سبق له أن وضع كتاباً عن ( الطوارق ) وتراثهم الإسلامي وانتشارهم في الساحل . وما ازدان الكتاب بالشعر البارع فحسب بل كذلك بالصور الضوئية التي زادت من إيضاح معالم شنقيط أو موريتانيا .

والشناقطة ، وقد أسعدنا الحظ باللقاء مع زمرة منهم في مهرجان

المتنبي ببغداد ، أناس متمسكون بدينهم وعروبتهم ، وقد نبغ منهم شعراء وأدباء وعلماء باحثون ومن هؤلاء أحمد بن طُوَيْر الجنة الذي عاش في ودّان وهي واحة في شنقيط أو موريتانيا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر ، وقد كان عالماً مهيباً وقوراً وكتابه عن رحلة الحج إلى مكة المكرمة لا يزال موضع عناية علماء الصحراء الغربية في إفريقية . وقد قام بزيارة معظم أقطار شمال إفريقية ومما يذكر أنه اعتقل بُعيد الاحتلال الفرنسي للجزائر ، ولكنه نزل ضيفاً معززاً مكرماً عند حاكم جبل طارق الذي أكرمه كذلك لشنقيط ، وتتفق « الارشيفات » الفرنسية والبريطانية على قصة حياة أحمد ، والكتاب يلقي ضوءاً جديداً على العالم الإسلامي حوالَيْ سنة ١٨٣٠ ، وقد أماطت تعليقات المؤلف اللثام عن أهمية سلطان مراكش والثقافة المزدهرة في تونس ، والطاعون في مصر ، ومخاطر الحياة في بلاد العرب . والفكرة الجوهرية المسيطرة على الكتاب، هي عقيدة البركة فمن حباه الله بالبركة استطاع أن يتغلب على كل صعاب الحياة فالشخص المبارك موفق في حياته دائماً ومنتصر على الإلحاد والزندقة ومحيل الأعداء إلى أصدقاء . وللكتاب أهمية خاصة من وجهة نظر طلاب علم الأديان المقارن ولدارسي الإسلام في شمالي إفريقية وتاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط في أوائل القرن التاسع عشر ، وتعد النسخة الخطية التي عثر عليها الدكتوران نوريس وسيمون أفضل وأصح نسخة ، وقد حدث ذلك أثناء رحلتها إلى شنقيط أو موريتانيا وذلك سنة ١٩٦٠ وقد أفاد نوريس من معلومات المستشرق المسلم الحاج داود كاون في إيضاح بعض القضايا المتعلقة بمناسك الحج على ما يذكر في المقدمة ؛ وعلى العموم فالكتاب قد جمع بين المتعة والفائدة . فلمحققه ومترجمه الأستاذ نوريس كل تهنئة على ما أسدى للعربية من جميل .

أما الكتاب الثاني ( ملك القلعة ) فأجمل أسلوباً ولغته الانكليزية أقوى وأرصن ؛ ولعل السبب في ذلك هو أنه ، خلافاً للكتاب السابق ، موضوع وليس بمترجم . ومؤلفه غاي ايتون من مواليد سويسرة ومتخرجي جامعة كمبردج ؛ عمل لسنوات طويلة مدرّساً وصحفياً في جميكا ومصر قبل أن يلتحق بالسلك الدبلوماسي البريطاني الذي تقاعد عنه مؤخراً وهو في سن الخامسة والخمسين بعد أن خدم في الهند وإفريقية وجزر البحر الكاريبي . والكتاب الوحيد الذي سبق أن طبع له قبل الآن هو الموسوم بـ Richest Root « أغنى عرق » بناء على تكليف من الشاعر تي . اس . ايليوت T. S. Elliot ويعالج كتابه ( ملك القلعة ) العديد من فرضيات عصرنا التي لم تناقش مقارناً إياها بمعتقدات الغابرين . ويكتب المؤلف بالدرجة الأولى كمسلم ولكنه ولكنه مع ذلك يرجع إلى مظاهر عديدة للحكمة التقليدية أو الفلسفة المتعارف عليها والتي تتمثل في الإسلام كمظهر من مظاهرها ، ويتعلق القسم الأول من الكتاب بمحاولة المجتمعات العلمانيـة أو الدنيوية أن تسيطر على رعاياهـا وتتملكهم جسماً وروحاً مع الاضطرار إلى إعادة تحديد وتعريف المسؤولية البشرية في مدنية تعاونية تضامنية تقنيّة .

أما القسم الثاني من الكتاب فيقدم لنا وجهة النظر التقليدية للانسان كخليفة الله في أرضه ويحاول أن يتبين المضامين العملية لذلك ،ويمضي المؤلف قدُماً ليتبين دور العلم الحديث في ضوء حقيقة الفلسفة الأزلية التي ليست لها حدود ، وينتهي بتأكيد قوي عن قدرة الانسان على مقاومة الضغوط الاجتماعية واختيار مصيره النهائي . والدعوة التي يدعو إليها غاي ايتون في كتابه الممتاز ( ملك القلعة ) هي إعادة البعد الديني لنظرة الانسان للكون

ذلك البعد الذي اعتاد أن يقيس به الأشياء ، بما في ذلك إنجازاته خلال معظم مراحل التاريخ ؛ وتكتسب المناقشة قوة وإقناعاً عندما نأخذ بنظر الاعتبار ، على نحو ما يهدف المستر ايتون ، حقيقة كون رؤيتنا قد غدت مشوّهة إلى حد خطر ومبهورة وخارجة عن نطاقها المعقول بسبب الانجازات الباهرة للعلم والتقنية المعاصرة ؛ ويضم الكتاب ثمانية فصول مع مقدمة ضافية ومقترحات لمطالعات إضافية في الموضوع ذاته ؛ والفصول الثمانية تتطرق للموضوعات التالية : ١ ) المدن غير الحقيقية ٢) تكاليف الثراء ٣ ) الحرية والطاعة ٤ ) الانسان في المجتمع ٥ ) الانسان خليفة الله في أرضه ٦)العلم ومزيّفاته ٧ ) التراث الوحيد الذي نملكه ٨ ) ما نحن وأين نحن ؟

وإنه لما يعجبني حقاً أن يتحدث المؤلف في الفصل السابع عن غطرسة الغرب وعجرفته وغروره حين يقول (ص ١٦٥ ) : « أن كبرياء الغرب وتعاليه فيما يتعلق بالثقافات الأخرى مبرقعة ملفعة في زماننا هذا لأنه زمن التزييف الملطف المؤدب ... فالمتوقع من غير الأوربيين أن يطبقوا أساليب حكم أوربا الغربية ظاهرة من هذه الظواهر ، وان اللعنة لتنزل على أي انحراف عن سلوكنا وتقاليدنا الأوربية المتأصلة على ما هي عليه في التاريخ الأوربي من قبل الأفارقة أو العرب أو الآسيويين ، فتعبيرنا اليوم عن ذلك بالأسف أكثر من الغضب ... وننسى أن تاريخنا قصة لا توازيها قصة في التخريب والاستغلال » .

والأستاذ غاي ايتون كبير الإعجاب بالإسلام ونظمه ولا يُخفي هذا الإعجاب في تضاعيف كتابه ، فالمسلمون في نظره ، رغم كونهم قد تعرضوا لعوامل التحديث والمعاصرة ، لم يعانوا الصعوبة التي عاناها غيرهم في موازنة

تقلبات الحياة الدنيوية مع الرحمة الإلهية ، فقد كانوا ولا يزالون أقل تعرضاً للوقوع في فخ أو شَرك .

وتعلو الكتاب من مستهله إلى منتهاه مسحة فلسفية متفائلة تخلق من كل قارىء إنساناً سعيداً ، فالهزيمة على رأي المستر ايتون شيء والتنازل شيء آخر ، وما القنوط إلا وليد التنازل لا الهزيمة ، وهو يرجح الهزيمة النكراء على أي تنازل من أي نوع كان . فعبارات من نمط ( ما فائدة هذا ؟ ) و ( ما جدوى ذلك ؟ ) شعارات عصر يقيس كل شيء بقياس ما يبدو نجاحاً آنياً موضوعياً ، ذلك لأن الهزيمة تقوي العزيمة لإعادة الكرة ، وكما قيل فإن الفشل سماد النجاح ، في حين أن التنازل طريق عقيم مسدود لا يفضي إلى شيء غير الاضمحلال والفناء .

ويربط المؤلف الفاضل ربطاً رائعاً بين المسيحية والاسلام فيقول : « لقد قتل المسيح ولكن الرجل الذي أتم المعركة من أجل حضارة جديدة هو محمد بن عبد الله » . ولايوافق غاي ايتون أولئك الذين يحاولون إيجاد دين جديد لأنفسهم لأن ذلك لا يتاح إلا لعبقريات خارقة تظهر مرة عبر عشرات الأجيال .

اكسفورد : صفاء خلوصي

# تعليقات على كتاب
# نَضْرة الإغريض في نُصْرة القريض

عبد الإله نبهان

نَضْرة الإغريض في نُصْرة القريض كتاب صدر في مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م بتحقيق الدكتورة نهى عارف الحسن « من أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة اللبنانية » .

مؤلف الكتاب المظفّر بن الفضل العلوي الحسيني ٥٨٤ — ٦٥٦ هـ وموضوع الكتاب يدور حول صناعة الشعر ونقده وبديعه وبلاغته وجوازات استعمال الشاعر وفضل الشعر ... وقد قدمت له المحققة بمقدمة وجيزة عرفت بالمؤلف وبمخطوطات الكتاب وبسطت طريقتها التي اتبعتها في تحقيق الكتاب .

والكتاب ممتع ومفيد وغنيّ بالشواهد الشعرية ، والاقتباسات والأخبار والإشارات التاريخية ، وقد بذلت الدكتورة المحققة أقصى الجهد — فيما يبدو — لتحقيق الانسجام بين خطّتها النظرية في التحقيق وبين التحقيق الفعلي ، يدلّ على ذلك شروحها وحواشيها ، ولكنّ طبيعة العمل في هذا الميدان — مع الأسف — تأبى أن يصدرَ عملٌ ما في ثوب الكمال ، فلا بدّ من التواء هنا وغموض هناك وسهو هنا وغلط ووهم هناك . لذلك

وجدتني كثيراً ما أتوقف عن القراءة متسائلاً مراجعاً مصححاً أو متأكداً موثقاً . وكثرت وقفاتي وطال بي الأمر ، ثم رأيت التعليقات التي دونتها جديرة بالنشر لإغناء التحقيق لا لتجريح الكتاب ، فبعض المصادر التي أفدتُ منها الآن لم تكن ظهرت بعد ، وبعضها مما لم يتيسر للمؤلفة حيث كانت تعدّ عملها أو حين كانت تعدّه .

أولُ ما لفت نظري تراجم الأعلام الكثيرة في الحواشي ، مع عدم تقيّد المحققة بترجمة كل علم ، فقد يمرّ بك عدد من الأعلام لا يُترجم لهم ، بينما يُترجم لآخرين ، وتساءلت : ما المعيار الذي جعل المحققةَ تترجم بعضاً وتهمل آخر ؟

فإذا قلنا إنها لم تُرد ترجمة المشهورين فاجأتنا أنها ترجمت لرجالٍ هم الشمس شهرةً كأبي علي الفارسي والتبريزي والمفضّل الضبي وعمرو بن معديكرب والحارث بن حلّزة ... بينما أهملت أعلاماً كان من اللازم ترجمتهم لبُعد كتب التراجم التي ترجمت لهم عن الأيدي وندرتها ، فمثلاً ورد في ص ٢٣٦ ذكرُ شرف الدولة مسلم بن قريش ، وسكتت عنه المحققة مع أنه كان بإمكانها أن تُحيلَ إلى ترجمته في خريدة القصر - قسم شعراء الشام - ٢٥٦/٢ ، مع العلم أن هناك أعلاماً لم أعثر لهم على تراجم - على شدة البحث في حدود الطاقة - وكان من الواجب الإشارة إلى ذلك في الحواشي ، لأن الإشارة أجدى من السكوت وأنفع ؛ ولعل غنى الكتاب بأسماء الأعلام وصعوبة العثور على تراجم تامّة لهم صرف همّة المحققة إلى تتبع المشهورين ومَنْ قاربهم مِنْ الذين تيسرت سبل تراجمهم أمامها ، مع أن النُتَفَ القليلة التي قد نعثر عليها عن المغمورين أجدى من تراجم

المشهورين لأن هذه النتف إذا جمع بعضها إلى بعض من كتاب إلى كتاب كونت مع الزمن تراجم تامة لأعلام لم نكن نعرف إلا أسماءهم . فمثلاً مرّ بي اسم الشاعر عقال بن هاشم القيني مرتين في الكتاب دون تعليق بسلب أو إيجاب وبحثت عنه في كتب التراجم المتوفرة لديّ فلم أجد له ذكراً وإنما مرّ ذكره عرضاً مرتين على الأقل في معجم البلدان : ٩١/٣ طبعة صادر .

وأعود الآن إلى الكتاب من أوّله وأقف في الصفحة الثانية لأقرأ قول المحققة وهي تترجم لابن العلقمي : « وقيل في رواية أكثر المؤرخين إنه مالأ هولاكو » .

قلت : إذا كانت هذه رواية أكثر المؤرخين فلا لزوم إذاً لصيغة التمريض ( قيل ) وكان الأفضل استبدالها بصيغة التوثيق . وأذكر أن العلاّمة الشيخ محمد أبو زهرة قد تعرض لبحث هذه القضية وأكد تآمر ابن العلقمي على بغداد في كتابه عن ابن تيمية .

— في الصفحة الرابعة ورد ذكر المثل : « كلُّ الصيد في جوف الفَرا » .

قالت المحققة : مثل من أمثال النبي ﷺ قاله لأبي سفيان بن حرب حين أسلم . وقد نقلت ذلك عن العمدة .

قلت : يفهم من سياق المثل وقصته في مجمع الأمثال ٢٣٦/٢ أن الرسول ﷺ قد تمثّل بهذا المثل الجاهلي القديم ليتألّف به أبا سفيان . فنُسب المثل إلى الرسول في كتب البلاغة والنقد .

— في الصفحات ١٠ - ١١ — ١٢ ... وردت تعاريف للشعر والقصيدة وسبب تسميتها ، كما وردت طائفة من الأخبار والروايات ، ولم تردّ المحققة شيئاً من ذلك إلى مصادره الرئيسية ، مع أنها ذكرت في منهجها أنها سترجع النصوص والتعريفات والآراء إلى أصحابها إذا وجدت ضرورة — دون معرفة مقياس لهذه الضرورة - ويبدو لي أن اعتماد المحققة على كتاب العمدة اعتماداً رئيسياً قد أعاق انتقالها من كتاب إلى غيره وقيدّها مع أن تحقيق النصوص بحاجة إلى حرية كبيرة في الحركة والانتقال من كتاب إلى آخر . فهي تميل إلى العمـدة في قولٍ للأخفش عرّف به القافية مع أن الأصل وهو كتاب القوافي للأخفش مطبوع متداول . أما كان الأليقُ الرجوعَ للأصل بدلاً من الاعـتماد على العمدة ؟ .

وأقف عند الأبواب ، باب الإشارة ، التجنيس ، الطباق ، التصدير ، الالتفات ، التقسيم ، التسهيم ، الإيغال ... الخ ، فأرى أن المحققة لم تحل إلى المواضع التي عالجت كل باب من الأبواب في كتب البديع والبلاغة على الرغم من اختلاف المصطلحات البديعية بين مؤلف وآخر . فمثلاً باب التسهيم بحث في البيان والتبيين تحت اسم الأبيات المحجّلة ، وفي نقـد الشعر تحت اسم التوشيح ، وفي سرّ الفصاحة تحت اسم المعاظلة ، وفي الإيضاح تحت اسم الإرصاد .. نصّ على كل ذلك الدكتور حفني شرف في حواشي كتاب « بديع القرآن » ص ١٠٠ بينما اقتصرت المحققة على الرجوع إلى العمـدة فقط ، ولولا أن العمدة نصّ على أن قدامة يسميه توشيحاً لما ذكرت ذلك .. وقل مثل هذا في بقية الأبواب .

— في ص ١١٤ مرت ثلاثـة أبيات نسبت للخارجي ، وورد البيت

الأخير منها في العمدة منسوباً للحارثي .. ومع أن الحارثي تكرر ذكره ص ١٢٣ - ٤١٩ إلا أن المحققة لم تقف عند ذلك واكتفت بالإحالة إلى الموشح أو العمدة ، مع أن كتب البلاغة والنقد ليست لها الأفضلية في مجال التوثيق .

- في ص ١١٧ ، ١٧٨ مرّ ذكر جنوب أخت عمرو ذي الكلب فلم تترجم لها ، ولم تذكر حتى اسمها الكامل في الحاشية وهو جنوب بنت عجلان ، وقد ترجم لها الأستاذ عمر كحالة في أعلام النساء ١/٢١٨

وفي ص ١٢٥ ذكر المؤلف بيت أبي نواس :

ظنٌّ بي مَنْ قَدْ كلفتُ به      فهـــو يجفوني عـــلى الظِّنَنِ

قالت المحققة : لم أعثر على البيت في الديوان المشار إليه .

قلت : البيت في الديوان المشار إليه ( أي ديوان أبي نواس طبعة الغزالي ) ص ٤١٢ وهو بيت من قصيدة أوّلها :

يا كثير النّوح في الدِّمن      لا عليهـا بل على السَّكن

- في ص ١٢٨ : نقل مؤلف الكتاب عن كتاب البديع لابن المعتز ولم تحل المحققة إليه وكان المفروض أن يقال في ذلك الموضع : قارن بالبديع ص ٦٢

- في ص ١٢٩ : ترجمت في الحاشية للربيع بن ضَبُع الفزاري وقالت : انظر ديوان الشعر العربي ١ / ٥٧٦ . ولما رجعت إلى فهرس المصادر والمراجع لم أجد ذكراً لهذا الكتاب ولا اسماً لمؤلفه . وما أدري إن كانت أرادت المختارات التي أخرجها علي أحمد سعيد بعنوان ديوان الشعر

العربي ، وأتساءل إذا كان افتراضي صحيحاً : أبلغ بنا الأمر أن نعد مثل هذا الكتاب المحدث مرجعاً لتوثيق التراث ؟!!

— في ص ١٣٠ ذكر المؤلف أربعة أبيات لأبي هفّان ، فنصّت المحققة : ان البيتين الثاني والثالث في العمدة ٤٨/٢

قلت : وكتب الأدب تروي الأبيات الثلاثة أو الأربعة مجتمعة مع بعض خلاف في الرواية عن رواية مؤلفنا . انظر أمالي القالي ٩٦/٣ ، ٩٧

— في ص ١٤٩ : ورد البيت :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

وقد أحالت المحققة إلى أكثر من مصدر ، وذكرت أن محقق نقد الشعر « بويقباكر » ذكر في الحاشية أن البيت لكثير عزّة .

قلت : والبيت مع أربعة أبيات أخرى في ملحق ديوان كثير عزة ، طبعة إحسان عباس ص ٥٢٥ مع تخريجها .

— في ص ١٥٨ : ورد بيت للنمري :

ولو كنت بالعنقاء أو بأُسومها لخلتك ، إلا أن تصـــدّ ، تراني

قالت المحققة : العنقاء : الداهية ، وطائر معروف الاسم مجهول الجسم .

قلت : الأرجح أن المعنيّ بالعنقاء هنا اسم مكان معين وكأنه يريد به مكاناً بعيد المنال . قال أبو زيد : العنقاء أكمة فوق جبيل مشرف أوى إليه « القتّال » ــ أي القتّال الكلابي ــ . معجم البلدان ١٦٢/٤ طبعة صادر

— في ص ١٨٠ : قال المؤلف : « وقال الحكميّ ــ أي أبو نواس ــ يصف سفينة :

فكأنّها والماءُ ينطحُ صدرَها والخيزُرانةُ في يدِ الملاّحِ
جَوْنٌ من العقبان تبتدرُ الدُّجى تهوي بصوتٍ واصطفاقِ جَناحِ»

قالت المحققة : لم أعثر على البيتين في طبعتي الديوان .

قلت : الأبيات في كتاب التشبيهات لابن أبي عون ص ٣٦٠ وقد ذكرته المحققة في مصادر التحقيق التي رجعت إليها .

– في ص ١٨٠ : قال المؤلف : قال أبو الشّيص الخُزاعي :

إنَّ الثمانين – وبُلّغتَها – قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

قالت المحققة : البيت في العمدة ٢/٤٥ ... وقد نسب إلى عوف ابن محلّم .

قلت : البيت لعوف بن محلّم كما في أمالي القالي ١/٥٠ وهو مشهور متعاور في كتب النحاة .

– في ص ١٨٧ : أورد المؤلف أبياتاً للجون النمري .

قلت : والأبيات مع خبرها في كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطي ١/٢٢٤

– في ص ١٩١ ورد في الكتاب : قال الأخطل :

ولقد سما للخرّمي فلم يَقُلْ بعد الونى لكنْ تضايق مُقْدَمي

قالت المحققة : لم أعثر على هذا البيت في ديوان الأخطل تحقيق الأب أنطون صالحاني ، وهو في الصناعتين ص ٣٦ وذكر المحقق أنه لعنترة .

قلت : إن كلمة « الخرّمي » قرينة تاريخية تمنع أن يكون البيت للأخطل بله عنترة . فالخرميّ قُصِد به ( بابك الخرمي ) الذي قتل أيام

المعتصم على يد الأفشين وذكره أبو تمام في شعره بقوله :

ولقد شفى الأحشاء من بُرحائها أنْ صار بابكُ جارَ ما زيّار

والبيت المنسوب للأخطل يدل على أنه قيل في مدح القائد العباسيّ أو الخليفة الذي هزم بابك وخضد شوكته .

والصواب أن البيت لشاعر عباسي لقبُه الأُخيطل . وقد ذُكر هذا البيت منسوباً إلى الأُخيطل في كتاب البديع لابن المعتز ص ٦٤ . والأخيطل هذا هو محمد بن عبد الله بن شعيب وترجمته في معجم الشعراء : ص ٣٧٦ طبعة فرّاج وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٤١٢ طبعة فراج : دار المعارف .

في ص ١٩٤ وردت عبارة : وفي الحديث : « إن نافدتهم نافدوك » ولم تقف المحققة عند هذا الحديث مع أن لسان العرب وتاج العروس قد ذكراه في مادة « نفد » وقالا : إن الحديث روي عن أبي الدرداء .

في ص ٢٠٤ ورد بيت لابن الزبعرى :

والعطيّات خساس بيننا وسواء قبرُ مُثْرٍ ومُقِلّ

قلت : البيت في السيرة لابن هشام ١٣٦/٢

في ص ٢٠٥ ورد ما يلي : « قال الحكميّ :

بُحّ صوت المال مما منك يشكو ويصيحُ

معناه صحيح ولفظه قبيح أخذه سَلْم فقال :

تظلّم المالُ والأعداءُ من يده لا زالَ للمال والأعداء ظلّالا »

قالت المحققة في الحاشية معلقة على اسم « سَلْم » « : فيا : مسلم » أي أن اسم سلم في نسخة فينا هو : مسلم .

قلت : وهو الصواب لأن البيت لمسلم بن الوليد وهو في ديوانه : ٦٤

– في ص ٢٠٦ : ذكر المؤلف بيتاً للبحتري ولم تحل المحققة إلى ديوانه . والبيت في الديوان : ٢/١٠٥٠

– في ص ٢١٨ – ٢١٩ : ... قال علقمة بن عبدة :

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته إثرَ الأحبّة يوم البين مشكوم

قالت المحققة : لم أعثر على البيت في ديوانه تح : الشيخ أبي شنب . الجزائر ١٩٢٥ وهو في شرح اختيارات المفضل ١٦٠١/٣

قلت : البيت في ديوان علقمة بشرح الأعلم ص ٥٠ بتحقيق لطفي الصقال ودريّة الخطيب ، وقد ذكرت المحققة في حاشية ص ٢٢٦ أنها تعود إلى ديوان الشاعر بشرح الأعلم .

وفي ص ٢١٩ ورد بيت لأوس بن حجر ، وهو في ديوانه ص ٣٩ ، ولم تشر إليه المحققة مع أن ديوان الشاعر ذكر ضمن مراجع التحقيق .

– في ص ٢٢١ : وقال كعب الأشقري :

لم يركبوا الخيلَ إلا بعد ماهرموا فهم ثِقالٌ على أكتافها مِيلُ

سكتت عنه المحققة .

قلت : هذا البيت ليس لكعب الأشقري وإنما هو لجرير بن عطيّة الخطفيّ وهو في ديوانه ص ٤٦٥ طبعة الصاوي .

– في ص ٢٢١ – ٢٢٢ : وقال جرير :

لم يركبوا الخيل إلا بَعْدَ ما هَرِموا فهم ثِقالٌ على أكتافها عُزف

قالت المحققة : لم أعثر على البيت في ديوانه ط : الحياة . وط : دار الأندلس .

قلت : البيت ليس لجرير ، وإنما هو لكعب الأشقري يهجو يزيد ابن المهلّب ، ورواية الشطر الثاني كما في الأغاني ٢٩٩/١٤ طبع الدار :

فهم ثقالٌ على أكتافها عُنف

وأراها الرواية الأجود .

– وأجدني مضطراً لترك عشرات الأبيات التي أهملت وتركت دون عزوٍ إلى أصحابها مع شهرة بعضها وسهولة معرفة قائليها وأقف عند الصفحة ٢٥٣ وفيها : الإيطاء ردّ القافية مرتين كقوله :

ويخزيك يا ابن القين أيام دارمٍ وعمرو بن عمرو إذ دعا يال دارم

سكتت عنه المحققة مع سهولة ردّه إلى جرير . ولكن البيت بهذه الصورة ليس في ديوان جرير لأنه ملفّق من شطرين من قصيدتين مختلفتين، فالشطر الأول ورد في ديوان جرير ص ٥٥٧ :

وإن عُدّت الأيامُ أخزيت دارماً وتخزيك يابن القين أيام دارم

أما الشطر الثاني فقد ورد في قصيدة أخرى ص ٥٥٩ أولها :

ألا حيّ ربعَ المنزلِ المتقادِمِ وما حلّ مُذْ حلّت به أمّ سالم

والبيت في ص ٥٦٣ :

كأنّك لم تشهدْ لقيطاً وحاجباً وعمرو بن عمروٍ إذ دعوا يالدارم

فالبيتُ في الكتاب ملفّقٌ ولم تنتبه له المحققة ، مع العلم أن النسخة التي سمتها المحققة « م » قد سقط منها الشطر الأول من البيت الملفق .

وأظن أن المؤلف يريد أن يشير إلى الإيطاء في البيتين اللذين هما من قصيدة واحدة ، الأول ص ٥٥٧ :

وإن عدت الأيام أخزيت دارماً وتخزيك يا بن القين أيامُ دارم

والثاني ص ٥٥٨ :

أقين بن قينٍ لا يسرُّ نساءنا بذي نَجَبٍ أنا ادّعينا لدارمِ

ــ في ص ٢٤٠ : ذكر المؤلف بيت امرىء القيس :

كأن ثبيراً في عرانينِ وَبْله كبيرُ أناسٍ في بِجادٍ مزمّل

ولم ينسبه لصاحبه

قالت المحققة : البيت في العمدة ١ / ٢٩٩ باب التشبيهات ، وهو منسوب لامرىء القيس ولم أعثر عليه في ديوانه تح : حسن السندوبي ولا في ديوانه تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

قلت : البيت في ديوانه بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم طبع دار المعارف سنة ١٩٥٨ ص ٢٥ وروايته :

كأن أباناً في أفانين وَدْقه كبير أناس في بجاد مزمّل

وموضع الشاهد في الشطر الثاني ، ولا قيمة لاختلاف الروايات في الشطر الأول ، وهذا الاختلاف لا يسوّغ للمحققة أن تنفي وجود البيت في الديوان بجرّة قلم ، مع العلم أن البيت مذكور في المعلقة في روايتي ابن الأنباري والزوزني وهو متداول في كتب النحاة .

في ص ٢٥٩ ورد قول الفرزدق :

أبا حاضرٍ مَنْ يزنِ يظهر زناؤه ومن يشرب الخرطوم يصبح مُسكّرا

قالت المحققة : لم أعثر عليه في ديوانه . وهو في الموشح ١٤٥ غير منسوب إنما ذكر المحقق في الهامش أنه للفرزدق .

قلت : لم يذكر محقق الموشح ذلك على عهدته كما يوهم قول المحققة وإنما نقل محقق الموشح تعليقاً وجده على هامش مخطوط الموشح فقال : « في هامش الأصل : قلت : هو للفرزدق » .

في ص ٢٦١ ورد بيت لابن قيس الرقيات ولم تحل إلى ديوانه ،مع أن البيت في الديوان ، وقد أحالت إلى الديوان أكثر من مرة .

في ص ٢٦٣ ورد البيت :

مهلاً بني عمّنا مهلاً موالينا لا تنبشوا بيننـا ما كان مدفونا

سكتت عنه المحققة . وهو للفضل بن العباس اللّهبي من شعراء الحماسة والبيت من قصيدة خاطب بها الشاعر بني أمية . انظر المنصفات : ٨٥ ط وزارة الثقافة بدمشق .

في ص ٢٦٦ ورد ما يلي : وقد روي عن أبي عمرو في بعض طرقه :

﴿ قل هو الله أحــــد الله الصمد ﴾ فحذف التنوين من ( أحـد ) لالتقاء الساكنين .

وقد اكتفت المحققة بما ورد في المتن وحبذا لو عمدت لتخريج القراءة وتوثيقها اعتماداً على كتب القراءات وهو أمر ضروري في هذا المجال لأن القراءة القرآنية ليست بيت شعر نترك العثور على قائله للمصادفات .

أمّا القراءة المشار إليها المروية عن أبي عمرو في بعض طرقه فقـد ذكرها – على سبيل المثال لا الحصر – مكي بن أبي طالب في كتابه

الكشف عن وجوه القراءات السبع ٣ / ٣٩١ « طبع مجمع اللغة العربية بدمشق » قال :

« وقد روي عن أبي عمرو حذف التنوين من « أحد » لسكونه وسكون اللام من الله . وروي عنه أنه كان يقف على « أحد » . والذي قرأتُ به له ، كالجماعة ، بالوصل وكسر التنوين لالتقاء الساكنين » .

وذكر هذه القراءة بطريقها أبو حيان في البحر المحيط ٥٢٨/٨ قال :

« وقرأ أبان بن عثمان وزيد بن علي ونصر بن عاصم وابن سيرين والحسن ابن أبي إسحاق وأبو السمال وأبو عمرو في رواية يونس ومحبوب والأصمعي واللؤلؤي وعبيد وهارون عنه : « أحدُ الله » بحذف التنوين لالتقائه مع لام التعريف وهو موجود في كلام العرب وأكثر ما يوجد في الشعر .. الخ » .

ـ كذلك فعلت المحققة الشيء نفسه ـ أي سكتت ـ عندما مرّت بقول المؤلف وإشارته إلى أحد أوجه القراءة ص ٢٦٦ : « وكذلك حذف التنوين لالتقاء الساكنين في قراءة مَنْ قرأ : ﴿ وقالت اليهود عُزَيْرُ ابن الله ﴾ . فلم تحاول أن تعرفنا بالقارىء صاحب القراءة ، ولم تنص على كتاب يمكن الرجوع إليه كأن تقول : انظر إتحاف فضلاء البشر : ٢٨٦ على سبيل التوثيق المختصر .

ـ في ص ٢٦٧ ذكر المؤلف بيتاً فقال : « وقال الآخر :

كأنّها ميلاَنَ لمْ يتغيّرا ... وقدمرّ للدارين من بعدنا عصر »

والبيت يحتاج إلى شرح لأن الضمير في كأنها لم يذكر عائده وقد سكتت المحققة عنه .

قلت : البيت لأبي صخر الهذلي ، وهو البيت الثاني من قصيدة وقبله :

لليلى بذات البين دارٌ عرفتها وأخرى بذات الجيش آياتها عُفْرُ

فالضمير في كأنها يعود على هاتين الدارين ، ورواية السكري :

وقد مر بالدارين من بعدنا عصر

انظر شرح أشعار الهذليين ٢/٩٥٦ ، والبيت بمفرده في المنصف شرح تصريف المازني ٢/٢٢٩ وفي غيره ..

– في ص ٢٦٩ قال المؤلف : وقد حكى أبو زيد في النوادر عن العرب مثل هذه الضرورة فيما أنشده لحُسيل بن عُرفطة قال :

لم يك الحقُّ على أنْ هاجه رسمُ دارٍ قد تعفّى بالسَّرَرْ

غَيَّر الجدة مِنْ عِرفانه خُرُقُ الريح وطُوفان المطر

وقد ترجمت المحققة لأبي زيد لكنها لم ترجع إلى النوادر ولم تنص على مكان البيتين فيه ، وهما في ص ٧٧ منه . وضبطت المحققة كلمة « خرق » في البيت الثاني بضم الخاء والراء مع أنها في النوادر قد ضبطت بكسر الخاء وفتح الراء ، وفسّرها أبو زيد بقوله : الخِرق : القطع من الريح واحدتها خِرقه . وطُوفان المطر : كثرته . وروى الأصمعي : خُرُق .

– وتأتي في الصفحات التالية للصفحة ٢٦٩ طائفة من الشواهد التي ينبغي أن يُحال فيها إلى كتب النحو وخاصة كتب ابن جني إلا أن المحققة اكتفت غالباً بالإحالة إلى الموشح والعمدة والصناعتين ، وأحالت أحياناً إلى كتاب سيبويه والخزانة .

– في ص ٢٧٧ قال المؤلف : وكذلك قول ابن هرمة : بمنتزاحِ

يريد : بمترح ، من النزح . وقول الآخر : فأنظور أي فأنظرُ .

قلت : أراد المؤلف بقول ابن هَرْمة بيته الذي يقول فيه :

وأنت من الغوائل حين ترمى ومن ذمّ الرجال بمنتزاحِ

والبيت من قصيدة يمدح بها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك . انظر شعره ص ٩٢ طبع مجمع اللغة العربية بدمشق .

أما قوله « فأنْظُور » فإشارة إلى شاهدٍ يتداوله النحاة وقد ذكر منسوباً إلى ابن هَرْمَة في شعره المجموع « قسم المختلط من شعره » ص ٢٣٨ :

اللهُ يعلم أنّا في تلفّتنا يوم الفراق إلى أحبابنا صُورُ
وأنني حيثما يُشري الهوى بصري من حيثما سلكوا أدنو فأنْظُور

والبيت الثاني في المحتسب لابن جني ١ / ٢٥٩ وغيره من كتب النحاة والصرفيين .

— في ص ٢٨٢ ذُكر الشطر :

يا حارِ لا أُرْمَيَنْ منكم بداهيةٍ

قالت المحققة : البيت في العقد الفريد ٤٤٨/٥ وينسب إلى زهير بن أبي سُلمى وتمامه ... الخ .

قلت : والبيت في ديوان زهير ص ١٨٠.

— في ص ٢٨٧ مر بيتان ذكر المؤلف أنّهما لابن هرمة . قلت وهما في شعره المجموع ص ٩٧

— في ص ٢٨٨ : وقال عِمْران بن حِطّان :

وأصبحتُ فيهم آمناً لا كمعشرٍ أتوْني فقالوا من ربيعةَ أو مُضَرْ

قلت : البيت من قصيدة في كتاب : شعر الخوارج ، الذي جمعه الدكتور إحسان عباس ص ٢٤ وفيه تخريج القصيدة .

— في ص ٢٩٤ : ورد بيتان لعبد بني الحسحاس . قلت : وهما في ديوانه ص ٥٥

— في ص ٣٠٣ قال المؤلف : ولما هجا الحطيئة بني العجلان استعدَوْا عليه عمر بن الخطاب فقالوا هجانا وشعَّث من أعراضنا . . إلى آخر القصة وفيها عدة أبيات .

قالت المحققة : « لم أعثر على هذه الأبيات في ديوان الحطيئة .. وقد ذُكرت الأبيات في ديوان الأخطل ٢٩٨ ونسبت إلى الحطيئة » .

قلت : قولها : الأبيات في ديوان الأخطل يوهم أن الأبيات في أصل الديوان أو في متن الشرح القديم على الديوان مع العلم أن الأبيات قد وردت في تعليق كتبه محقق الديوان غير معزو إلى مصدر معين . فتكون إحالتها هنا كإحالتها فيما مضى إلى ديوان الشعر العربي .

— في ص ٣٢١ - ٣٢٢ : وردت أبيات في مدح بني أمية بعد زوال ملكهم على لسان شاعر ضرير .

قلت : الأبيات والأخبار المتعلقة بها في الأغاني ١٦/٢٩٩ ، ٣٠٠ . والشاعر هو أبو العباس الأعمى .

— في ص ٣٢٩ ذكر قول الشاعر :

أفي الله أمَّا بجدلٌ وابن بجدلٍ فيحيا وأمَّا ابنُ الزبير فيقتَلُ

قلت : البيت لزفر بن الحارث ، وهو في تاريخ الطبري ٥/٥٤٣

— في ص ٣٣١ : ذُكرت أبيات مشهورة لمسلم بن الوليد في مديح يزيد بن مزيد الشيباني ولم تشر المحققة إلى قائلها ولم تحل إلى ديوانه والأبيات أو بعضها في ديوان صريع الغواني : ٢١ ، ٢٢

— في ص ٤٠٨ وردت عدة قصص ولم تشر المحققة إلى مصادر هذه القصص والأخبار إلا إذا صدف وأتت في الوشّح .. مع أن معظم هذه الأخبار متداولة في كتب الأدب كالهفوات النادرة ص ٤٠٨ — ٤٠٩ وكأخبار الحمقى والمغفلين وغيره . أما الأبيات الواردة ضمن القصص فقد أهملت ، فالبيت :

كليبٌ لَعَمْري كانَ أكثرَ ناصراً وأيسر جرماً منــك ضرّج بالدم

لم تنبه المحققة عليه . وهو للنابغة الجعدي . الأغاني ٤/٤٢٧ . والبيت التالي له :

همُ قتلوهُ كي يكونوا مكانه كما فعلتْ يوماً بكسرى مرازِبُهْ

لم تنسبه ، وهو للوليد بن عُقْبة في عثمان بن عفان . الأغاني ٥/١٢٢ دار الكتب .

— في ص ٤٠٨ : قال المؤلف : وحدّث إبراهيم بن شكلة .

قلت : وإبراهيم بن شكلة هو إبراهيم بن المهدي ، وشكلة أمّه وإليها ينسبه خصومه .

— في ص ٤١٤ — ٤١٥ : ذكر المؤلف قصة الجحّاف والأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان واستطرد ليذكر أن السُّلمي أخذ قول شاعر سابق . وقول السلمي هو :

وعلى عدوّك يا بنَ عمّ محمّدٍ رصدان ضوءُ الصبح والإظلامُ
فإذا تنبّه رُعْتَه وإذا هــدا سَلّتْ عليــه سيوفَك الأحلامُ

ثم تابع المؤلف قصته .

قلت لم تُشر المحققة إلى أن السُّلمي هذا هو أشجع السلمي وأنّ

البيتين من قصيدة مدح بها الرشيد وهما في طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٥١ دار المعارف بمصر .

— في ص ٤١٢ : قال المؤلف : « ولله درّ المتوكل الليثي حيث يقول :

الشعر لبُّ المرء يعرضه والقولُ مثل مواقع النبل
منها المقصّر عن رميّته ونواقر يذهبن بالخَصْلِ

قالت المحققة : البيتان في الموشح ٣٥٧

قلت : في معجم الشعراء : ٣٤٠ ذكر البيتين وقال إنهما له في رواية الصولي ويرويان لغيره .

أما في الحيوان للجاحظ ٣/٦٢ طبعة هارون فينسبان لمعقّر بن حمار البارقي وهو سفيان بن أوس بن حمار ، شاعر جاهلي .

في ص ٤٥٤ أورد المؤلف أبياتاً لعمّار الكلبي هاجم بها النحاة ، والأبيات في إنباه الرواة ٢/٤٢ منسوبة إلى بعض العرب .

هذا بعض ما وقفت عنده وهو لا يغضُّ من جهود الدكتورة المحققة التي بذلت صادق الجهد وثمين الوقت لبعث كتاب مخطوط حياً زاهياً مضبوطاً ، لكن لا يخلو كتاب من شيء من الملاحظات والنقدات والتعقيبات تفيد في دفع العمل في طبعاته اللاحقة نحو الأفضل والأكمل قدر المستطاع .

حمص : عبد الإله نبهان

# آراء وأنباء

## تعقيب

نشرت المجلة في عددها الماضي أنموذجاً عن « **معجم عثرات الأدباء** » الذي يعده الأستاذ الجليل محمد العدناني ، وقد ورد فيه حول كلمة « **الإصطبل** » ما يلي : « ... وقال المعجم الكبير : إنها يونانية الأصل » وعلقت لجنة المجلة على هذا القول في هامش الصفحة ٤٦٣ بما يلي : « وربما كان مصدر هذا القول محيط المحيط ، فقد جاء فيه أن الإصطبل من اليونانية ، والصواب أنه من اللاتينية » .

ومن الرجوع إلى المعجم الكبير ، مصوباً بمقتضى ما ورد في الصفحة ٦٧٥ من طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٧٥ ، نجد المعجم يقول : الإصطبل : ـ معرّب ( **الأصل لاتيني** Stabulum ومنه في الأرامية : إسطبلا وإصطبلا ) !

وتضمن البحث نفسه ، خلال الكلام على جمع كلمة إصطبل ، مايلي : « وجمعَه المعجم الكبير ، الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، على : إصطبلات

وأصاطب ، وجمعه الوسيط على إسطبلات ، وذكر المعجم الكبير والوسيط : ان المفرد هو إسطبل وإصطبل » .

وأعتقد أن ورود ذكر « المعجم الكبير » في هذه الجملة للمرة الثانية ، كان ( شطحة ) قلم ، لأن المعجم الكبير لم يذكر الكلمة بصيغة «إسطبل » إلا في مادة أ س ط محيلاً على المادة الأصلية أ ص ط ، أي خلافاً لما فعله المعجم الوسيط !

إن صيغة ( إسطبل ) - تعريباً للكلمة اللاتينية - لم ترد في الأمهات ، وإن وردت في الأرامية وعلى ألسنة العامة في كثير من الأقطار ، ولكن المعجمات الحديثة كأقرب الموارد والوسيط ، أثبتتها . ومن عجب أن الأب الكرملي في معجمه ( المساعد) أغفل هذه الصيغة ، مكتفياً بصيغة ( إصطبل) ، ناقلاً عن ابن خلدون جمعها على إصطبلات ، ناصاً على أن عربيتها : المربط.

ع . خ .

# الدنانير القَوْقِيّة أم الفُوْقِيّة ؟

الدكتور ف. عبد الرحيم

قال الجواليقي في المعرب [1] : وفي حديث عبد الرحمن : أن معاوية كتب إلى مَرْوان ليبايع الناس ليزيد ، فقال عبد الرحمن : أجئتم بها هِرَقْلِيّة وقُوْقِيّة تبايعون لأبنائكم ؟ قال : « قُوْقِيّة » يريد البَيْعة للأولاد ، سُنّة ملوك العجم .

وقُوْق اسم مَلِكٍ من ملوك الروم ، وإليه تنسب الدنانير القُوْقِيّة ، كما نسبت الهِرَقْلِيّة إلى هِرَقْلَ . انتهى كلام الجواليقي .

وذكر ابن الأثير نحوه في النهاية ( ١٢٢/٤ ) ، وزاد وقيل كان لقب قيصر قوقا . وروي بالقاف والفاء من القوف : الأتباع ، كأن بعضهم يتبع بعضاً ا.هـ.

وذكر صاحب اللسان نحوه .

وقال الفيروز أبادي في قُوْق : والدنانير القُوقيّة من ضرب قيصر لأنه كان يسمي قُوْقا . وقال في فُوْق : وفُوْق ملك الروم نسب إليه الدنانير الفُوْقيّة . أو الصواب بالقافين ا.هـ .

---

( ١ ) المعرّب من الكلام الأعجمي للجواليقي بتحقيق أحمد محمد شاكر ص ٢٧٧

فاللفظ إذن فيه ثلاث لغات (١) قوقية بالقافين و (٢) فوقية بالفاء ثم القاف . وهما منسوبان إلى قوق أو فوق ، وهو اسم ملك من ملوك الروم . و (٣) قوفية بالقاف ثم الفاء وهو من القوف بمعنى الاتباع .

والصواب أنه فوقيّة بالفاء ثم القاف نسبة إلى فوق ملك من ملوك الروم ، وهو تعريب Phocas باللاتينية [١] .

لقد ذكر الفيروز أبادي « فوق » ثم شكّ في صحته وقال : « أو الصواب بالقافين » . وزاد الزبيدي : « قلت : والذي صوبّه هو الصواب، وسيأتي ذكره في موضعه ، والرواية الثانية هي بالقاف والفاء من القوف : الاتباع . وأما بالفاء والقاف الذي أورده المصنف هنا فإنه غلط محض وتصحيف ، فليتنبه لذلك » . ا. هـ . أفرأيت كيف جعل الصواب خطأ والخطأ صواباً وجزم به بهذه الثقة ؟

جاء هرقل في حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما مقدماً على قوق ، وقد يفهم من هذا الترتيب أنه كان سلفاً لقوق ، والصواب أنه كان خلفه . فقد كان حكم فوق بن موريس [٢] من ٦٠٢ م إلى ٦١٠م وجاء بعده هرقل الذي حكم من ٦١٠ إلى ٦٤١ م.

---

(١) يُؤخذ مما جاء في مختلف المراجع أن الاسم Phocas ( وفي معجم لاروس الموسوعي Phokas أيضاً ) كان يونانياً واستعمل في اللاتينية . (لجنة المجلة:م )

(٢) في دائرة المعارف البريطانية ( ١٩٧٥ ) أن Phocas كان ضابطاً في ثراقية . وعندما تمرد الجيش على الامبراطور موريس البيزنطي في سنة ٦٠٢ أرسل إلى القسطنطينية لتهدئة الحالة ، ولكنه على العكس استفاد من الفتن المتوالية فقتل الامبراطور موريس وابنه وأعلن نفسه امبراطوراً في سنة ٦٠٢ . (لجنة المجلة:م )

وقد يفهم من كلام عبد الرحمن رضي الله عنه أيضاً أن أحدهما كان ابن الآخر ، وهذا أيضاً خلاف الواقع ، فإن هرقل لم يكن ابن قوق، إنما كان ابن الحاكم الرومي في إفريقية ، واستولى على الحكم بعد أن عزله وقتله . ويبدو أن العرب كانت تحسبه ابن فوق إذ كانت سنة العجم أن يرث الابن أباه حكماً .

الدكتور ف . عبد الرحيم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

# الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

## خلال الربع الثاني من عام ١٩٧٨

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء | أبو منصور عبد الملك الثعالبي تحقيق الدكتور قاسم السامرائي | بريل ١٩٧٨ |
| ببليوغرافيا بالمطبوعات الحكومية العراقية الموجودة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد | طارق عبد الرحمن | بغداد ١٩٧٨ |
| تاريخ طب الأطفال عند العرب | الدكتور محمود الحاج قاسم محمد | بغداد ١٩٧٨ |
| البرعي اليمني : الشاعر والفقيه | جواد المرابط | بيروت ١٩٧٨ |
| المصطلحات المتعلقة بصناعة الاسمنت | المهندس حسين رشدي إبراهيم باشا | حلب ١٩٧٨ |
| المصطلحات المستخدمة في معامل الاسمنت | سي . اف . كلاوسين و . ار . ديرسناه تعريب المهندس حسين رشدي | » » |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| أحجار السماء ، أحجار تشيلي | بابلونيرودا ،ترجمةصباح الجهيم | دمشق ١٩٧٨ |
| الأعمال الشعرية الكاملة: منفي وقصائد أخرى | سانجون بيرس ،ترجمة ادونيس | » » |
| أنا الذي رأيت « شعر » | محمد عمران | » » |
| أول أيام العيد « مسرحية في أربعة فصول » | ناظم حكمت، ترجمها عن الروسية شريف شاكر | » » |
| التخزين والمناولة والتصنيف : أصولها ، أدواتها ، تطبيقاتها | علي السيد | » » |
| دنيا الحكايات | انجل كارا ليتشف، ترجمة عيسى فتوح | » » |
| رأس المال « نقـــد الاقتصاد السياسي » الكتاب الثالث : السلسلة الإجمالية لأفاعيل الانتاج الجزء ١ — ٢ | كارل ماركس، ترجمة : أنطون حمصي | » » |
| السينما السورية في خمسين عاماً | جان الكسان | » » |
| علم الأعلام خير الدين الزركلي | قدم له: العماد مصطفى طلاس | » » |
| عيادة في الريف | عبد السلام العجيلي | » » |
| الفن: تأويله وسبيله، الجزء الثاني من الفن القوطي إلى القرن العشرين | رنيه هويغ ، ترجمة صلاح برمدا | » » |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| لورا والفتيان | ماري لويز فيشر . ترجمة زياد العودة | دمشق ١٩٧٨ |
| ما لم يحترق بعد « شعر » | مروان ناصح | » » |
| من حماسة أبي تمام | اختاره وشرحه : مطيع ببيلي | » » |
| من كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب «دولة الموحدين» | عبدالواحد بن علي التميمي المراكشي . اختيار وتقديم : الدكتور أحمد بدر | » » |
| من كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه | القاضي علي الجرجاني اختيار ودراسة محيي الدين صبحي | » » |
| معنى المدينة | عدد من المؤلفين . ترجمة الدكتور عادل بدر | » » |
| من الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة | ابن بسام، اختيار وتقديم الدكتور محمد رضوان الداية | » » |
| من مقدمة ابن خلدون «السياسة والاقتصاد» | عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، اختيار وتحقيق سهيل عثمان، محمد درويش | » » |
| النخلة المضيئة « مجموعة قصص» | محمد كامل الخطيب | » » |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| واقع السينما السورية وآفاق تطورها | فتيح عقلة عرسان | دمشق ١٩٧٨ |
| الشوارد « من شوارد الشعر الشعبي » الجزء الثالث | عبد الله بن محمد بن خميس | الرياض ١٩٧٨ |
| من أحاديث السمر «الجزء الأول» « قصص واقعية من قلب جزيرة العرب » | عبد الله بن محمد بن خميس | » » |
| فهرس المخطوطات المصورة ١-٤ | الجامعة الأردنية مركز الوثائق والتوثيق | عمان ١٩٧٧ |
| مشروع المعجم العربي الموحد في مصطلحات العلوم الادارية ( انجليزي - فرنسي - عربي ) | المنظمة العربية للعلوم الادارية | القاهرة ١٩٧٨ |
| تاج العروس من جواهر القاموس الجزء السابع عشر | السيد محمد مرتضى الزبيدي تحقيق مصطفى حجازي | الكويت ١٩٧٧ |

# فهرس الجزء الثالث من المجلد الثالث والخمسين

| الصفحة | المقـــالات | |
|---|---|---|


## التعريف والنقـــد

| | | |
|---|---|---|


## آراء وأنبـــاء

| | | |
|---|---|---|

No 3 Vol. LIII

# REVUE

# DE L'ACADÈMIE ARABE DE DAMAS



## تباع مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق
## في كل من المكتبات الآتية :

— المكتبة العربية لأصحابها عبيد إخوان ( شارع غسان ـ دمشق )

— دار الكتاب الجديد ( بيروت ـ لبنان )

— مكتبة دار البيان ـ شارع المتنبي ( بغداد ـ العراق )

— مكتبة السيد محمد حسين الأسدي ( كتابفروشى أسدي )
( ميدان بهارستان ـ طهران ـ إيران )

— مؤسسة دار الكتب الثقافية ـ السيد محمود الخطيب ( الكويت )

— مكتبة المتنبي ـ حامد وسعد الدين ( ١٤ شارع الجمهورية ـ القاهرة )



مطبعة الحجاز بدمشق

١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م

الجزء الرابع		المجلد الثالث والخمسون

# مجلة

# مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



شوال من سنة ١٣٩٨ ﻫ

تشرين الأول «اكتوبر» من سنة ١٩٧٨ م

مجلة

# مجمع اللغة العربية بدمشق

مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً

ص . ب ٣٢٧

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر اربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي } في جميع البلاد العربية ١٥٠٠ قرش سوري
بدءاً من العام ١٩٧٧ } وفي سائر الأقطار ٦ دولارات

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته الى قيمة الاشتراك

( تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه )

---

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتّاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

الجزء الرابع　　　　المجلد الثالث والخمسون

# مجلة

# مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



شوال من سنة ١٣٩٨ هـ

تشرين الأول «اكتوبر» من سنة ١٩٧٨ م

# الألفاظ التاريخية

## متحف اللغة

الأستاذ شفيق جبري

أولعت من حين إلى آخر بتقليب النظر في معجم من معجمات اللغة ، فما أكثر الأمور التي يقف عليها الإنسان في مثل هذا التقليب ، فقد يتبين له أن اللغة يجري عليها من القوانين ما يجري على عالم الطبيعة ، فقد يجري عليها التنازع على البقاء كما يجري عليها المذهب الذي اصطلحنا على أن نسميّه : التطور ، وقد يكون للبيئة آثار في اللغة كما يكون مثل هذه الآثار في عوالم الطبيعة ، والخلاصة فقد تقضي لفظة على لفظة فتحلّ محلّها أو يقضي مصدر على مصادر ثانية أو تعيش لفظة في بيئة وتموت في بيئة ثانية ، ولكن هذا كله يستلزم بحثاً خاصاً ؛ فان غايتي في هذا المقال الإشارة إلى الألفاظ التاريخية وهي التي بطل استعمالها فذهبت بذهاب المسمّيات التي تدل عليها ، فهي تموت في اللغة لأسباب تاريخية ، ولذلك سمّيت الألفاظ التاريخية كما وضّح ذلك « دار مستتر » في كتابه : « حياة الألفاظ » .

من هذا القبيل أسماء لبعض الآلات أو الحيوان أو الملابس أو السلاح وغير ذلك ، فمن الآلات مثلاً لفظة : الشَّجْب ، من جملة معـاني هذه المادة : سِقاء يابس يُحرِّك فيه حصىً تُذعَّر بذلك الإبل . لاريب في أن هذا التفسير واضح لا لبس فيه ، ولكن ما هو هذا السِقاء ، ماشكله ، ما حجمه ، ما تركيبه ، إنا لا نعرف شيئاً من هذا كله ، فهذه اللفظة : الشَّجْب ماتت بموت المسمَّى الذي كانت تدل عليه .

ومن الآلات : الشُكبان بالضم ، وهو شِباك للحشّاشين يحتشّون فيه ، فما شكل هذا الشباك .

ومن الأدوات لفظة : الشعيب ، وهي المزادة من أديمين ، أو المخروزة من وجهين . فمن منّا الذي وقعت عينه على هذه المزادة .

وإذا انتقلنا إلى عالم الحيوان فإنا نجد أن الشُحْذُب ، كقنفذ ، دويبة من أحشاش الأرض ، فما هي هذه الدويبة ، وإني لأشك في أن عالماً من علماء الحيوان يعرفها .

ومن الحيوان أيضاً : الشُنْقُب ، كقنفذ وقنطار ، وهو ضرب من الطير . فمن الذي يدلّنا على هذا الطير .

وقد نمرّ بأشباه هذا كله في الثياب ، فالمدرعة ، كمكنسة ، ثوب كالدرّاعة ولا يكون إلاّ من صوف وتمدرع : لبسه ، فما هو هذا الثوب .

إن اللغة تشتمل على آلافٍ من أمثال هذه الألفاظ ، وقد فسّرها علماء اللغة تفسيراً لا غموض فيه على نحو ما قلت ، ولكنا على الرغم من هذا التفسير الواضح نعجز عن إدراك المسمّيات التي كانت تدل عليها هذه الألفاظ لأن العين لم تقع عليها .

وقد نشهد هذا الأمر في أكثر اللغات فاللغة الفرنسية مثلاً ماتت فيها أسماء كثيرة كانت تستعمل في القرون الوسطى ، لأن هذه الأسماء كانت تدل على أشياء اختفت ، أشياء من السلاح والآلات والعملة والملابس وغير ذلك ، كما كانت تدل على أمور معنوية واجتماعية وعلى أفكار وعلوم وأخلاقٍ وتربيةٍ وألعاب ، وعلى بعض المؤسسات والحوادث ، وقد ذهب هذا كله بذهاب القرون الوسطى .

إن الألفاظ التاريخية إذا عُرضت على عين القارىء وفُسّرت معانيها فإنها تحيي له ماضياً بأجمعه ، ولا يمكن بعثها وإحياؤها إلا بالتنقيب عن التاريخ فإذا بُحث عن مصادر التاريخ ووثائقه ظهرت للعيان ألفاظ كانت تدلّ على المسمّيات التي اختفت كما تظهر أيضاً حياة الماضي من العصور ، والخلاصة فإن جملة كبيرة من الأسماء اختفت دون رجوع ، وقد نجد في تنقيب علماء الآثار أشياء كثيرة نضع لها أسماء جديدة لأنا نجهل الأسماء القديمة التي كانت تدلّ عليها ، كما بيّن هذا كله « دار مستتر » في كتابه القيّم : حياة الألفاظ .

* * *

لقد اخترت لهذا المقال عنواناً غريباً : متحف اللغة ، فهل للغةٍ من اللغات متاحف ! ولكني أرجو أن تزول غرابة العنوان . إن كثيراً من الأمم لها متاحف في بعض بلدانها ، تجمع فيها ما اهتدت إليه من آثار ماضيها في خلال التنقيب ، وقد تكون هذه الآثار من السلاح أو الثياب أو العملة أو الأواني أو العمران مما كان في ماضيها وذهب عنها في حاضرها ، فهي تجمع هذا كله في متاحفها وتُعنى به العناية كلها وتحرص عليه الحرص

كله ، وإذا قصد السيّاح هذه المتاحف نعموا برؤيتها وحدّثوا عنها ذويهم وأصحابهم في رجوعهم إلى أوطانهم ، فلماذا لا يكون للغة من اللغات متحف خاص .

ولست أعني بالمتحف مبنى من المبـــاني ، وإنما أعني بذلك معجماً خاصاً تدوّن فيه الأسماء التي كانت تدل على مسميات في مواضي العصور ، وقد ذهبت هذه المسمّيات فنحن لا نعرفها وبقيت أسماؤها محفوظة في معجمات اللغة . وقد يكون للتصوير شأن كبير في هذا العمل ولكن التصوير لا يتم إلاّ إذا اهتدى علماء الآثار إلى المسمّيات التي اختفت ؛ وأظن أن هذا من مصاعب الأمور . من هذا القبيل مثلًا لفظة : الطارمة ، فقد مررت بهذه اللفظة في كتاب الأغاني ، ففتشت عن معناها في معجم من المعجمات ، فلم أعثر على اللفظة ، وقد وجدتها في مقال نشر في جريدة مصرية ، صاحب المقال أحد رؤساء الوزارة في بغداد في الماضي ، حُبس فكان يصف حبسه واستراحته في طارمة ، فلجأت إلى معجم « دوزي » لعلي أهتـدي إلى معنى هذه اللفظة ، فوجدت صورة الطارمة في المعجم ، وهي عبارة عن غرفة صغيرة من خشب ، يجلس فيها المرء ويُطل من خلال الخشب على الحديقة ، فلو أمكن وضع معجم للألفاظ التاريخية وتصوير ما أمكن تصويره من المسمّيات التي تدل عليها هذه الألفاظ لذهب شيء كثير من الغموض الذي نمرّ به في بعض الأسماء ولكني أعتقد أن مثل هذا العمل غير يسير .

شفيق جبري

# نظرة في
# معجم المصطلحات الطبّيّة
## الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

## - ٣٨ -

**الدكتور حسني سبح**

١١٨٥١ اِحْتِلامٌ في حَالةِ الصَّحْوِ — 11851 Rêver à l'état de veille
وأرجح حُلْمُ اليَقَظَة

١١٨٥٢ قَلوبيَّة ، عَوْدَةٌ إلى الأصْل — 11852 Réversibilité
وأرجح قَلوبِيَّة ، رجوع إلى ما سَبَق ، قابلية التغير ( ولا سيما في الارتكاسات الحيوية والكيمياوية ) وقابليَّة التحوُّل ( الجنس )

١١٨٥٣ قَلوب ، رَدُودٌ إلى الأصْل — 11853 Réversible
قَلوب ، قابل التَّراجُع والتَّبدُلِ والتغيُّر

١١٨٥٤ اِرْتِكاس ، ارْتِداد إلى الأصْل — 11854 Réversion
وأرجح تراجُعٌ ، تَقَهْقُرٌ ، تأسُّل ( في الوراثة ) تَحَوُّل ( في المناعة ) (١)

---

(١) لفظة ( reversion ) في معجم دُرلند ( Dorland's Illustrated Medical Dictionary )

11855 Révision ١١٨٥٥ فَحْصٌ ثانٍ ، إعادَةُ النَّظَر
وأفضل مُراجَعَةٌ ، إعادَة النَّظر

11856 Révolution cardiaque ١١٨٥٦ دَوَرانٌ قَلْبي
وأرجح دَوَرانُ القَلْب أو دَوْرَةُ القَلْب ، كما جاء في
الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11857 Revolver port-objectif ١١٨٥٧ مُحَوِّل حامِل العَدَسِيّات
المادِية أو الجُرْمِيّة
وأفضل مُبَدِّلة العَدَسات الشَّيْئِيّة (٢)

11858 Révulsifs,remèdes irritants,dérivatifs
١١٨٥٨ مُصَرِّفات ، أدَوْيَة مُخَرِّشَة مُحَوِّلات

11859 Révulsif , ve ١١٨٥٩ مُصَرِّف مُحَوِّل

11860 Révulsion , dérivation ١١٨٦٠ تَصْريف ، تحْويل
وأرجح التخصيص في هذه المصطلحات ، فأقول : مُحَوِّلات ،
أدوِيَة مُخَرِّشَة ومُصَرِّفات في الفئة الأولى ، ومُحَوِّل في
المصطلح الثاني وتَحْويل وتَصْريف في الثالث .

11861 r H , symbole du potentiel d' oxydo - réduction
١١٨٦١ (ر ه) رَمْزُ مكنون الحَزْلَدة
وأفضل (ر ه) رمز الطّاقة الكامِنَة بين الأَكْسَدة والارْجاع

11862 R H facteur Rhesus ١١٨٦٢ ( ع ر ) عامِلُ نَسْناسِي
وأفضل ( ح ر ) العامِل الرَّبْضي

(١) ( cardiac cycle ) .

(٢) الصفحة ٥١٨ من المجلد الثامن والأربعين من هذه المجلة .

11863 Rhabdomyome ١١٨٦٣ وَرَمٌ عَضَلي مُخَطَّط
وأفضل وَرَم العَضَل المُخَطَّط

11864 Rhinencéphale , rhinocéphale ١١٨٦٤ مَسِيخ مُشَوَّه الأنف
مَسِيخ مُشَوَّه الرأس والأنف

11865 Rhinolalie , rhinophonie ١١٨٦٥ خَنٌ ، غُنَّة
وأرجح الخنخنة أو الخَن أو الخُنَّة (١) ( اللفظة الثانية )
باعتبارها حالة مرضية دماغية

11866 rhino—pharingite épidémique , rhume commun
١١٨٦٦ اِلتهاب الأنف والبُلْعوم السّاري ، زُكام اعتيادي
وأفضل اِلتهاب الأنف والبُلْعوم الوافِد ، زُكام شائع ،
وسبق للجنة أن ترجمت ( contagieux ) بمُعْدٍ وسارٍ
( اللفظة ٣١٤٦ ) و ( épidémique) بجَائِح وجَائِحي
( اللفظة ٥٠٤٦ ) وسبقت الملاحظة عليها (٢)

11867 Rhinoplastie ١١٨٦٧ تَرقِيع الأنف ، تَرميم الأنف
وأرجح رَأب الأنف أو إصلاحه

11869 Rhinoscopie postérieure ١١٨٦٩ تَنْظير الأنف الخَلْفي ،
الخَيْشومي
وأرجح تنظير الأنف الخلفي (٣)

---

(١) في لسان العرب : الخَنْخَنَة أن لا يُبين الكلام فيُخَنْخِنَه في خَياشيمه ، والخُنَّة ضرب من الغُنَّة كأن الكلام رَجع إلى الخَياشيم .
(٢) الصفحة ٥٦٢ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .
(٣) في لسان العرب : الخَيْشوم من الأنف مافوق نُخْرَتِه من القصبة وماتحتها من خَشارم رأسه .

11876 Rhumatismal , ale

١١٨٧٦ رَثْيِيي
ورَثَوي ترجيحاً
هذا وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب ( rheumatism )
بروماتيزم (١)

11877 Rhumatisme articulaire aigu , fièvre rhumatismale, maladie de Bouillaud

١١٨٧٧ رَثْية مَفْصَليَّة حادَّة ، حُمَّى
رَثْية ، داءُ بُويو
رَثْية مَفْصِلِيَّة حادَّة حُمَّى رَثَوية ، داءُ بُويو
هذا وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تخصيص لفظة رثية ترجمة لالتهاب المفصل وجاء في التعريف : التهاب مَفْصِلي مُؤلم قصير الأمد في ترجمة (acute arthritis) وعرَّب ( rheumatism ) بروماتيزم ، وجاء في ترجمة ( rheumatic arthritis ) رَثْية روماتزمية عوضاً عن اِلتهاب المَفْصِل الرَثَوي وهو الأفضل

11878 rhumatisme chronique déformant dégénératif progressif , ou noueux , goutte asthénique primitive, polyarthrite déformante chronique évolutive

١١٨٧٨ رَثْية مُزْمِنة مُشَوِّهة مُتَنَكِّسَة مُتَرَقِّية أو عَقِدة ، نِقْرِس وَهَني بَدْئي ، إلتهاب المَفاصِل المَديدة المُشَوِّه أو المُزمِن النامي .

(١) الصفحة ٤٧٧ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأرجح رَثْيَة مُزْمِنة مُشَوِّهة تَنَكُّسِيَّة مُتَرقِّيَة أو عَقِدَة ، نِقْرِس وَهني بَدْني ، التهاب المفاصل الكثيرة المُشَوِّه أو المُزْمِن المُتَرقِّي أو المُتَطَوِّر

11879 rhumatisme ( pseudo - rhumatisme infectieux )

١١٨٧٩ رَثْيَة ( رَثْيَة مُوهِمة خَمَجِيَّة )

أقول رَثْيَة كاذِبَة خَمَجِيَّة أو انتانية [1]

11880 rhumatisme lombaire chronique , lvmbarthrie , lombarthrose

١١٨٨٠ رَثْيَة قَطَنِيَّة ، ألم قَطَني خَزْرَة

وأرجح رَثْيَة قَطَنِيَّة مُزْمِنَة ، العِلَّة المَفْصِلِيَّة القَطَنِيَّة أو الفُصال القَطَني [2]

11881 rhumatisme musculaire , myalgie , myodynie rhumatismale

١١٨٨١ رَثْيَة عَضَلِيَّة ، عُضال ، ألم عَضَلي رَثْيي

وأرجح رَثْيَة عَضَلِيَّة ، ألم عَضَلي ، وَجَع عَضَلي رَثَوي . وللفظة عُضال معنى خاص [3]

11883 Rhumatoïde

١١٨٨٣ شَبِيهٌ بالرَّثْيَة

وأرجح رَثَواني

11887 Rictns sardonïque , rire sardonique

١١٨٨٧ تَهانُفٌ ، ضَحِكٌ باسْتِهْزاء

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة [4] وأقر مجمع اللغة العربية

---

(١) الصفحة ٤٦٩ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٤٩٧ من المجلد الخامس والأربعين من هذه المجلة .

(٣) في لسان العرب : وداءٌ عُضالٌ شديدٌ مُعيٍ غالبٌ .

(٤) الصفحة ٤٨٢ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

في القاهرة الازمهرار ، وجاء في الشرح : صورة للوجه ( سحنة ) بسبب تقلص عضلات الوجه في مرض الكزاز

١١٨٨٨ سِرٌ غضنٌ ، انثناء ، التواء — **11888** Ride ,pli

وأرجح غضن ، جعدة . وسبق للجنة أن ترجمت ( repli ) بانثناء اللفظة ( ١١٧١٧ ) وليس للفظة سِرّ الدلالة المطلوبة [١]

**11889** rigidité des artérioscléreux , syndrome de Foerster

١١٨٨٩ صمَل المتصلبة شرايينهم تناذر فورستر

وأفضل صمْل ( بسكون الميم ) لمتصلبي الشرايين ، أو ذوي التصلُّب الشرياني ، تناذر فُورسْتر ( كما يلفظ بالالمانية ) . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : كزازة – تيبُّس – توتر ، وجاء في الشرح : توتر في العضل كما يحدث في الكزاز [٢]

١١٨٩٠ صمَل رِمّي ، صلابة الجثة — **11890** rigidité cadavérique

---

(١) في لسان العرب : السِّر ما أخفيت ، السِّر الزنا والسِّر الجماع . وفي التهذيب السِّر الأصل ووسط الوادي والسِّر ذكر الرجل الخ .

(٢) في لسان العرب : الصَّمل اليُبْس والشدّة
الكزازة والكزاز : اليُبْس والانقباض
اليُبْس بالضم : نقيض الرطوبة .
التارز اليابس الذي لا روح فيه ، ترز تروزاً وترُوزاً مات ويبس .

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة (١)

وأقر مجمع اللغـة العربية في القاهرة : التيبُّس الميْتي ترجمة لـ ( rigor mortis )

وجاء في التعريف : وهو الذي يلحق الموت وسببه تجمد بلازمة العضلات .

وأقر المجمع ترجمة اللفظة ذاتها بالتيبُّس الرِمِيّ بين مصطلحات الطب الشرعي وجاء في التعريف : وهي حالة تصلب في الجثة بسبب تغييرات كيماوية في العضلات . ولعل لفظة تَرْز المشار إليها في الهامش تفي بالمعنى . فأقول ترَز وتَرز الجثة أو يبوستها ، وأرى تخصيص الصمل للتوتر العضلي البادي في الاصابة خارج الهرمية ( extra - pyramidale ) لشموله فئتي العضل الباسـطة والقابضة ، والتقفع للتوتر البادي في إحدى الفئتين المذكورتين ، شأن مايحدث في اصابة الجملة الهرمية ( système pyramidale ) والصلابة أو القساوة ترجمة لـ ( dureté ) والتصلب لـ ( sclérose )

١١٨٩١ صلابة بالحرارة — 11891 rigidité par la chaleur

وأفضل صمْل الحرارة

١١٨٩٢ صلابة بانتزاع المخ — 11892 rigidité décérébrée

وأفضل صمْل حذْف المخ ، كما تقدم آنفاً ، ولأنه يحدث بالآفات المرضية المؤدية إلى بُطْلان عمل المُخ بالإختبار في الحيوان فحسب

---

(١) الصفحة ٤٨٢ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

١١٨٩٣ صلابة بالبَرد ، تجمُّد — 11893 rigidité par le froid

وأفضل صمَل البرودة.وسبق للجنة أن ترجمت ( congélation) بانجماد وتجمد ( اللفظة ٣٠٥٢ )

١١٨٩٤ صلابة عضليّة — 11894 rigidité musculaire

وأرجح صمَل أو صُمول عضلي

١١٨٩٥ صلابة شاحبة — 11895 rigidité pallidale

وأفضل صمَل الكُرة الكمِدة أو الشاحبة ، كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي (١)

١١٨٩٧ قشعريرة ، رَعْدة ، نافض — 11897 rigor , frisson

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة العُرَواء وهي الشائعة

١١٨٩٨ ميزابة ، مجرى صغير — 11898 Rigole

وأرجح سَري (٢) وسبق للجنة أن ترجمت ( gouttière ) بميزابة ( اللفظة ٦٤٤٦ ) و ( conduit ) بمجرى ( اللفظة ٣٠٢٠ )

١١٨٩٩ شطف ، سكب الماء — 11899 Rincer

وأرجح نطّف وشطف

١١٩٠١ ضحك قسري تكلّفي — 11901 rire forcé

وأفضل تضاحُك ، ضحك مُصطنع

---

(١) Steifheit bei läsion des Globus pallidus

(٢) في لسان العرب: السّري النهر وقيل الجدول وقيل النهر الصغير كالجدول يجري إلى النخل .

١١٩٠٥ رُب ، الكثيف — 11905 Rob
والقطْر كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

١١٩١١ قويُ البُنْية ، جلْدٌ — 11911 Robuste, vigoureux, euse
وأرجح قوي البِنْية (٢) ( بكسر الباء ) متين ، شديدٌ ، صِنْديد

١١٩١٤ إكليل الجَبَل — 11914 Romarin
وحصا البان كما يسمى وشائع في سورية

١١٩١٦ مُدوَّر — 11916 Rond, ronde
ومُسْتدير . وسبق للجنة أن ترجمة ( trochanter ) بمُدْوِر
( اللفظة ١٣٧٣٢ )

١١٩١٧ غطيط — 11917 Ronflement
وشخير أيضاً

١١٩١٨ هرير — 11918 Ronronnement
ولعلَّ الخرْخرة أفضل (٣)

١١٩١٩ طِلاء الوَرْد ، مرْهم الورد — 11919 Rosat onguent
وأرجح مرْهم الورد (٤)

---

(١) ( rob, thick syrup )

(٢) في لسان العرب : البُنْية والبِنية ما بنيه ، وفلان صحيح البِنْية أي الفِطْرة .

(٣) في فقه اللغة للثعالبي: الهرير للكلب إذا أنكر شيئاً ، وأكرهَه ، المُواء للهرة والخرخرة صوتها في نعاسها .

(٤) الصفحة ١٦ من المجلد التاسع والأربعين من هذه المجلة .

١١٩٢١ وَرْدِيَّة — 11921 Roséole

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة وُرَيْدَة ، وأرجح وَرْدِيَة

١١٩٢٢ وَرديَّة هيَجانيَّة — 11922 roséole émotive

وأفضل وَرْدِيَّة انفعاليَّة

١١٩٢٣ وَرْدِيَّة مُرْتَدَّة — 11923 roséole de retour

وأفضل وَرْدِيَّة راجعة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

١١٩٢٦ تَدْوِير إلى الأمام — 11926 rotation en avant

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة لـ ( internal rotation ) الدوران الداخلي

وأرجح التَّدوير تاركاً دَوَران ترجمة لـ ( circulation )

١١٩٢٨ تَدَوُّرِي ، دوَّراني — 11928 rotatoire

وأرجح تَدوري فقط مخصصاً دوراني ترجمة لـ(circulatoire) شأن ما فعلته اللجنة ( اللفظة ٢٦٩٧ )

١١٩٣٣ حَصْبَة الخِنْزير — 11933 rouget du porc

أو حَصبة الخنازير كما هو معروف ، وطاعون الخِنْزير كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

١١٩٣٥ إحمرَّ ، إحمارَّ — 11935 Rougir

وأرجح احمرَّ وحمَّرَ واحمر وجهه خَجلاً(٣) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي

---

(١) ( relapsing roseola )

(٢) ( Swine — plague )

(٣) ( to redden, to blush )

11936 Rouillé , ée ١١٩٣٦ صديء

وبلون الصدأ ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11937 roulement diastolique ١١٩٣٧ تدحرج انبساطي

تدحرج انبساطي ( القلب ) أو دحرجة انبساطية ( القلب ) ونفحة انبساطية ( القلب ) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

11938 Roussir ( faire ) ١١٩٣٨ مَغَّرَ

مَغَّرَ طلاه بالمُغْرة (٣) ولا أظن أنه المقصود من هذه اللفظة في هذا المعجم الطبي ، وأرى أن دلالتها على ضرب من تحضير الأطعمة ولا سيما اللحم ، كما جاء في معجم كييه (٤) لذا أرجح حَمَّرَ (٥) وأشاطَ أو شَيَّطَ (٦)

(١) ( rusty - rust coloured )

(٢) ( diastolic murmur )

(٣) في لسان العرب : المَغَرة والمغْرَة طين أحمر يُصبغُ به ، وثوبٌ مُمغَّر مصبوغ بالمغْرة

(٤) لفظة (roussir) في معجم كييه الموسوعي Qmiqillet : dictionnaise encyclohédique

ومن معانيها تلوين قطعة اللحم في مادة دسمة شديدة الحرارة .

(٥) في المعجم الوسيط: حمَّر اللحم قلاه بالسمن ونحوه حتى احمر (محدثة)

(٦) في لسان العرب : والتشييط لحمٌ يُصلَح للقوم ويُشْوى لهم اسم كالتَّمتين والمُشيّط مثله . وقال الليث التشيُّط شيطوطةُ اللحم إذا مسته النار يتشيَّط فيحترقُ أعلاه

وحمّص الدّقيق بالزُبدة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

١١٩٣٩ رُوسي-لِفي(داء) تَغيّف, 11939 Roussy - Léyy ( maladie de )
وراثي مع إمحاء المُنعكس dystasie aréflexique héréditaire
والصحيح عُسْر الوُقوف الوراثي مع فقد المنْعكسات ، وليس للفظة "تغيّف" (٢) الدلالة المطلوبة

11940 Routage,facilitation des excitations,frayage fraiement
١١٩٤٠ تسْليك ، تسْهيل التنبّهات تطْريق تَمْهيد
تيْسير مرور السَيّالة العصبية، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣) ولعلها أفضل

١١٩٤١ مَرَقٌ مُشيّط ( طِباخة ) 11941 Roux ( cuisine )
وأفضل مَرَقٌ ( أو صَلْصة ) بالزبد ( أو السَّمن ) المُشيّط ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٤) ولأن التشْييط إنما يَحْدث في السَّمن أو اللّحم لا في المرَق

---

(١) to brown ( flour ) with butter

(٢) في لسان العرب : تغيّف ، تبَخْتر وتَغَيَّف : مشى مِشية الطوّال، وقيل تغيف مرّ مراً سهلاً سريعاً ، وتغيّف الفرس إذا انعطف ومال في أحد جانبيه إلى أن قال : التغيف أن يتثنى ويتمايل في شِقية من سعة الخطو ولين السير

(٣) ( facilitation of the passage of a nerve impulse )

(٤) ( brown butter sauce )

11944 Rubéfiant , ante ١١٩٤٤ مُحمِّر مُوَرِّد

11945 rubéfiants ١١٩٤٥ مُحمِّرات

وأرجح مُحمِّر وحدها في اللفظة الأولى ومُحمِّرات الجلد ( أدوية ) في الثانية ، كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي (١)

11946 Rubéole , roséole épidémique

١١٩٤٦ حُمَيْراء ، وَرْدِيَّة وَبائِيَّة

11947 Rubéoleux , euse ١١٩٤٧ مُصاب بالحُمَيْراء

11948 Rubéliforme ١١٩٤٨ حُمَيرائي الشَّكل ، شبيه بالحُمَيْراء

وأرجح حَصْبَة ألمانية ( وهو الاسم الشائع ) (٢) وَرْدِيَّة وافِدة (٣) في اللفظة الأولى ولأن لفظة حُمَيْراء شائعة لما يُعْرَف بالحصبة . مُصاب بالحَصْبَة الألمانية في اللفظة الثانية وَشَبِيه بالحَصْبَة الألمانية في اللفظة الثالثة .

11950 Rudiment ١١٩٥٠ مَبْدأ ، أَصْل

وأفضل مَبْدأ وأثر أو بَقِيَّة باقِيَة

11951 Rudimentaire ١١٩٥١ بَدْئِي ، أوَّلي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بأثارية مُتَخلِّفة . فقد جاء في ترجمة ( rudimentary form of uterus )

---

(١) ( Hautrotende Mittel )

(٢) في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي : ( German measles, rubella )

(٣) وسبق للجنة أن ترجمت ( épidémie ) بجائحة ( اللفظة ٥٠٤١ )

القرنة الآثارية الرحم وفي الشرح : وهي بقيّة القرنة الجنينية ، وفي ترجمة ( rudimentary uterus ) الرحم المُتَخلِّفة وفي الشرح : وهي رَحِم وقف نموها في دَوْر من أدوار تكوّنها .

كما وأن لفظة غير متطور تعني كذلك في بعض المواطن كما جاء الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11953 Rugine , raspatoire — ١١٩٥٣ مِسْحاة ، جارُوف

وأرجح مِكْشَط مِجْرَف

11955 Rugueux , euse — ١١٩٥٥ خَشِن ، كَرِش

وأرجح خَشِن ، مُتَكَرِّش ، جَعِد

11956 Ruminant — ١١٩٥٦ مُجْتَرّ

11957 Ruminant , ante — ١١٩٥٧ مُجْتَر

وأفضل المُجْتَر في اللفظة الأولى ومُجْتَر في الثانية

11959 Rupia — ١١٩٥٩ وَساخة

الترجمة صحيحة في معناها الشائع ، إلا أن لها معنى طبياً إذ تطلق على القروح الجلدية ( الأفرنجية في الغالب ) التي تعلوها طبقات من القشور ومنه تشبيهها بصدفة المحار(٢) ، ولذا أرجح إطلاق صدفة المحار عليها إلى أن نجد لها إسماً خاصاً .

---

(٢) ( rudimentary , undevelopped )

(٣) لفظة ( ruqia ) في معجم ستدمان الطبي ( Stedman's Medical Dictionary ) وفي معجم كييه ( Dictionaire encyclopédique Quillet )

١١٩٦٠ إنقطاع ، إنشقاق ، تمزّق 11960 rupture

وأفضل تمزق ، انقطاع وسبق للجنة أن ترجمت

( Scission ) بانشقاق ( واللفظة ١٢١٣٥ )

11962 rupture des membranes ( obs. )

١١٩٦٢ انشقاق الأغشية ( قِبالة )

وأفضل تمزّق الأغشية

١١٩٦٤ وَدُوق 11964 rut ( en ) . en chasse

ووَدِيق وبها وِداق

S

١١٩٧٥ السّاعة الرَمْليَّة ( كشكل ) 11975 sablier ( en )

وأفضل السّاعة الرَمْلية ( على هيئة )

١١٩٧٧ كِيس 11977 Sac

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : جُراب كما أنه

أقر ترجمة ( lacrimal sac ) بالكِيس الدَمْعي أيضاً

وسبقت الملاحظة على هذه اللفظة (١)

وأفضل : كيس وكيسة وجيب ،كما جاء في الترجمة الانكليزية

من المعجم الأصلي (٢)

١١٩٧٩ كِيس فَوْق الأم الجافية فو ـ الأمجافية 11979 sac épidural

وأفضل كيس فَوْق الأم الجافية فقط

---

(١) الصفحة ٥٧٩ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) ( sac , cyst , pouch )

١١٩٨٠ كيس فتقي، كيس صِفاقِي sac herniaire,sac péritonial 11980

وأفضل كيس الفتق ، كيس البريطون (١)

١١٩٨١ كيس فتقي سابق التكون sac herniaire préformé 11981

والتأهب للفتق ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

١١٩٨٨ سُكّري ، مَلْتُوت بِسْحوق السُّكَّر Saccharolé 11988

وأفضل مَمْزوج بِسْحوق السكر (٣)

١١٩٨٩ كُيَيْس ( أذن باطنة ) Saccule ( oreil interne ) 11989

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : جُرَيْب إلا أنه ترجم ( saccular aneurysm ) بأنورسما كيسية ( وسبقت الملاحظة على هذه اللفظة ) (٤)

١١٩٩٣ ألم العجُز ، ألم عَجُزى sacrodynie , douleur sacrale 11993

وأرجح وجَع عجُزي وألم عجُزى أو ألم العجز

( للبحث صلة )

---

(١) الصفحة ٢٥٠ من المجلد الخمسين والصفحة ٢٢٨ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة

(٢) ( predisposition to hernia )

(٣) في لسان العرب: مَلَتَه يَمْلِتُه مَلْتاً كمَتَلَه أي زعزعه أوحركه قال الأزهري لا أحفظ لأحد من الأئمة في ملت شيئاً وقال ابن دريد في كتابه ملت الشيء ملْتاً ومتَلْتُه متلاً إذا زعزعته وحركته ولا أدري ما صحته .

(٤) الصفحة ٥٧٩ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

# داود بن سليمان بن عبد الملك بن مروان
# فاتح حصن المرأة ومحاصر القسطنطينية[1]

اللواء الركن محمود شيت خطاب

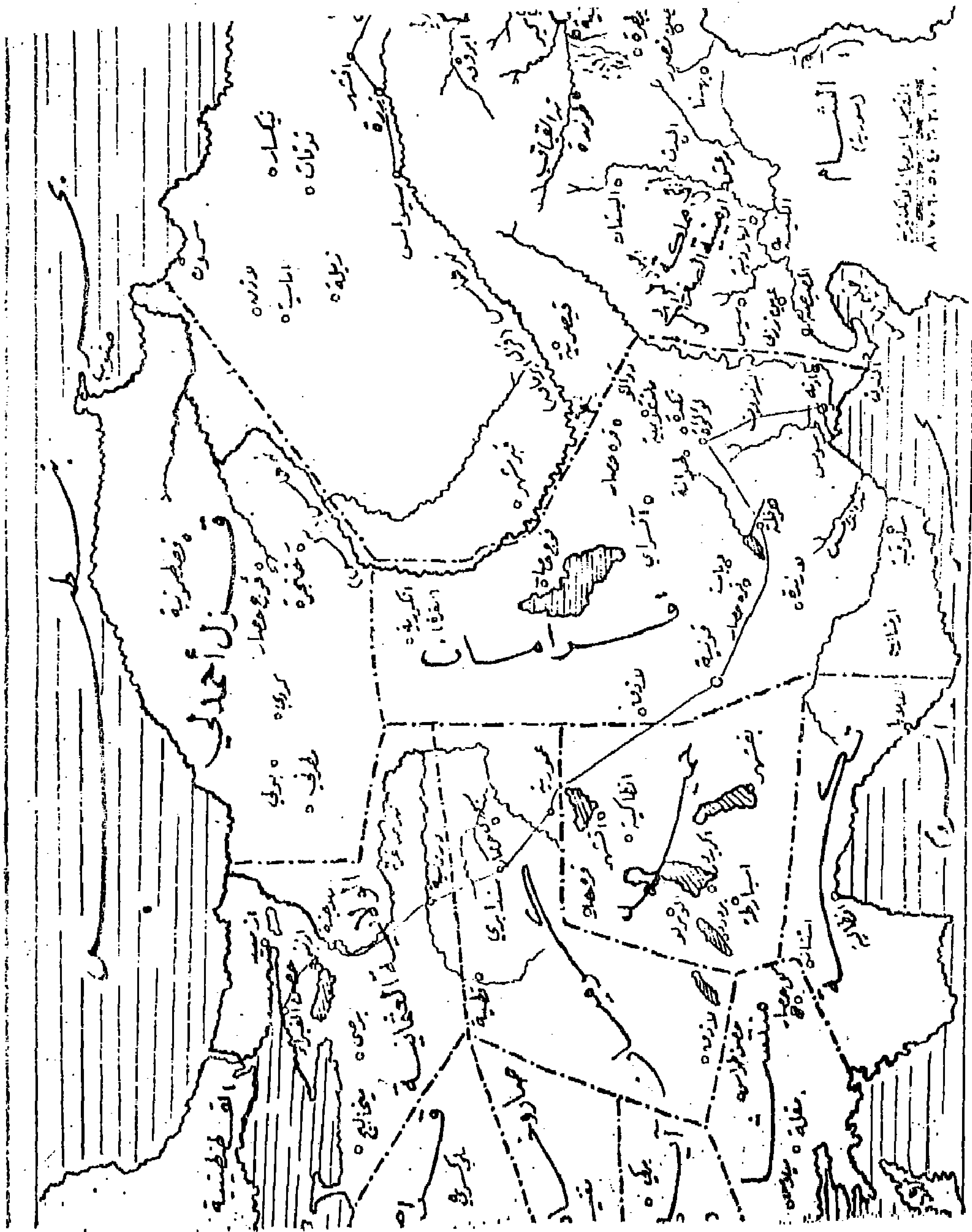
## نسبه وأيامه الأولى :

هو داود بن سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ القرشي الأموي[2]. أبوه أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك بن مروان . وأمه من أمهات

---

(١) حصن المرأة : لا ذكر له في المصادر الجغرافية القديمة المتيسرة ، والظاهر أنه حصن من حصون الروم مما يلي ( مَلَطْية ) ، انظر الطبري ( ٦/٥٤٥ ) وابن الأثير ( ٥/٣٦ ) وابن خلدون ( ٣/١٥٦ ) .

(٢) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد ( ٥/٢٢٣ ) وتهذيب الأسماء واللغات ( ١/٢٠٩ ) وجمهرة أنساب العرب ( ١٠٣ - ١٠٥ ) وفوات الوفيات (٢/٣١) وتهذيب ابن عساكر ( ٣/٢٠٣ ) .


قرامان
بلاد الروم

الأولاد [١] ، ويريدون بتعبير أمهات الأولاد الجواري والإماء اللواتي ولدن لمواليهن ذكراناً .

تربى تربية أبناء الخلفاء، فوالده سليمان وجده عبد الملك بن مروان وجدّ أبيه مروان بن الحكم خلفاء ، فلا بد أنه تلقى علوم القرآن والحديث والدين والتاريخ واللغة والأدب على أساطين العلماء في أيامه ، كما تلقى العلوم العسكرية النظرية والعملية على المبرزين في تلك العلوم .

كما مارس الأعمال الادارية والسياسية والعسكرية عن كثب ، وشهد كيف تعالج أمور الدولة المختلفة وتعطى القرارات في محيط الخلفاء والأمراء والقادة على أعلى المستويات .

ومن الواضح أنه أصبح موضع ثقة والده ، فولاه قيادة بعض الصوائف [٢] وأراد أن يجعله ولي عهد بعد أخيه أيوب الذي توفي قبل أبيه سليمان بن عبد الملك [٣] ، وهذا دليل على أنه أصبح أبرز إخوته بعد وفاة أخيه أيوب ، وأن العلوم النظرية والعملية والتدريب العملي التي تعلمها في أيامه الأولى أثرت كفاياته ، فأصبح قادراً على تحمل المسؤوليات السياسية والإدارية والعسكرية على حد سواء .

لقد كانت أيامه الأولى تعلماً وتدريباً وتجارب تشابه أنداده من أبناء الخلفاء كمسلمة بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، إلى حد كبير [٤] .

---

(١) العيون والحدائق (٣٤) وانظر تهذيب ابن عساكر (٣/٢٠٣) .

(٢) الصوائف : جمع الصائفة ، وهي الغزوة التي تخرج صيفاً .

(٣) تهذيب ابن عساكر (٣/٢٠٣) .

(٤) انظر سيرة مسلمة بن عبد الملك وسيرة العباس بن الوليد بن عبد الملك.

جهـــاده :

١ - في سنة سبع وتسعين الهجرية ( ٧١٥ م ) جهّز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى (القسطنطينية ) ، واستعمل ابنه داود على الصائفة ، فافتتح حصن ( المرأة ) (١) .

والظاهر أن داود كان قائد القوات الساترة ، لحماية إعداد الجيوش وحشدها بالقرب من الحدود الاسلامية الرومية ، ولحرمان الروم من التدخل المباشر أو غير المباشر في عرقلة الإعداد للجيوش تنظيماً وتجهيزاً وتسليحاً وتدابير إدارية ، ولمنعهم من التأثير المباشر أو غير المباشر في حشدها استعداداً للتحرك إلى ( القسطنطينية ) ، لكي يتم الإعداد والحشد حسب الخطة المرسومة .

وكانت منطقة إعداد الجيوش في ( دابق ) (٢) ، وكانت خطة سليمان ابن عبد الملك في ستر هذه المنطقة وحمايتها لاستكمال متطلبات الإعداد والحشد تتلخص بإرسال الصوائف إلى بلاد الروم شمالاً ، للسيطرة على الحصون التي تقع في منافذ جبال ( طورس ) الحصينة ، فعملت تلك الصّوائف عمل القوات الساترة بأسلوب ( التعرض ) بالحركة ، لا بأسلوب ( الدفاع ) المستكن ، وبذلك حققت هدفين في آن واحد : الأول حماية منطقة الإعداد والحشد ، والثاني السيطرة على الحصون الجبلية التي تتحكم في الطرق القريبة المؤدية إلى بلاد المسلمين .

---

(١) الطبري ( ٥٢٣/٦ ) وابن الأثير ( ٢٠/٥ ) وابن خلدون (١٥٥/٣) .

(٢) دابق : قرية بقرب مدينة ( حلب ) ، وهذه القرية من أعمال (اعزاز) بينها وبين ( حلب ) أربعة فراسخ ، عندها مرج معشب ، كان ينزله بنو مروان إذا غزوا الصائفة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٣/٤ ) .

وقد نجحت هذه الخطة نجاحاً كبيراً ، وهي خطة حصيفة بلا مراء .

٢ - وفي سنة ثمان وتسعين الهجرية ( ٧١٦ م ) غزا داود أرض الروم ، ففتح حصن ( المرأة ) مما يلي ( مَلَطْيَة )[١] مرة ثانية[٢] كما افتتح حصن ( الأجرب )[٣] .

وقد تكرر فتح حصن ( المرأة ) في هذه السنة ، إذ سبق ذكره في فتوح سنة سبع وتسعين الهجرية ، مما يدل على أن الروم استعادوه في شتاء سنة سبع وتسعين الهجرية ، لقلة المدافعين عنه وهو الأرجح ، أو لانسحاب داود منه بعد فتحه صيفاً ، واحتمال الانسحاب منه ضعيف ، لأن المسلمين لا ينسحبون من موقع فتحوه إلا لأسباب قاهرة .

وكان إعادة فتح هذين الحصنين في هذه السنة ، هو لتأمين خطوط الجيوش الاسلامية الزاحفة لفتح ( القسطنطينية ) ، لأنها الشريان الرئيس لتقدم تلك الجيوش نحو هدفها ، وهي التي تصل قواعد المسلمين الأمامية بالقسطنطينية ، وعليها تتحرك الإمدادات الإدارية والبشرية من تلك القواعد

---

(١) ملطية : بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم أرض الشام شمالاً ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٨/١٥٠ ) وتقويم البلدان ( ٣٨٤ ) والمسالك والممالك للاصطخري ( ٤٦ ) .

(٢) الطبري ( ٦/٥٤٥ ) وابن الأثير ( ٥/٣٦ ) وابن خلدون ( ٣/١٥٦ ) والنجوم الزاهرة ( ١/٢٣٦ ) وتهذيب ابن عساكر ( ٣/٢٠٣ ) .

(٣) تهذيب ابن عساكر ( ٣/٢٠٣ ) ، ولا ذكر لحصن الأجرب في المصادر الجغرافية القديمة ، ومن المحتمل أن يكون حصناً صغيراً في منطقة ( ملطية ) بالقرب من حصن المرأة .

الأماميـة إلى الجيوش الزاحفة ، وكل قائد لا بدّ له من تأمين خطوط مواصلاته بالروابا في المناطق الجبلية والحصون .

والظاهر أن داود استعاد حصن ( المرأة ) وفتح حصن ( الأجرب ) في طريقه إلى ( القسطنطينية ) ، فقد كان قائد أحد الأرتال المتقدمة لفتح عاصمة الروم ، بصحبة عمه مَسلمة بن عبد الملك الذي تولى القيـادة العامة سنة ثمان وتسعين الهجرية [١] .

٣ - وكان داود بإمرة عمه مسلمة قائداً مرؤوساً في ملحمة حصار ( القسطنطينية ) ، وبقي معه من صيف سنة ثمان وتسعين الهجرية (٧١٦م) حتى تم انسحاب مسلمة من ( القسطنطينية ) بعد وفاة سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين الهجرية [٢] ( ٧١٧ م ) وتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، فأمر عمر بالقفول منها بمن معه من المسلمين [٣] ، بعـد أن بقي المسلمون يحاصرون ( القسطنطينية ) ثلاثين شهراً [٤] .

---

(١) الطبري ( ٥٣٠/٦ ) وابن الأثير ( ٢٧/٥ ) والبداية والنهاية ( ١٧٤/٩ ) وأبو الفدا ( ٢٠٠/١ ) والعبر ( ١١٦/١ ) وابن خلدون ( ١٥٥/٣ ) ومختصر تاريخ الدول لابن العبري ( ١١٤ ) .

(٢) الطبري ( ٥٤٦/٦ ) وابن الأثير ( ٣٧/٥ ) والعـبر ( ١١٨/١ ) والمسعودي ( ١٨٢/٣ ) وشذرات الذهب ( ١١٦/١ ) والعيون والحدائق (٣٣) والتنبيه والإشراف ( ٢٧٥ ) .

(٣) الطبري ( ٥٥٣/٦ ) وانظر ابن الأثير ( ٤٣/٥ ) والعيون والحدائق ( ٣٩ ) وسيرة عمر بن عبد العزيز ( ٣٢ ) والمعارف ( ٣٦٠ ) والبداية والنهاية ( ٣٢٨/٩ ) وتاريخ خليفة بن خياط ( ٣٢٦/١ ) .

(٤) البدء والتاريخ ( ٤٤/٦ ) .

وكان سليمان بن عبد الملك قد أرسل ولده داود مع مسلمة إلى (القسطنطينية)[1] وبقي معه إلى نهاية الحملة .

وهكذا أدى داود واجبه قائداً فاتحاً ، ومحاصراً لعاصمة الروم ، وكان في الحصار الرجل الثاني على الجيوش الإسلامية بعد عمه مسلمة بن عبد الملك[2] .

## الإنسان :

كان لسليمان بن عبد الملك أربعة عشر ذكراً[3] ، منهم أيوب أمه أم أبان بنت خالد بن الحكم بن أبي العاص ، ويحيى وعبيد الله[4] أمها عائشة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ، ويزيد والقاسم وسعيد أمهم أم يزيد بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سُفيان ، وعبد الواحد وعبد العزيز أمها أم عمرو بنت عبد الله بن أسيد ، وداود ومحمد وعمر وعبد الرحمن لأمهات أولاد شتى ، والحارث لأم ولد وفي أيوب يقول جرير :

إنَّ الإمامَ الذي تُرْجَى فَوَاضِلُهُ بعد الإمام وليُّ العَهْـدِ أيُّوب

وقد مات أيوب في حياة أبيه . وأما محمد فكان صاحب لهو وباطل، أدرك الوليد بن يزيد . وأما عبد الواحد فولاّه مروان بن محمد المدينة وقتله صالح بن علي بن عبد الله بن العباس وأخذ ماله ، وفيه يقول ابن هَرْمَة :

---

(١) العيون والحدائق ( ٣٨ ) وانظر الطبري ( ٦/٥٥٠ ) وابن الأثير ( ٥/٣٩ ) وتهذيب ابن عساكر ( ٣/٢٠٣ ) .

(٢) انظر حصار القسطنطينية في : سيرة مسلمة بن عبد الملك .

(٣) العيون والحدائق (٣٤) .

(٤) في العيون والحدائق ( ٣٤ ) : عبد الله .

إذا قيلَ مَنْ خَيْرُ مَنْ يُرْتَجَى لِمُعْتَرِّ فِهْرٍ ومُحْتَاجِهَا
ومَنْ يُعْجِلُ الخيلَ يومَ الوَغَى بإلْجَامِهَا قَبْلَ إسْرَاجِهَا
أشَارت نساءُ بَنِي مَالِكٍ إليْكَ به قَبْلَ أزْوَاجِهَا

وأما عبد الرحمن فمات وهو شاب ، وأما الحارث فكان من رجالهم جَلَداً وذِكْراً ، وأما يزيد فمات قبل تولي العباسيين (١) .

وأما داود ، فقد كان أبرز إخوته بعد أيوب ، لأن والده أراد أن يعهد إليه ليتولى الخلافة من بعده ، على الرغم من أنه ابن أمةٍ ، وكانوا يكرهون ذلك ولا يولّون إلا ابن حُرّة (٢) ، كما هو معروف في تقاليد بني أمية .

فقد ذكر رجاء بن حَيْوَة ، وكان من أعبّد ، وهو رجل من أهل ( الأردن ) كان موصوفاً بالحكمة والشدّة ، مرضياً في دينه وأمانته ، وكانت ملوك بني أمية تثق به لفضله وشرف نفسه (٣) ـ أن سليمان بن عبد الملك مَرِضَ مرضاً شديداً ، فلما ثقُل عهد ، في كتاب كتبه ، لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلغ ، فدخل عليه رجاء وقال : « ما تصنع يا أمير المؤمنين ! إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجلَ الصالح » ، فقال سليمان : « أنا أستخير الله وأنظر فيه ، ولم أعزم عليه » ، فمكث يوماً أو يومين ، ثم خرّقه . ودعا سليمان رجاء فقال له : « ماترى

(١) العيون والحدائق ( ٣٤ - ٣٥ ) وانظر جمهرة أنساب العرب ( ٩٠ - ٩١ )
(٢) تهذيب ابن عساكر ( ٣/٢٠٣ ) .
(٣) العيون والحدائق ( ٣٨ ) والبداية والنهاية ( ٩/١٨١ - ١٨٢ ) .

في داود بن سليمان ؟ » ، فقال رجاء : « هو غائب عنك بالقسطنطينية ، ولا تدري أحي هو أم ميت » ، فقال : « فمَنْ ترى ؟ » ، فأجابه رجاء : « رأيك يا أمير المؤمنين ! » ، فقال سليمان : « كيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ » ، فقال : « أعلَمُهُ ، واللهِ ، خيّراً فاضلاً مسلماً » ، فقال سليمان : هو ، والله ، على ذلك ، ولئن وليّتُه ولم أولّ أحداً سواه ، لتكونَنْ فتنةٌ ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعدَه » . فأمر سليمان أن يجعل يزيد بن عبد الملك بعد عمر (١) .

وقد كان الناس يقولون عن سليمان بن عبد الملك : « سليمان مفتاح الخير » (٢) ، فلا يمكن أن يفكر في تولية داود الخلافة من بعده وهو على فراش الموت ، إلا إذا وجد فيه مزايا وكفاية وعقلاً وديناً .

ولم يرد له ذكر في الخلافات والفتن التي تفجرت في داخل بني أمية ، ففرّقت صفوفهم وجعلتهم شيعاً ، فكان ذلك سبباً من أهم أسباب انتقال الخلافة منهم إلى بني العباس ، كما لم يرد له ذكر في تولي المناصب الإدارية والقيادية ، منذ عودته من حصار ( القسطنطينية ) حتى قتل سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية ( ٧٤٩ م ) يوم نهر ( أبي فُطْرُس ) (٣) . فقد

(١) الطبري ( ٦/٥٥٠ ) وابن الأثير ( ٥/٣٩ ) والعيون والحدائق (٣٨) وانظر تهذيب ابن عساكر ( ٣/٢٠٣ ) وابن خلدون ( ٣/١٦١ ) .

(٢) الطبري ( ٦/٥٤٦ ) وابن الأثير ( ٥/٣٧ ) والعيون والحدائق (١٧) .

(٣) جمهرة أنساب العرب ( ٩١ ) وتهذيب ابن عساكر ( ٣/٢٠٣ ) . ونهر أبي فطرس : موضع قرب مدينة ( الرّملة ) من أرض فلسطين ، على اثني عشر ميلاً من ( الرملة ) في سمت الشمال ، ومخرجه من أعين في الجبل المتصل بمدينة ( نابلس ) وينصب في البحر بين مدينتي ( أرسوف ) و ( يافا ) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٨/٣٣٣ ) .

تتبّع عبدُ الله بن علي بن عبد الله بن العباس عم السفاح أول خلفاء العباسيين — بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم ، فأخذهم ولم يفلت منهم إلا رضيع أو مَن هرب إلى الأندلس ، فقتلهم بنهر ( أبي فُطْرُس ، فلما فرغ منهم قال :

بني أميّة قد أفنيتُ جمعَكُمُ ... فكيف لي منكمُ بالأوّلِ الماضي
يُطَيِّبُ النّفسَ أن النار تجمعكم ... عُوِّضْتُمُ من لظاها شرَّ مُعتاضِ
مُنِيتُمُ لا أقالَ الله عثرتَكم ... بليثِ غابٍ إلى الأعداء نَهّاضِ
إن كان غَيْظي لفَوْتِ منكمُ فلقد ... مُنِيتُ منكم بما ربّي به راض (١)

فإذا صح أن عبد الله العباسي قال هذا الشعر أو لم يقله ، فالأمر سيّان في رأيي ، لأنه أفرط في إبادة بني أمية ، لا فرق بين مذنب وبريء ، فاحترق الأخضر واليابس ، وقتل الصالح والطالح ، وخسر المسلمون خير قادتهم وإدارييهم ورجال دولتهم دون مسوّغ .

وعلى الرغم من حمامات الدم التي لطخ قسم من العباسيين أيديهم بها ، وعلى الرغم من الإرهاب الشنيع الذي مارسه هؤلاء دون شفقة ولا رحمة، فقد ارتفعت أصوات شجاعة في رثاء قتلى بني أمية ، ولا جدال في أن الشعر الذي قيل في رثائهم كان شعراً صادقاً ، لأنه لا نوال يُرجى من بني أمية ولا زلفى ، بعد أن دالت دولتهم ، وأصبحوا أحاديث للناس وتاريخاً .

قال إبراهيم مولى قائد العَبَلي يرثيهم :

---

(١) ابن الأثير ( ٥/٤٣٠ - ٤٣١ ) . وانظر معجم البلدان ( ٨/٣٣٣ ) .

أفاضَ المدامعَ قتلى كُدَى (١) وقتلى بكُثْوَةَ (٢) لم تُرْمَسِ
وقتلى بِوَجٍّ (٣) وباللابتيْن (٤) بيثربَ (٥) هم خيرُ ما أنفُسِ
وبالزابيين (٦) نفوسٌ ثوتْ وأخرى بنهرِ أبي فُطْرُسِ
أولئك قومٌ أناخت بهم نوائبُ من زمنٍ متعسِ
إذا ركبوا زيّنوا المركبين وإن جلسوا زينة المجلسِ

---

(١) كدى : وردت في معجم البلدان : كُدَى ، ومفتوحة الكاف هي : كداء ، موضع بمكة المكرمة عند ( ذي طُوى ) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٧/٢٢٠ – ٢٢٣ ) .

(٢) كثوة : ورد ذكرها في معجم البلدان ( ٧/٢١٨ ) دون أن يذكر مكانها .

(٣) وَجّ : هي مدينة الطائف في الحجاز ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٨/٣٩٩ – ٤٠٠ )

(٤) اللابتان : تثنية ( لابة ) وهي الحرّة ، وجمعها : لاب : وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم حرّم مابين لابتيْها : يعني المدينة المنورة ، لأنها بين الحرتين . واللابة لغة : الأرض التي ألبستها الحجارة السود ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٧/٣٠٨ – ٣٠٩ ) .

(٥) يثرب : مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٨/٤٩٨ – ٤٩٩ ) ، وهي المدينة المنورة التي فيها مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقبره الشريف .

(٦) الزاب : نهر معروف في العراق الشمالي الشرقي ، وهما زابان : الزاب الأعلى ، والزاب الأسفل ، وربما قيل لكل واحد من نهري الزاب : زابى ، والتثنية : زابيان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٤/٣٦٣ – ٣٦٤ ) والمشترك وضعاً والمفترق صقعاً ( ٢٢٩ – ٢٣٠ ) .

همُ أضرعوني لرَيْب الزّمان وهم ألصقوا الرّغْم[1] بالمعطَسِ
فما أنسَ لا أنسَ قتلاهمُ ولا عاش بعدهمُ مَنْ نَسي[2]

وقال :

أبكي على فتيةٍ رُزِئْتُهُمُ ما إن لهم في الرجال من خَلَفِ
نهر أبي فُطْرُس مَحَلّهُمُ وصبّحوا الزابيين للتلف
أشكو إلى الله ما بُليتُ به من فقْدِ تلك الوجوه والشّرَف[3]

وقال :

بكيْتُ وماذا يردّ البكا وقلّ البُكاء لقتلى كُدا
أصيبوا معاً فتولّوْا معاً كذلك كانوا معاً في رَخا
بكت لهم الأرض من بعدهم وناحت عليهم نجومُ السّما
وكانوا ضيائي فلما انقضى زماني بقومي تولى الضّيا[4]

ولا يمكن أن يصدر مثل هذا الشعر الصادق إلا في رثاء مَنْ ظُلِمَ، لا في رثاء من ظَلمَ ، وكان داود ممن ظُلم حقاً ومعه من أنداده وآل بيته كثير ، إذ لم يشهد الاقتتال في الصراع على المُلك بين الأمويين والعباسيين ، كما أن يوم نهر ( أبي فطرس ) كان بين قوتين غير متكافئتين: جماعة من بني أمية عزّلٌ من السلاح ، وقوة مدججة بالسلاح من بني العباس وجيشهم ، وأكثر الأمويين في تلك المنطقة كانوا ممن اعتزلوا الاقتتال .

---

(١) الرغم : الكره والذل والهوان ، يقال : فعله على رغمه .
(٢) معجم البلدان ( ٣٠٩/٧ ) و ( ٣٣٣/٨ )
(٣) معجم البلدان ( ٣٣٤/٨ )
(٤) معجم البلدان ( ٢٢٣/٧ )

وما هكـذا كان العرب يقاتلون ، ولا بذلك نصت تعاليم القتال في الاسلام .

وهذا الذي أوردته من شعر في الرثاء لقسم من الذين ظُلموا بغير حق من بني أمية ، هو جزء يسير مما قاله شاعر واحـد في رثاء هؤلاء المظلومين بعد أن أصبحوا رجالاً بلا غد ولا سلطة ولا مال ، فما بالك بما قاله الشعراء الآخرون الذين رثوا المظلومين من بني أمية ، وهم عدد ضخم من الشعراء ، عاش شعر بعضهم وطوت الأيام شعر الأكثرين ، لم يخشوا السلطة الغاشمة ، ولم يخافوا الوعيد والسجون والقتل والتشريد ، بل عبّروا عن شعورهم بشجاعة وصدق وأمانة .

ولم يقتصر رثاء المظلومين من بني أمية على الشعراء وحدهم ، بل شمل غيرهم من الأدباء والعلماء وأفراد الشعب العربي ، وقد عبّر كل واحد منهم بطريقته وأساوبه ، ولكن معظم هذا الرثاء دُمّر كما دُمّر بنو أمية وأبيد كما أبيدوا .

وهذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على ما حاق بالأبرياء من بني أمية من ظلم شنيع .

ولعل داود كان من جملة المظلومين ، فلم يحدثنا التاريخ أنه شارك في الاقتتال بقلبه أو بلسانه أو بسيفه ، فلماذا يقتل وترمى جثته في الطرقات ؟

لقد ذكرنا أنه بدأ حياته العملية في الجهاد سنة سبع وتسعين هجرية ( ٧١٥ م ) ، وأنه قُتل سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية ( ٧٤٩ م ). واعتيادياً تبدأ الحياة العملية لأبناء الخلفاء وأضرابهم في العشرين من سني حياتهم ، تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً ، ومعنى ذلك أنه ولد سنة سبع وسبعين

الهجرية ( ٦٩٦ م ) تقريباً،أي أنه عاش خمساً وخمسين سنة قمرية وثلاثاً وخمسين سنة شمسية .

**القائـــد :**

١ - لم يشهد داود غير غزوتين تمهيديتين لحصار ( القسطنطينية ) : الأولى لستر إعداد الجيوش وحمايتها بأسلوب التعرض بالحركة لا بأسلوب الدفاع المتمكن ، والثانية بقيادة جيش من جيوش المسلمين في مرحلة : مسير الاقتراب ، لتطهير الجيوب الثابتة للعدو،وتأمين خطوط مواصلات الجيوش.

فلما انتهت مرحلة : مسير الاقتراب ، ووصلت جيوش المسلمين إلى ( القسطنطينية ) ، بدأت مرحلة حصار هذه المدينة ، فشهد الحصار منذ بدايته حتى نهايته ، وكان في هذه المرحلة الساعد الأيمن لعمه مَسْلَمة بن عبد الملك القائد العام للجيوش الاسلامية في مرحلة الحصار ، وكان الرجل الثاني في تسلسل القيادة بعد مسلمة ، فكانت هذه الغزوة هي الثالثة من غزواته قائداً .

٢ - وتدل الغزوة الأولى لداود : غزوة فتح حصن ( المرأة ) ، أنه كان قائداً ( تعرضيـاً ) ، فقد قام بواجب القطـع الساترة لجيوش المسلمين التي يجري إعدادها في القاعدة الأمامية ( دابق ) ، ولكن بأسلوب جديد يتخذ ( التعرض ) بدلاً عن ( الدفاع ) ، فيستر قوات المسلمين ويحميها ، ويحرم الرّوم من الحصول على المعلومات عن نيات المسلمين وتدابيرهم العسكرية ، ويسيطر على الطرق القريبة التي تقود الروم إلى قاعدة المسلمين الأمامية بفتح الحصن الرومي الذي يسيطر على تلك الطرق .

ونستنتج من ذلك بعض مزايا داود القيادية ، فهو يتسم بمبدأ ( التعرض )

من أهم مبادىء الحرب ، ويؤدي واجبه بأسلوب تعبوي جديـــد ، إذ المفروض أن واجب ( الستار ) يتم بالدفاع أمام الموضع الأصلي بمسافة كافية تمنع العدو من التصدي لذلك الموضع بالنـار والنظر ، ولكنه أدى هذا الواجب بالتعرض لا بالدفاع ، وهذا أسلوب جديد في التعبئة . وهو قدير في ممارسة الحروب الجبلية التي تتطلب كفاية قيادية عالية ، وهو قادر على التصدي للحصون المنيعة وقادر على فتحها .

وكل هذه القابليات من صفات القائد المتميز .

٣ — وتدل الغزوة الثانية لداود : غزوة استعادة فتح حصن (المرأة)، وقيادة رتل من أرتال المسلمين الزاحفة لفتح ( القسطنطينية ) في مرحلة مسير الاقتراب ، أن داود كان يتسم بالحذر والحيطة ، فيحمي جيشه في مسيرته بالربايا عند اجتياز المناطق الجبلية ، وبقطع الحماية : الميمنة والميسرة والمؤخرة والمقدمة في حركته على المناطق المكشوفة ، ويحمي طرق مواصلاته بالسيطرة على المراكز الحصينة التي تتحكم في تلك الطرق ، ويحسب لكل شيء حسابه فلا يفسح المجال للعدو أن يهدد طرق المواصلات بالغارات أو بحرب العصابات .

والحذر والحيطة وإدخال أسوأ الاحتمالات في الحساب ، من صفات القائد المتميز أيضاً .

٤ — وتدل الغزوة الثالثة لداود : غزوة حصار ( القسطنطينية ) ، أنه كان قائداً يتحلى بالضبط المتين ، لأن العرب لا تصبر على الحصار المديد ، كما لا تصبر على البرد الشديد ، وقد عانى المحاصرون ظروفاً قاسية :

النار اليونانية ، وقلة الزاد ، والخسائر الفادحة بالأرواح ، وانهيار المعنويات ، وكل هذه المعضلات تحتاج إلى قائد مسيطر قادر ، يحول دون تسرب المقاتلين من ساحة المعركة إلى مكان آمن بعيد عن الأخطار .

كما أن ثباته العنيد مدة ثلاثين شهراً ، يدل على تمتعه بالشجاعة والإقدام، وتحمله الأهوال والصعاب .

وقد دارت معارك طاحنة بين الطرفين فتحمل مسؤولية القتال وصبر وصابر ، مما يدل على اتقانه القضايا التعبوية بكفاية وإتقان .

كما صادفته مشاكل إدارية قاسية ،فعالج تلك المشاكل وتغلب عليها، مما يدل على قابليته في حل المشاكل الإدارية .

وصادف مشاكل تردّي المعنويات ، فقاوم هذا التردي بأناة وصبر ، مما يدل على تمتعه بالمعنويات العالية ، فبقي مع الجيوش الإسلامية المحاصرة وكان بإمكانه الالتحاق بوالده في ( دابق ) حيث الأمن والرخاء .

كما شارك في قيادة انسحاب الجيوش الاسلامية من ( القسطنطينية ) إلى قواعد المسلمين ، مما يدل على قابليته التعبوية ومقدرته على تحمل المشاق .

ومن المعروف أن القائد المتميز هو الذي ينجح في قيادة معركة الانسحاب ، التي تعد بحق من أصعب صفحات القتال ، لأن الانسحاب يؤثر في معنويات المنسحبين ، كما يبذل العدو قصارى جهده ويزجّ بكل طاقاته في المطاردة محاولاً جعل الانسحاب الذي هو أحد صفحات القتال هزيمةً تحطم المعنويات وتكبد المنهزمين أفدح الخسائر .

لذلك كان نجاح القائد في السيطرة على الانسحاب ، وإحباط محاولات

العدو لقلبه إلى هزيمة ، يحظى ولا يزال بأعظم التقدير ، ويعتبر اختباراً صعباً للقيادة القادرة .

تلك هي صفات داود القيادية التي يمكن استنتاجها في غزواته الثلاث ، وهي بدون شك ثقيلة الوزن بالنسبة لجميع الموازين .

٥ – وبالإمكان إضافة صفة أخرى إلى تلك الصفات ، وهي أن داود كان راسخ العقيدة ، فبقي ثلاثين شهراً في أحلك الظروف والأحوال ثابتاً لا يتزعزع . وأصحاب العقيدة الراسخة وحدهم يصبرون على البأساء والضراء وحين البأس ، فهي وحدها تهوّن الصعاب وتذلل العقبات .

كما أن أصحاب العقيدة الراسخة يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، ويضحون بهما وهما أغلى ما يحرص عليه الانسان ، وغيرهم يضحون بكل شيء حرصاً على أموالهم وأنفسهم ، وكل أمر في سبيل العقيدة الراسخة يهون .

ولقد كانت انتصارات المسلمين الأولين في أيام الفتح الإسلامي العظيم ، انتصارات عقيدة ، لا مِراءَ .

٦ – ونستطيع أن نتبين بجلاء أن مزيتين من مزايا القائد المتميز الثلاث ، وهي : الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب ، والتجربة العملية ، باديتان للعيان بوضوح ، وهما المزية الثانية والمزية الثالثة .

أما المزية الأولى ، وهي الطبع الموهوب ، فمن الصعب أن نتلمسها في شخصيته القيادية ، فهو لم يتحمل مسؤولية قيادة كبرى ، ولم يمارس القيادة بعد عودته من ( القسطنطينية ) ، ولا نعرف سبباً لتخليه عن ساحات القتال .

ولست أشك في أن والده أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ، لم يوله القيادة لأنه ولده حسب ، بل لأن فيه مزايا قيادية معينة أهلته لتولي القيادة ، فقد كان لسليمان أربعة عشر ولداً من الذكور ، لم يتسنم منهم منصب القيادة غير داود ، كما يدل ذلك على أن داود له ميل طبيعي لتولي قيادة الجيوش وله رغبة في القضايا العسكرية .

ولكن مزايا داود القيادية وميله ورغبته في النهوض بأعبائها ، ليس كل شيء في إثبات تحليه بسجية : الطبع الموهوب ، فالقادة الموهوبون تركوا بصماتهم على الأحداث الكبرى فتوحاً باقية وانتصارات خالدة .

ولم يترك داود مثل تلك الفتوح والانتصارات .

وإذا جعلنا قادة بني أمية طبقات ، وجعلنا أمثال قتيبة بن مسلم الباهلي ومحمد بن القاسم الثقفي من قادة المشرق الاسلامي ، وعقبة بن نافع الفهري وموسى بن نُصير وطارق بن زياد من قادة المغرب العربي ، في قائمة الطبقة الأولى ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان في قائمة الطبقة الثانية ؛ فإن داود وأضرابه يصبح في قائمة الطبقة الثالثة .

وحسبه بهذا التقويم فخراً .

**داود في التاريخ :**

يذكر التاريخ لداود عزوفه عن تولي الخلافة ونصحه الصادق الأمين للخلفاء وذوي السلطان .

ويذكر له أنه كان يعتبر المناصب العالية تكليفاً لا تشريفاً ، فلم

يسع لتولي منصب القيادة ، بل سعى المنصب إليه ، فتولاه بكفاياته لا بنسبه.

ويذكر له أنه لم يشارك في الفتن الداخلية ولا انضم إلى الطامعين بالسلطة والحكم ، فاعتزل الفتن ، ولم يثرها بقلبه ولسانه وسيفه .

ويذكر له جهاده التمهيدي لفتح ( القسطنطينية ) ومشاركته المؤثرة في حصارها ، وتحمله الأهوال صابراً محتسباً .

ويذكر له أنه قتل مظلوماً ، فاحترق بنار فتنة لم يكن من دعاتها .

يرحمه الله جزاء ما قدم للمسلمين من جهد وجهاد .

بغداد محمود شيت خطاب

# اللغة العربية خلال ربع قرن
## في ميدان التعلم والتعليم

## الأزمة وعللها الأوائل - اقتراحات أساسية لمعالجتها (*)

**الدكتور شكوي فيصل**

### مقـــدمات

**١ — المقدمة الأولى :**

آثرت أن أضيف إلى العنوان المقترح : ( اللغة العربية خلال ربع قرن ) وهو عنوان عريض حقاً ، هذه الإضافة الصغيرة : ( في ميدان التعلم والتعليم ) حرصاً على تحديد ساحة الندوة ، وتجنباً لمواجهة الأبعاد الكثيرة الأخرى للموضوع .. ذلك أن اللغة في مجتمعنا العربي المعاصر تؤلف قضية من أخطر قضاياه وأكبرها :

١ً — إنها هذه القضية التي تمتد على رقعة الوطن العربي كله ، ويكون لها — على وحدة اللغة العربية — في كل بلد لونٌ من ألوان التجربة ، وشكل من أشكال المعاناة ، ومظهر من مظاهر الأزمة .

---

* أقام اتحاد مجامع اللغة العربية ندوته هذا العام في عمان بدعوة من مجمع اللغة العربية الأردني، وذلك في الأيام ٣١/١٠-٤/١١ ١٩٧٨ وكان موضوعها الذي دعي عدد من الخبراء لمعالجته: « اللغة العربية خلال الربع الأخير من هذا القرن».والبحث ، هذا ، أحد الأبحاث التي أعدت لهذه الندوة .

٢ – ثم هي هذه القضية التي تمتد على تاريخ الوطن العربي في ماضيه البعيد ، وفي ماضيه القريب ، وفي حاضره الماثل ، وفي مستقبله المأمول . والتفكير في اللغة العربية موصول بهذه الأزمنة كلها معقود بها ، لا يكاد ينفصل ما بين قضاياها وبين هذه الأزمنة كلها مجتمعة أو منفردة . . وأنت لا تكاد تفكر في أمر من أمور اللغة دون أن تجد نفسك مشدوداً بخيوط إلى الماضي مرات ، وخيوط إلى الحاضر والمستقبل مرات أخر .

٣ – هذا إلى أنها ، هذه اللغة ، تجاوز أن تكون قضية من قضايانا الذاتية التي نستطيع أن نتصرف بها على النحو الذي نشاء إلى أن تكون قضية من قضايانا التي تجاوز حدودنا لتتشابك مع صلاتها باللغات الأخرى في هذه المحاولة المزدوجة : مجابهة تحدي اللغات الأجنبية لصد أخطارها ، ومحاولة التفاعل معها لمواكبتها في التقدم .

٤ – ويبقى بعد هذا أن اللغة – بما هي الطريق لاكتساب المعرفة وتوصيلها ، والعمل على إغنائها ، وإشاعة القيم الفاضلة وترسيخها – اللغة بما هي ذلك كله تعتبر الوسيلة الأولى للبناء الحضاري من بين أدوات هذا البناء .. ولذلك فهي تخالط في المجتمع جزئياته وكلياته ، مناشط الأفراد ومناشط الجماعات ، معاناته في الشؤون المادية ومعاناته في الشؤون المعنوية .

٥ – فإذا ذكرنا بعد هذا كله أننا ، ونحن نواجه معركة الوجود العربي أو غيابه ، بقاء العرب أو فناءهم ، لانجد – بعد أن عصف بنا التفرق واستبدت بنا الأهواء – ما نعتصم به ونرتكز عليه وننطلق منه إلا هذه اللغة ، بكتابها المجيد وتراثها الغني وقدراتها الكامنة ... إذا ذكرنا هذا أدركنا أن موضوع اللغة العربية يداخل تفكيرنا كله وعملنا كله ووجودنا كله ، حيث اتجهت بنا الطرق أو توازعتنا الجهود .

هذه الآفاق العريضة للغة وهذا التشابك بينها وبين قضايا الفكر والمجتمع كلها ، اقتضتني هذه الإضافة على العنوان . وأنا أقدر أمرين اثنين لاشك فيها :

**أولها** : أن هذه الإضافة هي في أذهان القائمين على الندوة لاشك . وإنما آثروا — في شيء كثير من التقدير للمشاركين — أن يتركوا لهم اختيار النحو الذي يختارون من هذه الأنحاء الكثيرة .

**والآخر** : أن قضية اللغة العربية من الاتساع والتشابك بحيث يكاد يتعذر فعلًا أن يظل الباحث في نجوة من هذا التشابك في المعالجة .. وإلا فكيف يستطيع امرؤ أن ينظر إلى واقع اللغة العربية اليوم من دون أن يتحدث عن الغزو اللغوي الأجنبي ، وهل هنالك من يملك الحديث عن اللغة في مرحلة التعليم الجامعي دون أن يتحدث عن قضايا المصطلح في فروع المعرفة كلها ؟ .

ومع ذلك فنحن لا نملك إلا أن نأخذ أنفسنا بشيء من التحديد حتى لا ينتشر علينا الأمر وحتى لا تتسع الساحة ، فلا نملك أن نحدّد البصر في بعض أجزائها .

ومن هذا كله آثرت أن تكون حدود هذا البحث محصورة — بالقدر الذي يُمكّن لي من ذلك — في تعلّم اللغة وفي تعليمها ، وما يتصل بالتعلم والتعليم من قضايا ومشكلات .

**٣ — المقدمة الثانية :**

**في معالجة مثل هذه الموضوعات نجد أننا أمام أسلوبين اثنين :**

**أحدهما** : أن يكون لهذه المعالجة مخططٌ مُسْبَق يتناول الكليات والجزئيات التي يتقاسمها الباحثون ،

والآخر : أن يكون لها هذه الصفة العفوية أو الحرة التي تنأى عن التصورات المسبقة والتقسيمات النظرية التي يمارسها منظّرون قد لا يملكون الإحاطة بالقضية من أقطارها كلها ، أو يستبد بهم جانب من جوانبها .. ولذلك تأتي تصوراتهم وافتراضاتهم وتقسيماتهم وكأنها تَحدّ من حرية البحث في تشققه وتفتحه وامتداد آفاقه ، وتكبت منه بعض منازعه وتطلعاته .

وفي هذا الأسلوب الثاني تكون الدراسات المختلفة التي يقدمها الباحثون — نتيجة لمعاناتهم الشخصية وتجاربهم الذاتيـة ورؤيتهم للواقع ورؤاهم لإصلاحه — هي التي تقود إلى اكتشاف الخطة النظرية والحلول العملية في آن

الأسلوب الأول يقوم على نظرات سابقة ترسم خريطة الموضوع وتضع الباحث في مكان محدّد من هذه الخريطة لا يتجاوزه أو لا يملك أن يتجاوزه.. على حين يريد الأسلوب الثاني أن يستفيد من جملة الأبحاث لرسم خريطة الموضوع ، في قضاياه وفي نشدان الحلول لهذه القضايا من خلال هذه الأبحاث .

ويبدو أن الندوة آثرت هذا الأسلوب الثاني .. وهي لاشك ستنتهي — أو يجب أن تنتهي — من خلال التعدد إلى الوحدة أو ما يقترب من الوحدة ، ومن خلال الأفكار الجزئية المتناثرة إلى فكرة كلية لها أولياتها وتسلسل أجزائها ، ومن خلال العروض الخاصة التي تَحدّدها ظروف البلد العربي الواحد إلى التصور المشترك بين مجموعة البلاد العربية ، ومن المشاكل المتداخلة المعقدة إلى تصنيفها الذي يذهب بتداخلها ، وبسطها الذي يذهب بتعقيدها ، وحلولها التي تذوّب معنى المشكلة فيها .

٣ ـ المقدمة الثالثة :

كان يحس الباحث — وهو يطرق الموضوع — حاجته إلى بعض

الأعمال المبدئية التي يستند إليها ويقبس برهانه منها .. ومثل هذه الأعمال تقتضي جهداً لا بد من التعاون عليه بين فريق من أصحاب هذا البحث .. ولعلنا كنا في حاجة إلى بعض الاستبيانات نطرحها وندرس إجاباتها ، وإلى بعض الوثائق تعيننا على تصور ما كان ومقارنته بما هو كائن ونسبته إلى الذي يجب أن يكون .

كان يكون ذلك ، أو بعض ذلك ، أمراً ضرورياً في هذا .. ولكن من المؤكد أن قضايانا العربية ، في تعلمها وتعليمها ، خلال هذه العقود الثلاثة الأخيرة ، من الوضوح والشيوع بحيث يستطيع الباحث الذي يعاني هذه القضايا أن يطمئن إلى أن ما يقوله يحمل براهينه .. إننا لانعالج قضية جديدة ، وإنما هي قضية متجددة .. ولا نبحث في أزمة مجهولة المصادر والموارد ، وإنما هي أزمة نواجهها حيث كانت وجهتنا .. نلقاها في البيت والشارع ، وفي المدرسة والجامعة ، وفي الجريدة والمجلة ، ونتصل بها في كل ساعة مُصبحين ومُمسين ، وندير حولها حديثاً صامتاً بيننا وبين أنفسنا ، وحواراً حاداً أو هادئاً بيننا وبين إخواننا وزملائنا .. فليس هنالك في الأمر خفاء يقتضي الاستبيان أو التبيّن . وإنما هو العمل على العلاج الذي يقتضي التبيين .

نحو الموضوع :

إن هذه المقدمات الثلاث بين يدي البحث ليست ملكاً لهذا البحث وحده وإنما ستكون حظاً مشتركاً بين الأبحاث المقدمة كلها .. ولعلها أن تكون لوناً من إحكام منهج الندوة وتفسير هذا المنهج ، دفعاً لنقد محتمل أو سؤال عارض .

فإذا صحت لنا هذه المقدمات ، وهي صحيحة ما دمنا نتواضع عليها

ونلتقي حولها ونتفق على الانطلاق منها ، فإن موضوع العربية خلال ربع قرن في تعلمها وتعليمها يمكن أن يتخذ في معالجته هذا الأسلوبَ الذي أوشك أن يكون تقليدياً .. وهو النظر في أربعة الأمور التالية : ١ - المعلم ٢ - الطالب ٣ - المنهاج ٤ - الكتاب .. كما يمكن أن يتخذ هذا الشكلَ العام في دراسة واقع العربية وتبيّن أبرز ما يتصف به هذا الواقع: مااستطاع أن يحققه ، وما عجز عن تحقيقه .

وأيّاً كان الأسلوب الذي يمكن أن يُتَّبع فمن المؤكد أن واقع العربية ليس شراً كله ، وأن الجوانب التي نشكو منها ليست هي جوانبَ الموضوع كلّه وأبعادَه . فلقد حققت العربية خلال هذه العقود قدراً صالحاً من التقدم في هذا الجانب أو ذاك ، ولكن ما حققته لم يكن كلَّ الذي نتمناه لها .. إن مكانة اللغة من وجودنا الحضاري والقومي وأثرَها الكبير في صياغة هذا الوجود تضاعف من المهات التي ننتظرها منها في ذات الوقت الذي تضاعف فيه من الأعباء الملقاة عليها .. ولهذا تظل القضية اللغوية — وقد تظلُّ إلى حين — أمّ القضايا ، لا نجمع على أمرٍ كما نجمع عليها ، ولا نلتقي على تقديرٍ لشيء كما نلتقي على تقدير أثرها ومكانتها .

ولعله من هنا كانت أصواتنا ترتفع دائماً بالشكوى ، وتتّسم أبحاثنا اللغوية بأقدار من الكآبة ، إن صحّ أن استعمل هذا الوصف ، ونغفل الجانب الإيجابي لأن الطريق لا تزال طويلة ، والجهد الذي يبذل لايزال مقصراً ، والأهداف لا تزال بعيدة .. فإذا جاءت أبحاثنا اليوم ، في هذه الندوة ، وهي تغلّب الجانبَ السلبي أو أنها تهمل الجوانب الإيجابية التي تتبدّى في نهضة العربية ، وفي تضييق الفروق بين الفصحى والعامية ، وفي انتشار

أقدار من المعارف اللغوية — إذا جاءت الأبحاث وفيها هـذا التغليب فإن ذلك لن يكون عيباً فيها .. لأننا إنما نلتقي في العادة في مثل هذه الندوات من أجل تدارس النقص وتذاكر العيب والوقوع على الداء والطبّ له .. ولا نلتقي من أجل تمجيد الواقع أو إعلان الرضا عنه .. إنه يوشك أن يكون طبيعياً أن نتسخط بأكثر مما نحمد ، وأن يستبدّ بنا نُشدان الأفضل الذي نتطلع إليه ونسعى نحوه .

أفلا يكون من الحق إذن — بعد هذا الاحتراس — أن نصوغ جملة ما تعانيه العربية ، تعلماً وتعليماً ، أنه سلسلة من الأزمات ، تقود في جملتها إلى سلسلة من الخطى المتقهقرة .. تثير في النفس إحساساً حاداً بالخطر ، وتدفع إلى ضرورة التعاون على معالجته مخافة أن يتسع الخرق على الراقع ، وأن يستعصي الواقع على الإصلاح ، وأن تؤول العروة الوثقى إلى خيوط منكوثة رثّة ؟..

وليس صعباً ولا عسيراً أن نتبين هـذه الأزمة .. في الوسع أن نلمحها حيث ندير أبصارنا أو نلقي بأسماعنا .. في الوسع أن نجد أزمة اللغة في المدرسة على تعدد مراحلها ، وفي البيت على اختلاف مستواه ، وفي الوزارة على تنوع اختصاصها .. في المقال المكتوب والكتاب المطبوع ، وفي المحاضرة التي تلقى وفي الحديث الذي يذاع .. إننا نلمحه في وجوه ثقافتنا العلمية وفي وجوه من ثقافتنا الأدبية على السواء .. بل إن هـذه الأزمة توشك أن تتناول اللغة نفسها في دراستها وتدريسها ، في مصطلحها القديم وفي مصطلحها الجديد ، في تراثها الذي خلفته وفي واقعها الذي تعانيه .

وما شيء من هذا بالمبالغة أو التهويل .. وهل كانت الدوافع وراء هذه الندوة إلاّ هذا الإحساس بهذه الأزمة ومعاناتها ؟.

## أين تقع المشكلة

ولكن كيف نتحدث عن أزمة اللغة العربية في البلاد العربية ؟.. كيف تكون هذه الأزمة ونحن ، في كل بلد عربي ، أمام أعداد كبيرة من المعلمين والمدرسين الذين يتكفلون تعليمها ، وأمام أعداد هائلة من التلاميذ والطلاب والدارسين الذين يتكلفون تعلمها ؟ .. كيف تنشأ هذه الأزمة ونحن ننطلق، أفراداً وجماعات ، مؤسسات ومنظمات ، أحزاباً وحكومات ، من هذه المنطلقات الفكرية المشتركة : من تقديس اللغة ، ومن الإيمان العميق بأثرها في وحدة الثقافة والأفكار وفي وحدة القيم والمشاعر ، ومن التأكيد على أنها هي وحدهـــا الطريق إلى ما ننشده من وحدة العرب السياسية وتجديد الحضارة العربية ومواكبة التطور الإنساني ؟.

لماذا تتوالد هذه الأزمة وتنمو على حين تنفق الحكومات العربية على التعليم ما تستطيع وفوق ما تستطيع ، ويتزايد هذا الإنفاق عاماً بعد عام وله من ميزانية الدولة أوفى نصيب ؟.

إن عرض الواقع اللغوي العربي يثير كثيراً من مثل هذه الأسئلة .. إنه يقترب بنا من صميم المشكلة .. فعملنا في الميدان اللغوي ، في نطاق التعلم والتعليم ، كان يجب أن يتشقق عن أطيب الثمار وأفضل النتائج ، وتجاربنا في ذلك ، في مجموعة البلاد العربية ، تجارب غنية لم تغفل العناصر الأساسية في هذا العمل التعليمي اللغوي .. فلماذا إذاً لا تحقق هذه العملية التعليمية أهدافها كلها ؟.. لماذا تواجه بعض الانحراف أو تضلّ الطريق إلى بعض الأهداف ؟ . ولماذا تجمع لها اللجان وتعقد المؤتمرات وتنشأ الإدارات ثم لا تأتي النتائج كفاء الجهود ، أو كفاء الآمال التي تتجه إليها هذه الجهود ؟

وحين يكون الطالب مكان الاهتمام والرعاية ، ويكون الكتاب موضع العناية والتجديد ، ويأتي المنهج نتيجة مدارسات طويلة متعمقة ، ويكون المعلم نتيجة إعداد وتأهيل ، فلماذا تشير النتائج إلى ضمور وقصور وانحراف ؟.. أين يكمن الداء في هذه المسيرة التعليمية ؟. أهو في أجزاء الخطة أم هو في تواصل هذه الأجزاء وتكامل ما بينها ؟ أهو في هذه الجيواء التي تحيط بالعمل التعليمي أم هو في صميم هذا العمل ؟.. هل نشتكي ، معلمين ومتعلمين ، من أنفسنا وأدواتنا أم إننا نشتكي من انفصام ما بين عملنا وبين المجتمع من حولنا ؟.

## بين العلل الأوائل والعلل الثواني :

أحسب أنه يحسن أن نفرّق — في محاولة الوصول إلى صميم المشكلة — بين نوعين من الأسباب : الأسباب الأوائل أو العلل الأوائل — إذا استعرنا هنا مصطلحات النحويين — والأسباب الثانوية أو العلل الثواني ، وأن نضع كلاً منها في موضعه ، لا نتجاوز به مكانه ولا نرتفع به فوق قدره .

هنالك ، لا شك ، مجالٌ لأحاديث كثيرة لا تنتهي عن الكتاب المدرسي مثلاً .. عن طريقة إعداده ومادته ، وعن طباعته وورقه ، وعن رسومه وألوانه .. عن هذه الطريقة أو تلك في تأليفه .. ولكن مهما يطل الحديث في ذلك فسيظل هناك حقيقةٌ قائمة مؤكدة وهي أن بين أيدينا كتاباً مدرسياً ، ليس هو المثل الأعلى في الكتاب المدرسي ولكنه أداة صالحة في كل حال ، على الاعتراف بنقائصه وعلى ضرورة السعي لاكتماله .

وهناك كذلك لا شك مجال لانتقادات كثيرة تتناول السلبيات في كل جانب من جوانب العملية التعليمية .. فنحن نجوز مرحلة صعبة من

مراحل البناء ، وبعض أقطارنا العربية كان يعيش في حالة الانعدام اللغوي العربي — في نطاق التعلم والتعليم — أو ما يقرب منها ، وأكثر أقطارنا تعرّض في ذلك لألوانٍ من الغزو وما أعقب الغزوَ من صراع غير متكافىء .. ونحن جميعاً لا نملك القدرات الكافية لتحقيق كل شيء والوصول إلى كل شيء .. وإذن فأبواب النقد ستظل مُشْرَعةً . بل ويجب أن تظل كذلك .. وعلينا أن نستقبل ، في رضى وارتياح ، كل أرواح الحركة المتجهة نحو الأفضل وأن نفتح لها النوافذ .

عملنا إذن في اكتشاف صميم المشكلة يجب أن يتجه نحو العلل الأوائل .. لا ننسى العلل الثواني ، ولكننا لا نسمح لها أن تستوقفنا وحدها .. وقد تكون لها آثارها الكبيرة ونحن مطالبون حقاً بتبيّن هذه الآثار ومحاولة إصلاحها .. ولكننا مطالبون قبل ذلك بأن نفرق بين ما هو أولي وبين ما هو ثانوي .. بين ما هو أصيل في خلق المشكلة وبين ما هو فرعي .. مطالبون بأن نعيَ العلل الأوائل لا يصرفنا غيرها عنها .

## العلل الأوائل عند خصوم العربية وعند أصحابها :

وحين ننشد هذه العلل الأوائل فسنظفر بها مرتين :

مرة عند خصوم العربية الذين يسكنون عقر دارها وينقضون غزلها من بعد قوة أنكاثاً .. يفعلون ذلك أكثر الأحيان بحجة البحث فيها أو بحجة الغيْرة عليها .

ومرة أخرى في انفصام الجهود وتسرّبها وتقاطعها بين العاملين للعربية .

فأما خصوم العربية فليس من شأن هذا البحث أن يتوقف عندهم .. لأن العمل العربي كله ، في ميادينه كلها ، يجري على موج بحارٍ من الخصومات والعداوات للإسلام والعروبة .

وأما تقاطع جهود العاملين في ميدان العربية وانعدام تكاملها فذلك هو الذي أحب أن أتوقف عنده ، وذلك هو القضية التي يبدو لي أنها تقف على رأس القضايا في معالجة أزمة تعليم اللغة العربية .

فكيف يكون هذا التقاطع في نطاق التعليم وهذا التسرب في نطاق التعلم ؟ وأين مكانها من مسيرة الحركة اللغوية العربية .

**المنحرفات الثلاثة في طريق المسيرة اللغوية :**

موقفان خطيران في طريق هذه المسيرة يتصيّان الجهود المبذولة فيها ، ويغتالانها ويخلّفان مُعْظَمَ هذه الأزمة التي نشكو منها .

أولهما : داخل المدرسة الابتدائية والثانوية .

والآخر : في المرحلة الجامعية .

ينضم إليهما موقف ثالث ، لا في المدرسة أو الجامعة نفسها ، وإنما فيما حولها .. في هذا المجتمع الذي يحتاط بالمدرسة ويمارس سلطانه القوي عليها ، بما للمجتمع من نفوذ وما عنده من وسائل .

وسأتحدث فيما يلي عن كل من هذه المواقف الثلاثة بشيء من التفصيل :

**أولاً : خلال المدرسة الابتدائية والثانوية : قوتان متعارضتان**

تخضع الجهود التي تُبذل في تعليم العربية في هذه المرحلة إلى نوع من استراق هذه الجهود أو إجهاضها .. ذلك أن معلم العربية يقف وحده في ميدان عريض لا يحتاج إلى شيء كما يحتاج إلى تكاتف القوى وتضافرها من حوله ، والتعاون معه على احتمال المسؤولية .

وإذا نحن أغضينا الطرف عن كل العلل التي وصفناها بأنها العلل الثواني ، وقدّرنا أن عملية التعليم قد استوت لها كل وسائلها وأن المعلم قد

توفرت له كل القدرات التربوية والمهارات العملية — فإن هذه العملية مكتوبٌ لها حظوظٌ كبيرة من الفشل ، لأنها عملية تصطلح عليها قوتان متنابذتان : قوة البناء وقوة الهدم .

أما البناء فذلك ما يقوم به ـ أو ما يفترض أن يقوم به ـ معلم العربية .

وأما النقض فذلك ما يقوم به معلمو المواد الأخرى ، وما يقوم به أحياناً معلم العربية نفسه ، حين يغادر نطاق اللغة السليمة إلى نطاق استخدام اللهجات المنحرفة .

إن مهمة معلم العربية أن يمكّن عند طلابه لصحة الأداء وسلامته : الأداء الشفوي والأداء التحريري .. تلك غاية جهوده .. ولكن مهمة معلمي المواد الأخرى أضحت وكأنها المهمة النقيض .. إنها لا تُغفل ذلك فحسب ولكنها تبدو وكأنها تتعمد إفسادَ ما قام به معلم العربي ومناقضتَه .

وعلى حين كان من المقدر أن تتعاون الجهود في ذلك وأن تتكامل ، وأن يكون أداء المعلمين في المواد الأخرى صورة تطبيقية غير مباشرة الذي يدعو إليه معلم العربية ويحاول غرسه فإن الذي يحدث ، في أغلب الأحوال ، أن ما يسمعه الطالب في المواد الأخرى يقف على الطرف النقيض أو المعاكس للذي يسمعه في دروس العربية والذي أوصي به .

**وكذلك يعتمل في الوجود اللغوي عند التلميذ في المدرسة الابتدائية هذان الموقفان المتضادان : موقف البناء وموقف الهدم .. ولك هنا أن تذكر في كثير من الألم الممض الشاعر العربي الذي كان يقول :**

متى يبلغِ البنيانُ يوماً تمامَهُ ... إذا كنتَ تبنيه وغيرك يهدمُ

أو ذلك الشاعر الآخر الذي كان يقول :

أرى ألفَ بانٍ لا يقوم لهادمٍ ... فكيف ببانٍ خلفه ألفُ هادمِ

ما الذي يبقى إذن عند الطالب من جهود مدرس العربية ؟

إنه لا يبقى عنده إلا هذا القدر الذي تفرضه عليه الامتحانات ، أو يَقْسِرَه عليه النظام ، أو تُكرِهه عليه سلطة المدرسة أو سلطة البيت .. وهو في ذلك يتعرض لأزمة أخرى ليست أزمة المواقف المتناقضة التي تورثه الحيرةَ والتردد ، ولكنها أزمة المواقف المفروضة التي تورثه شيئاً من الحقد حيناً وأشياء من الكره في بقية الأحايين .

وما أقسى ما يقود إليه الحقد أو الكره .. إن ذلك لن يقتصر على تخريب عالمه الداخلي ولكنه سيمتد إلى تخريب عالمه الخارجي بنوعٍ من الثأر .. سيحقد على المادة نفسها ، وسيحقد على المعلم .. وقد يقوده هذا الحقد إلى ألوان من السلوك هي التي تعوّدْنا أن نتحدث عنها تحت عنوان: **مكانة مدرس اللغة العربية** .. فمكانة هذا المدرس -- وهي نتيجةٌ لسلسلةٍ من العوامل -- تتأثر ، في بعض ما تتأثر به ، أنها تتكون من خلال هذه المواقف الفكرية والنفسية المشوشة .

وخلال سنوات التدريس الابتدائي كلها يظلّ الطالب تتقاذفه هذه الجملة المتناقضة من القيم وتقوده إلى جملة متناقضة أخرى وراءهـا من المواقف والسلوك : .. هو يحب العربية بنوع من الدوافع الانسانية والقومية وهو يكرهها بنوع من المواقف .. هو يقدّر معلم العربية ، أو يجب أن يقدره ، وهو يحاول على أن يغادر هذا التقدير إلى شيء يبلغ الهزء أحياناً .. هو مكلف بأشياء يتقنها وقواعدَ يراعيها ثم هو لا يجد من يقيمها أو يراعيها .

فإذا غادر الطالب مرحلة الدراسة الابتدائية إلى مرحلة الدراسة الثانوية وجدنا أن القيم تزداد تخلخلاً وأن المواقف تزداد تحرّجاً وأن السلوك

يزداد تقلقلاً أو انحرافاً .. ذلك أن الطالب الثانوي يواجه هنا أمرين جديدين لا يسيران مع العربية ولا يتكاملان معها .. بل لعل فيهما ما يتناقض معها أشد التناقض .

أولهما : هذه الثقافة العلمية والفكرية التي تتأتى إليه من خلال الدروس في النطاق العلمي أو في النطاق الانساني .

والآخر هذه اللغة الأجنبية التي تُقدَّم له ، وكأنها ، في طرائقها وجوانبها وتدريسها ، تقدم له على صحاف من فضة ، مصاحبَةً بالكثير من البريق والتوهج والإغراء .

هاهنا يوشك أن يكتمل التناقض وأن تستوي له أبعاده كلها .. هاهنا يتحقق الانفصام بين العربية وبين المواد الأخرى كلها وبين مدرسي العربية ومدرسي المواد الأخرى .. بل إنه ليتحقق هذا الانفصام الداخلي في كيان الطالب بين لغته التي كان يجب أن تكون هي الأصل في وجوده وبين المواد الأخرى كلها التي تؤلف ثقافته وتُثري تفكيره .. إن اللغة العربية تصبح هنا هي العبء الذي يحاول أن يلقيَ به في أقرب مكان يبلغه .

وكذلك تتخلى العربية السليمة ، والعربية مطلقاً أحياناً ، عن أن تكون هي أداة التواصل بينه وبين المعرفة ، وبينه وبين الثقافة ، وبينه وبين الفن .. بينه وبين كل مكونات عقله وعوامل شخصيته .. فإذا هي تنزوي لتكون آخرَ ما يهتم به أو لتكون وراء منطقة اهتمامه .. لايبقى له منها إلا الذكرى أو النادرة ، أو ما يضطره إليه المجتمع من وجوده الخارجي .

هذه الصورة توشك أن تكون الصورةَ السائدة لايندُّ عنها إلا القليل أو النادر . وهي تطرح جملةً من الموضوعات التفصيلية أو من العلل الثواني التي تحتاج إلى دراسة ومعالجة .. وليس علاجها بالمستعصي حين يصحُّ منا

العزمُ على أن ننظر إلى قضية اللغة العربية نظرة جادّةً حازمة وحين نؤمن أنها قضية مصيرٍ لوجودنا وتراثنا وخصائصنا .

ولست الآن بسبيل من الحديث عن الحلول .. ولكني أحب أن أشير إلى جملة من المبادىء نصدر عنها في معالجة قضية العربية في هذه المرحلة :

أول هذه المبادىء : أن نأخذ بهذا العرف الذي تأخذ به الأمم واللغات الأخرى .. أن نقطع الطريق على هذا الازدواج في لغة المدرسة لأنه من المدرسة – ولعله منها وحدها – يمكن أن يكون البدء في القضاء على هذه الازدواجية في البيئات الأخرى ، وأن تجتمع لغة المعلمين جميعاً على هذه العربية الميَسَّرة البسيطة التي لا جهد كبيراً في إقامتها ولاتكلف مرهقاً في استقامتها .. إنه ليس عصيّاً ولا عسيراً أن نستغني عن مثل التحريف في الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة وأسماء الاستفهام في أية مادة ندرّسها .. وأن نستغني عن بعض الحروف أو الإضافات التي نضيفها إلى الأفعال ، وأن نصحح مخارج بعض الحروف وأن نجتمع عليها . فذلك أهون ما يكون من أمور التربية والتعليم .

إننا يجب أن نصل إلى الحدّ الذي يقول عنه الإنجليز : إن كل مدرس أو معلم في المدرسة هو معلمُ للغة الانجليزية ، على نحو تطبيقي غير مباشر حين يدرّس مادته .. وإن هناك أولاً ودائماً وقبل كل شيء هذه اللغة المشتركة التي يجب أن نعتمدها في إيصال المعرفة ونقل الأفكار وإشاعة الثقافة وتأصيل القيم ، وبالتالي في بناء مجتمع متسق متوازن .

والمبدأ الثاني في ذلك أن يُعطى المعلمون والمدرسون جميعاً أقدارَهم المتماثلة في الجوانب المعنوية أو في الجوانب المادية .. فلانؤخذ بشيء من التمييز

بينهم إلا في حدود ما يكون من حسن أدائهم لواجبهم - فليس مدرّس العلوم فوق مدرّس اللغة ، وليس مدرس اللغة الأجنبية ، بأوهام نختلقها ، فوق مدرس العربية – ولا نُفتَتن بذلك ولا نفتتن به تحت تأثير الحاجة أو القدرة أو الضغوط الاجتماعية الخارجية .. لأن اللغة العربية تظل - أياً كان الخداع أو الانخداع – هي الأداة الأولى في التواصل الفكري والالتقاء الاجتماعي ، في المعارف أو في القيم أو في المشاعر .. ونحن لا نرتكب خطأ هو أدهى من هذا الخطأ حين نغفل عن هذه الحقيقة الأولى .. إننا حينذاك نعرقل بناءنا الفكري ونشوش نظامنا الاجتماعي ، ونطيل الدرب في تجاربَ على غير طائل ، وجهودٍ على غير مردود .

ومن عجبٍ أن يكون للظروف الطارئة أو الضاغطة تأثيرها في في بعض بيئاتنا العربية .. فنقدم لأساتذة بعض المواد العلمية بعض العلاوات ونضيف إلى مدرسي اللغة الأجنبية بعض الزيادات ، ونضع مدرس اللغة العربية أو معلمها في مثل هذه الظروف التي لا يحسها هو فحسب ، وإنما يحسها كذلك طلابه : هو يحسها ألماً وعزوفاً عن الجِدّ ، وطلابه يحسونها ضموراً في المكانة وهبوطاً في الرتبة .

والمبدأ الثالث في ذلك أن نؤمن أن المعلم ، في المدرسة الابتدائية خاصةً ، هو أبرز عناصر التجربة اللغوية وأقوى أدواتها تأثيراً وأعظمها مردوداً وأنه ما لم يتيسّر لهذا المعلم كلُّ الظروف التي تساعده في أداء مهمته على خير وجوهها فإن هذه التجربة معرضة للفشل بقدر ما يكون من فشلنا في إعداد المعلم .

إن الحاجة إلى كفاح الأمية – وهي الحجة وراء كل مظاهر الضعف

والتقصير والتساهل في إعداد المعلم والإسراع في تخريجه – حاجة ملحة .. ولكن ذلك لا يمكن أن يكون على حساب إهمال اللغة العربية والتسامح في إعداد معلمها .. وإذا كان هنالك من يحتاج إلى كثير من تجديد الخبرة وتنميتها عن طريق وسائل التدريب المختلفة ، فذلك هو معلم المدرسة الابتدائية سواء في ذلك معلم اللغة أو معلم المواد الأخرى .. إن سلسلة من الأعمال التوجيهية والتشجيعية والتدريبية عن طريق الإدارة أو المفتشين، في القراءة والتلخيص والمتابعة كفيلة أن تخلق – أو تساعد – جواً لغوياً متجانساً في المدرسة الابتدائية وأن نقطع الطريق ، في المدرسة على الأقل ، على الازدواج اللغوي أو على كثير من ظواهره التي يصعب القضاء عليها .

## ثانياً – في الدراسة الجامعية :

إذا كانت جهودنا اللغوية في المرحلة الابتدائية والثانوية تتعرض إلى ما وصفته بالتسرب والتقاطع وفقدان التكامل ، فإن هذه الجهود تتعرض في المرحلة الجامعية إلى نوع من الاغتيال الذي يذهب بها كلها .

ففي جامعاتنا كلها – الرسمية والأهلية ، على طول الوطن العربي وعرضه – لا نستثني إلا القطر السوري – تختفي اللغة العربية ، لا أقول في التعليم وحده وإنما أقول كذلك في الاستعمال ، وراء حجاب كثيف من اللغات الأجنبية : الفرنسية أو الانجليزية ، وفي الأقسام العلمية بخاصة من هذه الجامعات .

القضية اللغوية العربية هنا لا تواجه أزمة من الأزمات التي نستطيع أن نعرف أسبابها وأن نتلمس حلولها ، وإنما تواجه إنكاراً لها وابتعاداً – هل هو مقصود ؟ .. – عنها .. إنها تواجه وضعاً مؤلماً حين تغيب عن ألسنة

الأساتذة وعن الكتاب وعن المراجع .. فلا يبقى منها إلا خطوط باهتة على امتداد أفقٍ عريض .

إن كثرة الجامعات العربية تأخذ بمبدأ تدريس العلوم باللغة الأجنبية.. وهي بذلك تُجهز على ما سلِم من الجهود اللغوية - ولعله قليل - خلال المرحلة السابقة في نفوس الجيل الذي تستقبله ، وتزرع بذور النفرة أو بذور الإهمال في نفوس الجيل الذي يتوجه نحوها .. فالطالب الثانوي الذي يرى أن كل ما يكون من أمر عنايته بالعربية إلى ضياعٍ في الجامعة لابدّ له من أن ينطبع سلوكه اللغوي بكثير من مشاعر الزهادة والانصراف .. يقابل ذلك شعور وضّاء بالإقبال على اللغة الأجنبية .. وما تسوق إليه الزهادة من إهمال وما يسوق إليه الإقبال من تقدير .

إن ذلك يطرح إذن الموضوع الخطير الذي تعاقبت عليه المؤتمرات العربية المختلفة : موضوع لغة التدريس الجامعي .

وهناك ، في الساحة النظرية ، شيء يشبه الإجماع — ما يدري الانسان أحياناً مدى الصدق أو الجدّية فيه — على أنه لا بد أن تأخذ العربية طريقها إلى التدريس الجامعي والعالي .

ولكن الخروج بذلك من القرار النظري إلى التطبيق العملي تداخله كثرةٌ من العقبات والعوائق أكثرها مما يمكن تجاوزه أو التغلب عليه ، على نحو فوريٌ أو على نحو متدرج .

والذين يرقبون الحركة اللغوية العربية يحسون هذا التنافر بين التقرير النظري وبين التدبير العملي .. بين موقف يقال وموقف ينفّذ ، ويجدون كثيراً من القلق حين تنهال الآراء التي تدعو إلى الأناة ، وتقدّم الحذر ، وتتذرع

بالتبصّر وحسبان العواقب .. وكأن الواقع اللغوي الحالي لا يدعو هو بالذات إلى الحذر منه وإلى حسبان عواقبه والتبصر فيما قاد إليه في المجتمع العربي من مظاهر .. أبرزها تقهقر اللغة العربية ، وانفصام ما بين الدراسات الانسانية والدراسات العلمية ، وتعذر التعاون العلمي العربي نتيجةً لتوزّع العلماء على اللغات الأجنبية المختلفة ، وفقدان اللغة العربية الموحِّدة فيما بينهم .

الموقف هنا في نطاق ما لا نملكه هو موقف القرار السياسي الذي يجب أن تتخذه الدول العربية .

ولكنه في نطاق ما نملكه هو موقف المجامع العربية بالذات .. لأنها هي التي تستطيع أن تردعلى كل تهمة وأن تكون أعمالها الايجابية ـ وما أجلّها ـ إسكاتاً لكل صوت حين يأخذ هذا العمل طريقه الذي تفرضه الظروف اللغوية الحاضرة .

إن أكبر الحجج التي يتذرع بها هؤلاء الذين يتمسكون بأن يكون التدريس الجامعي العلمي باللغة الأجنبية هي فقدان معاجم المصطلحات . . والمجامع هي التي تقطع الطريق على هذه الحجج حين تغادر أسلوبها الجزئي إلى أسلوب آخر كليّ ، وحين تتخلى عن العمل في قوائم المصطلحات إلى العمل في معاجم المصطلحات .. وحين تتخلى عن السرعة الهادئة ـ ان استوى الجمع بين السرعة والهدوء ـ التي كانت نتيجة لظروف البدايات إلى تسارع متزن ينهض بهذه الحاجات الملحة ويكافيء هذا التوسع العلمي الكبير (١) .

**إن المجامع لا يمكن أن تنسى أن العمل اللغوي وحدة كاملة أو**

---

(١) كان من التوفيق الذي كتب لهذه الندوة أن جاء في صدر توصياتها التي أقرتها : « أن تقوم المجامع اللغوية العلمية متعاونة فيما بينها بالإسراع في إخراج المعاجم المتخصصة في مختلف الموضوعات » . وتمثل التوصية منعطفاً جديداً في مسيرة الحركة اللغوية العربية ، وانظر في ذلك مقالاً للكاتب في عدد كانون الأول ١٩٧٨ من مجلة المعرفة الدمشقية .

متكاملة في حلقاته كلها .. وأنه حين نسمح للحلقة الأخيرة أن تَنِدّ عن هذا السَّنَن اللغوي فإن أثر ذلك لا يتوقف عند أصحاب هذه الحلقة الأخيرة ولكنه يتعداه إلى "مَن" قبلهم .. وحيث ينقطع العمل اللغوي — وهو دائري — فإن الدارة تخسر قدرتها على أن تكون دارة موصلة .. وتنفرط السلسلة ، ويؤول الأمر إلى ما يشبه الفوضى اللغوية ، ان لم يكن هو الفوضى اللغوية ذاتها .

## ثالثاً — في الاطار الاجتماعي حول المدرسة والجامعة : وسائل الإعلام

### ١ — توافق وتعارض :

قلت إن الجهود اللغوية تتناقض وتتقاطع في المرحلة الابتدائية ، وتُستَرق وتمتص في المدرسة الثانوية ، وتُغتال في المرحلة الجامعية .

ولكن وراء المدرسة والجامعة يقف المجتمع الآن بمؤسساته الجديدة موقفاً هو أدلّ المواقف على هذا التناقض الذي يلازم المسيرة اللغوية .. لا من داخلها فحسب ، ولكن من حيث هذه الظروف والوسائل التي تحيط بها .. وكأنه هذا التناقض الخارجي الذي يتكامل مع التناقض الداخلي ويتعاون معه على خلخلة الجهود اللغوية وإفسادها .

إن المجتمع يملك ، وهو يحتاط عملنا اللغوي ويطيف به ، سلاحين اثنين:

أحدهما : هذا السلاح القديم وهو اللهجة العامية التي تسوده ، وقد أورثنا ذلك هذه الظـــاهرة الخطرة التي تستلب عملنا اللغوي : ظاهرة الازدواجية اللغوية .

والآخر : هذا السلاح القديم — الجديد ، وهو وسائل الإعلام التي أضحى يملكها هذا المجتمع ويشهرها هنا وهناك ، على ما تهوى نفوس الذين يسيطرون عليه ويتحكمون به .

ولن يتسع هذا البحث للحديث عن العامية وعن الازدواجية ، على مالها من خطر في دراسة التحديات والمشاكل التي تواجه اللغة العربية ، لأن أمرهـا لا يعود إلى هذه العقود الأخيرة التي تؤطّر بحثنا ، ولأن معالجتها لن تكون معالجة مباشرة ، وإنما هي هذه المعالجة التي تتأتى عن طريق التعليم .

وكذلك لن نتحدث عن أثر وسائل الإعلام ، إذ سيكون من نافلة القول الكلامُ عن عمق أثرها وعن هذا النفاذ الذي حققته إلى عقول الناس وقلوبهم ، وإلى ألسنتهم ومنطقهم ، وعن هـذا السـلطان الخفيّ الجـلي" الذي تمارسه في كل لحظة ، في الإذاعة المسموعة وفي الإذاعة المرئية ، في الصحيفة والمجلة ، وفيما تحمل هذه الصحف والمجلات والإذاعات من فنون القول وألوان الحديث .

وحسبنا من ذلك أن نتساءل عن مدى ما بين وسائل الإعلام وبين العمل اللغوي من ترابط أو تناقض لنلاحظ أنه على حين كانت الصحافة في الوطن العربي من عوامل نهضته اللغوية ومن ظواهر هذه النهضة في آنٍ فإن وسائل الإعلام الأخرى الجديدة يتأرجح موقفها على نحو يثير التساؤل .. فهي لا شك استطاعت أن تساعد على تضييق الشقة بين العامية والفصحى ، بكل ما يُسمع منها أو يُرى من خلالها — بقدر ما استطاعت أحياناً أن تؤصّل للعامية .. ولكنها من ناحية أخرى ، في كثيرٍ من هذا الذي تقدمه مسموعاً أو مرئياً ، كانت تجانب عمل المدرسة اللغوي وتنال منه .

ذلك أن ما يذاع منها بالعامية يناقض العمل اللغوي المدرسي مناقضة كاملة .. أما ما يكون منها بالفصحى فإنه كثيراً ما تلابسه الأخطاء والانحرافات على نحو يثير عند الطالب الشكوك ، ويخلخل عنده ما تعلمه من صواب الأداء .

ولعل من أشقّ ما تلقي العربية من وسائل الإعلام هذا الذي أخذ

يلجأ إليه بعض المتحدّثين من التزام التسكين — أو الاحتماء به — وإهمال الحركات .. ذلك أمر يسهم في أن يخلق عندنا هذه اللغـةَ الثالثة التي أخذ بعض الدعاة يروج لها وينظر فيها ويحاول أن يضع لها الحدود فيما يشبه الدعوة لها والتأكيد عليها .. إنها لغةٌ ليست بالعامية وليست بالفصحى .. ليست بالعامية التي تملك — أو يملك الطالب — شعوراً حاداً بالارتيـاب فيها والحذر منها ، وليست بالفصحى التي ننشدها أو نتعلمها .. ومثل هذه البلبلة اللغوية خطرٌ جديد نحن جديرون أن نتجنبه قبل أن نقع فيه لأنه يقود إلى مستقبل لغوي معقد ، يتصدع فيه البناء اللغوي الواحد وتأخذ فيه الحركةُ اللغوية — في هذا المزج بين العامية والفصحى وفي هـذا التفاعل المضطرب بين العاميات المختلفة والفصحى الواحدة — وجهات متباينةً نخشى معها أن نخرج من الازدواج اللغوي إلى التعدد اللغوي أو إلى بدايات انشطار لغوي خطير .

### ٢ — مقترحات نحو التوافق

هل من سبيل إذن — وهذا هو الواقـع — إلى أن يتكامل عمل وسائل الإعلام هـذه مع العمل اللغوي السليم ، وأن تكون عائدتهـا على العربية خيراً لا شرّ فيه ، وسلامةً لا خطأ معها ، وصحة لا غلط فيها ؟ .

ا — من المؤكد أن لأصحاب هذه الوسائل — حين يجانبون الفصحى — منطقهم الخاص .. وأياً كان الشأن في هذا المنطق فنحن لا نملك أن نكره أصحابه إكراهـاً على أن يتجاوزوا غايتهم الأساسية : الإعلامَ ، من أيسر طرقه إلى أن يكونوا معلمين للعربية ، ولا أن يهملوا كتلتهم الكبرى من الجماهير ليتحدثوا إلى الخاصة فحسب .. ولكن الذي نملكه هو أن نتعاون في كل لحظة من لحظات الاذاعة وفي كل برنامج من برامجها على أن نكون

أوفياء — ماوسع الجهد — للعربية السليمة السهلة التي نريد أن تشيع على الألسنة وأن يُمكَّن لها من الأسماع .. إن أي حديث إذاعي أو نشرة للأخبار أو تعليق ، يمكن أن تراعى فيها العربية السليمة ولو كانت موجهة إلى الجماهير .. فليس السبيل بين العربية السليمة وبين العاميات الشائعة منقطعاً ، وليس البون كبيراً .. وإنما هو الجهد اليسير نبـــذله في صقل الأداء العامي — في النطق والتراكيب — ليتحول إلى أداء سليم ، أو إلى أداء هو أقرب إلى السلامة .

ولو أن وسائل الاعلام تواصت فيما بينها بذلك ، وأعـدت له خطة يراعى فيها التدرج في هذا الانتقال من العامية ومغادرتها لفظاً بعد لفظ وتركيباً بعد تركيب لاستطاعت أن تقدم إلى الحركه اللغويـة من العون ومن التقويم ما لا تقوى عليه — في مثل شيوعه وامتداده — كثرةٌ من المؤسسات الاجتماعية الأخرى .

إنها تكون ، حينذاك ، عاملَ وحدة في الميدان اللغوي بـدل أن تكون عاملَ تفريق .. وتكون جهداً متكاملاً بدلاً من أن تكون جهداً متدابراً . وإنها كذلك لتقطع الطريق على هذه اللغة الثالثة التي أشرت إلى نموّها وخطرها .

ب — وهذا كله حين نتحدث عن وسائل الاعـلام وهي تستخدم العامية .. ولكننا حين نتحدث عن وسائل الإعلام وهي تستخدم الفصحى فإن الأمر هنا لا يحتاج إلى كثير من الأناة يصطنعها المتحدثون والمذيعون في ضبط ما يقولون .. فليس عسيراً بحـالٍ أن نتجنب التسكين ، وأن نراعي قواعد الاعراب .. وليس عسيراً بحالٍ أن نلتزم النطقَ الصحيح للألفاظ ..

منطلقين من أن قواعد اللغة نظام فكري ، مراعاته هي الـتي تضمن التواصلَ السليم بين الذين يتحدثون والذين يتلقوْن هذا الحديث ، فلا تفسد عليهم الأخطاءُ حسنَ التلقي ويُسْرَ الفهم .

وحين تحرص وسائل الإعلام على أن تواكب المسيرة اللغوية ، تساندها ولا تعارضها ، فإن من الممكن الأخذ بمثل هذه التدابير التالية :

١ ـ اعتبار سلامة اللغة أصلاً من أصول العمل الاذاعي والتقدم فيه.

٢ ـ إقامة دورة تدريبية للمذيعين توصِّل عندهم معلوماتهم اللغوية ـ في حدود حاجتهم ـ وتمكّن لهم من معرفتها واستخدامها .

٣ ـ مراقبة الأحاديث المذاعة وتصحيحها عن طريق مراقب لغوي .

٤ ـ الإنابة عن المحاضرين الذين لا يحسنون الأداء السليم .

٥ ـ صقل بعض الأغاني العامية ، ما أمكن ذلك .

٦ ـ التدرج في تغليب السلامة اللغوية على النصوص الفنية : التمثيليات والمسرحيات والمسلسلات ـ وفاق برنامج مشترك تتبناه وسائل الاعـلام في كل قطر عربي بالقدر الذي تساعد عليه ظروفها اللغوية الخاصة .

٧ ـ أن يكون في رئاسة تحرير الصحف والمجلات ودور النشر العامة رقيبٌ لغوي يكفل سلامة الأداء .

ولعلي أستجيز لنفسي أن أقترح هنـا على الندوة أن تولي موضوعَ « اللغة العربية ووسائل الاعلام » اهتماماً خاصاً .. كأنْ تفرده باجتماع خاص تمهد له ببعض الدراسات الأولية ثم تصل ما بينها وبين اتحـاد الاذاعات العربية في حوارٍ يتناول القضية كلها : عرضاً ومعالجةً وتدابير .

* * *

خـــاتمة :

وبعد ، فقد قصدت إلى أن أرقب الحركة اللغوية لأتبين أين تستقيم سيرتها وأين تنحرف ، مزاوجاً بين الظاهرة وبين الطيّب لها .. تمهيداً للخروج من سلبية الشكوى الى إيجابية العمل .

وكنت أنطلق في ذلك كله من هذا الذي نعانيه فيما حولنا في رقعتنا الضيقة ، وأغلب الظن أن هذا الذي نرضى عنه أو نشكو منه هنا هو هو ، تقريباً ، في وطننا العربي كله . وإذا صدق مني الظن وإخاله صادقاً — فما أحرى أن تتعاون الجهود العربية في ميدانٍ هو معتصمها .. إنه خطّ دفاعها الأخير قبل أن تتبلبل بها ألسنتها ، بعد أن أوشك أن يتبلبل فيها كل شيء .

إن عمل اتحاد المجامع في ذلك هو العمل الأساسي الأصيل الذي لابدّ منه ، والذي لابدّ له إن شاء الله — وقد صدقت النيات واجتمعت الجهود — من أن يعطي أطيب الثمار .

دمشق « ص.ب ١٩ » شكري فيصل

# وقفة
## مع
# ديوان بشار بن برد

– ٤(*) –

الدكتور شاكر الفحام

الجزء الثالث من الديوان :

١٠٣ – يقول الشارح ( ٣ : ٢ ) في التعليق على قصيدة بشار التي مطلعها :

ألا قل لعبدة إن جئتها        وقد يبلغ الأقرب الباعدا

« والظاهر أن هذه الأبيات بقية من قصيدة تلاشت ، فلم يظفر جامع شعر بشار إلا بهذه الأبيات » . والحق أن جامع الديوان أعاد القصيدة كاملة ( ٣ : ١٤٧ – ١٥١ ) .

(*) نشر القسمان الأول والثاني من هذا المقال في الجزأين السابقين ( مج ٥٣ ج ٢ ، ٣ ، ص ٣٤٠ ، ٥٧٢ )

١٠٤ - يقول الشارح ( ٣ : ٢ ) في التعليق على قصيدة بشار التي ذكرتها آنفاً : « والأبيات من بحر المتقارب ، عروضها محذوفة .... وضربها كذلك ، وهذا جائز في بحر المتقارب ، سواء كان في جميع أبيات القصيدة أم كان في بعض أبياتها » . ويقول أيضاً ( ٣ : ١٤٧ ) في التعليق على القصيدة نفسها : « والقصيدة من بحر المتقارب ، عروضها وضربها محذوفان ، والعروض المحذوفة في المتقارب غير مشهورة ، وإنما يكون الضرب محذوفاً . ولكن بشاراً يكثر من تسوية عروض القصائد من المتقارب بضربها المحذوف » . وفي هذا الكلام تسمح لابد من التوقف عنده . ذكر العروضيون أن المتقارب التام عروضه صحيحة ( فعولن ) ولها أربعة أضرب : ( فعولن ) ، ( فعولْ ) ، ( فَعَلْ ) ، ( فَعْ ) . وإذا بنى الشاعر قصيدته على أحد هذه الأضرب الأربعة وجب أن يلتزمه في جميع أبيات القصيدة التزاماً واجباً ، أما العروض فيجوز فيها دخول الحذف فتصبح : ( فعو = فَعَلْ ) ، وهذه العلة في عروض المتقارب تجري مجرى الزحاف ، فتوجد العروض محذوفة في بيت ، وصحيحة ( أي لم تلحقها علة ) في بيت آخر ، ويجوز أن يدخل العروض الصحيحة القبض فتصبح ( فعولُ ) ( حاشية الدمنهوري : ٦٦ — ٦٧ ) . وهذا ما وقع في قصيدة بشار ، فقد جاءت العروض صحيحة حيناً ، ومحذوفة حيناً آخر ، أما الضرب فقد التزم الشاعر فيه الحذف التزاماً مطلقاً ، إذ لا يجوز له غيره . وإذ فات الشارح التنبه إلى هذه الخاصة في عروض المتقارب فقد وقع شيء من الخلل في تجزئة بعض أبيات القصيدة .

١٠٥ - وقال بشار في رواية الديوان ( ٣ : ٣ )

وطارف حب أصاب الفؤا د ، وجدت تباريحه زائدا
إذا نقص النأيُ حبَّ امرىء وجدت تباريحــه زائدا

وعلق الشارح على البيت الأول بقوله : « والمصراعُ الثاني وضعه هنا سهو من ناسخ الديوان ، لأنه بزيادة الدال لا يبقى موزونا ، والصواب لفظاً ومعنى أنه مصراع ثان للبيت بعده ، كما هو مذكور فيه » . وفي كلام الشارح أمران :

أولهما : أن المصراع الثاني بزيادة الدال من الفؤاد لا يبقى موزونا . وهذا صحيح ، ولكن الدال هي تتمة المصراع الأول ، إذ أن عروض المتقارب تجيء مرة صحيحة ، ومرة محذوفة ، وهنا جاءت صحيحة ، مقبوضة : ( فعولُ ) ، فكان لا بد من رد الدال إلى المصراع الأول .

الثاني : أن المصراع المذكور ورد سهواً من الناسخ ، وهو يلائم معنى البيت الذي يليه . وهذا صحيح أيضاً ، وكان المصراع الملائم للمصراع الأول على طرف الثمام من الشارح . وصحة رواية البيت كما جاء في الديوان ( ٣ : ١٤٧ ) :

لطارف حبٌ أصاب الفؤادَ وقد يمنع الطارفُ التالدا

١٠٦ — قال بشار ( ٣:٤ ) قصيدته التي مطلعها :

غُيِّبَ جيرانهُ بذي حمَدِ عن ليل من لم ينم ولم يكَدِ

فعلق الشارح على القصيدة بقوله : « والقصيدة من بحر المجتث ، وقد استعمله تاماً على وجه الشذوذ ... » . والحق أن القصيدة من المنسرح عروضه مطوية ( مفتعلن ) ، وضربه مطوي ( مفتعلن ) ( حاشية الدمنهوري : ٦٠ - ٦١ ) .

١٠٧ — قال بشار (٣ : ٥) :

يا أيها المكتـوي على ظعن     باتوا ، وما سلّموا على أحد

روي « باتوا » بالتاء المثناة الفوقية ، والصواب : « بانوا » بالنون . وهو يذكّر بالتصحيف القديم الشهير : « باتت وبات قرينها » في القصة التي رواها منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي ( انظر معجم الأدباء ١٩ : ١٨٣ ) .

١٠٨ — قال بشار (٣ : ٥) :

كانت محل الخليط فانقلبت     وحشاً من المنشدين والخُرُدِ

وعلق الشارح : « الخرد » بضمتين ، أراد به جمع خريدة . . . ويجمع على خُرْد ، فضمّ الراء اتباع لضمة الخاء للضرورة » . والحق أن لا ضرورة ، قال في التاج : « الخريد ، والخريدة بهاء ، والخرود كصبور . من النساء : البكر التي لم تمسس قط ، أو الخفرة الحيية ، الطويلة السكوت الخافضة الصوت ، المتسترة ، قد جاوزت الإعصار ولم تعنس ، الجمع خرائد ، وخُرُد بضمتين ، وخُرَّد بضم فتشديد ، الأخيرة نادرة ، لأن فعيلة لا تجمع على فُعَّل » .

١٠٩ — الأبيات السبعة : ٣١ — ٣٧ ( ٣ : ٧ ) الواردة في القصيدة التي مطلعها :

غيب جيرانه بــذي حمد     عن ليل من لم ينم ولم يكد

هي هي الأبيات التي وردت في القصيدة التي مطلعها (٢ : ١٨٤) :

راحت سليمى تدعوك بالعند     وبالمني في غد وبعـد غدِ

١١٠ – قال بشار (٣ : ١٠) :

إذا قربت شطت ، وتدنو إذا دنت تعول بريعان الشباب على الصمد

ولعل صحة الشطر الأول : « إذا قربت شطت ، وتدنو إذا نأت » ليتم التناسق ويزول الاختلال في المعنى . وهو يشبه قوله (٣ : ٥١) :

إذا ما باعدت قربت برأي وإن قربت فشيمتها البعادُ

١١١ - قال بشار يترضى محبوبته ريمة التي باعدته لدس حاسدة تسعى في التفريق بينهما (٣ : ١١) :

لعنةُ الله على جــاريةٍ صرفت قلبك عني حسدا

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

إن إعراضك من تبليغنــا أسخط القلب ، وأوهى الكبدا

ضبط « قلبك » بفتح الكاف ، والصواب كسرها ، لأنها ضمير ريمة ، محبوبته . وضبط « تبليغنا » ، والصواب : « تبليغها » ، لأن الضمير يعود على الجارية التي وشت به ، وبلّغت ريمة أقوالاً كاذبة « تبليغ من يسدي الحديث وينسجُ » حتى أعرضت عنه . فالشاعر في بيتيه يتنصل إلى محبوبته مما نقلته الحاسدة الواشية .

١١٢ - وقال بشار يخاطب امرأة عرضت له دون محبوبته ريمة ، وراحت تتصدى له تحاول أن تتصباه لتصرفه عن هواه ، فعافتها نفسه ، وتأذى بها (٣ : ١٣) :

يجتوى وصلك قلبي غاديا وتراك العينُ فيها رمدا

ضبط « يحتوي » بالحاء المهملة ، وفسر الشارح معنى البيت تفسيراً غريباً

فقال : « أي أتمنى وصلك ، وتشتاقك العين » . وإنما دفعه إلى مثل هذه المضايق أنه لم يتبين مراد الشاعر الذي يؤكد تعلقه بمحبوبته ، ويصرف وجهه عن كل ما سواها . والحق أن كلمة « يحتوي » مصحفة ، وصحتها : « يجتوي » بالجيم . قال في اللسان : « اجتواه : كرهه » . فالشاعر يصد هذه المرأة التي تعرضت له ، ويبين لها أنها بغيضة إلى قلبه ، وقذاة في عينه ، وأنه لا يروقه في الحياة غير وجه محبوبته .

١١٣ – يقول بشار يتغنى بمحاسن محبوبته عبدة (٣: ١٥) :

من الخفرات لم تطلع بفحش　　　على جارٍ ، ولا بكرت ترودُ

فقال الشارح في تفسيره : « ترود : تلتمس الكلأ للمرعى ، يريد أنها لا تخدم ، لأن الخدم يبكرن الهبوب من النوم ، وكأنه أراد من الرود هنا مطلق التماس الحاجة » ، ويبدو لي أن بشاراً يريد معنى آخر من معاني « الرود » ، قال صاحب اللسان : « وامرأة رادٌ وَروادٌ .. طوافة في بيوت جاراتها ، وقد رادت ترود .. فهي رادة : إذا أكثرت الاختلاف إلى بيوت جاراتها » . وجاء في الأساس : « وامرأة رادة ، وقد رادت ترود : اختلفت إلى بيوت جاراتها » ، وهذا المعنى أراده جرير بقوله : ( د : ١٦٠ ) :

حَصانٌ ، لا المريب لها خدينٌ　　　ولا تفشي الحديث ولا ترودُ

١١٤ – وقال بشار يخاطب صاحبه الوليد الذي لامه على هواه ( ٣ : ١٦ ) :

فمهلًا ، لا أبا لك ، بعض لومي　　　ضججت من الهوى وأنا العميدُ

ضبطت كاف « لا أبالك » بالكسر ، ولعلها من خطأ المطبعة ، والصواب فتحها ، لأن الشاعر يخاطب صاحبه الوليد .

١١٥ – وقال بشار في هجاء ابن قزعة (٣: ١٨):

كسوتك حلة بما أسدّي بروداً لا يفارقهـا برودُ

وكلمة « لا يفارقها » لا تلائم معنى البيت ، ولعل الصواب : « لاتقاربها » ، بالتاء المثناة الفوقية ، والقاف .

١١٦ – وقال بشار (٣ : ٢١) :

ليت شعري أكلهن بخيلٌ مثل ما قد يكون أم هن جودُ

والبيت قلق ، والصواب فيما بدا لي : « مثل ما قد بلوت » ، أو « مثل من قد بلوت » بالباء الموحدة واللام . ومعنى بلوت : امتحنت واختبرت. ثم قال الشارح في التعليق على « جود » انها مصدر وقع خبراً عن قوله « هن » . ولعل الصواب ان جوداً جمع جواد ، قال في اللسان : « جاد الرجلُ ... فهو جواد ، وقوم جُود ... وكذلك امرأة جواد ونسوة جُود ، مثل نوار ونُور » .

١١٧ – وقال يتحدث عن قلبه (٣ : ٢٣) :

أقول لمثبت وبـه تحرّكٌ يهمّ ولا يسمّـح بانقيــاد

ضبط « يسمح » بفتح الميم ، والصواب كسرها . جاء في اللسان : « سمّح البعيرُ بعد صعوبته : إذا ذلّ » .

١١٨ – قال بشار قصيدته التي مطلعها (٣ : ٢٩) :

ألم يأنِ أن تسلى مودة مهددا فتخلف حلما ، أو تصيب فترقدا

وعلق الشارح مبيناً بحر القصيدة فقال : « وهي من بحر الطويل ،عروضها وضربها محذوفان » ، والصواب أن يقال : « عروضها وضربها مقبوضان » ( الحذف : هو ذهاب سبب خفيف ، والقبض : حذف الخامس الساكن ) .

١١٩ — وقال بشار يصف ما يعاني من آثار الهجر ( ٣: ٣٢ ) :

فآلى على الهجر الرقادُ ، ولم تزل  نجياً لضيفان الهموم مسهّدا

. . . . . . . . . . . .  . . . . . . . . . . . .

وكنت إذا ضاقت همومي قريتها  الأراجيَّ ، حتى أورد الهم موردا

وكلمة « فآلى » في مطلع البيت الأول محرفة ، لعل صحتها « نآكَ » بالنون في أولها ، والكاف في آخرها ، فالشاعر يصف ما يلقاه من متاعب وأشجان لبعد حبيبته ، وكان يمكن أن تكون الكلمة « نآني » لولا فعل الخطاب التالي : « ولم تزل نجياً لضيفان الهموم » . وكلمة « ضاقت » بالقاف ، في البيت التالي ، مصحفة ، صحتها : ضافت ، بالفاء . قال في اللسان : « ضافه الهمُّ : نزل به . قال الراعي :

أخليد إن أباك ضاف وساده  همّان باتا جنبة ودخيلا »

وقال أبو خراش ( ديوان الهذليين ٢ : ١٥ ) :

أرقتُ لهمٍّ ضافني بعد هجعةٍ  على خالدٍ ، فالعينُ دائمةُ السجمِ

وقال القتّال الكلابي ( شرح المرزوقي على الحماسة ٢ : ٦٥٢ ) :

قرى الهمَّ إذ ضاف ، الزماعَ فأصبحت  منازلُه تعتسُّ فيها الثعالبُ

وقال ذو الرمة ( أساس البلاغة - وكب ) :

وكنتُ إذا ما الهمُّ ضاف قرينه      مواكبة ينضو الرعانَ ذميلُها (١)

١٢٠ – قال بشار يصف ناقته ( ٣ : ٣٤ ) :

مواشلة مثل الفريـــدة عبّدت      بشرقيّ وعساء السمينـة موقدا

وأطال الشارح في تفسير « مواشلة » باللام ، على غير طائل . والصواب : « مواشكة » بالكاف ، قال في اللسان : « ناقة مواشكة : سريعة .. فرس مواشك ، والأنثى مواشكة ... قال عبد الله بن عنمة يرثي بسطام ابن قيس :

حقيبـة سرجه بدنٌ ودرعٌ      وتحمله مواشكةٌ دؤولُ (٢) »

وقال جرير ( د : ١٤٨ ) :

وكم كافن دونـك من سهوبٍ      تكل به المواشكـةُ الوَخُودُ

١٢١ – قال بشار يمدح محمد بن السفاح (٣:٣٦) :

به تطحر الأقذاء عن سرياتنـا      ونلقى إذا نأبى الجنـان تغرّدا

وفسّر الشارح : « السريات » بالسين المهملة والياء المثناة التحتيـة ، بأنها المعاقل ، لأن السراة أعلى الجبل . وينقض على الشارح ما ذهب إليه ، أن السـراة تجمع على سروات . والبيت كما ورد كثير التحريف حتى ما تبين معالمه . وقد بدت لي قراءة أعرضها :

(١) قال في لسان العرب ( مادة جرد ) : « ولذلك قيل : نضا الفرسُ الخيلَ : إذا تقدمها ، كأنه ألقاها عن نفسه ، كما ينضو الإنسانُ ثوبه عنه » .

(٢) البيت من قصيدة لامية لعبد الله بن عنمة الضبي . انظـر القصيدة وتخريجها في الأصمعيات : ٢٧ – ٢٩ ، وقد صحفت كلمة « دؤول » في اللسان إلى « دؤوك » بالكاف .

به تطحر الأقذاء عن مشرباتنا ويلقى إذا هاب الجبان فعرّدا

قال في اللسان : « المشربة ، بفتح الراء : الموضع الذي يُشرب منه كالمشرعة . وعرّد الرجلُ عن قِرْنه : إذا أحجم ونكل . والتعريد : الفرار » وجاءت كلمة « عرد » في بيت بشار في القصيدة نفسها . قال (٣: ٤٠) :

مقيم يذبّ المشركين بسيفه حفاظاً ، وقد ولّى الخميسُ وعرّدا

١٢٢ – قال بشار في مديح محمد بن السفاح يذكر أباه وعمه (٣ : ٣٧) :

هما جرّبا قبل الجياد وقُلّدا فأيهما أشبهت كنت المقلّدا

ضبطت « جربا » بالباء الموحدة من التجريب ، والصواب : « جَرَيا » بالياء التحتية ، من الجري ، فالشاعر يشبه السفاح والمنصور بجوادين سابقين جريا فسبقا . وضبط « المقلدا » بكسر اللام المشددة ، وفسّر تفسيراً خاطئاً . والصواب فتح اللام المشددة . قال في اللسان : « المقلّد من الخيل : السابق ، يُقلّد شيئاً ليعرف أنه سبق .. ولا يقلد من الخيل إلا سابق كريم » . وتشبيه الرجل الكريم بالسابق من الخيل تشبيه درج عليه الشعراء منذ الجاهلية ، قال جرير (د: ١٧٤) :

ولقد جريت فجئت أول سابق عند المواطن مبدئاً ومعيدا

وقال (د: ٢١٩) :

ولقد جريت فما أمامك سابقٌ وعلى الجواب كبوةٌ وغبارُ

وقال بشار في مديح المهدي (١ : ٢٧٨) :

جرى اللهاميمُ على إثره جري البراذين خلاف العرابْ

وقال في مديح الربيع (٣ : ٤٧) :

سبق الربيع بفضله أيام مكة ، كل قائدْ
خلّى الجياد خلافه ومضى بآبدة الأوابدْ

وهكذا يتسق المعنى الذي أراده بشار ، من مشابهة الممدوح لأبيه السفاح وعمه المنصور ، فهما سابقان ، وهو مثلهما ، سابقٌ لا يتخلف .

١٢٣ ــ وقال في مديح محمد بن السفاح (٣ : ٣٧) :

تخولت مخزوماً ، وفزت بهاشم فأصبحت من فرعي قريش مرددا
وأنت ابن من رادى أمية بالقنا جهاراً ، وبالبصري ضرباً مؤيدا

وكلمة « من » في البيت الأول محرفة ، صحتها : « في » . وضبطت كلمة « البصري » في البيت الثاني ، بفتح الباء الموحدة ، وأطال الشارح في تفسيرها ، ولم يهتد إلى وجه الصواب فيها . وصحتها : « البُصريّ » بضم الباء . قال في اللسان : « بُصرى » قرية بالشام ... وتنسب إليها السيوف البصرية . قال [ أوس بن حجر ] :

يعلون بالقلع البصري هامهم [ ويخرج الفسو من تحت الدقارير ]

والنسب إليها [ أي إلى مدينة بُصرى ] بُصريّ » . وقال ساعدة بن جؤية الهذلي ( ديوان الهذليين ١ : ٢٠٤ ) :

كأنما يقع البصريُّ بينهمُ من الطوائف والأعناقِ بالوذم

البُصريُّ : سيف من سيوف بصرى . وقال أبو جندب الهذلي ( ديوان الهذليين ٣ : ٨٧ ) :

أما أسلْ الصـــارم البُصريا

قال أبو سعيد السكري : و"بُصريّ" ، بضم الباء : سيفٌ عمل ببصرى الشام.

١٢٤ — وقال يذكر الخلفاء العباسيين (٣: ٣٩) :

أرى الناس ما كنتم ملوكاً بأمنةٍ ولو فقدوكم خالف القائمُ اليـدا

ضبط « خالف » بالخاء المعجمة ، ولا يلتئم معنـاه مـع الشطر الأول ، والصواب « حالف » بالحاء المهملة ، إشارة إلى اضطراب الأمر ،ونشوب الفتن ، إذا نزل العباسيون عن الملك ، حتى إن مقبض السيف لا يفارق يد صاحبه ، لأنه غير آمن على نفسه .

١٢٥ — وقال في مديح محمد بن السفاح (٣ : ٤٣) :

إذا آذنتـه الحرب آذن نومه بحرب إلى أن يقعد الحرب مقعدا

ضبط « نومه » مرفوعاً على أنه فاعل آذن ، وتـكلف الشارح تفسيره . والصواب النصب ، على أنه مفعول لآذن . قال في اللسـان : « آذنه الأمر ، وآذنه به : أعلمـه . وقد قرىء : ( فآذنوا بحـربٍ من الله ورسوله ) [ سورة البقرة ، آ : ٢٧٩ ] ، أي أعلموا كل من لم يترك الربا بأنه حرب من الله ورسوله » . فالأمير محمد إذا شبت الحرب شمّر لها وتهيأ ، ومنع عينيه الكرى ، تيقظاً ، وشدة شكيمـة . وقد أكثر الشعراء من طرق هذا المعنى ، يصفون به يقظة الممدوح وحذره ، وتجرده للحرب . وفي مثله يقول أبو تمام :

لبيت صوتاً زبطريـاً هرقت له كأس الكرى ،ورضاب الخرّد العُرُبِ

وقريب من هذا الباب قول بشار :

إذا أيقظتك حروب العـــدا فنبّه لهـــا عمـــرا ثم نَمْ

١٢٦ – وقال في النسيب بريمة ( ٣ : ٥٠ ) :

بريـــمة خالفت عيني سـهوداً وبئس خليفـة النوم السهـــادُ

ورد « خالفت » بخاء معجمة ، وصوابها : « حالفت » بحاء مهملة . ووردت : « سهوداً » في الشطر الأول ، ولم تذكرها كتب اللغة ، فلعل الصواب: «سهاداً».

١٢٧ – وقال ( ٣ : ٥١ ) :

ويوم في ذرى جشم بن بكـر نعمتُ به ، وندمـــاني زيادُ

ضبطت « ذرى » بضم الذال المعجمة ، ولا تلائم معنى البيت ، والصواب « ذَرا » بالفتح ، قال في اللسان : « الذَّرا : الكِنّ ... ويقال : فلانٌ في ذَرا فلانٍ : أي في ظله ... قال الأصمعي : الذرا ، بالفتح : كل ما استترت به . يقال : أنا في ظل فلان وفي ذَراه : أي في كنفه وستره ودفئه » . وقال في الأساس : « وأنا في ذرا فلان وفي أذرائه » واستذريتُ به وتذريت . وإنه لكريم الذرا ، منيـع الذُرا » . وقال الشارح في التعليق على « جشم بن بكـر » : « حي عظـيم من أحياء العرب . وهم من بكر بن وائل ، منهم كليب المشهور » ولتصحيـح هذا التعليق يجب أن يقـال : « وهم من تغلب بن وائل [ أخوة بكر بن وائل ] ، منهم كليب المشهور » . وإن كنا لا نقطع بأن هذا الحي من أحياء العرب هو المراد بقول بشار .

١٢٨ – وقال في مديـح روح بن حاتم ( ٣ : ٥٣ ):

قريع بني المهلب حين يغدو ... به يبكي العدا وبه يجاد

ورد « يبكي » بياء المضارعة التحتية ، بعدها باء موحدة ، ومساق الكلام لا يجعل للبكاء معنى في البيت ، وإنما هو تصحيف صحته : « به ننكي العدا ، وبه نجاد » أو : « به يُنكى العدا وبه يُجاد » . قال في اللسان : « نكى العدوَّ نكاية : أصاب منه ...... ونكيتُ في العدوِّ .... إذا كثّرتَ فيهم الجراح والقتل فوهنوا لذلك .... » ومن شواهد النحاة المشهورة قوله : ( كتاب سيبويه ١ : ٩٩ ، خزانة الأدب ٣ : ٤٣٩ ) :

ضعيف النكاية أعداءه ... يخال الفرارَ يراخي الأجلْ

وهذا المعنى أكثر منه بشار في صفة ممدوحيه ، كقوله ( ١ : ١٤٩ ) :

إلى فتى تسقي يداه الندى ... حينا ، وأحيانا دم المذنب

ووقع الشارح في التصحيف نفسه حين أورد قول بشار يفخر بنفسه ويهجو حماد عجرد ( ٣ : ٢٩٦ ) :

أبكي العدا ، وأجود أهل مودتي ... والعلج لا قمــرٌ ولا ساهور

فقد تبين لك أن بشاراً لا يبكي أعداءه ، بل ينكيهم ( بالنون ، لا بالباء الموحدة ) . وهذا الفعل كثير الدوران في شعر بشار . قال في مديح المهدي ( ١ : ٢٧٨ ) :

لا يحسنُ الفحش وينكي العدا ... ويعتريه الجودُ من كل بابْ

وقال في مديح روح بن حاتم ( ١ : ٣٤٦ ) :

وما ولدوا إلا أغــرَّ متوجا ... له راحةٌ تنكي وأخرى تحلّبُ

وقال يذكر صاحباً له ( ٢ : ٦٣ ) :

لا يعبد المال وينكي العدا بالخيـــل لاوانٍ ولا لاثُ

وقال في مديح روح بن حاتم ( ٢ : ٢٥٦ ) .

فانكِ العدا ، ورد الردى وابذلْ ، فما شيءٌ بخالدْ

وقال في هجاء أبي هشام الباهلي ( ٢ : ٣٢٢ ) :

وحسبتني كأبيك لا ينكي العدا فاصبرْ لحسبتك التي لا تحمدُ

١٢٩ — وقال في وصف قصيدة له ( ٣ : ٥٣ ) :

وجاريةٍ من الغرّ العوالي تزفُّ الى الملوك ولا تقاد

ورد « العوالي » بالعين المهملة ، والصواب : « الغوالي » بالغين المعجمة .

١٣٠ — وقال بشار من قصيدة يتمدح فيها بالجود ، ويذكر أن المال ظل زائل لا يجني الشحيح عليه إلا التعب والخيبة ( ٣ : ٥٨ – ٥٩ ) :

وما المال إلا مثلُ ظل سحابة غدت طبقاً ثم انجلت قطما بردا

فقل للذي يُبقي لمن ليس باقيا تضيبُ ،ولم تُعقب نجاحاً ولا رشدا

وردت « تُضيبُ » بمثناة فوقية وضاد وياء مثناة تحتية . ولا يظهر لهـا معنى ، ويبدو لي أن صحتها : « نصبتَ » بالنون ، والصاد المهملة ، يليها باء موحدة . قال في اللسان : « النَّصَبُ : الإعياء من العناء ، والفعل نصِبَ الرجلُ ، بالكسر ، نَصَباً : أعيا وتعب » . فكأن بشاراً ينعى على الغنيّ الشحيح يترك لوارثه الفاني المال الكثير ، أنه تعب وشقي في غير خير ، وقضى حياته « دائب الرحلة في غير غناء » .

١٣١ – وقال في وصف حاله مع عبدة ( ٣ : ٦٢ ) :

قد شاب رأسك في تذكرها وهفا الفراقُ ورقَّت الكبدُ

والفراق في البيت لا معنى له ، والصواب : « هفا الفؤاد » . قال في اللسان والقاموس : هفا الفؤاد : ذهب في أثر الشيء ، وطرب .

١٣٢ .. وقال يصف حاله ( ٣ : ٦٥ ) :

سلبت فؤادك يوم رحت وغادرت جسداً أجاوره بغير فؤادِ

روي « فؤادك » بكاف الخطاب ، وجعله الشارح من الالتفات ، وأسلوب الشاعر في القصيدة وفي البيت يمنع من ذلك . والحق أنه تحريف ، صحته : « سلبت فؤادي » بالاضافة إلى ياء المتكلم .

١٣٣ – قال بشار ( ٣ : ٦٥ ) :

أذكرتْ نفسي عشية الأحد من زائر صادني ولم يُصَدِ

وذكر الشارح في تعليقه أن القصيدة من بحر السريع ، وعروضها وضربها كلاهما مخبول مكشوف ، وفيها زحاف الطي . والصواب أنها من بحر المنسرح ، عروضها مطوية وضربها كذلك ( انظر ما سبق رقم ١٠٦ ) .

١٣٤ . قال بشار ( ٣ : ٦٨ ) :

فصرت بعد اجتهاد في مودتها وهل يلام على التقصير من جهدا

روى « فصرت » بالفاء العاطفة ، دخلت على الفعل صار ، وخلا البيت من خبر صار ، واختلّ معناه . والصواب : « قصّرت » بالقاف والصاد، من التقصير . وبذلك يتم المعنى ، وينعطف مضمون الاستفهام في الشطر الثاني على ما ورد في الشطر الأول .

١٣٥ – وقال بشار في الغزل (٣ : ٦٩) :

تراءت لنا في السابريّ وفي الحنا ثقيلة دعص الردف، مهضومة الكبد

ضبط الشارح : « الحنا » بالحاء المهملة ، ولم يجد له معنى يلائم البيت ، فجعله جمع حنوة ، دون أن يكون له سند من اللغة . وقال بشار : (٣ : ١٩٥) :

دعا لنـــا الحور ، عليها الحيا يا حبـــذا الحورُ المعـــاطيرُ

وضبط « الحيا » بالحاء المهملة والياء المثناة . وقال بشار (٣ : ٣٠٣) :

وعروس يثرب في المجاسد والحبا أيام فضـــل جمالها مذكور

وضبط « الحبا » بالحاء المهملة والباء الموحدة . ويبدو لي أن الألفاظ الثلاثة في الأبيات الثلاثة مصحفة ، صحتها جميعاً : « الجنى » بالجيم المفتوحة والنون. قال في اللسان : « الجنَى : الودع ، كأنه جُني من البحر . والجنى : الذهب » . وقد روي اللفظ صحيحاً في قول بشار (٢ : ٩٢) :

لحشابة السلوان والعطر والجنى ولي حرق تحت الحشا تتوهج

١٣٦ – وقال بشار يتحدث عن آثار الديار (٣ : ٧٠ – ٧١) :

أشاقـــك مغنى منزلٍ متأبّدِ وفحوى حديث الباكر المتعهّدِ

وشام بحوضى ما يريم كأنه حقائق وشم ، أو وشوم على يدِ

ضبطت « وشام » في مطلع البيت الثاني ، بكسر الواو ، جمع وشم . والوشمُ ، كما في اللسان ، الشيءُ تراه من النبات في أول ما ينبت . وهو لا يلائم معنى البيت ، لأن الشاعر يتحدث عن آثار الديار ، والصحيح أن الكلمة « شام » مسبوقة بواو العطف ، والشام جمع شامة ، وهي الأثر الأسود من البدن وفي الأرض . قال ذو الرمة :

وإن لم تكوني غير شام بقفرة تجرُّ بها الأذيال صيفيةٌ كُدْرُ

وذكر مفسرو ديوانه : أن الشام جمع شامة ، أي آثار كأنها شام في جسد ... وإنما يريد آثار الرماد . وقال أيضاً :

فلم يدر إلا اللهُ ما هيجت لنا أهلَّةُ آناء الديـار وشامُهـا

وقال بشار ( ٢ : ٢٩٧ ) :

أمن وقوف على شامٍ بأجمـاد ونظرة من وراء العابد الجادي

١٣٧ – وقال بشار ( ٣ : ٧٢ ) :

أبا كرب لم تمس حبَّى بعيدةً فما قلب حبَّى عن أخيك ببعدِ

ولفظ « لم » وقع في غير موضعه ، وصحته « إن » الشرطية الجازمة .

١٣٨ – جاء في الديوان ( ٣ : ٧٣ ) :

لغيث ثلاثٍ لا يفـارق ريبة عففن ولا أربو واست ببعـد

ورجح الشارح أن تكون الرواية :

لغيب ثـلاثٍ لا تقـارف ريبة عففتُ ولا أربو واست ببعـد

وأظن ، وليس غير الظن ، أن تكون الرواية :

لعيب ثلاث لا تقارف ريبـة عففن ، ولا أربو ولست ببعـدِ

واللعيبُ : الملاعب .

١٣٩ – وقال بشار في مديح المهدي ( ٣:٧٥ ) :

فتى جاد بالدنيا خلا زاد راكب وسحٌّ على دين النبي المؤيـد

ضبط « سحٌّ » بالسين المهملة ، والصحيح : « شحٌّ » ، بالشين المعجمة . وبذا تتأتى المقابلة في البيت : جاد بالدنيا ... وشح على دين النبي ...

١٤٠ — وقال ( ٣ : ٧٦ ) :

وما أنا إن نام الرقيق ولم أنم بأول منكوب بفقد المساعد

كتب « الرقيق » بقافين ، والصحيح أنه « الرفيق » بفاء بدل القاف الأولى ، ومثل هذا التصحيف من خطأ المطبعة .

١٤١ — أورد الديوان في جزئه الثاني قصيدة لبشار من أحد عشر بيتاً ، وكررها في الجزء نفسه ( انظر ، ديوان بشار ٢ : ٢٠٩ – ٢١٠ ، ٢٥٧ ) . ثم أعيدت خمسة أبيات من هذه القصيدة ( الأبيات : ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ) مختلطة بأبيات قصيدة بشار التي مطلعها (٣ : ٧٥) :

مللتُ مبيتي بالقرين وشاقني طروقُ الهوى من نازحٍ متباعدِ

١٤٢ — وقال (٣ : ٧٧ ) :

تشكّى الضنى حتى تعاد ، وما بها سوى قرة العينين ، سقم لعائدِ

وقرة العينين خطأ ، صوابه : « فترة العينين » ، فبشار لا يرى في محبوبته سقماً تتشكى منه ، سوى فتور عينيها ، وهو سقم محبب طالما تمدح به الشعراء ، لأنه شارة جمال ، وعنوان حياء وخفر ، قال جرير :

إن العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وقد روي بيت بشار على وجهه الصحيح في الديوان ( ٢ : ٢١٠ ، ٢٥٧ ) .

١٤٣ — وقال بشار يصف ناقته ، ونشاطها وصبرها على السير : ( ٣ : ٧٨ ) :

تروّع من صوت الحمامة بالضحى وبالليل تنجو عن غناء الجداجد

وكلمة « عن » بالعين والنون في الشطر الثاني محرفة عن كلمة « من » بالميم ، وأظنها من تحريف المطبعة .

١٤٤ – وقال بشار يصف ماء آجناً في الصحراء ( ٣ : ٧٩ ) :

وماءٍ صرى الجمّات ، طامٍ ، كأنه عبية طال متلدات صعـــائد

ويبدو لي أن صوابه :

وماءٍ صرى الجمات ، طامٍ ، كأنه عنيّةُ طالي متليـــاتٍ صعائدِ

والعنيّةُ ( وقد اهتدى إليها الشارح ) : أبوال الإبل ، يؤخذ منها أخلاط فتخلط ، ثم تحبس زماناً في الشمس ، ثم تعالج بها الإبل الجربى . ومن أمثالهم : « عنيّتُه تشفي الجرب » ، يضرب مثلاً للرجل إذا كان جيد الرأي ( لسان العرب – عنى ، مجمع الأمثال للميداني ١ : ٤٧٩ ، المخصص لابن سيده ٧ : ١٦٥ ) . والمتليات ، جمع متلية ، يقال : ناقة مُتْلٍ ومُتْلية : يتلوها ولدها أي يتبعها ( اللسان ) . والصعود : الناقة يموت حوارها ، فترجع إلى فصيلها فتدرّ عليه ، والجمع صعائد ( اللسان ) . شبه بشار الماء الآجن قد تغير لونه حتى ضرب إلى السواد . بعنيّة قد أعدّت للإبل الجربى .

١٤٥ – قال بشار في هجاء بني زيد ، وأبي هشام الباهلي : ( ٣ : ٨٧ – ٨٨ ) :

إذا الليلُ غطّاهم غدوا تحت ظله وأثوابهـــم مسحورة لفســـاد

يعيشون في أمـــاتهم وبناتهـم يعقونهـــا عن راشـــدٍ ومراد

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

فأما اللعين ابن الخليف فإنـــه يبلّ إلى سود الوجوه جعـــاد

كتب في البيت الأول : « غدوا » بالغين المعجمة ، و « مسحورة » بالسين المهملة والحاء . ولعل صواب الأولى : « عدوا » بالعين المهملة ، والمعنى :

جروا ، وسعوا في الفساد ، متسترين بظلمة الليل . ولم اهتد إلى وجه الصواب في الثانية « مسحورة » . وكتب في البيت الثاني « يعيشون » بالشين المعجمة ، وصوابها : « يعيثون » بالثاء المثلثة . والعيث : الفساد. وكتب في البيت الثالث « ابن الخليف » بالفاء ، وصوابه : « ابن الخليق » بالقاف ، وهو أبو هشام الباهلي ، واسمه : عمرو بن عبد الرحمن بن الخلق الباهلي الظالمي ، فبشار ينبزه بابن الخليق ، تعييراً له بجده ، وقد نبزه بذلك كثيراً ( انظر الديوان ١ : ١٣٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٢ : ٤٧ ، ٣ : ١٠٧ ، ١٠٩ ) .

١٤٦ — وقال بشار ( ٣ : ٩١ ) :

ليت شعري عن ذلك الشخص إذا شطّ (م) تْ به نية إلى أجيادِ

كتب « إذا » ، وأظنها من خطأ الطبع ، والصواب : « إذ » .

١٤٧ — وقال بشار في هجاء يعقوب بن داود ( ٣ : ٩٣ ) :

لا ييأسنّ فقيرٌ من غنىً أبداً بعد الذي نال يعقوبُ بنُ داودِ

قال الشارح في بيان بحر القصيدة : « والأبيات من بحر البسيط ، عروضها وضربها مخبونان » . والصحيح أن العروض مخبونة ، والضرب مقطوع ( حاشية الدمنهوري : ٤٦ ) . وكرر الشارح قوله في قصيدة بشار التي مطلعها ( ٣ : ٩٨ ) :

يا ليلتي لم أنم شوقاً وتسهادا حتى رأيت بياض الصبح قد عادا

ونجد مثله في تعليقه ( ٣ : ١٠٤ ، ١٢٧ ، ١٦١ ) .

١٤٨ — وقال بشار في هجاء حماد عجرد ( ٣ : ٩٩ ) :

عرّدت عن قرم بني هاشم والموتُ يحدوك به الحادي

لولا تنحيك وفى نـــذره فيك فأصبحت مـع الزادِ

ضبط « نذره » بضم الراء ، على أنه مرفوع فاعل « وفى » ، والصواب : نصبه ، على أنه مفعول به ، والفاعل ضمير مستتر يعود على قوم بني هاشم المذكور في البيت السابق .

١٤٩ — وقال في هجائه ( ٣ : ٩٦ ) :

لو كنت ممن يتقي سـوأة أعولت من سخطي وابعادي

ضبط « ابعادي » بباء موحدة ، والصواب « ايعادي » بالياء المثناة التحتية . ولعلها من خطأ المطبعة .

١٥٠ — وقال بشار ( ٣ : ١٠٤ ) :

أباهل ، إني للحروب عدادُ وإن ردائي منصلٌ ونجادُ

قال الشارح في بيـان بحر القصيدة : « وهي من بحر الطويل ، عروضها وضربها مقبوضان » . والصحيح أن العروض مقبوضة والضرب محذوف ، والبيت الأول مصرّع . وأعاد الشارح قولته في ( ٣ : ١١٢ ) ، والصحيح أيضاً أن العروض مقبوضة والضرب محذوف .

١٥١ — وقال في هجاء الباهلي والفخر بنفسه ( ٣ : ١٠٥ ) :

أنا ابن ملوك الأعجمين تقطّعت عليّ ، ولي في العامرين عمادُ

كُتب : « تقطعت » بالقاف ، بعـــدها طاء وعين مهملتان . وصوابها : « تعطّفت » بالعين المهملة ، بعدها طاء مهملة وفاء . قال في أساس البلاغة : « تعطّفت عليه الأملاكُ ، إذا كانت أطرافُه ملوكا » . وقريبٌ من معنى البيت قول بشار ( ٣: ٢٣٩ ) :

أبي خراسانُ وأدعو عــــامرا
أكـرمَ حيٍّ أولاً وآخـــرا

١٥٢ – وقال بشار في الهجاء ( ٣ : ١١٥ ) :

أشأوَ بني كعب طلبت بجهور قريب المدى ، ياسوأة لك ، لاتعُدْ

ضبط : « بجهور » بالجيم والهاء ، والصواب : « بحمر » بالحاء المهملة والميم . قال في اللسان : « وفرسٌ محمر : لئيم ، يشبه الحمار في جريه من بطئه ... ويقال لمطية السوء : محمر ، والجمع المحامر ، والمحامير » . وقد صحفت الكلمة مرة أخرى في قول بشار ( ٣ : ١٩٧ ) :

قل للغواة الطالبي شأوهم لا يدرك الريح الجمامير

كتبت « الجمامير » بالجيم ، وصوابها بالحاء المهملة .

١٥٣ – وقال في رثاء حمدة ( ٣ : ١١٧ ) :

لا تبعدنَّ ، وأين من فارقته أمسى بمثل سبيلها لم يبعد

. . . . . . . . . .

أحميد ، إن ترد المصاب فإننا رهن النفوس بمثل ذاك المورد

ضبط « لاتبعدن » بفتح الدال ، والصواب كسرها ، على ما نصت عليه كتب النحو في تأكيد المضارع المسند إلى ياء المخاطبة . ومثله ماورد في خطاب عبدة ( ٣ : ١٤٦ ) :

لا تجعلن في غدٍ وعدي وبعد غد فإن فعلت فما وفّيْت ميعادا

فقد ضبطت لام « لا تجعلن » بالفتح ، وصوابها بالكسر ، لأن الفعل مسند إلى ياء المخاطبة . وضبط « ترد » في البيت الثاني مسنداً إلى المخاطب المذكر ، والصواب : « إن تردي » باثبات ياء المخاطبة ، لأن الأفعال الخمسة تجزم بحذف النون . وإذ كانت القصيدة في رثاء حميدة فيجب أن يصحح ضبط الكاف في كلمة « بعدك » في البيتين التاليين ( ٣ : ١١٧ ) :

أصبحت بعدك كالمصاب جناحُه يبكي لجانبه إذا لم يسعد

. . . . . . . . . . .

مما يعزِّي القلب بعدك ، أنني في اليوم جارُك ياحميدةُ أو غدِ

١٥٤ – وقال يستنجز صاحبه وعداً ( ٣ : ١١٩ ) :

ضمِّنت حاجة صاحب فاسلك بها سبل الرشادِ

ضبط « ضمن » مبنياً للمعلوم ، والصواب بناؤه للمجهول . قال في القاموس : ضمنته الشيء تضميناً ، فتضمنه عني ، غرّمته فالتزمه .

١٥٥ – قال يصف امرأة طرقه خيالها ( ٣ : ١٢٠ ) :

ألمَّت بملمومة كالقنا وفتيان حرب لهم توقدُ

كتب « لهم » باللام ، والصواب « بهم » بالباء ، فهم موقدوها . وكتيبة ملمومة : مجتمعة . ( فسر الشارح الملمومة بالمجنونة . وليس مثل هذا المعنى مراداً في البيت ) .

١٥٦ – وقال ( ٣ : ١٢١ ) :

ألاعب غولاً هداه الكرى إلينا تنشط وتستورد

كتب « هداه » بضمير الغائب المذكر ، والصواب : « هداها » بضمير الغائب المؤنث ، فالغول مؤنثة .

١٥٧ – وقال ( ٣ : ١٢٢ ) :

وليصلةٍ نحس حمادية إذا لسعت ريحها تبردُ

ضبط « حمادية » بالحاء المهملة ، وتكلف الشارح تفسيرها . والصواب : « جمادية » بالجيم ، قال في اللسان ( جمد ) : « قال أبو سعيد : الشتاء عند العرب جمادَى ، لجمود الماء فيه ، وأنشد للطرماح :

ليـــلة هاجت ، جماديـّة       ذات ضرٍّ ، جربياء النسام

أي ليلة شتوية ..... وقال أبو حنيفة : جمادى عند العرب ، الشتاء كله ، في جمادى كان الشتاء أو في غيرها ».

١٥٨ – وقال بشار في مديح ابن برمك (٣: ١٢٥) :

لعمري لقد أجدى عليّ ابن برمك       وما كل من كان الغنى عنده يُجدي

فجعل الشارح القصيدة في مديح جعفر بن برمك ، والصحيح أنها في مديح خالد بن برمك ، ذكر ذلك صاحب الأغاني (٣ : ١٩٢) ، وذكر ذلك بشار نفسه في قصيدته حين قال :

أخالد ، إن الحمـد يبقي لأهله       جمالاً ، ولاتبقى الكنوز على الكدّ

١٥٩ – وقال بشار يوازن بين حاله وحال محبوبه (٣: ١٢٦ - ١٢٧):

حبيبٌ قربهُ الخـــلدُ       وانّى لك بالخـــلدِ

. . . .       . . . .

ترى مـني له بـــدأ       ومالي منه من بدِّ

ضبط « ترى » بتاء المضارعة الفوقية ، والصواب « يرى » بياء المضارعة التحتيـة .

١٦٠ – وقال يمدح سلـيح بن عمرو (٣: ١٣١) :

إذا لبس الماذيَّ يوم كريهة       وشمّر يحدو الخيلَ أوفادها جُردا

رأيت إباء الملـك فوق جبينـه       يهز المنايا ، والهرقلية النقـــدا

ضبط « إباء » ، بالبـاء الموحدة ، وهي مصحفة ، صحتهـا : « اياء » بالياء التحتية . جاء في اللسان : « قال الأزهري : يقال : الأياء ،

مفتوح الأول بالمد ، والإيا ، مكسور الأول بالقصر ، وإياة ، كلـه واحد ، شعاع الشمس وضوؤها » . فممدوح بشار ملك تمت له مهابة الملك ، يبرق فوق جبينه تاج الملك ، وهو معنى ردده الشعراء ، قال ابن قيس الرقيات :

يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

وقال بشار ( ١ : ١٥٥ ) :

وعاقد التاج على رأسه يبرق ، والبيضة كالكوكبِ

١٦١ — قال بشار ( ٣ : ١٣٥ ) :

نبا بك خلف الظاعنين وسادُ ومالك إلا راحتيك عمادُ

وذكر الشارح أن عروض القصيدة محذوفة وضربها مقبوض ، ولعله من خطأ المطبعة . والصحيح : أن العروض مقبوضة ، والضرب محذوف . والبيت الأول مصرّع .

١٦٢ — وقال بشار يخاطب حبيبته عبدة أم عمرو ( ٣ : ١٤٠ ) :

وضينا من نوالكِ أن تردّي عليّ ، ولم أمت غماً ، رقادي

فقال الشارح : « رقادي ، فاعل تردي » . وهو سهو إنسانيّ ، سبحان من تنزّه عن السهو ، وصحته : « رقادي ، مفعول تردّي » .

١٦٣ — وقال بشار يتحدث إلى عبدة ( ٣ : ١٤٠ ) :

أصدُّ عن النساءِ وهن صُوَرٌ كما صدَّ الرهيصُ عن الضمادِ

فقال الشارح : « صُوَر جمع صُورة ، أي حسان ، كما يقولون : دُمية ودمى » ، ولا يحتمل وزن البيت ، وهو من الوافر ، تحريك الواو من « صور » كما ضبطها الشارح ، لذلك رأى المراجع أن تكون محرفة عن

صُور . وما جاء في الديوان هو الصحيح . يقال : صَوِرَ ، بكسر الواو ، مال ، فهو أصور وهي صوراء والجمع صُور . قال الشاعر :

الله يعلم أنا في تلفتنا يوم الفراق إلى أحبابنا صورُ

وقال جرير ( د : ٢٨٩ ) :

أنكرن عهدك بعدما يعرفنه ولقد يكنّ إلى حديثك صُورا

فبشار يذكر في بيته أنه يصدّ عن النساء ، وهنّ مائلات إليه ، يفعل ذلك وفاء منه لحبيبته عبدة التي أخلص لها الود ، ولم يشرك في حبها أخرى .

عفا من حبهن سوادُ قلبي وحبُّك يا عبيدة في السوادِ (١٤١:٣)

وبذلك يتضح معنى بشار ، ويبدو جمال الطباق بين صده وميلهن .

وأعاد الشارح تفسيره في قول بشار (٣ : ١٩٦) :

بتنا نعاطيها رهاوية وهي عكاف بيننا صورُ

والصواب أن تفسر « الصور » في البيت بالموائل .

١٦٤ — وقال بشار ينسب بسعدى بنت صقر بن قعقاع (١٤١:٣):

كدّرتِ شرب الغواني ،لاصفوت لنا وقد صفا لكِ ودّي مورداً فردي

ضبط « شرب » بضم الشين ، والشرب ، بضم الشين ، فيما روى اللغويون ، مصدر شرب أو الاسم . وليس مراداً في البيت ، والصحيح : « شرب » بكسر الشين . قال في القاموس : « الشرب ، بالكسر : الماء ، والحظ منه ، والمورد » . وفي اللسان : « الشرب ، [ بالكسر ] : الماء ... والمورد ، وجمعه أشراب » . فبشار يخاطب محبوبته خطاب المحب الذي أخلص لها ، وعزف عن كل امرأة سواها ، فكل مورد ، غيرها ، كدر .

وهذا المعنى قد كرره بشار فقال (٢٥٩:١) :

فلما لم أنل حظاً بما كدّرت من شِربي

وقال (١ : ٣٨٠):

أنتِ كدّرت شربهن فأصبحـ ـن غضاباً عليّ يذممن شربا

وقال في تكدير المورد الذي يدلّ على فساد الصلات، وانقطاع المودات (٢ : ١٧١):

أنت، لعمر الله، أوجدتها عليّ، حتى كدّرتْ موردي

وكتب في الديوان: «لاصفوت»، ورآها الشارح قلقة بموضعها نابية، فجعلها: «ماصفوت»، وأرجح أن صحة الكلام: «لاصفون لنا»، بنون النسوة بدل التاء المثناة الفوقية. فهو يأتي بجملة دعائية تؤكد إخلاصه لحبه، وعزوفه عن النساء. وبذلك يتألق معنى شطره الثاني الذي يصور فيه الشاعر توحده في حبه، ووجده بمحبوبته.

١٦٥ — وقال يذكر محبوبته (٣ : ١٤٢):

جمعن نفسي وقد كانت مفرقة بين النساء، وما أبقين من جَلَد

قال النواصح: طوبى، قدظفرت بها مكسورة الطرف بالتأنيث والرمد

ورد في البيت الأول: «جمعن» و «أبقين»، بنون النسوة، وبشار يحدث سعداه بما كان لحبها في نفسه: لقد ملك عليه قلبه فاقتصر عليها وحدها وآثرها بهواه، وابتعد عن كل النساء سواها، فلذلك وجب أن يكون الفعلان مسندين إلى تاء الفاعل:

جمعتِ نفسي وقد كانت مفرقة بين النساء، وما أبقيتِ من جَلَدِ

وهذا المعنى قد كرره بشار في شعره، كقوله (٣ : ١٣٩):

جمعتِ القلب عندك أمّ عمرو وكان مطرحاً في كل وادِ

وورد في البيت الثاني : « بالتأنيث والرمد » بواو العطف ، ومثل هذا العطف يفسد المعنى ، لأنه يثبت للعين صفة قبيحة تناقض سابقتها . وصحة الكلام « بالتأنيث لا الرمدِ » بإثبات « لا » النافية بدل واو العطف . وكسر الطرف تأنيثاً وحياء من صفات النساء المحبَّبة ، وهو عيب قبيح إن كان رمدا . وقد كرر بشار معناه في فتور العين وأغضائها ، قال ( ١ : ١١٤ ، ١٢٩ ) :

يا حسنها يوم تراءت لنـــا مكسورة الطرف بإغضـاء

وقال ( ١ : ١١٦ ) :

يتعرضْنَ لي بفـــاترة الطر فِ ، إذا أقبلت ثناها الحياءُ

وقال ( ٢ : ٧١ ) :

غراء ، ريا العظام ، آنسة مكسورة العين، زانها دَعَجُ

١٦٦ — وقال بشار (٣ : ١٤٨) :

وأعجب منها وإن أصبحت أعاجيب تستنتـج الماجـدا
تجنيكِ زينـــاً على عاشقٍ ولم يأتِ ما ساءكِ عامـدا

ورد « زينا » وهي مصحفة ، صحتها : « ذنبا » بالذال المعجمة والنون والباء الموحدة . وكلمة « تجنيك » هي خبر المبتدأ « وأعجب منها » في البيت السابق .

١٦٧ — وقال في وصف صحبه (٣ : ١٤٨) :

رزان ، إذا رعدت مزنة عليهم ، فإن يسمعوا الراعدا

وكلمة « فإن » واضحة التحريف ، ولا جواب لها ، وصحتها : « فلن » ( الفاء الرابطة لجواب الشرط « إذا » والداخلة على حرف النفي «لن» ).

١٦٨ – وقال بشار يصف إبريق الخمر (٣: ١٤٩) :

ركوب ، إذا الكأس كرت له أكب فخرّ لهـا ساجـدا

ولا مورد لكلمة « ركوب » في البيت ، ولا تناسب بينها وبين جاراتها. ولعل الصواب أن يقال :

ركود ، إذا الكأس كرت له أكب فخر لهـا ساجـدا

يصف بشار حالي الإبريق ، فهو ثابت قائم قبل الصب ، ساجد حين الصب. وتظهر براعة بشار في التلاعب بلفظي الركود ( القيام ) والسجود في الصلاة ، وتلاقي الطباق فيها . وشعر بشار يفسر بعضه بعضاً ، فقد كرر بشار معناه في مواضع عدة . قال (٢: ١١٩) :

وندمان صدق قد وصلت حديثه بأزهر ، مجّاج المدامة ، نبّاحِ

إذا فرغت كأس امرىء خرّ ساجدا وصبّ لنا صفراءَ في طيب تفاحِ

وقال في صفة الإبريق بيدي الساقي ( ٢ : ١٩٠ ) :

بيديه مثـل المصلّي من الليـ ل ، سجوداً حينا ، وحيناً ركودا

وقال في صفة الإبريق (٢ : ١٩٩) :

جاءت بأزهر لم تنسج عمامته إذا الزجاجة كادت كأسه سجدا

ريان كالريم خداه ومذبحه إن لم يرع بسجود سامراً ركدا

وأصل معنى الركود : الثبات ، وكل ثابت في مكان فهو راكد . ومنه حديث سعد بن أبي وقاص في صفة الصلاة : أركد بهم في الأولين ، واحذف في الأخيرتين ، أي اسكن واطيل القيام في الركعتين الاولين من الصلاة الرباعية ، وأخفف في الأخيرتين . والرواكد : الأثافي ، مشتق من ذلك لثباتها . وفي مثل هذه المعاني يقول أبو نواس ( د : ٢٥) :

إبريقنـــا منتصب تارة وتارة مبترِكٌ جـــاثِ

وقال ( د : ٥١ ) :

من مائلٍ فدمّت مضاحكه يقلس في الكأس بيننا الذهبا

يقلس الذهب في الكأس : يصب الخمر في الكأس . يقال : قلست النحلُ العسلَ : مجّته . وقلست السحابة الندى : إذا رمت به من غير مطر شديد . وقال ( د : ١٦٦ ) :

إلى أباريـق مفـــدّمات

يصغين للكؤوس راكعاتِ

أي يملن راكعات .

١٦٩ — قال بشار ( ٣ : ١٥٣ ) :

فبتُّ أنشـد يومَ العين مرتفقاً حتى الصباح ، وما نومي بموجود

كتب « يوم » بالياء التحتية ، وصحتها : « نوم » بالنون . ولعلها من خطأ المطبعة .

– للبحث صلة – شاكر الفحام

# تجربتي في تعريب المصطلحات العلمية

الدكتور عبد الكريم اليافي

طلبت لجنة السكان بمنظمة الأمم المتحدة في دورتها الرابعة إلى أمين المنظمة إدخال مشروع يقتضي وضع معجم ديمغرافي متعدد اللغات في برنامج عملها .

ثم عرض الاتحاد العالمي لدراسة السكان العلمية مشاركته في هذا المشروع . وتألفت لجنة من علماء بعض الأقطار لتأليف هذا المعجم . وقد هيّئت مسوّدة له سنة ١٩٥٤ أرسلت نسخ عنها إلى العاملين في بحوث السكان ليروا رأيهم في المصطلحات المؤلفة . ثم عمدت اللجنة بعد تلقيها مختلف الآراء وقبول ما هو مناسب إلى صوغ المعجم وطبعه بصيغته التي ظهر بها في الفرنسية والانكليزية والاسبانية سنة ١٩٥٨ ، وهي اللغات العملية التي كانت إذ ذاك لمنظمة الأمم أي بعد مضي أربع سنوات على نشر المسوّدة .

وفي غضون تدريسي لمادّة علم السكان بالجامعة السورية التي صار اسمها بعد حين جامعة دمشق كنت مسايراً للبحوث السكانية في أكثر الأقطار ،

فاطلعت على فكرة وضع ذلك المعجم منذ نشوئها ، كما اطلعت على نسخة المسوّدة الوقتية ثم على الطبعة الأخيرة له .

ولم تكد تلوح الوحدة بين سورية ومصر حتى قدمت اقتراحاً بوضع نسخة عربية لهذا المعجم الذي لم يمض إذ ذاك على صدوره سنة واحدة . وقد أقر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في الجمهورية العربية المتحدة هذا الاقتراح سنة ١٩٦٠ ، وعهد إليّ وإلى الدكتور عبد المنعم الشافعي من القاهرة في أمر النسخة العربية . وتقاسمنا كلانا الفصول . وعلى الرغم من انفصام الوحدة بعدئذٍ وتدابر الأقليمين الشقيقين استطعنا أن نجتمع وأن نتذاكر في النص العربي المهيأ سنة ١٩٦٣ ثم ننهي إلى المجلس الأعلى النصّ الذي اتفقنا عليه بعد جهد جاهد ومناقشات طويلة استمرت نحواً من الشهر واشتملت على نصيب من التساهل حسماً للخلاف ورغبة في الإنجاز .

ولم يكن الغرض مجرد ترجمة المعجم الانكليزي أو الفرنسي إلى العربية. وإنما كان الغرض وضع المصطلحات السكانية وتعريفاتها باللغة العربية بحيث يحمل كل مصطلح منها رقماً إلى جانب رقم الفقرة التي يرد في ثناياها . فالمصطلح محدد برقمين : رقمه هو ورقم الفقرة التي هو فيها . وذلك بالاستناد إلى المصطلحات الأجنبية ودلالاتها . وهكذا لا يوجد في كل معجم إلا لغة واحدة يمكن مقابلة كل مصطلح فيها عند الحاجة بمصطلح اللغة الأجنبية فرنسية أو إنكليزية أو إسبانية أو غيرها بالنظر إلى الرقمين . وهذا من شأنه تحديد معاني المصطلحات بإيراد تعريفات لها دقيقة مطابقة ، ومن شأنه أيضاً تسهيل الترجمات من لغة إلى أخرى في هذا المضمار وتنسيق البحوث

فيه . وذلك كله بإضافة ما هو خاصّ بثقافة أهل اللغة وعاداتهم مما يتعلق بقضايا السكان . وقد ظهر المجلد العربي سنة ١٩٦٦ في القاهرة أي بعد انسلاخ خمس سنوات على إعداده . ولقد كان هذا التأخير إجرائياً محضاً ، ولا علاقة له بإنجاز النص .

ولم نجد أنا ورصيفي عقبات بارزة في وضع المصطلحات الديمغرافية الحديثة باللغة العربية الواسعة المطواع . وإنما كانت الصعوبة في اختيار أنسب المصطلحات وأمثلها وأشفّها دلالة عن المعاني .

سأعود بعد قليل إلى هذا الموضوع لأوضح كيف تم ظهور المعجم العربي . هذا ولم نكن نعمد إلى اختراع ألفاظ غريبة وغامضة إلا عند الحاجة القصوى . وإلا فإنه متى اتضحت الفكرة وملك المرء جانباً من زمام التعبير في اللغة العربية جاء الاصطلاح يسيراً . ولعل بعض الأمثلة يوضح ما نريد .

قد يتَرَدَّدُ الذين يكتبون في علم السكان تلقاء المصطلح الفرنسي

Durée moyenne de la vie , espérance de vie .

أو ما يقابله في اللغة الانكليزية :

mean length of life, expectation of life

فيقولون : أمل الحياة أو يقولون : توقع الحياة . فلا يكاد يفهم المرء من ذلك شيئاً . وهنا نحب أن نشير إلى أن اللغات الأجنبية لغات جامدة توضع المصطلحات فيها دون أن تشف تمام الشفوف عن حقائق المعاني أو كنه المراد. إن ذاك المصطلح الأجنبي يعني ما يتحصّل إحصائياً إذا أخذنا جيلاً من الناس أي أناساً أتراباً ولدات ولدوا في سنة واحدة وطبقنا عليهم نسب

الوفيات الجارية في مجتمعهم سنة تلو سنة حتى فنائهم جميعاً وقسمنا على عددهم مجموع آجالهم . فذلك هو ببساطة كبيرة الوسط الحسابي لآجالهم أي هو « الأجل المتوسط » أو « الأجل المتوقع » لذلك الجيل إذا أردنا أن نستعمل لفظاً من ميدان حساب الاحتمال . ولا شك أن التعبير العربي هذا أشف عن المراد من الألفاظ الأجنبية المتعددة الطويلة الجامدة التي ليس فيها رونق اللفظ العربي ولا طلاقته ولا دقته ولا شفوفه . وعندما نقرأ في الصحف أو المجلات العربية موضوعاً يمس هذه الأمور نعجب من كاتبها أو مترجمها حين يقولون ما معناه أن حياة الانسان قد طالت في العصر الحاضر . وإنما الذي طال هو الأجل المتوسط للمواليد بسبب نقص وفياتهم خلال العام الأول من حياتهم . ولا شك أن اختيارنا لهذا التعبير العربي متصل بمصطلحات ديمغرافية أخرى يلزم تفريق بعضها عن بعض . وهي « العمر المتوسط » وهو الوسط الحسابي لجماعة من الناس أحياء من أجيال شتى . و « العمر الوسيط » وهو العمر الذي يقسم جماعة من الناس أو مجموع الناس في المجتمع إلى شطرين متساويين عدداً . و « العمر المعتاد أو النظامي » وهو العمر الذي يبلغ عدد الوفيات في جيل مُتَتَبَّع نهايته العظمى أو أوجه ، أو هو « المنوال » لعدد الوفيات في الجيل بالتعبير الإحصائي . وهو ما أشار إليه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في بعض حديثه لما بلغ الخامسة والستين حين قال ما معناه أنه أمسى في معترك المنايا ، دون أن يكون لديه علم بهذا المصطلح الإحصائي ، وإنما هو الحدس الإنساني البليغ . و «الأجل الوسيط» أو «الأجل المحتمل» ، وهو العمر الذي يصبح عدد الجيل فيه نصف ما كان ، هنا نستقرىء عدد الجيل سنة فسنة ، بل بعض

أجزاء السنة حين يتتابعون إلى الموت (التتايع بالياء هو التتابع إلى أمر مكروه) . أما العمر الوسيط الآنف فهو يتعلق بجماعة من الأحياء فقط أياً كانوا فيقسمها قسمين متساويين .

وقد احتجنا في بعض المواضع إلى اعتماد ألفاظ قل استعمالها وإن كانت سليمة صحيحة . ففي فن التوليد « تصنف الأمهات الحوامل اللواتي قرب مخاضهن بالنظر إلى الأمومة إلى أبكار أو خُرُسٍ وضوانئ سبق أن وضعن . أما اللاتي لم يضعن قط فيجوز دعوتهن العوط جمع عائط » . وقد شرحنا أمثال هذه الألفاظ في الحواشي ، وأضفنا إليها استعمال ألفاظٍ أخرى . هذا وإن لفظ العائط ، وقد يجمع على عيطٍ أيضاً ، أوسع من لفظ العقيم لأن العائط ربما لا تكون عقيماً .

والألفاظ الأجنبية في فن التوليد مصطلحات علمية حديثة لا يفهمها إلا الأطباء وأصحاب الاختصاص وعلماء الأحياء . فالخروس تقابل في الفرنسية Primipare ، وفي الانكليزية Primiparous . ولها مرادف باللغة العربية وهو البكر . ولكن هذا اللفظ في لغتنا له عدة معان نقتصر منها هنا على معنيين : الأول البكر العذراء وجمعها أبكار والمصدر البكارة ، والثاني البكر المرأة والناقة إذا ولدتا بطناً واحداً ، وهو ما أردناه في ذلك السياق . وتستشهد كتب اللغة على هذا المعنى بقول أبي ذؤيب الهذلي :

وإن حديثاً منك لو تبذلينه جنى النحل في ألبان عوذٍ مطافل

مطافيلَ أبكارٍ حديثٍ نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل

كما تورد قول أبي الهيثم شارحاً هذه التسمية حين قال : « والعرب تسمي التي ولدت بطناً واحداً بكراً بولدها الذي تبتكر به » . ولقلة

شيوع المعنى الثاني أردفنا لفظ الأبكار بالخُرُس جمع خروس وهي البكر في أول حملها . هذا والشيء بالشيء يذكر . فالخُرْس طعام الولادة كالخِراس، ثم صارت الدعوة للولادة خرساً وخراساً . والخُرسة بهاء ماتطعمه النفساء نفسها على حد إيضاح ابن جني .

ومهما يكن من أمر فقد سبقت العربية إلى وضع تلك المصطلحات الحديثة !

كذلك لم نجد في بحوث الولادة والإسقاط والتعمير والمرض والوفاة حرجاً من جانب اللغة العربية بل كانت تمدنا بألفاظ وتعابير غنيّة وسهلة إلى درجة أن رصيفي قال بعد تردد : إن الألفاظ العربية التي ضربنا صفحاً عنها ربما يحتاج العلم إليها في المستقبل عند تقدمه أشواطاً جديدة .

يمكن إيراد أمثلة أخرى في أرجحية التعابير العربية الحديثة على أمثالها في اللغات الأجنبية أو مكافأتها لها . ولكن هذا الموضوع يقتضي تفصيلاً وربما لا يستسيغه الذين ليس لهم اختصاص في هذا الميدان مادام البحث قضية تعريب المصطلحات العلمية .

وليس معنى ذلك أننا نجد في العربية ما يقابل جميع المصطلحات الأجنبية الحديثة . هيهات هيهات ! ولكن في مجال التنقيب والاشتقاق بأنواعه والنحت والتركيب والإبدال واعتماد مقاييس اللغة الكثيرة و «تطويع» الألفاظ الأعجمية وغيره سعة أيّ سعة .

لنعد إلى أمر المعجم الديمغرافي المتعدد اللغات ولنبين مشكلات تتعلق بمسألة شيوعه وانتشاره واعتماده . وهو أنه بعد انفصال الأقليمين الشقيقين مصر وسورية واعتماد مخطوطة المعجم العربي أرسل إليّ مدير لجنة المعجم الدولية نسخة مطبوعة لها يسألني رأيي فيها قبل اعتماد تلك اللجنة لها إذ كنت

صاحب الاقتراح الأول . فتجشمت عناء المراجعة الدقيقة لهذا المجلد العربي وأثبت جدولاً بالأخطاء المطبعية والألفاظ التي سقطت أثناء الطبع ثم أجزت الكتاب بشرط أن ينشر الجدول بذيله . بيد أن المجلد العربي نشرته وزارة الثقافة دون إثبات التصحيح ، مع أن المعجم كل معجم ينبغي أن يكون خلواً من التحريف والتصحيف والسقطات وأمثالها . وقد طبع منه خمسمائة نسخة فقط كما ترامى إلي ولم يرج الرواج اللازم له في الجامعات والمعاهد مع حاجتها إليه . كذلك لم تصلني إلا النسخة التي بعث بها مدير لجنة المعجم الدولية إلي مع أني صاحب المشروع وقد تابعته من أوله إلى آخره .

ومع عيوب هذا المجلد العربي فقد استفادت منه الجمعية الإحصائية للبلاد العربية ، وأصدرت « قاموس المصطلحات الإحصائية والديموجرافية » ( انجليزي عربي ) ، لا يحمل تاريخاً ، ترجمة عبد المنعم الشافعي وحسن محمد حسين وأحمد عبادة سرحان وخطاب محمد حسنين . أشاروا في مقدمة هذا القاموس إلى أنهم اعتمدوا في جملة ما اعتمدوه « المعجم الديموجرافي المتعدد اللغات » الذي شاركت في وضعه . وكذلك أصدر « المركز الديموجرافي لشمال أفريقيا بالقاهرة » سنة ١٩٦٧ « القاموس الثلاثي للمصطلحات الإحصائية والديموجرافية » ( عربي - إنجليزي - فرنسي — عربي ) أشار زميلي الدكتور عبد المنعم الشافعي مدير المركز إذ ذاك في تصديره إلى المعجم الديموجرافي الأول .

إن التوفيق في وضع أمثال هذه المعجمات ليس أمراً يتعلق بالبلاد العربية وحدها . بل هو شأن ثقافي وإنساني له علاقة بأقطار متعددة تجمعها

والبلاد العربية جذور ثقافية أصيلة قوية . فلقد كتب إليّ الاتحاد العالمي لدراسة السكان العلمية يسأل عن أخبار المجلد العربي بعد ذيوع إنجازه لأن بعض البلدان تطلبه لوضع معجمات بلغتها مما له صلة بالثقافة العربية كإيران وباكستان وأندونسية وتركية .

ذلكم أن قضايا السكان وما يجري مجراها من مواليد ووفيات وزواج وطلاق ذات وشائج عميقة باعتبارات حضارية شاعت وعمّت أقطاراً متعددة . ولما كانت اللغة العربية مَعيناً ثرّاً في الماضي لمختلف اللغات فقد تجد هذه اللغات عوناً ما أو رفداً حين تصادف ضالاتها ميسرة مذللة بسيطة في اللغة العربية . وهكذا يكون عكوف الباحثين في البلاد العربية على اللحاق بالتراث العالمي في مصطلحاته دعماً أكيداً لزملائهم في كثير من الأقطار الناهضة .

على أن العلم في تقدّمه لا يقف عند معجم أو كتاب بل هو حثيث السير قُدُماً تنبت على صعيده المصطلحات الحديثة كل يوم . ولهذا أصبح « المعجم الديموجرافي المتعدد اللغات » عليه مَسحة من القدم بالنسبة لعلم السكان الحالي وبالنسبة لمصطلحات جمّة مستجدة . فعمد الاتحاد العالمي لدراسة السكان العلمية منذ حين إلى تأليف لجنة جديدة تضع معجماً جديداً على غرار المعجم القديم ولكنه أوفى منه بالحاجات العلمية الناشئة . ولما يتهيأ لهذا المعجم الظهور .

وليس هذا التأخر في وضع المعجم الجديد بأقل منه في وضع المعجم الأول . وذلك لصعوبة تجميع المصطلحات الجديدة ولمّ شعثها واصطفاء أصحّها وأمثلها في لغات عالمية كالانكليزية والفرنسية وغيرهما ومقارنة بعضها

بعض . ومما هو جدير بالتنويه أن معجمنا العربي الذي تكلمنا عليه سبق في ظهوره كثيراً من المعجمات الأجنبية كالمعجم الألماني والسويدي والتشكسلوفاكي وغيرها . ونحن لا نشك في قدرة اللغة العربية على استجابتها لتقدم العلوم . وإن كان هنالك مشقات فإن في جميع اللغات مشقات في ابتداع المصطلحات الحديثة والتقاطها واختيار المناسب منها . ومن يطالع تاريخ اللغات الأجنبية وتكونها ومشكلات مصطلحاتها الحديثة يغمره العجب من مرونة لغتنا العربية وسعتها كما يبهره الإعجاب بها .

نورد مثالاً بسيطاً على مرونة اللغة العربية فنأخذ كلمة في علم السكان فرنسية شائعة وهي Statistique de l'état civil ومقابلها بالانكليزية Vital Statistics . وعلى الرغم من أن لفظ vital من أصل لاتيني لم يعتمده الفرنسيون في هذا السياق . ونحن في اللغة العربية نقول : «إحصاء الأحوال المدنية » مقابل المصطلح الفرنسي و « الإحصاء الحيوي » مقابل المصطلح الانكليزي ، وإن كنا نرغب في الاقتصار على اصطلاح واحد . وقد أصبح التعبير العربي المقابل للفظ الانكليزي أشيع وأعمّ لتأثير اللغة الانكليزية في كثير من الأقطار العربية ولذيوعها العالمي .

اللغات الأجنبية ضيقة ضحلة . مثال ضحلها وضيقها أيضاً أن اللغة الانكليزية حين تريد أن تفرّق بين معدل الوفيات Death rate أو المَوَتان — على حد تعبير ابن خلدون وأشباهه القدماء — ونسبة الوفيات أي احتمالها Mortality rate ، تعمد إلى اللغة اللاتينية وهي لم تتحدّر منها فتستعير اللفظ mortality . أما اللغة الفرنسية فإنها تعمد إلى تغيير لفظ المعدل Taux de mortalité فتستعمل لفظ خارج القسمة للدلالة على

الثاني فتقول quotient de mortalité . ولسنا ههنا بصدد بيان الألفاظ العربية الكثيرة الدالة على الهلاك بأشكاله المتنوعة وسياقاته المتفاوتة ، حفظ الله على القراء حياتهم وأمد في أعمارهم وأمتعهم بخيرات الدنيا والآخرة . فهم يعرفونها ، أو يسعهم الرجوع إليها في كتب اللغة الشهيرة .

* * *

ربما يرد إلى الذهن أننا في ميدان علم السكان على صعيد خاص قد بلا العرب قديماً فيه مختلف الصروف ورصدوا شتى اللحظات واللاوات والتقلبّات . ولكن كيف بنا إذا عالجنا موضوعاً يتعلق بالمستحدثات الجديدة والأساليب المستطرفة كما في الفيزياء الحديثة .

نقول أولاً : إننا نقرأ البحوث العربية المتباينة في هذا الميدان ونعجب للخلل الذي يعتورها واللبس الذي يشوبها والركاكة التي تخامرها والإبهام الذي يكتنفها سواء كان ذلك في علم السكان أو غيره ، وذلك من قلة احتفال مؤلفيها باللغة العربية وضآلة ممارستهم لبيانها .

ونقول ثانياً : نحن لا ندّعي أنا نملك أداة البيان العربي ولا أنا مطلعون على خزائن اللغة العربية وكنوزها . ولكن جلّ ما نفخر به أننا نحترم هذه اللغة العظيمة ونقدرها حق قدرها ونحاول أن نعرب بها إعراباً دقيقاً عن أفكارنا ومشاعرنا . هذا وقد أتيح لنا في الماضي أن نعالج فيها بعض البحوث العلمية الفيزيائية الحديثة فلم نجد فيها حرجاً ولا من جانبها ازوراراً ولا في وضع المصطلحات فيها عقبات . وقد راج بعض هذه المصطلحات ، وقُيّد بعض آخر – لم أشرح كيف صفته – تقييد قاف رؤبة ، على حد تعبير أبي العلاء المعري ، لم يقدر لها إجراؤها .

فلقد نظرنا في الأجزاء الصغيرة القصوى للضوء وللمادة ، فاشتققنا لفظ السُّنَيَّة من السنا بعد تصغيره وإضافة تاء التأنيث مقابل لفظ فوتون Photon حتى خيِّل إلينا من لفظها أن حبَّة النور هذه تلعب وتتوثب في الشعاع وذلك في قسم « البوزيات Bosons » وهي الأجزاء الدقيقة التي تخضع لإحصاء بوز - أينشتين .

وعمدنا إلى الأوبِّل مقابل لفظ بروتون Proton فاستبدلنا الميم من المعتدل باللام فأصبح معنا الاويِّم مقابل نيوترون Neutron كما استبدلنا أيضاً بها النون من أول لفظ النواة فصار معنا الأوبِّن Nucleon ، وهو الجزء الأصلي من نواة العنصر .

وكذلك قلنا ما قاله غيرنا الكهرب مقابل إلكترون Electron ثم بدلنا الباء سيناً للإشارة إلى كونه سالباً فصار كهرساً مقابل Negaton ، وبدلنا الباء جيماً فصار كهرجاً مقابل بوزيتون أو بوزترون Positon ، أو Positron ، وهلم جرا . ولست أريد أن أسرف في التعداد لأنه ليس هنا موضعه . ولكن أحب أن أشير إلى أن هذه الاصطلاحات العربية تبرز سلالات الأجزاء الدقيقة تلك وتظهر أسَرَها التي تتحدر منها ولا يَغْمُشُها التركيب الأجنبي الذي لا يميز تلك الأسَرَ والسلالاتِ بعضها من بعض حين يجريها على نسق واحد باضافة اللاحقة On .

ولا يخفى أن عملنا هذا من ضروب المقترحات . ولسنا نحاذر من استعمال اللفظ الأجنبي لشيوعه وعمومه في مجال العلم . ولكننا أردنا أن نضرب أمثلة على سهولة التعريب عند قصده ويسر العثور على مصطلح يناسب طبيعة اللغة العربية . وإلا فليس ما يمنع من تداول المصطلح الأجنبي على أن يحسن ضبطه وإملاؤه .

وثمة أجزاء دقيقة متعددة حديثة من نوع « الخفائف Leptons » التي يدخل فيها الكهرب ، وأخرى من نوع « الثقائل Baryons » التي منها الأويل . وكلا النوعين من « الفرميات Fermions » التي ينطبق عليها إحصاء فيرمي — ديراك .

ويختلف « البوزيات » عن « الفرميات » بخصائص عدة ولا سيما بما دعوناه « اللاف Spin » .

وإذا أمكن إبقاء تلك الألفاظ الأعجمية على حالها — ولا بأس عندنا في ذلك — بقيت تعابير لا بد من اختيار مقابلاتها العربيات أمثال علائق الارتياب والحتمية واللاحتمية ومبدأ الاشتباه وغيرها . بل إننا نجد أحياناً أن اللفظ العربي أسلم تعبيراً من اللفظ الأجنبي . فمن المعروف أن لفظ الذرة التي قوبل بها اللفظ الأجنبي « أتوم » أصلح من هذا اللفظ ، لأن اللفظ الأجنبي وضع ظناً أن مدلوله لا يتجزأ . ولكن تقدم العلم أفضى إلى تجزئة الأتوم الذي أصل معناه أنه لا يتجزأ . فهنالك تناقض بين اللفظ ومعناه ، يشهد على ذلك نظرية « الجزء الذي لا يتجزأ Atomisme Atomism » ، وهي قضية فلسفية وعلمية شغلت الهنود واليونان والعرب قديماً ، وما تزال تشغل الفكر الانساني في العصر الحاضر . وخلاصتها في نظر العلم الحديث أن المادة أو الضوء في أحد اعتباريها وهو الجسيمي لا الموجي يقف انقسامه عند حد ، فهو لا ينقسم إلى ما لا ينتهي من الأجزاء . فهذه النظرية التي كانت باشتقاق لفظها الأجنبي تعتمد على لفظ الأتوم في أوائل العصر الحاضر قد تجاوزت حقيقة الأتوم الذي تجزأ إلى التساؤل عن الكهرب وعن السُّنَيّة وأمثالها أقابلة للتجزئة هي أيضاً أم لا . وعندئذ

تبدو نظرية الجزء الذي لا يتجزأ أعمق من فكرة تألف المادة من الذرات ما دامت الذرة قد انقصمت جسيمات ضئيلة . وهكذا بالتعبير العربي يزول اللبس الذي يوحي به التعبير الأجنبي عن تلك النظرية .. وأياً كان الأمر فليس غرضنا التنويه بمزايا اللغة العربية والخفض من اللغات الأجنبية التي بلغ بها أبناؤها شأواً متقدماً . بل نحن نرى أن لكل لغة مزايا يبرز بعضها في مجال ويختفي في مجال آخر .

وإذا التمسنا تشبيهاً لمزايا مختلف اللغات استطعنا أن نجد ذلك في الجمل العددية المتعارفة أو نظم العد في الحساب من جملة عشرية شائعة ذائعة ومن جمل أخرى كالجملة الاثنينية أو الثنائية والثلاثية والسداسية والاثني عشرية وغيرها . فمن المعروف أنه يصعب علينا إفادة الثلث بتمامه في الكسور العشرية وتسهل إفادته سهولة بارزة في الجملة الثلاثية ، التي أساسها الثلاثة دون العشرة . وكذلك النصف تسهل إفادته التامة في الجملة العشرية وفي الجملة الثنائية وتصعب في الجملة الثلاثية . وهكذا دواليك إذا توسعنا في أنواع الجمل الحسابية وإفادة الكسور في كل منها . وعلى الرغم من شيوع الجملة العشرية وذيوعها نجد في العصر الحاضر أهمية الجملة الثنائية في ميدان الحاسبات الكهربية . وهكذا اللغات . لكل لغة مزايا وإفادات يسيرة سهلة في بعض الميادين كما قد تصادف عقبات في ميادين أخرى . ومع تلك العقبات والمزايا تلتزم الأمم بلغاتها وتعلّم بها وتربي أبناءها على بيانها وتتعهدها بالصون والتجويد والتدقيق والإساغة والإشاعة والتزويد والترويض وغير ذلك . وما رأينا إلا الأمم المتخاذلة أو الصغيرة أو المنقرضة تتجافى عن بيانها الأصيل .

* * *

لقد بسّطنا الأمور تبسيطاً شديداً على عمـــد للتخفيف من مشكلة التعريب . ولا شك أن البلاد العربية أمام عقبات هائلة من مصطلحات العلوم المختلفة الواسعة الزاخرة . وعندنا بوارق أمل في أعمال مجامع اللغة العربية ومكتب تنسيق التعريب وجامعات البلاد العربية ومعاهدها في تذليل تلك العقبات وتعبيد الطرق إزاء المصطلحات الأجنبية أو استعمال بعضها . ولكن هذه القضية ليست مشكلة كبيرة في رأينا . فهي قضيـة تنطرح في مختلف اللغات حتى اللغـات الحديثة المتقدمة . ومن مارس مشكلة المصطلحات الحديثة واضطرابها في اللغات الأجنبية يعرف مزالق هذه المشكلة ومصاعبها كما يعرف الاختلاط والتناقض فيها أحياناً . ولذلك يلجأ الاختصاصيون في تلك الأقطار إلى كفكفة ذلك الاضطراب وتقليله وتنسيقه بعقد الندوات ووضع المعجمات ونشر البحوث . إن الأفكار حين تشيع بين المثقفين أو المختصين لا بد من أن يواتيهم التعبير عنها بمصطلح أو بآخر .

ولكن المشكلة في رأيي عندنا هي مشكلة معرفة اللغة العربية . فلقد انجاب ليل التأخر في البلاد العربية عن نهضة سبقت لا مثيل لها في البيان وفي السعي لوضع المصطلحات الحديثة . حتى إن العلماء الأجانب استطاعوا في مدة يسيرة أن يتعلموا اللغة العربية وأن يكونوا أصحاب بيان سليم في الميدان العلمي . هل نذكر مثلاً العالم الأمريكي كرنليوس فان ديك الذي علّم في الجامعة الأمريكية ببيروت وكتب كتباً سليمة التعبير دقيقة الدلالة سائغة الفهم في الفلك والفيزياء وفي غيرهما؟ هذا بصرف النظر عن مراكز التعليم العالي التي كان يشرف عليها في فجر النهضة من أبناء البلاد من هم عنوان فخر في هذا المضمار ، كما حدث مثلاً في كليتي الطب والحقوق بالجامعة السورية زمناً سابقاً . ولكن العجب أن

انبعاث اللغة العربية في شتى الميادين قد خبا نوره الآن وآل إلى اللكنة الداوجة واللخلخة المقيتة والركاكة المتفتفة وأمثال هذه العيوب بسبب الدعوة إلى تسهيل اللغة وانصراف الأبناء عن لغة آبائهم الجميلة. كم يعيب البلاد العربية أن أساتذتها في مختلف معاهدها قلّ منهم من يستطيع إلقاء الدروس بلغة سليمة أو كتابة صفحات يسيرة دون لحن ولا غموض ولا ركاكة! هذا إذا ضربنا صفحاً عن خلل الكتابة الأدبية وتهالك الأساليب الصحفية في سدفة التعابير الحديثة.

القضية عندنا إذن قضية إلمام باللغة العربية. وليست لغتنا صعبة كما يتوهم أو يدّعي فريق من الناس الأدعياء: فكثير من اللغات ربما يوز شبيهاً بالعربية في غناه كالروسية مثلاً، وزاد على العربية في تصعب أشكال إعرابه المتمددة كالروسية أيضاً فضلاً عن الصينية واليابانية وأمثالها. أقول قضية إلمام باللغة العربية فلا يحتاج الأمر إلى التبحر فيها. بَيْدَ أنّ الإلمام باللغة العربية وضبط مبادئها موضوع مستقل ندعو إلى معالجته معالجة سليمة والتفكير فيها تفكيراً صحيحاً مجدياً. ولن يعدم الباحثون فوائد تعود بالخير والنجاح. فاللغة نسغ الحياة الفكرية، ومطية الثقافة الانسانية، وسبيل تحقيق القيم الرفيعة. بل هي أغلى الروابط القومية، وأعلى الأواصر الحضارية.

عبد الكريم اليافي

# الصفة الغالبة

## الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي

هذا بحث طريف لم نر من عرض له . وإذا كنا قد بسطنا القول فيه ومددنا أطرافه ، فذلك أن ذهابه على كثيرين قد أدّاهم إلى مذاهب من الرأي لا ينجلي بها شك ، وموارد من الحكم لا ينتفي بها ريب . وقد اعتمدنا في هذا القصد نصوصاً قد تناثرت في الأمهات فضممنا بعضها إلى بعض ولاءمنا ذات بينها ، فكان لنا من ذلك معالم في طريق البحث ولوائح في سبيل التبيين والكشف .

الأصل في ( الصفة ) أن تجري على موصوف يتقدمها . فإذا دلت في الاستعمال على ( موصوف معين ) واستغنت عن ذكره ، فقد ضارعت الأسماء ، وأنزلت منزلتها وأسميت ( الصفة الغالبة ) لغلبة استعمالها كالأسماء .

فـ ( النكباء ) مثلاً ، صفة ( الريح ) . فإذا دلّت على هذا ( الموصوف المعين ) واستغنت عنه ، فقيل : ( هبت النكباء ) يراد بها ( ريح ) معينة ، فقد أنزلت منزلة الأسماء وكانت ( صفة غالبة ) . وقد عرض الرضي في شرح الكافية للصفات الغالبة ( ٢/١٨٢ ) في صدد ذكر

الفارق بين ( المصغر ) و ( سائر الصفات ) فأوضح أنه لا بد للصفة من ( موصوف ) تعتمده ، يذكر قبلها . ذلك أنها لا تدل في الأصل على ( موصوف معين ) . فإذا دلت على هذا الموصوف ، استغنت عن ذكره وكانت كالمصغر والصفة الغالبة . قال الرضي : ( كل صفة تدل على الموصوف المعين ، لا يذكر قبلها ، كالصفات الغالبة ) . فإذا قلت ( رُجَيل ) على التصغير فقد قصدت ( الرجل الصغير ) ودللت بذلك على الصفة والموصوف المعين معاً ، وكذلك الصفة الغالبة ، فقولك ( النكباء ) يعني ( الريح التي تنكبت عن الرياح الأربع ) . قال الجوهري في صحاحه : ( والنكباء الريح الناكبة التي تنكبت عن مهاب الرياح ) . وقال المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ( ٨٠٦ ) : ( والنكباء ريح تنكبت عن الرياح الأربع ) . وقال ابن سيده في المخصص ( ١٦ / ٤٤ ) : ( فعلاء صفة غالبة غلبة الأسماء .. النكباء : كل ريح تهب بين مهبّ ريحين .. وإنما قال نكباء لأنها تنكبت عن مهبّ هذه ومهبّ هذه ) . وهكذا دلت ( النكباء ) على الصفة والموصوف المعين جميعاً . فإذا استقر هذا وعرف ، فإن تميز ( الصفة الغالبة ) عن ( الصفة الأصلية ) الجارية على موصوفها ، لا يقوم باستغنائها عن الموصوف وحسب ، وإنما يتجلى إلى ذلك بما تنفرد به دون ( الصفة الأصلية ) التي بنيت عليها ، من خصوص الدلالة . فـ (النكباء) في قولك ( الريح النكباء ) أي الناكبة ، عموم في الدلالة لأنها صفة جارية على موصوفها ، فهي تصف ( الريح ) بأن من شأنها أن تتنكب عامة ، وهي لا تختص بـ ( الريح ) . أما ( النكباء ) من قول المرزوقي ( والنكباء ريح تنكبت عن الرياح الأربع ) وقول ابن سيده : ( النكباء

كل ريح تهب بين مهب ريحين ) ، فإنها ( صفة غالبة ) لا تجري على موصوف ، يذكر أو يقدر ، جري الصفات . ذلك أن لها ( موصوفاً معيناً ) لا تعدل عنه ، ومؤدى خاصاً لا تفارقه . ومن هنا أنزلت منزلة الأسماء . قال الشيخ ناصيف اليازجي في كتابه ( نار القرى في شرح جوف الفرا ) : ( وقد يلزم الاستغناء بالصفة عن الموصوف فتجري مجرى الجوامد . ومن ثم لا يقدر لها موصوف ، ولا تتحمل ضميراً ، كالأدهم المراد به القيد ، فإنه في الأصل صفة ثم جعل اسماً ، فتقول في رجله الأدهم ، ولا تقول : القيد الأدهم ، وبهذا الاعتبار تكون الصفة قد صارت موصوفاً فتوصف ، نحو : إذا عُرِض عليه بالعشي" الصافنات الجياد ، الآية ، وقس عليه ). ومن أجل هذا استحقت ( الصفة الغالبة ) أن تجمع جمع الأسماء . فكل ( صفة ) بابها في الجمع ( التصحيح ) أي جمع السلامة ، كسرت تكسير الأسماء إذا غدت ( صفة غالبة ) . وكل (صفة) بابها في الجمع (التكسير) عُدل بها عن بابها كلما آلت إلى ( الصفة الغالبة ) ، فجمعت جمع الأسماء .

فمن الأول ما كان على ( فاعل ) صفة لمذكر عاقل . فقد نص العلماء على تصحيحه غالباً ، ومنع تكسيره على ( فواعل ) خاصة ، لأن هذا هو جمع ( فاعل ) اسماً أو صفة إذا كان لمؤنث عاقل أو مذكر غير عاقل ؛ أو جمع ( فاعلة ) اسماً وصفة . فإذا فارق ( الوصفية ) إلى ( الصفة الغالبة ) صح تكسيره . ومن الأول أيضاً : كل صفة من اسم فاعل أو مفعول بدىء بالميم ، أو صفة مشبهة عدا ما استثني منها ، فإذا عدل بها عن أصلها فضارعت الأسماء ، كسرت تكسيرها .

ومن الثاني : ما كان صفة على ( فعلاء أفعل ) ، فإن بابه ( التكسير )،

فإذا أنزل منزلة الأسماء صحح كما صححت الأسماء من ( فعلاء ) .

وقد جاء في الأشباه والنظائر للامام السيوطي ( ٢/١٥٧ ) فيما كان جمعه على التصحيح من الصفات : ( قال في البسيط : كل صفة كثر ذكر موصوفها ضعف تكسيرها لقوة شبهها بالفعل ) . ذلك أنه لما كثر استعمال الصفة مع موصوفها فقد جرت على أصلها واستحقت أن تجمع جمع تصحيح ، كما هو شأن الصفات غالباً . وقال ( وكل صفة كثر استعمالها من غير موصوفها قوي تكسيرها لالتحاقها بالأسماء : كعبد وشيخ وكهل وضيف ) . ذلك أنه لما كثر مجيء الصفة دون موصوفها فقد فارقت أصلها فضارعت الأسماء واقتضت التكسير ، كما هو شأن الأسماء عامة .

وقال الرضي في شرح الشافية ( ٢/١١٦ ) : ( إعلم أن الأصل في الصفات أن لا تكسر لمشابهتها الأفعال وعملها عملها ، فيُلحق للجمع بأواخرها ما يلحق بأواخر الفعل ، وهو الواو والنون ، فيتبعه الألف والتاء لأنه فرعه ) . وإذا كان الرضي قد قال هذا في صدد الكلام على الصفات الثلاثية ، فقد جاء الحكم به عاماً ، في كل ما كان بابه التصحيح . وقد حدده الرضي فقال ( ٢/١٨١ ) : ( والوصف الذي يجمع بالواو والنون : اسم الفاعل والمفعول وابنية المبالغة إلا ما استثني ، والصفة المشبّهة ) .

ولنبدأ بـ ( فاعل ) . قال الرضي في شرح الشافية حول جمع (فاعل) صفة لمذكر عاقل ، إذا انتقل من الصفة إلى الاسم : ( وإذا انتقل فاعل من الصفة إلى الاسم كراكب الذي هو مختص براكب البعير ، وفارس الذي هو مختص براكب الفرس ، وراع المختص برعي نوع مخصوص ، ليست كما ترى علي طريق الفعل من العموم ، فإنه يجمع في الغالب علي

فُعلان ) . وقال سيبويه في الكتاب ( ٢٠٦/٢ ) : ( كما قالوا في الصفة التي ضارعت الاسم ، وهي اليه أقرب من الصفة الى الاسم ، وذلك راع ورعيان وشاب وشبان ) . وجمع ( فُعلان ) هذا في الأصل للأسماء دون الصفات كما جاء في الهمع ( ١٧٨/٢ ) .

وقال ابن يعيش في شرح المفصل للزمخشري ( ٥٤/٥ ) : ( الباب في فاعل إذا كان وصفاً نحو كاتب وضارب أن يجمع بالواو والنون ، وقد يكسر بحكم الاسمية ، فإذا كسّر المذكر فيه كان على فُعّل ، قالوا شاهد وشُهّد . . وعلى فُعّال ؛ قالوا : شُهّاد وجُهّال ورُكّاب وذلك كثير ) .

وجاء في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ( ١٠٣ ) حول قول بشّامة النهشلي :

إن تُبتدر غايةٌ يوماً لمكرمة      تلق السوابق منّا والمصلّينــــا

( يقول إن تستبق نهاية مجد أو غاية مكرمة ترَ السابقين منا والتالين أيضاً منا ، وإنما قال المصلين ولم يقل المصليات مع السوابق ، لأن قصده إلى الآدميين ، وإن كان استعارهما من صفات الخيل ) . وأردف : ( ويجوز أن يكون أخرج السوابق لانقطاعه عن الموصوف في أكثر الأحوال ، ولنيابته عن الجلين ، وهو اسم الأول منها ، إلى باب الأسماء فجمَعه على السوابق ، كما يقال : كاهل وكواهل ، وغارب وغوارب ) . فـ ( سابق ) إذا كان وصفاً لمذكر عاقل ، جمع جمع تصحيح ما دام جارياً على فعله . فإذا أفرد عن موصوفه فشابه الأسماء كُسّر تكسيرها كما رأيت في جمع كاهل على كواهل ، وغارب على غوارب . وقال البغدادي في خزانته

حول جمع ( فارس ) على ( فوارس ) : ( ١/٢٠٦ ) ، ( فقالوا إنه من الصفات التي استعملت استعمال الأسماء فقرب بذلك منها ، ولأنه لا لبس فيه كما ذكر سيبويه من أن الفارس في كلامهم لا يقع إلا الرجال ).أي أن له موصوفاً معيناً لا يذكر قبله . وغريب على هـذا أن يطلق الاستاذ محمد العدناني في معجمه ( الأخطاء الشائعة ) جمع ( فاعل ) إذا كان وصفاً لمذكر عاقل ، على ( فواعل ) ، دون شرط من مضارعة الاسم . كما أطلقه الأستاذ عباس حسن عضو مجمع اللغة العربية بالقـاهرة في سفره ( النحو الوافي – ٤/٤٥٦ ) ، فقال : ( والحق أن صيغة فاعل تجمع قياساً على فواعل سواء أكان صفة للمذكر العاقل أم غير العاقل . غير أن مراعاة الشرط أفضل ) ، وكان قد نحا هذا النحو ، الأستاذ علي السباعي في مجلة الأزهر ( الصادرة في حزيران ١٩٦٨ ) . وحجتهم جميعاً ، ماجاء من ذلك سماعاً ، وقد بلغ الثلاثين أو جاوزها . أقول لا مساغ البتة لإباحة جمع ( فاعل ) على ( فواعل ) إذا كان وصفاً لمذكر عاقل . ولا عبرة بما جاء منه على هذا النحو ولو فاق الثلاثين . إذ لا مندوحة عن تعرف حال الصفة ، فاذا جرت على الفعل فلا بد من تصحيحها ، كقولك (هؤلاء ذائعو الصيت ) و ( مانعو الزكاة ) . وإلا فهل تقول في هذا : ( هؤلاء ذوائع الصيت ) و (موانع الزكاة ) ؟ ، وقد جاء في التنزيل : ( التائبون العابدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين – التوبة/١١٣ ) . أفيصح أن نقول في معناها ( التوائب العوابد السوائح الرواكع السواجد الأوامر .. ) ؟

وأعجب من ذلك وأذهب في الغرابة إطلاق مجمع القاهرة في دورته

الـ ( ٣٦ ) جمع مفعول على مفاعيل ، دون تفريق بين صفة جارية على فعلها ، وأخرى مضارعة للاسم . فإذا صحّ هذا قلت : ( حوادث مشاهيد ، وأيام معاديد ، وأشياء مواضيع ، في معنى قولك ( حوادث مشهودة أو مشهودات ، وأيام معدودة أو معدودات ، وأشياء موضوعة أو موضوعات ) وكان لك أن تقول في معنى الآيات ( إنا لمردودون – النازعات / ١٠ ) و ( إنهم لهم المنصورون – الصافّات / ١٧٢ ) و ( الحج أشهر معلومات – البقرة / ١٩٧ ) و ( أكواب موضوعة – الغاشية / ١٤ ) : ( إنا لمراديد ) و ( إنهم لهم المناصير ) و ( الحج أشهر معاليم ) و ( أكواب مواضيع ) . بل لو صح ما نزعوا إليه لجاز لك أن تقول : ( هؤلاء مسارير أو مآسير أو مشاكير أو مآجير .. ) جمع مسرور ومأسور ومشكور ومأجور ..

وسنعقد في ذلك فصلاً برأسه نكشف فيه عن أن كثيراً مما قيل بشذوذه في هـــذا الباب ، إنما كان جمعه لسبب اقتضاه حاله من حيث مضارعته للاسم ، وعدم جريانه على الفعل .

* * *

هذا فيما جمع من الصفات جمع تصحيح . أمّا ما كان بابه التكسير في الأصل كـ ( فعلاء أفعل ) فإنه إذا كان صفة غالبة جمع جمع تصحيح شأن الأسماء من فعلاء . فـ ( النكباء ) الصفة ، على تقدير موصوف ، مؤنث ( الأنكب ) ، تجمع على ( النكب ) كحمراء وحمر . أما ( النكباء ) الصفة الغالبة فتجمع على ( النكباوات ) كصحراء وصحراوات . قال المرزوقي ( ٨٠٦ ) : ( وإذا كثرت النكباوات واشتد هبوبها شمل القحط ) .

وربما سميت ( النكيباء ) على التصغير . قال صاحب الأساس : ( والنكيباء التي تهب بين الصبا والشمال خاصة ) . ولكن هل تجمع ( النكباء ) صفة غالبة ، على ( النكب ) كما تجمع الصفات ؟

أقول إن ( الصفة الغالبة ) من فعلاء إذا ضارعت الاسم بافرادها عن موصوفها واستغنائها عنه ، فإنها تجمع جمع الأسماء كما مر . على أن لها حالين في احتمال جمعها جمع الصفات . الأولى : أن تخرج بخصوصها عن معنى الصفة التي بنيت عليها فلا تغني هذه الصفة مغناها بأي وجه . الثانية : أن يبقى بها ، على خصوص دلالتها معنى الصفة المذكورة . فان كانت الأولى امتنع فيها جمع الصفات أو ضعف ، وإذا كانت الثانية صح ذلك فيها أو قوي .

فـ ( النكباء ) الصفة الغالبة مؤداها ( الريح الناكبة ) على كل حال ، فلا يزال بها ، على هذا ، معنى الصفة المشبهة التي بنيت عليها . لذلك صح فيها جمع الصفات أيضاً . قال الجوهري : ( والنكب في الرياح أربع : فنكباء الصبا والجنوب تسمى الأزْيب ، ونكباء الصبا والشمال تسمى الصابية ، وتسمى النكباء النكيباء ) . فجمَع ( النكباء ) الصفة الغالبة على ( نُكب ) وأوردها في قوله مورد الصفة ، وقال ( لأن العرب تناوح بين هذه النكْب .. ) ، كما جمعها المرزوقي على ( نكباوات ) .

ومما جاء على ( فعلاء ) صفة غالبة ( الخضراء ) . وقد اكتسبت دلالة خاصة نأتْ بها عن معنى الصفة التي بنيت عليها ، فجمعت جمع الأسماء على ( الخضراوات ) وامتنع فيها جمع الصفات على ( الخضر ) . فـ ( الخضراء ) في الأصل صفة للبقلة ، لكنها استغنت عن موصوفها هذا وأنزلت منزلة أسماء الجنس ، فقيل ( ليس في الخضراوات صدقة ) أي

في البقول . قال الرضي في شرح الشافية ( ٢/١٧٢ ) : وقوله – أي قول ابن الحاجب وهو المؤلف – وجاء الخضراوات لغلبته اسماً : غلب الخضراوات في النباتات التي تؤكل رطبة ) .. وقال صاحب المصباح ( ويقال للخضر من البقول : خضراء ، من قولهم : ليس في الخضراوات صدقة ، هي جمع خضراء ، مثل حمراء وصفراء . وقياسها أن يقال الخضر ، كما يقال الحمر والصفر ، لكنه غلب عليه جانب الاسمية ) . فـ ( الخضراء ) الصفة تدل على اللون ، وتجمع على ( الخضر ) . و ( الخضراء ) الصفة الغالبة تدل على البقلة دون النظر إلى اللون ، وتجمع على ( الخضراوات ) . قال ابن الأثير في النهاية : ( تقول العرب لهذه البقول : الخضراء ، لا تريد لونها ) وجاء في ( الفروق ) لاسماعيل الحقي : ( فالخضراء هنا ليست صفة ، بل اسم جنس ، وفعلاء في الأجناس تجمع بالألف والتاء ) . ونحو من ذلك في شرح الدرّة للخفاجي ، وشرح الكافية الرضي ( ٢/١٨٧ ) .

و ( الدكاء ) في الأصل صفة ( للأرض ) إذا انبسطت . لكنها افردت عن موصوفها ، ونأت عن معنى الصفة وعُدّت اسماً ( للرابية ) فجمعت على ( الدكاوات ) جمع الأسماء . ولم تجمع على ( الدكّ ) جمع الصفات . قال ابن منظور : ( والدكاء الرابية من الطين ليست بالغليظة ، والجمع : دكاوات ، أجري مجرى الأسماء لغلبته ، كقولهم : ليس في الخضراوات صدقة ) . وقال ابن سيده في مخصصه ( ١٦/٤٤ ) : ( فعلاء صفة غالبة غلبة الاسم .. والدكاء رابية من طين ليست بالغليظة ، والجمع دكاوات ) . فإذا قيل ( الدُّك ) جمعاً ( للدكاء ) الصفة ، لم يغن مغنى ( الدكاوات ) الصفة الغالبة ، بأي وجه .

وقد اشتهر ( الصحراء ) اسماً ، وهو في الأصل صفـة أفردت عن موصوفها ، وتميزت من ( الصفة ) بدلالة خاصـة ، فأوغلت في الاسمية وجمعت جمع الأسماء دون جمع الصفات . قال صاحب اللسان :( ولايجمع على صُحْر لأنه ليس بنعت ) لكنه أردف ( قال ابن سيده والجمع صحراوات وصحار ، ولا يكسَّر على فُعْل ، لأنه وإن كان صفة فقد غلب عليه الاسم .. ) . قال الرضي في شرح الشافية ( ٢/١٦٧ ) : ( وأرى أن صحراء في الأصل فعلاء أفعل ، كأن أصله أرض صحراء ، أي أولها صُحرة ، كما تقول : حمار أصحر وأتان صحراء ، فتوغل في الاسمية فلم يجمع على فُعل ) . ولا تؤدي الصُحر ( جمع الصحراء وهو الصفة من صَحِر إذا اغبّر في حمرة ، فهو أصحر وهي صحراء ، واللون : الصُحرة ) مؤدّى ( الصحراوات ) جمع الصفة الغالبـة الموغلة في الاسمية ، ولا تغني مغناها ألبتة ، وقد أطلقت على البراري .

* * *

وقد جاءت صفات غالبة ، على صيغة اسم الفاعل والمفعول كـ ( المخزية والمصيبة والمطيحة والمرسلة والمعقّبة ، بالتشديد ، والمدينة ) . وهي تضارع ما جاء من الصفات الغالبة على صيغة ( فعلاء ) الصفة المشبهة ، لكنها أعلق بالفعل وألصق بجمع التصحيح . لذلك فإنه إذا صح فيها التكسير الذي يختص بالأسماء غالباً ، حين يراد بها الاسم ، والتصحيح الذي يغلب على الصفات ، كلما وجد بها معنى الصفة التي بنيت عليها ، فإنه يؤثر فيها هذا الجمع إذا أريد التنبيه بصيغة التصحيح على هذا المعنى ، وقد تقصر عليه إذا لم يُرد بها غير ذلك ، أو خيف اللبس .

ف ( المخزية ) صفة غالبة لا يزال بها معنى الصفة التي جرت عليها . وأصلها صفة ( للفعلة أو الخصلة ) . وهي اسم فاعل من ( أخزى ) . لكنها أنزلت منزلة الأسماء . قال المرزوقي ( ٢٤٣ ) : ( والحميَّة التي حُدِّثتها باقيةٌ في أنوفنا حتى لا نشتم بها مرغمة ، وفي أعناقنا ورؤوسنا حتى لا نلويها إلى مخزية ومنقصة ) . وقال صاحب المصباح : ( والمخزية على صيغة اسم الفاعل من أخزى : الخصلة القبيحة ، والجمع المخزيات والمخازي ) . وقد جمعت ( المخزية ) على ( المخازي ) الذي يختص بالأسماء حين أريد بها الاسم كالمنقصة ، وهو جمع المخزاة أيضاً ، وعلى ( المخزيات ) الذي يغلب على الصفات حين قصد بها معناها . وأنت تؤثر بها هذا الجمع كلما أردت بها معنى الصفة .

ونظير هذا ( المصيبة ) من ( أصاب ) . فقد جمعوه على ( مصيبات ) تصحيحاً ، وعلى ( مصاوب ومصايب ومصائب ) تكسيراً ، لاحتمالها معنى الصفة والاسم . وقد بسطوا القول في شذوذ همزة ( المصائب ) وفصلوه تفصيلاً . لكن أحداً لم يأب تكسيرها أو يستبدع العدول عن تصحيحها . ذلك أنه قد آلت من ( الوصف ) إلى ( الاسم ) أو الصفة الغالبة فعوملت معاملة الأسماء في التكسير ، واستمر بها معنى الصفة التي بنيت عليها فصح فيها جمع الصفات . ففي المصباح : ( والمصيبة الشدة النازلة ، وجمعه المشهور مصائب ، قالوا والأصل مصاوب . وقال الأصمعي قد جمعت على لفظها بالألف والتاء فقيل : المصيبات ) .

وهكذا ( المطيحة ) . قال الشاعر :

ليُبك يزيد ضارع لخصومة  ومختبط مما تُطيح الطوائح

قال البغدادي في خزانته ( ٣٠٧/١ ) : ( يقال أطاحته الطوائح وطوّحته . فقياس الجمع أن يكون المطيحات والمطاوح ) . وقال المرزوقي في شرح الحماسة ( ١٥٥٨ ) : ( وكذلك الطوائح قياسه أن يكون إذا عدل عن الجمع بالتاء : مطاوح ) . فما الذي أساغ جمع ( المطيحة ) على ( المطاوح ) تكسيراً ، وبابه في الصفة التصحيح ؟ أقول الذي صوّب هذا هو استعماله وصفاً مفرداً عن موصوفه وإجراؤه مجرى الأسماء . وقد استمر به معنى الصفة التي بني عليها فصح فيه جمع الصفات . قال الزمخشري في الأساس ( وأطاحته المطاوح . قال : ومختبط مما تطيح الطوائح ، أي المطيحات والمطاوح ) . و ( المطيحة ) في الأصل من ( أطاحه ) إذا أهلكه وأذهبه . وأما ( المرسلة ) على صيغة اسم المفعول من ( أرسل ) إذا أطلق ، فقد أنزلت منزلة الأسماء حين قصد بها الاسم لأن معناها ( القلادة ) فجمعت على ( مراسل ) . ففي القاموس ( المُرْسَلة كمكرمة قلادة طويلة تقع على الصدر ، أو القلادة فيها الخرز وغيرها ) . وقال الزمخشري في الأساس ( وفي عنقها مرسلة ، وفي أعناقهن مراسل : قلائد ) . فكأنه قد أراد أن يعلل جمع التكسير بإرادة الاسم أو انتقال الوصف إليه ، حين قال : ( وفي أعناقهن مراسل : قلائد ) . لكن صاحب القاموس لمح بها معنى الصفة حين قال ( قلادة طويلة ) . ذلك أن ( المرسلة ) في الأصل هي ( القلادة المرسلة ) أي المطلقة . فأفردت عن موصوفها المعين وهو ( القلادة ) فقيل ( المرسلة ) . فإذا أريد التنبيه بها على معنى الصفة جمعت جمع الصفات فقلت : ( في أعناقهن المرسلات ) أي القلائد الطويلة أو المطلقة ، التي ترسل على الصدور . تقول هذا ولو لم تجد جمعه في المعاجم

على التصحيح . لأنه قياس كما يتبين بالاستقراء . ولا يشترط فيما كان على قياس أن تنص المعاجم عليه .

وقد جـــاء في التنزيل ( والمرسلاتِ عرفاً ) . قال الزمخشري في الكشاف : ( أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره .. ). وجاء في التاج ( والمرسلات في التنزيل : الرياح أرسلت كعرف الفرس، أو الملائكة عن ثعلب ، أو الخيل لأنها ترسل أي تطلق في الحلبة ) . فالأصل في ( المرسلة ) هنا أنها وصف ( للملائكة ) أو ( الرياح ) أو ( الخيل ) ثم أفردت عن موصوفها المعين ، ولوحظ فيها معنى الفعل فجمعت على ( المرسلات ) أي اللواتي أرسلن ، ولو أريد بها الاسم لقيل ( المراسل ) . قال أبو حيان في البحر المحيط ( ٨/٤٠٣ ) : ( ولما كان المقسم به موصوفات قد حذفت وأقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف في تعيين تلك الموصوفات ) . أقول إن الأصل في الصفة الغالبة أن يكون لها ( موصوف معين ) ليمكن حذفه والاستغناء عنه ، لكنه اختلف في تحديد هذا الموصوف . وقول أبي حيان إن ( المرسلات ) قد حذف فيه الموصوف فأقيمت الصفة مقامه ، هو ما عرُف به العلماء (الصفة الغالبة ) ، وعندي أنه يصح في ( المرسلة ) التصحيح والتكسير كما صح في (المعقِّبة): المعقبات والمعاقب .

فقد جاء على ( مفعِّلة ) مُعقِّبة ، وهو اسم فاعل من ( عقَّب )إذ جاء في عقبه ، ففي التنزيل ( له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله — الرعد/١١ ) . قال الراغب في مفرداته ( أي ملائكة يتعاقبون عليه حافظين له ) . وقال الزمخشري في الأساس : ( هم ملائكة الليل

والنهار يتعاقبون ) . على أن الآية قد قرئت ( له المعاقب ) جاء ذلك في البحر المحيط ، وقرئت ( له معاقيب ) جاء ذلك في المحتسب لابن جني ( ٣٥٥/١ ) . قال ابن جني : ( ومن ذلك قراءة عُبيد الله بن زياد له معاقيب من بين يديه . قال أبو الفتح : ينبغي أن يكون هذا تكسير معقِّب أو معقِّبة ، إلا أنه لما حذف أحد القافين ، عوض منها الياء ، فقال : معاقيب ، كما تقول في تكسير مقدِّم مقاديم ، ويجوز ألا تعوض فتقول : معاقب كمقادم ) .

وقد جاءت ( المعقِّبات ) صفة غالبة ، فأريد بها ( التسبيحات والتحميدات والتكبيرات ) أيضاً . وقد أريد بها معنى الصفة أي أنها متعاقبة . ففي النهاية لابن الأثير ( وفي حديث الدعاء معقِّبات لا يخيب قائلهن ثلاث وثلاثون تسبيحة ، وثلاث وثلاثون تحميدة ، وأربع وثلاثون تكبيرة ، سميت معقبات لأنها جاءت مرة بعد مرة ) .

وأما ( المدينة ) فإذا كان قد نزع بعضهم إلى أنها من ( مَدَن ) بمعنى أقام ، فجمعوها على ( مدائن ) كـ ( فعيلة وفعائل ) فقد ذهب آخرون إلى أنها من ( دينت ) أي ( مُلكت ) فهي ( مدينة ) أي ( مملوكة ) . فالياء عين الفعل ، والجمع ( مداين ) بالياء . قال أبو الطيب في الإبدال ( ٣١٦/٢ ) : ( والمدينة عند بعضهم فعيلة من مَدَن بالمكان ، إذا أقام به . سميت بذلك لأن الناس يقيمون بها . وقال آخرون إنما وزنها مفعولة من قولك : دينت أي ملكت ، فالمدينة : المملوكة ، وكل مدينة مملوكة ) ، فما الذي أتاح جمع ( المدينة ) وأصل معناها ( المملوكة ) على ( مداين ) ؟ تكسيراً الذي جوّز هذا أنها صفة غالبة . وقد نأت بدلالتها

التي خُصت بها عن معنى الصفة التي بنيت عليها فضعف فيها جمع السلامة .

وقد قالوا ( المبشرات ) بالتشديد ، وهي الرياح التي تأتي بالسحاب فتبشر بالغيث . وقد أريد بها معنى الصفة خاصة فجمعت جمع السلامة . ففي فقه اللغة وسر العربية للثعالبي : ( المبشّرات التي تأتي بالسحاب والغيث ، والسوافي التي تسفي التراب ) . وهكذا ( المُعصرات ) فإنها صفة غالبة أريد بها الرياح أو السحائب التي تحمل الأمطار . ففي التنزيل ( وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجّاجاً – النبأ/١٤ ) . قال الإمام البيضاوي : ( السحائب إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح . كقولك : أحصد الزرع إذا حان له أن يُحصد .. أو من الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب ) . وفي البحر المحيط : ( .. وجاء هنا من أعصر ، أي دخلت في حين العصر فحان لها أن تُعصر ، فعلٌ للدخول في الشيء ) . وقد حُرص على جمع السلامة في هذا لارادة معنى الوصف وخوف اللبس ، كما جمع المُعجزة على المعجزات نصاً ، على ما جاء في اللسان والتاج ، ولم يسمع بها التكسير .

* * *

وإذا عرف هذا ، فما القول في ( مشكل ومشكلة ) وما الحكم في جمعها ؟.

أقول قد استعمل علماء الأصول ( المُشكل والمُجمل ) وغيرهما ، وقد جمعت جمع تصحيح . فقد جاء في الأصول لابن ملك : ( وأما المشكل فهو الداخل في أشكاله ) ، فقال صاحب المنار : ( أي الكلام الذي دخل المراد منه في أشكاله بفتح الهمزة ، أي أمثاله . وحذف المصنف الكلام هنا وفي سائر أقسام البيان عدا الظاهر اختصاراً لدلالة القرينة عليه . ) . فدل كلام الإمام أبي البركات النسفي صاحب المنار أن

( المشكل ) ، هنا صفة ( للكلام ) ؛ وقد يكون في موضع آخر وصفاً للمعنى أو الأمر ، وأنه من ( أشكل ) فإذا كان موصوفه قد حذف فهو مقدر دلّت عليه القرينة . وما كان هذا شأنه فهو وصف جارٍ على فعله لا صفة غالبة مفردة عن موصوفها . وعلى هذا جاء جمعه جمع تصحيح على ( المشكلات ) ولا وجه له غير هذا .

على أن المتأخرين قد استعملوا ( المُشكلة ) في شأن آخر فقد عنوا به ( كل ما التبس أو أعضل فاستوجب أن يبحث وجهــه ويكشف حاله ويعالـج شأنه أو ييسر أمره ) فهو على هذا اسم لما لا يُدرك حاله إلا بالتأمل والدراسة والطلب . وكأنه في الأصل وصف ( للمسألة ) أو ( القضية ) ثم استغني به عن هذا الموصوف المبين فأجري مجرى الأسماء . فهو لا يقتضي متبوعاً يذكر قبله أو يقدّر . وما دام أمره كذلك فهو صفة غالبة تكسّر إذا أريد بها الاسم ، على ( المشاكل ) ؛ وتصحح لما بقي بها من معنى الصفة ، على ( المشكلات ) .

* * *

وما القول في ( مهم ومهمة ) بضم الميم فيهما ، أيصححان أم يكسّران ؟

( المهم والمهمة ) صفتان استعملتـا في الأمر الشديد المحزن ، وفي الأمر الشاغل العاني إذا وجب إنفـاذه ، وانقطعتا عن موصوفيهما فجرتا مجرى الأسماء . قال تأبّط شرّاً :

قليل التشـكي للمهمّ يُصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك

قال أبو علي المرزوقي في شرح الحماسة ( ٩٤ ) : ( المهم يجوز أن يكون من الهمّ الذي هو الحزن ويجوز أن يكون من الهمّ أو القصد . ويقول هو صبور على النوائب والعلات ولا يكاد يتألم مما يعزوه من المهمات ) .

فغلّب أن يكون ( المهم ) في البيت : الأمر الشديد المحزن . ونظير هذا قوله ( ٤٧٦ ) : ( كأنها كانت تكور الرجاء وتجدده مع كل حادثة ومهمة ) . وقول الزمخشري في الأساس : ( ونزل بهم مُهمّ ومُهمّات ) .

ومما جاء بمعنى الأمر المطلوب الشاغل ، قول المرزوقي ( ٤٦٧ ) : ( وكثير من الناس يظن منا تباطؤاً في المهمات وتثاقلاً ) وقوله ( ودوام صبره على جميع ما يكلفه من المهمات الشاقة على كرام الناس ) . وقوله : ( والعتد بفتح العين وكسرها الفرس المعدّ للمهمات من الطلب والهرب وغيرها ) . وقول أبي حيان التوحيدي في كتابه أخلاق الوزيرين(١٢٧) : ( وقد وردا في مهمات وحوائج ) . وقول الزمخشري في الأساس :(وفلان حلاّل للعقد كاف للمهمات ) . وما جاء في الأشباه والنظائر ( ٢٣٦/٤ ) : ( مهمة من مهمات شيخنا الكافيجي ) . فجمعُ ( المهمة والمهم ) على ( المهمات ) واضح . فهما صفتان غالبتان جاءتا على صيغة اسم الفاعل ، ولا تزال بهما معنى الصفة . أما جمعها على ( المهام ) كما جرت به أقلام الكتاب وطاعت ألسنتهم ، فوجهه أنهما أنزلتا منزلة الاسم وأريد بهما الاسمية ، وهو قياس .

* * *

هذا وما اختتم بـ ( التاء ) من الصفات الغالبة ، قد تكون (تاؤه) للتأنيث لأنه في الأصل صفة لموصوف مؤنث ، وقد تكون للنقل من الوصف إلى الاسم أيضاً . فقد جاء في (الفروق) لاسماعيل الحقي (٤٦) : ( اعلم أن التاء من مثل الخليقة والحقيقة على وجهين : إما للنقل من الوصفية إلى الاسمية . وإما للتأنيث بتقدير موصوف مؤنث . ومعنى كون التاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية أن اللفظ إذا كان في الأصل وصفاً ثم غلب عليه الاستعمال

حتى صار بنفسه اسماً ، كانت اسميته فرعاً لوصفيته ) . وقال المرزوقي (٢٥) : ( ولقيطة ألحق بها الهاء وإن كان فعيلاً بمعنى مفعولة لأنه أفرد عن الموصوف به وجعل اسماً ) . قال الرضي في شرح الكافية (١٦٤/٢): ( الثالث عشر : دخولها إمارة للنقل من الوصفية إلى الاسمية ، لكون الوصف غالباً غير محتاج إلى الموصوف كالنطيحة والذبيحة ) .

وما الحكم أخيراً في جمع ( المعجم ) ، هل يصح فيه ( المعاجم ) و ( المعجمات ) ؟.

أصل قولك ( المعجم ) هو ( حروف المعجم ) . وقد جعلوا لهذا تأويلين :

الأول أن تقديره ( حروف الخط المعجم ) : قال أبو محمد الخفاجي في كتابه ( سر الفصاحة /١٧ ) : ( بل يجوز أن يكون التقدير حروف الخط المعجم ، لأن الخط العربي فيه أشكال متفقة لحروف مختلفة ، وأعجم بعضها — أي نقط — دون بعض ليزول اللبس ) . ثم قال : ( فإذا قيل أعجمت الكتاب فمعناه أزلت إبهامه كما يقال : أشكيته إذا أزلت مايشكوه ). وقد سدده أحمد بن فارس في مقاييسه .

والتأويل الثاني ما قاله أبو العباس المبرد ومؤداه أن ( حروف المعجم ) يعني ( حروف الإعجام ) . فالمُعجم هنا مصدر ميمي . تقول أعجمته مُعجماً أي إعجاماً ، كما نقول : أدخلته مُدخلاً أي إدخالاً . وقد تبعه كثيرون ، منهم ابن جني كما جاء في سر الصناعة (٣٨/١) .

أما التأويل الأول فـ ( المعجم ) فيه صفة فارقت موصوفها فغدت صفة غالبة . وجمع الصفة الغالبة هنا هو جمع الاسم ما دام قد أريد بها

الاسم . لذلك كان جمع ( المعجم ) على هذا التأويل ( المعاجم ) . ويؤيد هذا ما جاء في المقال الذي عقده الدكتور ناصر الدين الأسد عضو المجمع القاهري يومئذ حول ( معاجم ومعجمات ) ، في مجلة المجمع القاهري (٢٥/ ٨١ ) . فقد ذكر الدكتور الأسد أن الأستاذ محمود محمد شاكر قد أنبأه أنه عثر في ديوان القطامي على بيت هو :

ونادَيْنا الرسوم وهنْ صمٌّ ومنطقها المعاجم والسطـــار

وقد جاء في شرح البيت ( المعاجم كتب معجمة إجابتها إيانا أن أرتنا علاماتها كأنها سطار كتبٍ أي منطقهـا السطار والآثار ، وكل ذلك لا يجيب ) .

فـ ( المعاجم ) في البيت ( الكتب المعجمة ) من أعجم خلاف أعرب . فما بالها قد جمعت على (المعاجم) . الجواب أنها صفة غالبة جمعت جمع الأسماء ، حين أريد بها الاسم .

ورب سائل يقول : أوَلا يجوز في ( المعجمة ) وهي الصفة الغالبة المبنية على ( الكتب المعجمة ) أن تجمع على ( معجمات ) كما جمعت على ( معاجم ) . أقول يجوز هذا لأن اختصاص الصفة الغالبة بموصوف معين وهو ( الكتب ) إذا كان قد عدل بها عن معنى الصفة فإنه لم يُعرِّها منه .

ولكن هل يجوز جمع السلامة فيما نريده بلفظ ( المعجم ) ؟

أقول يضعف هذا . ذلك أن ما يُراد من دلالة ( المعجم ) لم يُبْنَ على معنى قولك ( كتاب الخط المعجم ) أو ( الكتاب المعجم ) أي الذي أعجمت حروفه فأزيل اللبس منها ، وإلا كان كل كتـاب ( معجماً ) .

فالحق أن الذي أريد بـ ( المعجم ) : الكتاب الذي جاء ترتيبه على حروف المعجم ، كما ذهب إليه الدكتور الأسد . فهو على هـذا اسم ، أو صفة غالبة أوغلت في الاسمية حين اختصّت بدلالة معينة وتراخت نسبتها إلى مابنيت عليه ، فضعف جمعها على ( معجمات ) .

وإذا أخذنا بالتأويل الثاني في اعتداد ( حروف المعجم )بمعنى ( حروف الإعجام ) ، كان ( المعجم ) مصدراً ميمياً سُمّي به الكتاب الذي جاء ترتيب مضمونه على هذه الحروف . وقياس جمع المصدر الميمي إذا سُمّي به ، التكسير على ( مفاعل ) . ولا عبرة بقول من قال : المصدر لا يجمع .

قال الدكتور الأسد : ( وربما كانت هذه الأمور الثلاثة : ١ — أن معاجم لم ترد في كلام العرب ٢ — أن المعجم مصدر والمصدر لا يجمع ٣ — أن المعجم صفة والصفات من أسماء الفاعل والمفعول وأولها ميم تجمع جمعاً سالماً لا جمع تكسير ، هي التي حملت هذا النفر من علمائنا المعاصرين على التوقف والتشكك ، ثم رأوا النجاة والأمان في جمع المؤنث السالم فقالوا : معجمات ) .

أقول : أما قولهم إن ( المعاجم ) لم يرد في كلام العرب فجوابه أنه ليس يلزم في كل ما مسّت الحاجة إلى جمعه أن يكون العرب قد جمعته ، وكيف تجمعه ولم تنزله المنزلة التي أنزلناها أو تورده المورد الذي أوردنا . وقد مرّ أنهم قالوا ( المعاجم ) وأرادوا به ( الكتب المعجمة ) ، بل جمعوا كثيراً من أمثاله حين كسّروا ما حاله الصفة الغالبة ، وأصله الوصف الجاري على فعله .

وأما قولهم ( المعجم ) صفة والصفات من أسماء الفاعل والمفعول

وأولها ميم يجمع جمعاً سالماً لا جمع تكسير ، فجوابه أن هذا إنما يصدق على ما جرى على فعله من الصفات لا على كل صفة . فانظر إلى قول الرضي في الشافية ( ٢ / ١٨٠ ) : ( كل ما جرى على الفعـل من اسمي الفاعل والمفعول وأوله ميم فبـابه التصحيح لمشابهته الفعل لفظاً ومعنى ) . وإلا فكيف جمعوا ( المخزية والمصيبة والمدينة والمعقبة والمطيحة والمرسلة والمعجمة) على ( المخازي والمصائب والمدائن والمعاقب والمطاوح والمراسل والمعاجم ) ؟ بل قالوا إنه قياس . ففي خزانة الأدب للبغدادي ( ٣٠٧/١ ) : (فقياس الجمع أن يكون المطيحات والمطـاوح ) . وقال الزمخشري في الأساس : ( أي المطيحات والمطاوح ) .

وقال ابن جني في قراءة عُبيـد الله بن زياد ( له معاقيب من بين يديه ) : ( ينبغي أن يكون هذا تكسير معقب أو معقبة .. ويجوز أن لا تعوّض فتقول : معاقب .. ) . وكيف يكون ( المعجم ) صفة جارية على فعلها ، وهو الكتاب الذي نسقت مادته على حروف المعجم ؟

وأما قولهم ( المعجم ) مصدر ، والمصدر لا يجمع ، فالجواب عنه أن ( المعجم ) ليس مصـدراً ، وإنما عدل به عن المصـدر إلى الاسم . والمصدر الذي لا يجمع هو المصدر الذي يصدق عليه تعريفه وحدّه ، حين يقولون : هو الحدث المستغرق لجنسه ، فجمعك ( العقل ) مثلاً على ( العقول ) ليس جمعاً للمصدر وإنما هو جمع للاسم الذي آل المصدر إليه ، وجمعك ( اللب ) على ( الألباب ) جمع للاسم الذي عُدل بالمصـدر إليه أيضاً . وقل مثل ذلك فيما لا يعد ولا يُحصى مما جمعه العرب والأئمة فتحولوا به من المصدر إلى الاسم . وقد عرضنا لذلك في كتابنا ( أخطاؤنا في

الصحف والدواوين ) المطبوع عام ١٩٣٩ ، وسنعقد عليه فصلاً نكشف به عن حال المصدر وجمعه وشرطه .

هذا وقد أورد الدكتور الأسـد ( المُهرَق والمُصحَف والموسى والمُطرف والمجسَد والمسنَد والمصعَب والمذهَب والمرسلة ) ، وقال : ( ولم نجد نصاً فيما اطلعنا عليه من كتب اللغة بجمع هذه الألفـاظ التي أوردناها جمعاً سالماً . فلم نسمع مُسندات جمعاً لمسند ) !.

أقول من هذه الألفاظ ما هو اسم وبابه التكسير فكيف يجمع جمع السلامة ؟

قال الجوهري في صحاحه ( المُهرَق الصحيفة فارسي معرّب والجمع المهارق ) وقد قيل للصحراء ( مُهرَق ) تشبيهاً بالصحيفة كما أورده اللسان .

وكذا ( المُصحف ) وقد اعتـد في الأسماء فبابه التكسير . قال الزمخشري في المفصّل ( ما جاء مضموم الميم والعين من نحو المسعط والمنخل.. فقد قال سيبويه لم يُذهب بهـا مذهب الفعل ولكن جعلت اسماً لهذه الأوعية .. ) . قال ابن يعيش في شرحه ( .. ومنه المُصحَف من لفظ الصحيفة تقول أصحفته فهو مُصحَف أي جعلته صحيفـة . وربما كسروا أوّله . قالوا مِصحف يشبهونه بالآلة ) .

ونظيره ( المُوسَى ) فقد ذهب جماعة إلى أنه ( مُفعَل ) من أوسيت رأسه إذا حلقته ، كما جاء في المصباح والنوادر لأبي مسحل الاعرابي(٨٥) ذكروا هذا ليدلوا على أصله ، كما فعلوا في المصحف . وهو لو استمر على هذا الأصل لكان معنـاه ( ما أومي ) أي حُلق ، على المفعول . لكنه استعمل لما ( يوسى به ) أي يحلق به ، فاعتدّ اسماً .

وقد ذكر سيبويه ما جاء على ( مُفعَل ) من الأسماء ، فقال في الكتاب ( ٣٧٨/٢ ) : ( ويكون على مُفعَل ـ أي الاسم ـ نحو مصحف ومخدع وموسى .. ) فدلّ هذا على أن ( المُصحَف والموسى ) قد اعتدا في الأسماء .

و ( المُطرَف ) واحد المطارف وهي أردية من خزلها أعلام . وقد دلّ صاحب المصباح على أصله فقال : ( وأطرفته إطرافاً جعلت في طرفيه علمين فهو مُطرَف ) لكنه أردف كلاماً يشير به إلى أنه انتقل من الوصف إلى الاسم فقال : ( وربما جُعل اسماً برأسه غير جار على فعله ، وكسرت الميم تشبيهاً بالآلة والجمع مطارف ) . ولو كان على شيء من الوصف ، لما ساغ أن يكسر أوّله .

أما ( المُجسَد ) ، فمنهم من فرّق فيه بين مكسور الميم فجعله ( للثوب الذي يلي الجسد ) ، ومضمومه فخصّه بـ ( الثوب المشبع من الصبغ ) من قولك ( أجسد ثوب فلان إجساداً فهو مُجسَد ) . ولكن من الأئمة من اعتدّ الأصل واحداً . ففي اللسان ( المِجسد والمُجسد واحد ، أصله الضم لأنه من أجسد أي ألزق بالجسد ، إلا أنهم استثقلوا الضم فكسروا الميم ، كما قالوا للمُطرف مِطرف والمُصحف مِصحف ) . فدلّ هذا على أنهم تصرّفوا في ( المُجسَد ) بالضم فأخرجوه من الوصف إلى الاسم وأجازوا فيه الكسر . قال الزمخشري في الأساس : ( ولبسَ المجاسدَ وهي الشُعر جمع مِجسد ومُجسَد ) . ويؤيد هذا ما جاء في اللسان ( قال أبو زيد : تميم تقول المِغزل والمطرف ... والمِجسد ، وقيس تقول : المُغزل والمُطرف .. والمُجسد ) .

وأما ( المُسنَد ) فقد جُعل ( للحديث الذي اتصل إسناده إلى رسول

الله ﷺ ، كما جاء في كتب الحديث . وقد جاء في التعريفات للجرجاني (١٤٤) : (المُسند من الحديث خلاف المرسل وهو الذي اتصل إسناده إلى الرسول ﷺ) . وقد جمع على (مساند ومسانيد) ، ففي التـاج (المُسند كمكرم .. جمعه مساند على القياس ومسانيد بزيادة التحتية إشباعاً). أقول قد جمع (المُسند) جمع تكسير لأنه انتقل من الوصف إلى الاسم ، وهو فيه قياس حين يراد به الاسمية ، كما اشتهر به ، لخصوصه . ولكن قد بقي فيه معنى الصفة لأنه (الحديث المسند) فليس شيء يمنـع أن يجمع جمع الصفات على(المُسندات) ولوشاع فيه التكسير ، إذا أوردته موردها، كأن تقول (المسندات من الأحاديث) . وخلاف (المُسند) : (المُرسل) كما قال الجرجاني : فالمرسل من الحديث ما لم يتصل إسناده إلى الرسول الأعظم بل إلى التابعي . ويسند التابعي إلى الرسول فلايذكر من رواه عنه . وقد جمع (المرسل) على(المواسل والمراسيل) لكنه جمع على (المرسلات) حين اوقع موقع الصفة . فقد جاء في المتن (والمرسلات من الأحاديث التي تصل باسنادها إلى التابعي ، ويقول التابعي قال رسول الله ولايذكر الصاحب الذي تلقاها عنه) . وإنما حدد المراد بـ(المسندات) و(المرسلات) بذكر (الأحاديث) لعموم معنى الوصف وشموله .

أما (المصعب) على صيغة اسـم المفعول فله وجهان : صفة جارية على فعلها ، وصفة غالبة . ومثال الأول ما جاء في الصحـاح (وأصعبت الجملَ فهو مصعب إذا تركته فلم تركبه .. حتى صار صعباً) .

وما جاء في اللسان (وجمل مُصعب إذا لم يكن منوّقاً وكان محرّم الظهر) . ويسمّى صاحب الجمل هذا : (مُصعِباً) بالكسر . ففي النهاية (في حديث خيبر من كان مُصعِباً فليرجع ، أي من كان بعيره صعباً غير منقاد ولا ذلول) . وقياس جمع ما كان صفة جارية على فعلها : التصحيح .

ومثال الثاني – أي الصفة الغالبة – ما جاء في الصحاح ( والمصعَب الفحل ، وبه سمي الرجل مصعباً ) . وفي فقه اللغة للثعالبي ( إذا كان الفحل يودع ويُعفى من الركوب والعمل ويقتصر على الفِحلة فهو مُصعَب ) . وفي التاج ( والمُصعَب كمكرم ، قال ابن السكيت : الفحل الذي يُودع ويُعفى من الركوب .. ) والجمع مصاعب ومصاعيب كما ذكره اللسان والتاج . وقد اقتصروا فيه على التكسير حين انفردت الصفة الغالبة من الصفة الصريحة بدلالة خاصة ، فكان ذلك فرقاً بينهما . ورب معترض يقول : إذا كان ( مصاعب أو مصاعيب ) صفة غالبة غير جارية على فعلها فماتأويل قولهم ( جمال مصاعب ومصاعيب ) ؟ أقول قولهم هذا شبيه بقولك ( هذه أراضٍ صحراوات ) و ( هؤلاء أسرى رهائن ) والصحراوات والرهائن صفتان غالبتان .

ونظير ( المُصعَب ) الصفة الغالبة : ( المُذهب ) وجمعه ( المذاهب ) وهي جلود فيها خطوط مذهبة ، بعضها إثر بعض فكأنها متتابعة ، كما جاء في شرح ديوان قيس بن الخطيم لابن السكيت ، فقولك ( جلود مذهبة ) على الوصف ، لا يُغني مغنى ( المذاهب ) بحال من الأحوال ، ومن هنا الاقتصار في الصفة الغالبة على التكسير .

وأما ( المرسلة ) فقد مرّ بنا الكلام في ( جمعها ) .

ويقول الدكتور الأسد : ( هل نستطيع أن نضيف إلى ذلك أن الصحيح في جمع الألفاظ الأخرى التي على هذا البناء ، هو : مفاعل ، حين تجري هذه الألفاظ مجرى الأسماء فنقول في جمع – ملحق – ملاحق ، وليس ملحقات كما أصبح حديثاً يحرصُ نفَرٌ من محققينا ومؤلفينا على استعماله ؟ ) . أقول ليس الأمر مقصوراً على ما صحّ جمعه على ( مفاعل )

من الصفات إذا أنزلت منزلة الأسماء وإنما الحكم جارٍ في كل صفة عُدل بها عن الوصف إلى الاسم بإفرادها عن موصوفها وتميّزها بدلالة خاصة . والأمر يتعدّى في هذا جواز التكسير إلى الاقتصار عليه أو الجمع بينه وبين التصحيح . وليس التعويل في كل هذا على ( المبنى ) وحده ، بل على ( المبنى والمعنى ) جميعاً .

أما ( الملحق ) فإذا أطلقته على ( مسمى خاص ) نأى به عن الدلالة العامة كأن تعني به ( ما تلحقه بالمعاهدة من شروح وشروط ) ليس غير ، قلت في جمعه ( الملاحق ) . لأنك سميت به هذه ( الشروح والشروط الملحقة بالمعاهدة ) فباعدت ما بينه وبين الوصف وأنزلته منزلة الأسماء .

وإذا قصدت به كل ما يمكن إلحاقه بأصل من الأصول أو إتباعه باباً من الأبواب قلت ( الملحقات ) كما جمعه النحاة حين قالوا ( الملحقات بلا سيما ) .

بقي أن نعرض لرأي الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العراقي ، في جمع ( معجم ) . فقد جمع الأب أنستاس الكرملي ( المعجم ) على ( معاجم ) فأنكره الدكتور جواد . قال الأب الكرملي ( أما معجم فهو وزان مصحف ومخدع ، وما كان على هذا الميزان يكسّر على مفاعل : معاجم ، كما يقال مصاحف ومخادع ) .

أقول ليس الأمر على ما قال . ذلك أن صيغة الجمع لا تحدد بوزن واحده حَسْبُ ، وإنما تتعلق إلى ذلك بأصل معناه اسماً أو وصفاً أو صفة غالبة ، كما رأيت . إذ ليس كل ( مُفعَل ) جمعه ( مفاعل ) . وقال الأب : ( أما أنه ورد معاجم فهو مما لا يختلف فيه اثنان قال السيد الزبيدي في كلامه على أثال : وهو ثمامة بن أثال بن النعمان .. كما هو في

المعاجم ) . أقول إن جمع الزبيدي ( معجماً ) على ( معاجم ) ليس نصاً ملزماً ، لكنه باعث على البحث والتدبر واستبانة وجهه .

قال الدكتور جواد في كتابه ( دراسات في النحو والصرف .. ) : ( أراد بالمعاجم جمع المُعجم أي المعجمات ، مع أن المعاجم جمع المَعجم على وزن المَذْهب ، وهو موضع العجم أي العضّ للاختبار ... قال العلامة الزمخشري في أساس البلاغة : وفلان صُلب المعجم إذا عجمته الأمور ، وقال في صدَق : وفلان صدق ، وصدق المعاجم ، فالمعاجم جمع المَعجم بالمعنى المذكور . أما المُعجم بضم الميم فالقاعدة في جمعه زيادة الألف والتاء ، فيكون : المعجمات ) .

أقول أما أن ( المَعجم ) بالفتح اسماً ، على ( معاجم ) فهو صحيح . وأما أن ( المُعجم ) بالضم ، على ( مُعجمات ) كيف كان بناؤه صفة أو صفة غالبة أو اسماً ، فليس بالوجه . وإذا كان ( معاجم ) جمعاً لـ ( مَعجم ) بالفتح فليس يلزم منه ألاّ يكون جمعاً لـ ( مُعجم ) بالضم . فقد تعاقب على ( مذاهب ) : ( مَذهَب ) بالفتح و ( مُذهَب ) بالضم كما مرّ ، واتفق على ( مسانّ ) جمع ( مِسَنّ ) بالكسر ، اسم آلة من ( سنّ ) ، و ( مُسنّ ) بالضم ، صفة غالبة ، على اسم الفاعل من ( أسنّ ) .

هذا وقد أنكر الدكتور جواد ( معاجم ) جمعاً لـ ( مُعجم ) ، لكنه أثبت ( معاجيم ) بالياء جمعاً له . أقول : الأصل فيما جاز تكسيره من ( مُفعَل ) أن يجمع على ( مفاعل ) دون ( مفاعيل ) ، لأن هذا إنما جعل لتكسير ( مفعال ومِفعيل ) مما تخلله حرف مدّ . على أنه حكي

جمع ( مفاعيل ) في ألفاظ لم يتخللها حرف مد . فما الذي قاله العلماء فيها ؟

أجاز الكوفيون في كل ما جمع على ( مفاعل ) أو هيئته كفواعل وفعالل أن تزاد فيه الياء ، وأجازوا حذفها فيما جاء على ( مفاعيل ) كما نصّ عليه الهمع للسيوطي ( ١٨٢/٢ ) . وقد أخذ بهذا جماعة وعبروا عن إضافة ( الياء ) في نحو ( مفاعل ) وما كان على هيئته بأنه إشباع للكسرة وأسماه ابن جني في الخصائص (١٥١/٣ ) وفي المحتسب ( ٣٥٧/١ ) إشباعاً للحركة أو مطلها : ورده الأنباري في الإنصاف ( ٣١/١ ) وقصره على الشعر .

قال الزبيدي في التاج ( المسند كمكرم جمعه مساند على القياس ، ومسانيد بزيادة التحتية إشباعاً ، وقد قيل إنه لغة ، وحكي في مثله القياس أيضاً ) . وقد جمع الزبيدي ( معجماً ) على ( معاجم ) ، كما جمعه على ( معاجيم ) .

على أن جواداً قد أثبت ( معاجيم ) وهو الفرع ، وأبى ( معاجم ) وهو الأصل ، وهو غريب . بل استظهر في هذا بنظائر ليست محلاً للقياس . قال الأستاذ جواد ( ويجوز عندي جمعه جمع تكسير ، شرط أن تطبق عليه قاعدة الأسماء المضمومة الميم كالمُفطر والموسِر والمنكَر والمطفل .. فيكون المعاجيم كالمفاطير والمياسير والمطافيل .. ، ويجوز حذف يائه لوزن الشعر حسب أو لحذف الالتباس ) أقول قد جعل الرضيّ هذه الألفاظ مما خرج في جمعه عن بابه ، فقال في شرح الشافية (١٨٠/٢) : ( قوله مضروبون ومكرِمون ومكرمون ، أي ماجرى على الفعل من اسمي الفاعل والمفعول وأوله ميم فبابه التصحيح .. وجاء في اسم المفعول الثلاثي نحو ملعون

ومشؤوم .. ملاعين ومشائيم .. وقالوا أيضاً في مُفعِل كموسر ومُفطر ، وفي مفعَل كمنكر : مياسير ومفاطير ومناكير ) ، وأردف : ( وإنما أوجبوا الياء فيها مع ضعفها في نحو معاليم جمع مُعلَم ، ليتبين أن تكسيرهما خلاف الأصل ، والقياس التصحيح ) . أليس هذا صريحاً بأن هذه المثل لا تصح قياساً ، وهي ليست كـ ( معجم ) على كل حال ؟ وقد أورد الأستاذ جواد ( المُطفِل ) المختصّ بالمؤنث . قال الرضي : ( والأغلب في المفعِل المختص بالمؤنث التجرد عن التاء ، فلا يصحح ، بل يجمع على مفاعل كالمطافل والمشادن والمراضع .. وجوزوا في جمع هذا المؤنث زيادة الياء أيضاً ليكون كالعوض من الهاء المقدرة فتقول : مطافيل ومراضيع ومشادين ، ويجوز تركه ، قال تعالى : وحرمنا عليه المراضع ) . فأين هذا من جمع ( المعجم ) وكلام الرضي يدور على مايختص بالمؤنث ؟ ومفاعيل فيه كمفاعل ، على كل حال !

فقد استبان بما قدّمنا وشرحنا ، حال الصفة الغالبة وحدّها ، وما انفردت به عن الصفة : معنى وحكماً ، وأنْ ليس المدار في الجمع على وزن المفرد حسبُ ، بل على دلالته ومبناه صفة أو صفة غالبة أو اسماً . ويتضح كل ذلك بالاستقراء والتدبّر واستفراغ الوسع في التلطف له .

دمشق **صلاح الدين الزعبلاوي**

# معروف الرصافي والاستقلال العربي

## ١٩٠٨ – ١٩٢١

عبد اللطيف الطيباوي

غرض هذه المقالة توضيح ناحية في حياة الرصافي وشعره لم تنل عناية كافية حتى الآن ، وهي موقفه ظاهراً في شعره وباطناً بسكوته ، نحو محاولة العرب نيل شيء من الاستقلال الداخلي في الدولة العثمانية قبيل الحرب العالمية الأولى، ونحو الثورة العربية على تلك الدولة بزعامة الشريف حسين بن علي ، ونحو الجهاد العربي ضد الانكليز في فلسطين والعراق وضد الفرنسيس في سورية بعد انتهاء تلك الحرب .

وتمهيداً لدرس ذلك تفصيلاً لا غنىً عن إجمال المراحل الرئيسية في حياة الشاعر حتى ابتداء اشتغاله بالصحافة والسياسة . ولد في بغداد سنة ١٣٩٢ ه / ١٨٧٥ م وتعلم أولاً في « الكُتّاب » بحسب النظام الأهلي ، ثم انتقل إلى مدرسة « رُشْدية » من مدارس النظام الجديد التي أنشأتها الدولة بعد إصدار قانون المعارف سنة ١٨٦٩ . وكان الدخول في المدرسة الرشدية جائزاً لمن أكمل مدرسة أولية من مدارس النظام الجديد

أو مدرسة أهلية من درجة « الكُتّاب » . وكانت مدة الدراسة فيها أربع سنوات أكملها الرصافي لكنه لم ينجح في امتحان السنة الرابعة ، فحيل بينه وبين الارتقاء إلى مدرسة إعدادية فسلطانية بحسب النظام الجديد . فعاد إلى النظام الأهلي وأصبح من طلاب محمود شكري الألوسي(١)، فعلّمه علوم اللغة العربية والفقه والمنطق . هذا مبلغ ما تيسر للرصافي من التعلّم ، وهو عظيم الأثر في لغته الشعرية وفي تكرار إشادته بمفاخر العرب ، وقليلُه في غير ذلك .

بعد أن أجازه شيخه أصبح معلماً في مدرسة أولية ، ثم تخصص بتعليم اللغة العربية في مدرسة رشدية فمدرسة إعدادية حتى سنة ١٩٠٨ ، وهي السنة التي أعاد فيها السلطان عبد الحميد العمل بالدستور ، وتولى فيها زعماء جمعية الاتحاد والترقي مقاليد الحكم في الدولة . وقد أسسوا فروعاً لجمعيتهم في عواصم الولايات كان أحدها في بغداد . وفيها صدرت جريدة رسمية بهذا الاسم باللغتين التركية والعربية ، فأصبح الرصافي من محرري القسم العربي مناصراً لجمعية الاتحاد والترقي مدافعاً عن مبادئها . لكن المشهور أن عبد الحميد أعاد العمل بالدستور مكرهاً ، وأن عدداً من العلماء آزروه خوفاً على الدين والدولة من تطرف رجال الجمعية وبينهم عدد من اليهود . فقامت ثورة في العاصمة أخمدها الجيش ، وأدى ذلك إلى خلع عبد الحميد وتولي محمد رشاد . وقد سجل الرصافي هذه الانقلابات بقصيدتين

(١) أحد سراة العراق وعلمائها ومؤلف كتاب « بلوغ الأرب في أحوال العرب » ( ثلاثة أجزاء - بغداد : ١٣١٤ هـ ) وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق .

ضدّ استبداد السلطان وأعوانه « الأشرار »(١) .

روى شاهد عيان ، وهو الشيخ محمد جلال العباسي ، لتلميذه قاسم الخطاط(٢) أن الرصافي بعد هذه الحوادث دخل على رأس جماعة فيهم عدد من اليهود والنصارى إلى جامع الوزير في بغداد في يوم جمعة والواعظ على وشك الكلام . فأسكته الرصافي واعتلى هو المنبر وحث الناس على مناصرة جمعية الاتحاد والترقي ، فاستاء المصلون وهاجوا وألفوا مظاهرة سارت إلى مقر الوالي ، فطلب رؤساؤها معاقبة هؤلاء «الكفرة» فلبى الوالي طلبهم وأمر بسجن الرصافي مع أحد أعوانه ، لكنه أطلق سراحه سريعاً بعد هدوء العاصفة . كان هذا الوالي غالباً كسائر الولاة في ذلك الوقت من أعوان الجمعية . وجريدة بغداد التي كان الرصافي أحد محرريها كانت الجريدة الرسمية للولاية ، فكان بهذه الصفة موظفاً في ديوان الوالي . ولا يستبعد أنه هو الذي دفع الرصافي إلى دخول المسجد على تلك الصورة . وحبسه لم يكن سوى تدبير موقت . وهذه القصة تدل على ضآلة أثر ما تعلمه الرصافي من الألوسي من علوم الدين ، إذ هو الذي جلب اليهود والنصارى إلى المسجد وأشركهم معه في منع حرية الوعظ فيه عاملاً بما قال في إحدى القصيدتين المذكورتين :

لقد جمعوا الجموع فمن نصارى ومن هود هناك ومسلمينـــا

لا شك أن ما كتبه الرصافي في جريدة الولاية كان من أسباب دعوته

---

(١) ديوان الرصافي ( الطبعة السادسة . القاهرة ١٩٥٩ ) ص ٣٨٢ — ٣٨٨

(٢) معروف الرصافي : حياته وشعره لقاسم الخطاط وزميليه ( القاهرة ، ١٩٧١ ) ص ٥١ — ٥٤

إلى استانبول ، حيث اشتغل محرراً في مجلة « سبيل الرشاد » ومعلماً للغة العربية في المدرسة السلطانية التابعة لوزارة المعارف ، ومعلماً للخطابة في مدرسة الوعاظ التابعة لوزارة الأوقاف . وسرعان ما اختاره طلعت باشا وزير الداخلية ليكون معلمه الخاص في اللغة العربية ، وقربه زيادةً على ذلك فدبر تعيينه نائباً في مجلس المبعوثان (النواب) عن المنتفك دون أن ينتخبه أهلها وكان ذلك في سنة ١٩١٢ عندما أصبح الرصافي من الرجال البارزين في العاصمة . لكنه مع مناصرته لرجال الحكم من الأتراك ، ظل متحفظاً مع رجال العرب في استانبول ، وفيهم النواب والموظفون وطلاب الجامعة والمدارس العليا من مدنية وعسكرية ، وكأنه لم يشاركهم في آمالهم القومية العربية . خذ مثلاً على ذلك القصيدة التي ألقاها عليهم في حفلة عامة بعنوان « إلى الأمة العربية » فكلها تمجيد الماضي وذم الحاضر ودعوة إلى « نهضة علمية عربية » دون الإشارة تلميحاً أو تصريحاً إلى الآمال القومية .

لم يخالف الرصافي هذه الخطة مع الأتراك أو مع العرب ، لا قبل الحرب ولا أثناءها . فكان دائماً مع الدولة على كل مَنْ عاداها من الدول الأجنبية وعلى كل من خالفها من العرب ومن العبث التماس العذر له بشواذ من أبيات الشعر قد تشير إلى خلاف ذلك ، فهي أشبه شيء بالمتناقضات في كلام رجال السياسة ولا أثر لها على المبادىء الأساسية . زعم بعضهم أن الرصافي عاضد رجال الاصلاح من زعماء العرب بقصيدة « في معرض السيف » قالها بمناسبة اجتماع عقدوه في بيروت في أوائل سنة ١٩١٣ . ولكن هذه القصيدة لا تختلف في محتواها ومعناها عن القصيدتين المذكورتين أعلاه ، باقتصارها على التعميم دون التخصيص وعلى

الماضي أكثر من الحاضر ، ولعدم ذكر شيء من قرارات الاجتماع ، هذا مع العلم أنه عقد بموافقة الحكومة التي أسرعت برفض جميع قراراته .

وكان هذا الرفض من أسباب عقد مؤتمر في باريس في حزيران ١٩١٣ اتخذ قرارات مشابهة كلها مطابقة للدستور وموافقة لمبادىء « الحرية والعدالة والمساواة » التي نادت بها جمعية الاتحاد والترقي . وأهم هذه القرارات : جعل اللغة العربية لغة التدريس في مدارس البلاد العربية بدلاً من التركية مع تعليم هذه كلغة ثانية – اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في المحاكم ودوائر الحكومة في الولايات العربية – اشتراك العرب مع الأتراك في إدارة الدولة وتولي الوزارة والولاية – إدارة البلاد العربية على طريقة اللامركزية بتقليل تدخل الحكومة المركزية في الشؤون المحلية . وبعد توسط الشريف علي حيدر والشيخ عبد العزيز شاويش قبلت الحكومة هذه المطالب في اتفاقية وقعها طلعت باشا وزير الداخلية وعبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الأدبي .

ولكن قبل توقيع الاتفاقية قال الرصافي قصيدته المشهورة «ماهكذا»[1]، وهي كما جاء في البيت الأول كلها « لوم وتثريب » مع الذم والتهم الباطلة : « لائحة خرقاء » ؛ كلفت الحكومة شططاً ؛ « خالف أصحابها الحزم والتجاريب » ؛ « تدعو إلى التعصب الديني والتفرقة بين المسلمين والنصارى » ؛ « ضجة إفساد وشر » لكن الناظر في مطالب العرب لا يرى لهذا كله من أثر فيها ، ودليل ذلك أن الحكومة بعد تردد قبلتها . وهجوم الرصافي على بني قومه تعصب سياسي وتهور في الإعراب عنه .

---

(١) ديوان الرصافي ص ٤٠٢ – ٤٠٥

لكن للرصافي سؤال في هذه القصيدة لم نجد في كل ما قرأنا عن مؤتمر باريز جواباً شافياً له : لماذا لم يعقد مؤتمر في بلاد محايدة مثل سويسرا مثلًا وعقد في باريز وهي عاصمة أمة كانت لها مطامع ظاهرة في سورية الكبرى ؟

لو كان في غير باريز تألبّهم ما كنتُ أحسبهم قوماً مناكيبا
لكن باريز ما زالت مطامعها ترنو إلى الشام تصعيداً وتصويبا

على كل حال استنكر العرب موقف الرصافي من المؤتمر ورجاله وقراراتهم ، فرد عليهم بقصيدة فيها سب وكلام بذيء قال في نهايتها « فاشطب عليهم بنعل إنهم غلط » . لا شك أنه لم يكن جاهلًا مساعي غيره من العرب كالشريف علي حيدر ، والشيخ عبد العزيز شاويش ، والشيخ رشيد رضا ، وسليمان أفندي البستاني لتقريب مطالب العرب من سياسة رجال الاتحاد والترقي ، فلماذا لم يسلك هو هذا المسلك ؟ أشار في شعره إلى ما طلبه رجال الإصلاح ولكنه لم يُحَدد شيئاً منه ، وأشار إلى الجمعية التي طالبت بمبدأ اللامركزية الإدارية دون أن يسميها ، فإذا فرضنا جهله مبادىء الجمعيات السرية كالقحطانية والفتاة فلا يصح أن نفرض جهله ما كان منشوراً في الصحف ومشهوراً على الألسن . فلماذا لم يقل كلمة واحدة على الأقل في الدفاع عن اللغة العربية ؟ ولماذا وصف من أرادوا إعلاء شأنها بالشطط وبما هو أشنع من ذلك ؟ ألا يصح الاستنتاج أن تكرار التغني بماضي العرب في شعر الرصافي كان بمثابة تعويض عن تقصيره في السعي لتحسين حاضرهم السياسي أو على الأقل تحسين حال لغتهم في مدارس الحكومة ودواوينها ؟ هل كان الرصافي جاهلاً أن أبناء العرب في مدارس الحكومة كانوا يتعلمون باللغة التركية لا بلغتهم العربية ؟

وجاءت الحرب العظمى فاتخذها الأتراك حجة لايقاف تنفيذ شروط الاتفاق مع زعماء العرب ، فوافقهم على ذلك الرصافي بسكوته واستمر يؤازرهم مؤازرة تامة . فلما أعلن الجهاد الاسلامي [1] قال قصيدة طويلة استبعد فيها أن ينجح الهجوم البريطاني على جنوب العراق ودعا إلى إنقاذ عدن ومصر من حكم الانكليز ولكنه لم يقدّر أن مصر بعد إعلان الحماية البريطانية عليها وإقامة حكم عسكري فيها لم يكن بوسعها المقاومة . وعليه فاتهام السلطان كامل حسين ورئيس الوزراء حسين رشدي باشا بالخيانة لا يستطيع المؤرخ المنصف قبوله :

قل للحسينين في مصر رُويدكما قد خُنتما الله والاسلام والوطنا
شايعتما الانكليز اليوم عن سَفَه تالله ما كان هذا منكما حَسَنا
قد بعتما الدين بالدنيا مجازفة فكنتما في البرايا شر من غُبنا [2]

بمثل هذا حافظ الرصافي على مكانته عند رجال الحكم في استانبول ، وبسكوته التام عن فظائع جمال باشا في سورية وإعدامه زعماء العرب في سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ شايعهم بزعمهم أن العرب قد خانوا الدولة وتآمروا مع أعدائها . وقد وجد غير واحد من الذين نظروا في شعر الرصافي في سكوته ، هذا من أغرب الأمور . ومع هذا ليس من الصعب تفسيره . عرَف الرصافي عدداً من الذين أعدموا ومنهم عبد الكريم الخليل ، وربما استبعد ما سمعه من اتهامهم بالخيانة ، أو ربما راودته نفسه أن يزكيهم ،

---

(١) نصه التركي في جريدة صباح ( ٦ محرم ١٣٣٣ = ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٤ ) بامضاء شيخ الاسلام خيري وعدد من كبار العلماء .

(٢) الديوان ص ٤٨٩

فوجد أن ذلك لا يُجدي فقد ماتوا وكلامه لا يحييهم ، فلم يجرأ أن يعرّض نفسه لغضب ذوي السلطة وهو تحت رحمتهم ، فآثر السكوت .

لو سكت أيضاً عندما أعلن الشريف حسين بن علي الثورة العربية في حزيران ١٩١٦ لوجد الباحث المنصف له مخرجاً مشابهاً : سكوت عن فظائع جمال باشا يقابله سكوت عن ثورة الحسين . ولكن الرصافي لم يتغير ، وظل مع الحكام الأتراك حتى على قومه العرب ، ساكتاً ومتكلماً ، وهجاؤه للثورة العربية وخاصة للحسين أوضح برهان على ذلك . وبعض هذا الهجاء مثبت في الديوان بصورة غامضة وبعضه مروي شفهياً وسُجّل في بعض الكتب:

دع الحسينين في مصر وقد بغيا ... ففي الحجاز حسين ثالث لهما
هذان قد أخجل الأهرام بغيهما ... وبغي ذلك أخزى البيت والحرما
فأنت يا أرض ميدي تحته فزعاً ... ويا سماء عليه أمطري نقما
قالوا الشريف ولو صحت شرافته ... لم ينقض العهد أو لم يخفر الذمما (١)

وهنا يجب القول أن كثيراً من المسلمين وبعض العرب لم يناصروا الثورة العربية إخلاصاً لدولة الخلافة ومحافظة على الوحدة الاسلامية . وهذا ينطبق على زعماء مسلمي الهند ومصر وعلى نفر من العرب كالأمير شكيب أرسلان والشيخ أسعد الشقيري والسيد محمد كرد علي وغيرهم . ولكنه لم يشتهر عن أحد منهم من القول ما اشتهر عن الرصافي ، ولهذا لم يجدوا صعوبة كما وجد هو بعد الحرب للانتقال من العمل مع الترك إلى العمل مع العرب في الدولة التي قامت في دمشق .

---

(١) بعض القصيدة في الديوان ص ٥٤٥ . الأبيات الأربعة ليست فيه وقد نقلها الأستاذ قاسم الخطاط (كتابه المذكور ص ٩٠) رواية عن مؤرخ الثورة العربية أمين سعيد .

واجه الرصافي هذه المعضلة حالاً بعد انتهاء الحرب . في سنتها الأخيرة سقطت بغداد ثم سقطت القدس بيد الانكليز . ولم يقل الرصافي شعراً في سقوط القدس ولكنه سجل سقوط بغداد بقصيدة « نواح بغداد » عزّى نفسه في ختامها أن الترك أعدوا لاستردادها جيشاً ( وهو بلا شك جيش الصاعقة واسمه بالتركية يلدرم يلدرم ) جمعوه في حلب ، فقال :

بل هم اليوم عازمون على الزحف بجيش به تنص البطاح
كيف يُغضون عن إغاثة واد زانه من ودادهم أوضاح
فعليه من فخر عثمان تاج وله راية الهلال وشاح
أنا باقٍ على الوفاء وإن كا نت بقلبي ممّن أحب جراح (١)

لم يكن جيش الصاعقة كاسمه ، ولم يتقدم لاسترداد بغداد بل خصص لتقوية جبهة فلسطين التي كان يهددها الجيش الانكليزي إلى الغرب من نهر الأردن والجيش العربي بقيادة الأمير فيصل إلى الشرق من ذلك النهر .

وفي خريف ١٩١٨ هُزم الأتراك وأخرجوا من سورية جميعها فطلبوا الصلح الذي كان من نتائجه إقامة مندوب سام بريطاني في استانبول يملي على الحكومة العثمانية تنفيذ شروط الهدنة . بُعيد هذه الكارثة ، في أواخر ١٩١٨ أو أوائل ١٩١٩ ترك الرصافي استانبول ولكن إلى أين ؟ .

مصر بلا شك كانت مغلقة أمامه بسبب هجائه لحكامها ، والعراق كانت أيضاً مغلقة لأن جيش الاحتلال البريطاني منع دخول كل ما كان قادماً من تركيا حتى ولو كان عراقياً ، فكيف بشاعرٍ ناصر الجهاد الاسلامي ضد الانكليز وناح بقصيدة مشهورة عندما احتلوا بغداد . فلم يبق أمامه

---

(١) الديوان ص ٤١٨ – ٤١٩

إلا سورية ؟ نعم كانت هذه البلاد أيضاً تحت احتلال عسكري بريطاني ، لكنه قامت في داخلها ، بموافقة بريطانيا ، حكومة عربية عاصمتها دمشق ورئيسها الأمير فيصل بن الحسين . وهذه الحكومة كانت ابنة الثورة العربية ، وكان جلّ رجالها من الذين حاربوا في جيشها . فماذا كان يرجو الرصافي منهم وقد هجاهم وهجا رئيسهم ، ولم يقل كلمة على سبيل الاعتذار وطلب العفو ؟

لم يكن من المستغرب أن يُعْرِض الناس عنه – من الأمير زيد رئيس الحكومة في غياب أخيه الأمير فيصل في أوربا لحضور مؤتمر السلام ، إلى رجال الحكومة وفيهم من كبار العراقيين نوري السعيد وجعفر العسكري وياسين الهاشمي ، إلى عدد من الأدباء والشعراء في دواوين الحكومة وفيهم الأستاذ محمد كرد علي والشيخ فؤاد الخطيب . ويكفي بياناً لما لاقاه الرصافي من الإهمال أنه لم يُدْعَ للعمل في مكتب الترجمة الذي أنشىء في دار الحكومة تحت رئاسة محمد كرد علي ، فكان نواة المجمع العلمي العربي[1] . وهذا المجمع أيضاً لم ينتخب الرصافي عضواً فيه أثناء إقامته في دمشق . أما الشعر فوجده الناس كما يحبون عند الشيخ فؤاد الخطيب فسموه شاعر الثورة منذ اشتغاله وكيلاً للخارجية عند الملك حسين في مكة ثم انتقاله إلى دمشق بجانب الأمير فيصل .

وهكذا ظل الرصافي في دمشق دون عمل ، يعيش غالباً على ما ادخره من أيام استانبول . ولا بيّنة على أنه نال عوناً مادياً ، إلا على

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي : الجزء الأول من المجلد الأول ( كانون الثاني ١٩٢١ ) ، ص ٢ والجزء الثاني عشر من المجلد الثاني ص ٣٥٣ – ٣٥٤

سبيل الاستنتاج ، من ياسين الهاشمي . فهذا مثل الرصافي ، ظل مع الأتراك حتى انكسارهم . ولكن الهاشمي كان من كبار رجال جمعية العهد السرية ، ومكانته عند العرب كانت عالية ، فلما انكسر الجيش العثماني والهاشمي أحد القواد فيه ، لم يجد صعوبة في الانتقال إلى الجانب العربي وتولى قيادة الجيش العربي في دمشق . فلما اعتقله الانكليز في تشرين الثاني ١٩١٩ قال الرصافي في ذلك قصيدته الوحيدة وهو في دمشق (١) :

ياسينُ إنك بالقلوب مشيَّعُ أفأنت للوطن العزيز مودِّعُ

أخذوك يا بطل المعامع غيلةً بيد الخداع ومثلهم مَنْ يَخدع

تثبت هذه القصيدة أن الرصافي كان موجوداً في دمشق في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٩ وهو يوم اعتقال الهاشمي (٢) . وتثير القصيدة سؤالاً يصعب إيجاد جواب حاسم له : لماذا غيّرت السلطة العسكرية البريطانية موقفها من الرصافي حالاً بعد قول القصيدة ، وما الذي جعلهم يعينونه معلماً للغة العربية في دار المعلمين الابتدائية التي أسسوها وأداروها في القدس ، وما الذي جعلهم يتجاهلون ما في القصيدة من وصف الانكليز بالخداع ونقض العهود وإنذارهم بإثارة « الهياج والمعامع والهزاهز » ضدهم؟

لا شك أن السبب في هذا كله كان سياسياً . فالانكليز الذين منعوا

(١) الديوان ص ٤٥٩ .

(٢) كان ذلك بأمر القائد البريطاني العام وبطلب من فرنسا . والقصة مذكورة في السجلات البريطانية الرسمية المحفوظة في دار الوثائق العامة في لندن تحت رقم Fo 371 - 4185

الرصافي من العودة إلى بغداد ، سمحوا له أولاً أن يقيم في دمشق تحت حكمهم غير المباشر ، ثم أخذوه نهائياً إلى القدس ليكون موظفاً تحت إدارتهم يتناول راتباً من يدهم . فهل أرادوا إسكاته في وقت قرارهم الخطير لتسليم شؤون سورية وحكومة دمشق لفرنسا ؟ لا يمكن الفصل في ذلك، لكن تصرّف الرصافي في مدة أربعة عشر شهراً قضاها في القدس يدل على أن الانكليز قد نجحوا في إسكاته .

صرّح الشاعر فيما بعد أن ذهابه إلى القدس كان بمساعي محمد كرد علي(١) . ولكن هذا مستبعد لأن المذكور تجنب تكريم الرصافي أو مساعدته احتراماً لرأي ذوي الشأن فيه ، ولا برهان على أن كرد علي كانت له كلمة مسموعة عند الانكليز في فلسطين . وأقرب إلى الصواب ما رآه كاتب عراقي (٢) من أن تعيين الرصافي معلماً في القدس كان بتدبير من السير غلبرت كلايتون المستشار السياسي للسلطات العسكرية البريطانية في سائر سورية . وكانت إدارة معارف فلسطين من اختصاصه لأنه كان يتقن اللغة العربية وله معرفة متينة بعرب السودان ومصر وفلسطين وأصبح فيما بعد مندوباً سامياً في العراق .

ذُكر أعلاه أن الرصافي أقام بالقدس مدة أربعة عشر شهراً ابتدأت

---

(١) مجلة الثقافة الجديدة ( بغداد ) العدد الأول لسنة ١٩٥٤ ص ٢١ « الرصافي يتحدث عن نفسه » .

(٢) هو الأستاذ الدكتور صفاء خلوصي في مقال له عن « الرصافي في القدس » كتب باللغة الانكليزية ونشر مع بحوث لعدد من العلماء في الشرق والغرب في كتاب عنوانه ( Arabic And Islamic Garlan ) طبع في لندن سنة ١٩٧٧

في أول سنة ١٩٢٠ وانتهت كما سيأتي تفصيلاً في أول آذار سنة ١٩٢١. وذلك ينطبق على تصريح نشر في العدد الأول من مجلة «الثقافة الجديدة» لسنة ١٩٥٤: «طُلب إليّ التدريس في دار المعلمين في مدينة القدس وذلك بوساطة محمد كرد علي ... فسافرت في أواخر سنة ١٩١٩ أو أوائل سنة ١٩٢٠ على ما أذكر».

ودّع الرصافي دمشق وداع مصدور بقصيدة «بعد براح الشام»(١). وكان الأصح لو قال دمشق، فالمنتقل منها إلى القدس لا يخرج من حدود بلاد الشام. وفي هذه القصيدة من المرارة وبذيء القول ما يزيد على ماجاء في قصيدة الردّ على من استنكر موقف الشاعر من مؤتمر باريز. فهذه ملأى بذم الرؤساء والحكام وأعوانهم دون استثناء. وهذه أمثلة مما فيها: خئن يُشترى بالدرهم، مدّع في الوطنية، عبْد في السياسة، تكرّمني الأراذل، مَلْكٌ في البلاد عضوض، بلدٌ به مُقيت الأديب وأكرم العريض. ومع هذا كله يفتخر الشاعر أنه أفاض في ذكر مفاخر العرب وأنه ظل الوحيد في هذا الميدان حتى دار الزمان:

وغداً يُنازعني الحرورة شاعر ما كان حراً شعره المقروض

والشاعر المقصود هنا هو غالباً فؤاد الخطيب لأنه كان في حاشية الأمير فيصل بعد أن كان في حاشية والده الملك حسين وشعره في الثورة العربية مشهور. لكن لا مجال الآن للمفاضلة بين الشاعرين في القريض ولغته ومادته.

ذُكر أعلاه وصف دار المعلمين بالقدس التي جاء الرصافي إليها معلماً

---

(١) الديوان ص ٤٢٠ — ٤٢٣

« بالابتدائية » وهـذا ترجمة من اسمها الـكامل باللغة الانـكليزية ، وهو ينطبق تماماً على حقيقتها . فالمعهد كان ابتدائيـاً في كل شيء . أنشىء في ربيع سنة ١٩١٨ لتعليم المعلمين مادة ما سيعلمونه في المدارس الأولية الجديدة وكانت مدة الدراسة فيها ستة أشهر زيدت في عهد الرصافي إلى سنة . أما مواد الدراسة فيها فـكانت أولاً مبادىء صرف اللغة العربية ونحوها والقراءة والإملاء ، وثانياً مبادىء بعض الدروس الأخرى كالتاريخ والجغرافيـة . وسبب الاهتمام باللغة العربيـة أن الطلاب في دار المعلمين تعلموا سابقاً في مدارس الحكومة التركية باللغة التركية وكانوا يجهلون لغتهم العربية .

بناء على هذا لا يمكن قبول ما نُقل عن الرصافي أنه درّس « آداب اللغة العربية » ، فهذه المادة لم يكن لها وجود في برنامج دار المعلمين في ذلك الوقت . والذي يؤخذ من رواية بعض الطلاب الذين علّمهم الرصافي أن تعليمه كان قليل الجدوى . لكن الشاعر وجَد في مدينة القدس أديبين هما إسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني ، رحبّا به وأكرماه . فقال فيهما قصيدة « في إيلياء : إلى فاضليهـا النشاشيبي والسكاكيني » (١) . وإيليـاء هو الاسم الروماني للقدس ، واتخاذه دون الاسم العربي الاسلامي غريب من شاعر عربي مسلم . وأغرب منه أن يخصص نحو نصف القصيدة للعودة إلى ذم دمشق ومن فيها .

والأغرب هو أن أول تـكريم علني للرصافي كان حفـلة أقامتها له الكلية الانكليزية (٢) . وهي مدرسة أنشأتها وأدارتها جمعية تبشيرية بريطانية .

---

(١) الديوان ص ١٤٠ — ١٤١

(٢) وصف الحفلة في جريدة « مرآة الشرق » ( القدس ) في ١٩ أيار ١٩٢٠

وفي الحفلة ألقى الشاعر قصيدة لعلها أتفه ما في ديوانه بعنوان : « العلم : إلى شبان الكلية الانكليزية »[1] وفيها مدح المؤسسين الانكليز وجعل مدرستهم أحسن ما في جميع بلاد الشام :

ومعهدٍ أسست قواعده في بلد شفّني هوى عربِهْ
شيده للعلوم مدرسة مَنْ كان نشر العلوم من دأبه
تاهت به إيلياء فاخرة على دمشق الشآم أو حلبه
شكراً لبانيه ما أقام به شبانه القاطنون في قُبَبه

والقُبب هنا جاءت بها القافية ، فالمدرسة كانت في بيت جديد البناء سكنته إحدى أسر القدس المعروفة قبل أن استأجره الانكليز ولا قبب لبنائه .

ثم سكت الرصافي ستة أشهر فما الذي سكت عنه حتى كانون الأول سنة ١٩٢٠ ؟ يكفي إجماله بذكر أهم الحوادث الخطيرة في العراق وسورية وفلسطين والكوارث العظيمة التي حلت بالأمة العربية في هذه البلاد بترتيب وقوعها :

١ — في آذار أعلن المؤتمر السوري استقلال سورية بحدودها الطبيعية وانتخاب الأمير فيصل ملكاً دستورياً عليها ، وفي الوقت نفسه أعلن زعماء عراقيون في مؤتمر لهم في دمشق ( لاستحالة إقامته في بغداد ) استقلال العراق وانتخاب الأمير عبد الله ملكاً عليه . فرفضت بريطانيا وفرنسا الاعتراف بذلك كله .

٢ — أعلنت ملكية فيصل في القدس وذكر اسمه في خطبة الجمعة

---

(١) الديوان ص ٩١ — ٩٢

في المسجد الأقصى بعد قرار المؤتمر السوري . وفي الأسبوع الأول من نيسان وأثناء الاحتفال الشعبي بموسم النبي موسى هزج الجمهور « فيصل يا منصور ، بسيفك هدّينا السور » وعند وصول الموكب إلى باب الخليل خطب فيه رئيس البلدية موسى كاظم باشا الحسيني . وبعد ذلك حدثت فتنة دموية بين العرب واليهود دامت أياماً وأخمدها الجيش . (كان الرصافي ساعة وصول الموكب إلى باب الخليل جالساً في مقهى حديقة البلدية على بعد نحو نصف كيلو متر !) قبل أن رافقه هناك خليل السكاكيني[1] .

٣ — عزل الانكليز موسى كاظم باشا وعينوا مكانه من كان أكثر مسايرة لهم وهو راغب النشاشيبي ، مع أن المحكمة العسكرية برأت الباشا وانتقدت عزله دون محاكمة .

٤ — في الأسبوع الأخير من نيسان قرر الحلفاء ما أرادته انكلترا وفرنسا في مؤتمر سان ريمو وهو وضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي والعراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني . وفي حالة فلسطين جعلت بريطانيا مسؤولة عن تنفيذ وعد بلفور بانشاء وطن قومي لليهود . وقامت المظاهرات في القدس وأعلن العرب رفض الانتداب ووعد بلفور .

٥ — في شهر أيار أعلنت الحكومة البريطانية تعيين هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني مندوباً سامياً في فلسطين لتنفيذ سياسة إنشاء وطن قومي لليهود فيها . فتجددت المظاهرات والاحتجاجات العربية .

(١) كذا أنا يا دنيا : يوميات خليل السكاكيني (القدس ١٩٥٥) ص ١٩٤ (تحت تاريخ ٤ نيسان ١٩٢٠)

٦ — في شهر تموز احتلت فرنسا دمشق وقضت على الاستقلال العربي وأخرجت فيصل من البلاد وأخذت السوريين بالقهر .

٧ — وفي الشهر نفسه ثار العراق على الحكم الانكليزي ثورة كلفت بريطانيا لمدة أشهر آلاف الأرواح وملايين الجنيهات .

فإذا كانت هذه الحوادث والكوارث قد هزت من الرصافي نفساً أوجرحت منه قلباً فإنها لم توحِ له شعراً ولم تنطق منه لساناً . قد يُقال إنه كان موظفاً تحت إدارة بريطانية تدفع له راتباً شهرياً فلم يكن بوسعه أن يعارض سياسة حكومتها . ولكن ما الذي منعه من الاحتجاج على الفرنسيس في سورية ؟ أما كان مصير الحكومة العربية وإخراج فيصل من دمشق بالقوة جديراً بالرثاء ؟ كان فيصل نائباً عن الحجاز في مجلس المبعوثان في استانبول في الوقت الذي كان الرصافي نائباً فيه عن المنتفك . أما الأول فكان مُحبباً لطلاب الاستقلال من شبان العرب ، وأما الثاني فقد كرّه نفسه إليهم بموقفه من طلاب الاصلاح . ثم جاء هجاء الحسين بن علي والثورة العربية فزاد في التباعد والكراهية وموقف الرصافي من فيصل هو امتداد لموقفه من الحسين والثورة ، وزاد هذا الموقف عند الرصافي مرارة ما لاقاه من الاهمال في دمشق وهي تحت حكم فيصل أو نائبه وأخيه زيد .

وبعد سكوت ستة أشهر قال الرصافي قصيدة كانت من أشد ما قال ألماً في نفوس العرب . وقبل تفصيل المناسبة يحسن ذكر الأثر الوحيد الذي نُشر باسم الرصافي وهو يعلّم بدار المعلمين بالقدس . وهذا الأثر هو كتيّب « الأناشيد المدرسية »، لكل نشيد فيه لحنه الموسيقي بالرموز . وأحد هذه الأناشيد قصيدة للشاعر التركي توفيق فكرت كان الرصافي

ترجمها إلى العربية وهو في استانبول . والمرويّ أن واضع اللحن هو وديع صبرا اللبناني . ولكن لم يُذْكر سابقاً أن لحن النشيد هذا ، كما نُشر مع ترجمته العربية ، هو عين لحن النشيد الوطني الفرنسي ( المارسيلييز ). وأول من انتقد ذلك هو الأستاذ درويش المقدادي معلم التاريخ في دار المعلمين بعد عهد الرصافي ، وهذا هو النشيد (١) :

نحن خواضو غمار الموت كشافو المحن
مالنا غير اكتساء العز أو لبس الكفن
نبذل الأرواح نفديها لاحياء الوطن
هل سوى الأرواح للأوطان في الدنيا ثمن
يا ضلال الألى لم يكونوا الفدا
إن نمت نحن فلتحي أوطاننا (٢)

(١) الديوان ص ٥٥٣

(٢) كان هذا النشيد معروفاً قبل سنة ١٩١٨ ودوره الثاني كما يلي :

أنت يا أوطان من أرضٍ حوتنا أم سما
فارفعي في أوج علياك اللواء المعلما
وارتقي نحو المعالي واجعلينا سلّما
نحن من جرّاك نجري في الوغى سيل الدّما

وأما ما ذكره صاحب المقال من أن هذا النشيد مترجم عن قصيدة للشاعر التركي توفيق فكرت بك فقد يكون صحيحاً ، ولكن الأرجح أن ما نظمه هذا الشاعر إنما كان النشيد الوطني التركي الذي مطلعه :

بر فدائي ملّتز ، مرداوغلى مرد عثمانلي يز

غير أن النشيد « نحن خواضو غمار الموت » لم يكن مترجماً عنه لأن بين النشيدين اختلافاً كبيراً في المعاني .

لم ينتقد اللحن إلا بعض العـــارفين . لكن قصيـدة الرصافي التي نظمها وقدّمها إلى هربرت صموئيل وقعت على العرب في فلسطين وقع الصاعقة ، لأنهم ، والرصـافي بينهم ، رفضوا الاعتراف بصموئيل حاكماً عليهم ينفذ سياسة وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود ، ولأنه من زعماء الصهيونية أعلن عند وصوله إلى القدس أنه مأمور بتنفيذ تلك السياسة . ولم يغير العرب هذا الموقف بل عقدوا مؤتمراً عاماً لتأكيد رفض تلك السياسة والاحتجاج عليها بارسال وفد منهم إلى لندن . وفي أثناء انعقاد هذا المؤتمر دبّر صموئيل مكيدة سياسية ظاهرها بريء وباطنها مكر وتضليل .

لا نعلم ما دُبّر في الخفاء . ولكن الحوادث كانت كما يلي : دعا راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس إبراهام يهودا لإلقاء محاضرة باللغة العربية عن مدنية العرب في الأندلس . وكان المحاضر من يهود القدس وأصل عائلته من بغداد ، وقد مثّل يهود القدس في المؤتمر الصهيوني الأول ، ثم صار أستاذاً في جامعة مدريد . وسمع محاضرته عدد من العرب بدعوة خاصة ، وكان معظمهم من الموظفين ، كما سمعها عدد من الزعماء الصهيونيين وعلى رأسهم هربرت صموئيل ، مع أنه كان يجهل اللغة العربية . وكان الرصافي أحد الحاضرين . ومما يستدعي الانتباه أن جميع الصحف العربيـة لم تنشر

---

= ثم إن لحن النشيد « نحن خواضو غمار الموت » يختلف عن لحن النشـيد الوطني الفرنسي المعروف بالمرسيليز ، مما يثبت أنه من تلحين الموسيقي البيروتي وديع صبرا وأنه ليس منقولاً عن أي نشيد وطني آخر . وعليه فإننا نخال أن الأستاذ درويش المقدادي لم يكن مصيباً في انتقاده . « م.خ : لجنة المجلة »

إلى المحاضرة بشيء ، أما الصحف العبرية فوصفتها تفصيلاً[1] .

ويدل على الغرض من تدبير إلقاء المحاضرة أمران : ١ ) أن صموئيل ألقى خطاباً بالانكليزية تُرجم إلى العربية جملةً جملةً وعد فيه وعداً أخلفه وهو إنشاء معهد للدراسات العربية والاسلامية : ٢ ) كلمة لا شك في مصدرها ظهرت في جريدة التايمس[2] تمدح روح هذا الوعد الذي لم ينفّذ وتقدح في زعماء العرب لأنهم أرادوا الاحتجاج على السياسة البريطانية في مؤتمرهم : ٣) والدليل الثالث وهو أخطرها إدخال الرصافي في أمر ليس من شأنه عدّه عرب فلسطين خيانة لا تغتفر .

هل مثّلَ يهودا البغدادي الأصل دوراً سرياً مع البغدادي الشاعر ؟ كيف يُفسّر قوله قصيدة ، قد تُعد من أحسن ما قال صناعة ، وتقديمها إلى هوبرت صموئيل المعظم في تلك الظروف الخطيرة ؟ ما الذي جعل الرصافي يخالف أصول الضيافة العربية فيمدح عدو مضيفه ؟ ما الذي جرّأه على مخالفة إجماع عرب فلسطين دون حساب العواقب ؟ هل يعتبر اتهامهم له بأن الصهيونيين اشتروه بالدرهم حقاً أو باطلاً ؟ ما معنى إضراب الصحف العربية عن نشر القصيدة رغم أمرهم من أحد امناء سر صموئيل ؟ ومامعنى نشرها مترجمة في الصحف العبرية واعتبارها نصراً صهيونياً[3] ؟ .

---

(١) جريدة « ها آرتس » ( ١٥ كانون الأول ١٩٢٠ ) وجريدة « دُوآرها يوم » ( ٢٠ كانون الأول ١٩٢٠ ) .

(٢) جريدة « التايمس » ( لندن : ٢٩ كانون الأول ١٩٢٠ ) .

(٣) قالت جريدة « مرآة الشرق » ( ٢٨ كانون الثاني ١٩٢١ ) : « تظن جريدة « بريد اليوم » ( أي دوارهايوم ) بنشرها قصيدة الرصافي أنه أصبح صهيونياً . تخبّطي بغير هذه المسألة » . الكلمات الأربع الأخيرة هي مثل فلسطيني يفيد النفي .

تقع القصيدة في واحد وثلاثين بيتاً منها ما يلي :

خطاب يهودا قد دعانا إلى الفكر ... وذكّرنا ما نحن منه على ذكر
لدى محفل في القدس بالقوم حافل ... تبوّأه هربر صموئيل في الصدر
ولما تناهى من يهودا خطابه ... وقد سرّنا من حيث ندري ولا ندري
تصدّى له هربر صموئيل ناطقاً ... بسحر مقالٍ جلّ عن وصمة السحر
وقال وقد أصغى له القوم إننا ... سنرأب ما أثأته منكم يد الدهر
وننهضكم في منهج العلم نهضةً ... مقوّمة ما اعوجّ فيكم من الأمر
وعدتَ فأمسى القوم بين مشكك ... ومنتظر الإنجاز منشرح الصدر
فكذّبْ وأنت الحُرُّ مَنْ ساء ظنه ... فقد قيل إن الوعد دَيْن على الحر
ولسنا كما قال الألى يتّهموننا ... نُعادي بني اسرائيل في السر والجهر
وكيف وهم أعمامنا وإليهمُ ... يَمُتُّ بإسماعيل قدما بنو فهْر
ولكننا نخشى الجلاء ونتقي ... سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر (١)

بعد مضيّ أكثر من نصف قرن قد يجد المؤرخ في البيت الأخير ما يشفع للرصافي ، ولكن الناس في القدس وفلسطين كلها حينئذٍ لم يجدوا فيه ولا في الاشادة بمفاخر العرب المألوفة في شعر الرصافي ما يكفر عن سيئة كبرى . فأصبح مركز الشاعر مع زملائه وطلابه حرجاً ، وأخذ الذين رحبوا به عند قدومه يتجنبونه ، ورفضت الصحف العربية ( بخلاف العبرية ) نشر رده على منتقديه . ومن هؤلاء اثنان جديران بالذكر مع شيء من التفصيل .

أما الأول فهو وديع البستاني ، لبناني ماروني اختار فلسطين وطناً

(١) الديوان ٤٢٩ — ٤٣٠

له . وقد تخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت ومارس الكتابة ، ونظم الشعر . فلما جاء أمر أمين سر صموئيل إلى جريدة الكرمل بنشر قصيدة الرصافي تريث صاحبها نجيب نصار ( وكان من أول الذين نبهوا إلى الخطر الصهيوني قبل الحرب العظمى ووعد بلفور ) حتى تمكن البستاني من نظم قصيدة رداً على الرصافي تقع في أربعة وثلاثين بيتاً منها ما يلي :

خطاب يهودا أم عجاب من السحر وقول الرصافي أم كذاب من الشعر
ببغداد ، يا معروف ، بالأرض ، بالسما بربك ، بالاسلام ، بالشفع بالوتر
قريضك من دُرّ الكلام فرائد وأنت ببحر الشعر أعلم بالدر
ولكن هذا البحر بحر سياسة إذا مد فيه الحق آذن بالجزر
أجل ، عابر الأردن كان ابن عمنا ولكننا نرتاب في عابر البحر
أصليت في الأقصى صباحاً وفي المسا عشوت مع العاشين للرسم والذكر
ففي الحرب أبلينا بلاء موفقاً تسطر نوراً فوق ألوية النصر
وراقهم التقسيم أجراً موزعاً وعز جهاد العُرب عن ذلك الأجر
فبغداد في قُطْر ومكة وحدها وعكاء في قطر وصيداء في قطر
أتؤمن في بلفور بعد محمد وعيسى وموسى ، والوزير من الوزر
وربك لا ، فالوحي في الذكر صادق يكذب ما في الطرس من لوثة الحبر(١)

أما المنتقد الثاني للرصافي فهو الشيخ سليمان التاجي الفاروقي ، من علماء مدينة الرملة وسراتها ، تخرج في الأزهر ثم درس القانون وأصبح من كبار المحامين . وكان عند نشر قصيدة الرصافي في الصحف العبرية أحد أعضاء المؤتمر العربي الفلسطيني الذي اجتمع للاحتجاج على صموئيل

(١) ديوان الفلسطينيات لوديع البستاني ( بيروت ١٩٤٦ ) ص ١٠٤ — ١١٠

وتنفيذ سياسة وعد بلفور . وقد نشرت كلمة الشيخ سليمان باسم « إبراهيم حقي التاجي الفاروقي » لسبب يصعب الآن اكتشافه . لكن المشهور والمنقول أن الكلمة من إنشاء الشيخ سليمان لما فيها من بلاغة القول وقوة الحجة وأدب الحوار .

ردّه الشيخ سليمان بعنوان « إلى الفاضل الرصافي المعروف » الصفحة الأولى من جريدة « بيت المقدس » . وقبل الاقتباس منه حرفياً يحسن ذكر تاريخين : ألقيت محاضرة يهودا في ١٤ كانون الأول ، وأرسل الأمر بنشر قصيدة الرصافي إلى الجرائد العربية في ٢٨ منه ، فتكون القصيدة قد نظمت بين هذين التاريخين ووصلت إلى « هربرت صموئيل المعظم » قبيل التاريخ الثاني . وبعد ذلك نشرتها الصحف العبرية مترجمة . أما جريدة « بريد اليوم » ، وهي الطبعة العربية لجريدة « دُوار هايوم » العبرية ، فنشرت القصيدة كلها . فقامت العاصفة . ولم تكن الجرائد حينئذٍ يومية ، بل كان بعضها يصدر مرة في الأسبوع أو مرتين أو ثلاث مرات على الأكثر . وهذا سبب تأخر النشر وظهور الردود . ومعظم هذه كان قاسياً وبلهجة شديدة بخلاف رد الشيخ سليمان الذي يعد بحق مثالاً في الأدب كما هو واضح من الفقرات التالية التي نقلت حرفياً :

— « عفا الله عنك وقد أجراك الشعر قسراً في مضماره أو جرى على لسانك بما لعلك لا تحب أن تقوله » .

— « والحازم الشفيق على نفسه مَنْ لم يَجْبَه الناس بما لا يحبون ، هذا إذا شاء أن يصون كرامته وهذا إذا كانوا في ضلال . فما الظن بمن يأتي للحق فيقرعه في جبهته ويضربه في أرقّ موضع من نفسه إلا أن يكون ، أيها الفاضل ، ملوماً مليماً » .

— « لما انبثق نور النهضة لا نقول أكثر من أنه أدّاك اجتهادك إلى غير ما أدى إليه أمتك ... وإن اجتهادك ذاك قد أجناك ثمرة جهادك فأصبحت لدى الأتراك مبعوثاً عن بغداد » .

— « أقبلتَ إلى حاضرة الدولة العربية في دمشق ، ولعلك لم تلْقَ منها ما كنت تحب ، فأرسلتَ نفثتَكَ المعروفة أتيت بها على كل شيء ... نفذت إلى أخلاق القوم تهجّن صحيحها وتكدّر صريحها وتنال في غير حق كريمها » .

— « هبطت هذه البلاد فأكرموا مثواك ... وأنسيتهم أخلاقهم الكريمة خذلانك لهم في تلك النهضة وإيثارك عليهم وظيفة النيابة . واليوم قمت ، عافاك الله ، تسدد إلى قلب ذلك الشعب ذلك السهم ... ولم يكن الناس على توقّع ذلك منك » .

— « رُحْت تنشر في جريدة صهيونية تعليقك على كتاب وصلك من ناشيء لم يكبح جماح نفسه ... فماذا يقول الناس يا معروف ؟ أيقولون إنك رغبت عن الأمة . . وإنك كنت تتحيّن مثل هذه الفرصة لتعلن اعتزالك لأمة تشترك معها في لغة واحدة ، وتمهد لنفسك عذراً بهذا الاعتزال وتزدرع لدى أعدائها السياسيين يداً تزدلف بها إليهم وتنال بها مرضاتهم »[1].

---

(١) بيت المقدس ( ٢٩ كانون الثاني ١٩٢١ ) . والمقصود من قوله « جريدة صهيونية » في الفقرة الأخيرة هو جريدة « بريد اليوم » . وفيها نشر الرصافي كتاباً جاءه من أحد منتقديه في مدينة نابلس مع تعليق يدل ، كما قال الشيخ سليمان ، « عما في النفس من نقمتك على الوطنيين » ، وقالت جريدة « بيت المقدس » في آخر رد الشيخ سليمان إن الرصافي عرض عليها ما نشره في « بريد اليوم » فنصحه المحرر أن لاينشره . ولم يكن بالامكان إيجاد نسخة من « بريد اليوم » في المكاتب العامة .

وختم الشيخ سليمان كلمته بقوله إن بعض محبي السلام التمسوا لأقوال الرصافي بعض « الخارج » ، ومن هؤلاء بولص شحادة صاحب جريدة « مرآة الشرق » ، من أعوان راغب النشاشيبي الذي ألقيت محاضرة يهودا بدعوة منه . فاقتبس شحادة من القصيدة ما فيها ، كما في كثير من أمثالها في قصائد الرصافي ، من تمجيد العرب . فلا عجب أن التجأ الرصافي إلى « مرآة الشرق » لنشر جوابه على كلمة الفاروقي التي نشرت في « بيت المقدس » وفيما يلي دفاع الرصافي عن نفسه وبلغته :

ـ « ما كتبت ولن أكتب إلا ما اعتقدت وأعتقد أنه هو الصواب وإنني لم أقل شعراً إلا وأنا مندفع إليه بدافع وجداني عام ليس للمنفعة الخاصة إليه من سبيل » .

ـ « ولقد سمعت هذا الرجل السياسي يتكلم بكلام يشف عن حسن نية في سياسة البلاد ، ويعد مواعد يجب على القوم تقييدها عليه مهما كانت. ولقد صدر منه ذلك الكلام في محفل حافل كنت لشقوتي فيه من الحاضرين .. فكان كلام هذا الرجل السياسي عندي من البواعث والدواعي إلى قولي القصيدة المعلومة . وأنا أعتقد أن ليس فيها ما يُغْضب الحق أو يُرْضي الباطل».

وبعد أن يلخص محتوى القصيدة من أولها إلى آخرها يقول :

ـ « فما تنقم منه ، أيها الوطني ، وما أنا براجع عنه ، وسأقوله غداً كما قلته بالأمس إذا توفرت الدواعي إلى القول . يجوز للوطني أن يخطئني ولا يجوز له أن يخوّنني ، فإنه متى نسبني إلى الخيانة كان عندي هو الخائن لا محالة » .

ـ « أعلنُ لجمهور البشر من وطنيين وغيرهم أنه من علم منهم بأنني قلت شعراً لجلب مَغْنم أو لدفع مَغْرم فدمي له هدر » .

— « بعد مدة يسيرة أطلعت على اللائحة التي وضعها طلاب الاصلاح ورأيت القوم قد عقدوا مؤتمرهم في باريز فكتبت قصيدة « ما هكذا » منتقداً خطأ القوم في لائحتهم ومؤتمرهم معاً » .

— « إني أقول لك ، ولا فخر ، لم يكن في مبعوثي العراق من هو أحق مني بأن أكون مبعوثاً » .

— « نهضة الحجاز ... هبْني قاومتها كما تزعم ، فأيّ ضرر حصل لها من مقاومتي ، بعد أن أصبح العرب قاطبة يتمتعون اليوم بنتائج نجاحها العظيم ، إذ أصبحت بلادهم كلها وطناً سياسياً لهم مستقلاً استقلالاً تاماً ناجزاً. أنا لم أقاوم هذه النهضة إذ لا قوة لي على مقاومتها ولكني أبرأ إلى الله منها » .

— « والسلام عليك من رجل أينما ذهب اليوم لم يجد له وطناً سياسياً ، فهو ساخط على الدنيا ومن فيها »(١) .

هذا هو الدفاع وذاك هو الاتهام ، والحكم للقارىء . وإذا جاز للكاتب أن يبدي رأياً قال إنه تذكر حالاً بعد كتابة ما سبق قول عمر بن الخطاب لعامله على مصر عمرو بن العاص ، وقد سأله في مال لم يكن عنده قبل الولاية ، « كتابك إليّ كتابُ مَنْ أقلقه الحق » .

والتاريخ فيه كثير من المفاجآت . إذ بعد أربعة أسابيع من نشر دفاعه عن نفسه غادر الرصافي القدس على عجل — بدعوة من حكومة العراق وبتسهيل من صموئيل الذي سمح له بترك عمله قبل تعيين خلف له في دار المعلمين . ولفهم القصة نذكر بعض التفاصيل السياسية تمهيداً .

(١) مرآة الشرق ( ٦ شباط ١٩٢١ ) .

بعد أن احتل الفرنسيس دمشق وأخرجوا فيصلاً منها زحف أخوه عبد الله إلى شرق الأردن وأعلن عزمه على استرجاع دمشق . أما فيصل فقد فاوض الانكليز في لندن ، وتم الاتفاق على ترشيحه لعرش العراق على أن يتنازل عبد الله عن حقه فيه ويقبل البقاء في شرقي الأردن . وفي تلك الأثناء قامت في العراق بعد الثورة حكومة وطنية تحت إرشاد المندوب السامي البريطاني ، بخلاف فلسطين حيث كان المندوب منفذاً لحكم بريطاني مباشر . وأما شرقي الأردن فكانت في منزلة بين المنزلتين . وجاء وزير المستعمرات تشرشل للاجتماع مع المندوبين في القاهرة ومع عبد الله في القدس.

أما الحكومة العراقية فكانت برئاسة السيد عبد الرحمن الكيلاني وكان وزير الداخلية فيها طالب باشا النقيب ( نائب البصرة في مجلس المبعوثان في استانبول قبل الحرب ) . وكان كل منهما طامعاً في ملك العراق ، فقررا إصدار جريدة للدعاية في سبيل ترشيح عراقي لعرش العراق ومعارضة ترشيح فيصل ، فلم يجدا أصلح من الرصافي لهذه المهمة . وهذه بقية القصة بكلامه :

« اتفقوا على أني أنا الذي أتولى تحرير هذه الجريدة ، وجرى ذلك وأنا لا أعلم عنه شيئاً . وبما أني من المخالفين لطالب النقيب ، ومن الذين يبغضونه ، لم يُصْدر دعوة إليّ بهذا الشأن بنفسه بل بواسطة حكمت بك سليمان . فجاء تلغراف باسمه يدعوني إلى العراق مستعجلاً لمسائل وطنية مهمة . فكتبت إليه برقية بأي صفة تدعوني أنت ، ثم على حساب مَنْ آتي إلى العراق ، والظاهر أن طالب باشا هو الذي تولى هذا الأمر ، فطلب من المندوب السامي في فلسطين ( وكان آنذاك السر هربرت

صموئيل ) أن يسفّرني إلى العراق على حساب الحكومة العراقية . فاستدعاني الموما إليه بوساطة أحد موظفي المندوبية . وفاتحني بالأمر فوافقت على السفر إلى العراق » (١) .

ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن . إذ بعد وصول الرصافي بأسبوع واحد اعتقل الانكليز طالب النقيب ونفوه إلى سيلان . وبذلك سقط مشروع الجريدة ، خصوصاً لأن الكيلاني مال إلى ترشيح فيصل . وهكذا وجد الرصافي نفسه عاطلاً بلا مورد رزق . فالتجأ إلى المس غرترود بل سكرتيرة المندوب السامي ، فأعطته كتاب توصية إلى دائرة المعارف ، ولم يكن بالامكان إيجاد وظيفة دائمة ترضيه . وظل حاله كذلك مدة فعاد كما وصف نفسه « ساخطاً على الدنيا ومن فيها » وخاصة على الملك فيصل وحاشيته . ولكن هذا فصل آخر في حياة الشاعر له مجال آخر .

عبد اللطيف الطيباوي

(١) مصطفى علي : الرصافي وصلتي به ( بغداد ، ١٩٤٧ ) ص ٢٧٣ ، وأحمد مطلوب : الرصافي — آراؤه اللغوية والنقدية ( القاهرة ١٩٧٠ ) ص ٤٥

## التعريف والنقد

# عنترة وعبلة

حكاية غرامٍ بدويّة أعادت كتابتها وترتيبها دايانا ريجموند

Antar and Abla, A Bedouin Romance Rewritten and Arranged By Diana Richmond, London 1978 Published By Quartet Books Ltd.

**مراجعة الدكتور صفاء خلوصي**

مؤلفة الكتاب دايانا ريجموند من أسرة اسكتلندية مستوطنة في لندن ، تلقت تعليمها بادىء ذي بدء في داون هاوس Downe House ومدارس الفن البلدية بلندن ، وبعد أن تقلّدت منصباً في النشر الموسيقي تزوجت شقيق زميلتها في الدراسة ، تلك التي أيقظت فيها اهتماماً خاصاً بمصر وفلسطين . وبعد أن فرّقتها السنوات الخمس من الحرب عن زوجها التحقت به في القدس ، ولكن الانتداب البريطاني كان في آخريات أيامه فانخرط زوجها سنة ١٩٤٧ في السلك الخارجي ، فعاشت المؤلفة فترة في بغداد وعمّان والقاهرة والكويت والخرطوم ، وزارت شمالي إفريقية وإيران

واجتازت العديد من الصحارى وزارت المواقع الأثرية القديمة . وهي معروفة بدعمها للقضية الفلسطينية وقد نشرت من أجل ذلك مقالات في الكاثوليك هيرالد ( Catholic Herald ) ومجلة الأديان العالمية « World Faiths » والمجلة العالمية للشرق الأوسط Middle East International .

والذي ألهم المؤلفة هذا الكتاب صورة لعنترة رأتها لأول مرة في في القاهرة ثم في دمشق ، وبعد ذلك بفترة وجيزة في بيت بعض الأصدقاء العراقيين في إيطاليا ، مما حدا بها إلى كتابة هذه الحكاية مجدداً .

وعنترة – كما نعلم – شاعر عربي بطل عاش في القرن السادس الميلادي ، ولكنني لا أعتقد كما يعتقد بعضهم ، ومن بينهم المؤلفة ، أن الأصمعي من رجال الحاشية الأدبية في بلاط الرشيد هو الذي وضع الرواية في اثنين وثلاثين مجلداً وإنما هي من وضع القصاص أيام الحروب الصليبية .

والكتاب عبارة عن مختارات مترجمة ومحورة عن نسختين فرنسيتين ظهرتا سنتي ١٨٧٨ و ١٩٢٣ ونسخة انكليزية نشرت سنة ١٨٢٩ ، وهي تحدثنا جميعاً عن صراع عنترة كعبد يحاول أن ينال مكانه الجدير به في العشيرة وحبه لبنت عمه عبلة وزواجها . يتخلل كل ذلك حكايات أحداث الحب والفروسية والحرب والخيانة ومغامرات أقرانه ومعاصريه ؛ وبعض الأشخاص المذكورين حقيقيون والبعض الآخر من صنع الخيال ، كما أن بعض الحوادث المرويّة تاريخية إلى جنب أخرى مفتعلة . وقد قامت اولريكا لويد بتزيين الكتاب بصور تخطيطية إيضاحية جميلة . وإهداء الكتاب إلى : « توماس الذي ولد في عاصمة العباسيين ويحب الدنيا الناطقة بالعربية » وتوماس هو ابنها العراقي ولادة ، وقد وشحت الكتاب

بعبارة مقتبسة من « جورج ماكدونالد » في كتابه ( خلف ريح الشمال ) At The Back of the North Wind يقول فيها : « القاص البارع هو الذي يحاول أن يحسّن قصصه كلما أعاد روايتها . ويبدو أن غلوب باشا قد ساعدها في مواضع من هذا الكتاب الذي يضم ثمانية وعشرين فصلاً . وتعقد السيدة المؤلفة مقارنة بين ( الف ليلة وليلة ) و ( قصة عنترة بن شداد العبسي ) فتقول إن العرب يفضلون الثانية على الأولى ربما لأنها أكثر واقعية ، ثم تبدي المؤلفة تذمرها من عدم اطّلاع الانكليز الاطلاع الكافي فيما يتعلق بالعرب وتاريخهم وأدبهم ، ورغم أن مراكش أقرب إلى انكلترة من اليونان بكثير فإن مدى التفاوت في الاطلاع شاسع ورقعة البلاد العربية الممتدة من أغادير إلى عدن والخليج أوسع وأهم ». وباعتقاد السيدة دايانا ريجموند أن العرب واقعيون لا يسمحون لأنفسهم أن يحلقوا في دنيا الخيال إلا في أدبهم ، ولا سيما قصصهم وأشعارهم ، وهم أبرع الناس في معرفة الصحارى واجتيازها بسرعة وسلام ، كما أن فيهم عشقاً خاصاً للعبارات البليغة وغراماً بالألفاظ الرائقة المنتقاة ، فلا عجب أن يكتبوا أجمل أشعارهم على الحرير وبأحرف من ذهب ويعلقوها في أقدس مكان ألا وهو الكعبة. فأي شعب في الدنيا بلغ من تقديسه للغة ما بلغه العرب ؟ ومن هؤلاء الذين علقت أشعارهم على جدران الكعبة عنترة . وككلّ رواية تنال الإعجاب وتُروى بملايين الأفواه عبر العصور ازدادت القصة سعةً وغنى وثراء في التعبير ، ولم يكن بوسع المؤلفة أن تلم بمختلف وجوه الرواية ، فاقتصرت على وجهين منها ، أولها حبُّه الاسطوري لعبلة وثانيها فوزه في احتلال المكانة اللائقة به في قبيلته ؛ وللقصة مغزًى بعيد هو أن الإنسان

مهما كان مغموراً مهملاً فقد يدرك ذرى المجد بجهده المتواصل . وليس الكتاب مجرد أحداث في حياة عنترة وما يتصل بقبيلته من قريب أو بعيد بل يستطرد من حين لآخر إلى عادات العرب وتقاليدهم ونمط عيشهم ، فمن ذلك أن النساء أيام عبلة كن يشربن لبن الشياه عند نهوضهن في الصباح الباكر وكان الخدم يحملون هذا اللبن إلى شيوخ القبيلة بعد أن يُبرَّد بنسيم الفجر ، وقد اتخذت الكاتبة طور قُصَّاص العرب فهي تخاطب قرّاءها بقولها في الحكاية الثالثة عشرة : « وبينما كان عنترة غائباً ، أيها المستمعون لم يعد الرجال والنساء ، فضلاً عن أطفال القبيلة ، يبتهجون بوجود عبلة بينهم أو يسمعون ضحكاتها المرحة » ويُلاحَظ أن الكاتبة قد نعتت فصولها الثمانية والعشرين بالحكايات ، وباعتقادي أنها حاولت جاهدة نقل الأسلوب العربي الأصلي إلى قرائها الانكليز ، فقد تتخذ أحياناً طريقة الواعظين في كلامها كما هو الأمر في ختام الكلام الذى يدل على احترام عظيم تكنه السيدة للرسول الكريم ومحبة للعرب ومراعاة لشعورهم ؛ فخلافاً لما يذكره المؤلفون الأوربيون في خرائطهم استعاضت عن عبارة الخليج الفارسي بالخليج العربي ، ومن الطريف أن الرسامة التي زانت كتابها بالصور الايضاحية هي الأخرى قد جارتها في أسلوبها التقليدي ، فالصور تذكرنا بما نجده في المخطوطات العربية المصوّرة باستثناء النساء العاريات في بركة الاستحمام وقد لحهنّ راكب مصادفة من بين القصب المحيط بالبركة .

وإذا جاز لنا أن نوجه شيئاً من النقد إلى الكتاب فإنما ينصب على الحكاية الأولى التي ليست بحكاية وإنما استعراض للقبائل والشيوخ وكان بالإمكان حذفه ودمج ما فيه من نقاط جوهرية قليلة في الحكاية الثانية

الموسومة بـ ( ثياب عنترة ) . ومن النقدات التي يمكن أن توجه إلى الكاتبة هي أنها لم تتبـع الأسلوب المتعارف عليه في نقل الأسماء العربية بالرسم اللاتيني كما حصل مـع أسماء أخرى من نحو ( كنعان ) و ( مضر ) و ( والمُهَلْهِل ) وكنا نود لو أن غلوب باشا الذي راجع الكتاب قد نبهها إلى هذه الناحية .

وقد نجد فصلاً لا ينطبق عنوانه عليه تمام الانطباق كالفصل الرابـع الموسوم ( عبلة ) وليس فيه عن ( عبلة ) سوى مشهد مفاجأة عنترة لابنة عمه وهي تتنشط وتتزين ، فتهرب منه إلى الجانب الآخر من الخباء وتحاول بعد ذلك أن تنهض كل يوم مبكرة لزينتها لئلا يفاجئها ابن عمها كرّةً أخرى في مثل هذه الحال عندما يأتيها باللبن الساخن فَطُوراً كلَّ صباح ، هذا كل ما في فصل عبلة عن عبلة . ثم تمضي المؤلفة لتتحدث عما كان يقاسيه عنترة من ضرب والده المبرّح له ، مع أنه لم يكن أقوى منه ، وإنما كان يرضخ له ويذعن احتراماً له ليس غير ، وأخيراً يتفق أبوه وعمـه على قتله في بعض الآجام ، وبينا هما يكمنان له وراء الأدغال إذ يَخْرُجُ عليه سَبعٌ ضارٍ فيفرحان لأنه سيقوم بالمهمة عنها ولكن سرعان ما يذهل الجمع المتآمر المختبيء عندما يشاهد عنترة يهجم على الأسد ويمسك بفكيه ويشقه شقين ويسلخ جلده ليستعمله فروا له ، فيكبرون عمله ويعتدّونه منذ ذلك الحين بطلاً من الأبطال ، وتقص علينا الأستاذة الكاتبة في هذا الفصل كيف أن جماعة مغيرة تأتي غازية فتسبي عبلة فيستردها عنترة بعد أن يقتل سابيها ويوقع بالغزاة أفدح الخسائر .

أعتقد أن خير عنوان لهذا الفصل ( بطولة عنترة ) لأن البطولة هي الطاغية عليه و ( عبلة ) موضوع ثانوي فيه ، ومن الممتع أنه خُصِّصَ فصلٌ مستقلٌ للأبجر ، فرس عنترة ، فهو في نظر السيدة دايانا لا يقل أهمية عن ( عبلة ) في مدار الكلام ومجريات القصة . وأخيراً كنت أوَدُّ لو أن الأشعار في الكتاب قد تُرجمت بدقة وبراعة أكثر ، ولكن هذا لا يمنعني من تقديم التهنئة لدايانا ريجموند على جوانب أخرى من كتابها الأنيق اللطيف ( عنترة وعبلة ) .

اكسفورد صفاء خلوصي

# فيليب لطف الله

## شـــاعراً وإنسـاناً

### تأليف الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين

[ سان باولو – البرازيل ١٩٧٧ ]

#### مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

تباركت اللغة العربية ، فما أوسع مداها وما أعظم انتشار رقعتـها فهي اليوم لغة ١٥٠ مليون عربي ومليار مسلم يرددون ألفاظها العذبة في الصلوات الخمس ومن فوق آلاف المآذن ، ولن تنطوي صفحة هذا القرن إلا وستكون اللغة الأولى في العالم بإذن الله .

تباركت هذه اللغة السماوية في كتـاب هو أقدس كتب الباري عزّ اسمه وجلّت صفاته . أقول هذا وقد باغتني البريد بكتاب جديد مطبوع بالعربية في سان باولو بالبرازيل ، والبرازيل ذاتها اسم عربي كما يقول علماء المعجميات واللغات فقد اشتق من عبارة « بر السَّيْل » لكثرة ما كان فيها من سيول يوم وفد عليها المغامرون الإسبان المنحدرون من أصل عربي . وأياً كان مقطع الصواب في هذه التسميـة ومحجة القول الفاصل ففي البرازيل

اليوم عروبة وفي العروبة نشر وإبداع على صعيدي الشعر والنثر ، وقد راقني أن يكون الشاعر عربياً برازيلياً في أقصى الغرب ومَنْ كتب عنه في المشرق العربي وفي قلب العروبة النابض — في العراق ؛ ومن يتحدث عنها في كعبة المعاجم والآداب الانكليزية ، اكسفورد . فأنا إذن صادق كل الصدق حين أقول إن أوتار الخناجر تصدح بالعربية ما بين بغداد وإكسفورد وسان باولو في هذه الساعة التي نتحدث فيها ، فضلاً عن عواصم وأمصار الدنيا الأخرى . لن أتقدم بتعريف للأستاذ المؤلف وحيد الدين بهاء الدين فهو صاحب ما لا يقل عن عشرين كتاباً في موضوعات متباينة شتى ما بين خواطر هائمة وتراجم أعلام ومراجعات كتب وقصص وحكايات ولوحات أدبية فهو صاحبُ مصطفى جواد ؛ صاحَبَهُ وراسله دهراً ، وصديق الشاعر حافظ جميل وقد كتب عن خمرياته وزهدياته ، والخِلُّ الوفي لأمير شعراء المغتربين في أوربا الأستاذ الكبير جورج صيدح ، وقد ألّف وكتب عن حياته وشعره ورسائله . وكفاه هذا التناغم والتجاوب الأدبي بينه وبين أساطين الفكر المعاصر على اختلاف أمصارهم واعتزازاً وفخراً ومكانة مرموقة في دنيا الأدب والبحث والنقد .

أما المُترجَم له : « فيليب لطف الله » الحاج مخوَّل التبشراني ، فهو شاعر البرازيل العربي دون منازع ؛ ولد عام ١٨٩٧ في قرية بسكنتا ، أم العباقرة الأفذاذ ، الرابضة على سفح صنين الشامخ ، قرية ميخائيل نعيمة ورشيد أيوب وكعدي فرهود . انخرط في سلك المدرسة الوطنية ببسكنتا متلقياً بها دروسه الأولى على نفقة الدولة الروسية القيصرية يومذاك ؛ وفي سنة ١٩١٢

عمّ فيليب وجهه شطر ضهور الشوير ليلتحق بالمدرسة الأميركية فكان ذلك أول عهده بالانكليزية وشرع يراسل أخاه « سليم » في البرازيل وقد سبقه في الهجرة إليها فقرر أن يُبْحِر إليها مهاجراً عام ١٩١٣ غير أن الحرب العالمية الأولى وكوارثها وويلاتها حالت دون ما كان يهدف إليه ويتمنى ، ولم تتح له بعد ذلك فرصة الهجرة إلا عام ١٩٢٠ مصطحباً معه شقيقته وابنْي عمّه وهو يردد بمرارة [ من بحر الطويل ] :

أهاجرُ لُبناناً وفي الحلقِ غُصّةٌ ... وفي القلب غُصّاتٌ وفي العين أدمعُ
وفي النفس أنّاتٌ على من هجرتُهُم ... صِحَابٌ وأحبابٌ وأهلٌ وأربُعُ
وشوقٌ بـه نار الجحيم تأججتْ ... هي الحبُّ ، هل يوماً إلى العُش أرجعُ ؟
وخَفّفْتُ عن نفسي بدمعٍ ذَرَفْتُهُ ... وكُلُّ يمامٍ فارَقَ السِّرْبَ يسجَعُ !

هذا هو والله الديباج الخُسرواني ، فأي لسان يردد هذه الأبيات ولا يرتعش ارتعاشة أوتار الكمان بحنين دونه حنين الفطيم إلى أمه والفرخ التائه إلى عُشّه .

وعلى صغر حجم الكتاب النسبي فقد جمع أطراف الموضوع وحَسُنَ تقسيمُ فصوله إلى فصلٍ استهلالي عن حياته بعنوان : « إشارات وإضاءات » يدعمه فصل يحلل فيه الكاتب الفاضل شعر المُتَرْجَمِ له ، يليه آخر واسمه « نسمات برازيلية » ، ثم فصلان ممتعان أحدهما عن أدب فيليب لطف الله الاخواني والآخر عن مراسلات بين المؤلف والشاعر ، ومسكُ الختام كما هو المعتاد في كتب تراجم الشعراء الموفقة فصل يضم نماذج من شعر فيليب لطف الله بموضوعات وأوزان وقوافٍ متنوعة تروق الأذن والقلب

والعقل فهو يتنقل بين ( جهنم الدرهم ) و ( زمن الصبّا ) و ( الشباب في الشيخوخة ) و ( عيد النصر ) و ( الزورق الضائع ) و ( موت البلبل ) و ( العزلة الخضراء ) و ( بين دارين ) و ( مروج الياسمين ) إلى آخر ما هنالك من عناوين معظمها من ابتكار الشاعر واختراعاته المبدعة ؛ وقد صوّر لنا الأستاذ وحيد الدين شاعره جاداً في موضوع الحب ،هازلاً في مواقف الهزل والسخرية ، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الشاعر المفلق فللحياة أطوار متضاربة متناقضة ، ولا بد من تصويرها ببراعة كلما وجد الشاعر نفسه مطوقاً بها . ومن جميل شعره الهازل الساخر قوله : [ من الكامل ] :

لم يبق غيرك للبريّة مغنمٌ　　عبدوكَ قبلَ إلاههم يادرهمُ !
إنْ رنّ صوتُكَ فالقلوبُ خوافقٌ　　أو بانَ وجهُكَ فالأسرّة تَبْسِمُ

وتعجبني في الشاعر المسيحي العربي الأصيل فيليب لطف الله روحُهُ الاسلامية التي يجعلها جزءاً لا يتجزأ من عروبته الخالصة ، ويتجلى ذلك واضحاً صريحاً في قصيدته ( عيد النصر ) ، التي يقول فيها أبياتاً تجد تجاوباً في قلوب العرب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم فمن ذلك قوله [من الوافر] :

رسولَ الله جئتَ رسولَ هديٍ　　ونوراً للأعارب والأنامِ
فكان الوحيُ للإسلام ديناً　　يقومُ على التآخي والسلامِ
وما القرآنُ إلا فجرُ علمٍ　　به مشَتِ القلوبُ إلى الأمامِ
رسولَ الله حين وطئتَ أرضاً　　أزاحَ النورُ أستارَ الظلامِ

وفيليب لطف الله أديبٌ مترسل ؛ ولكن شاعريته غالبة عليه فهو

شاعر حتى في نثره ولا يـكاد يمضي في رسالة أو رد على رسالة بضعة أسطر حتى يعرّج به شيطانه على وادي عبقر فإذا بالرسالة شعرٌ أكثر منها نثراً، وهذا ما لاحظته في مراسلاته مع الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين في كتابه عنه ؛ ولا تخلو هـذه الرسائل من التفاتات بارعـة ظريفة فقد بعث إليه الأستاذ المؤلف شيئاً من تمر العراق فكتب إليه يقول :

« تحية أشهى من التمر .. كانت صلتنا روحية أدبية بحتة فأصبحت بعد أن أشركت معدتي بحلاوة تمرك جسدية أيضاً » ولا يتمالك نفسه من أن يطلق العنان للسانه فيتدفق شعراً عذباً ، ويمضي مغنياً [ من البسيط ] :

يستعذبُ التمرَ من أرجاءِ بغدادِ إنْ جاء موسمُهُ في غيرِ ميعادِ
النفسُ تمرح في أفضالِ موسِلِهِ وينعَمُ الجسم في عذبٍ من الزادِ

ويبدو أن هناك حركة أدبية عربية مباركة في مهاجر البرازيل لابد أن يماط عنها اللثـام كاملاً . وقد رفع الأديب الكبير الأستاذ وحيد الدين جانباً من هذا اللثام في كتابه الجديد عن « فيليب لطف الله » رجل الأعمال البرازيلي ورئيس رابطة القلم فيهـا والشاعر الوجداني الذي خلّد وفـاءَهُ للبنان في ديوانه ( نسمات الجبل ) ولم يجحد فضل وطنه الثـاني البرازيل فأصدر ديوانه الآخر ( نسمات برازيلية ) .

ولكأن ما يقوله الأديب اللبناني راجي عشقوني عن فيليب لطف الله في مجلة ( المراحل ) العربية ـ البرتغالية للسيدة ماريانا فاخوري ينطبق على الأديب الباحث الأستاذ وحيد الدين أيضاً ، ولا عجب فهما في هذا الكتاب روح واحدة في جسدين : أحدهما مشرّقٌ والآخر مغرّب . ويقول الشاعر راجي عشقوني :

« إنك تكتب لا تشكر ، بل من طبعك أن تُعطي دون شرط ، لكأنك الشمسُ التي تزور الأرض وتمسح بكفها الأشياء وتمضي ولا تسأل ولكن العافية التي تحركت في كل عرق هي وحدها ترتفع أناشيد صامتة تشكر للشمس حُبَّها » .

وختاماً أمد يمناي إلى فيليب لطف الله مباركاً شاعريته وشاكراً هديته ويُسراي حيث موضع القلب إلى الأستاذ الكبير وحيد الدين بهاء الدين على ما أسدى للعربية من صنيع بترجمته لهذا الشاعر الفذّ .

اكسفورد صفاء خلوصي

# حول ديوان عروة بن الورد

## الأستاذ محمد يحيى زين الدين

نشر ديوان عروة بن الورد أول مرة في جوتنجن[1] عام ١٩٦٣ بتحقيق المستشرق الألماني تيودور نولدكه . وقد أثبت المحقق في أول الديوان بعض أخبار عروة بن الورد ، كما ترجم قصائد الديوان ومقطعاته إلى اللغة الألمانية ، مع ذكر مقدمة موجزة عن الشاعر ، وعن نسخة ديوانه .

ثم طبع ثانية في القاهرة عام ١٢٩٣ هـ بعناية الأستاذ أمين بن عمر زيتونة ، ضمن « مجموع مشتمل على خمسة دواوين من أشعار العرب » . ومع أن الأستاذ المحقق لم يذكر النسخ التي اعتمدها في نشرته تلك ، إلا أنني أرجح أنه اعتمد على المطبوعة السابقة ، ولكن ترتيب المقطعات في نشرته تختلف عما هو في طبعة المستشرق .

كما طبع أيضاً في بيروت عام ١٣٢٧ هـ ضمن « خمسة دواوين العرب » إلا أن الناشر أغفل مجمل شرح ابن السكيت ، وبعض الأخبار الأخرى، كما أعاد ترتيب الديوان ترتيباً هجائياً ، بيد أن أغلب المقطعات خالية من الشكل إلا في القليل النادر .

---

(١) وفقاً لقواعد التعريب يقتضي أن نكتب : غوتنغن .

كذلك نجد في شعراء النصرانية طائفـة أخرى من أشعار عروة بن الورد وبعض شرح ابن السكيت ، غير أن المؤلف بدل ترتيب المقطعات على غير نهج واضح ، كما أضاف إليها جملة من الأخبار المتصلة بها وبعض الأبيات المتفرقة ، ولكنه أباح لنفسه ألواناً من التصرف في النص لم تخل في بعض المواضع من سقط واضطراب .

ثم نشر مرة أخرى في الجزائر عام ١٩٢٦ م . بتحقيق الأستاذ محمد ابن أبي شنب ، وهي فيما أرى من أفضل طبعات الديوان ، وأتمها ، وأغزرها شعراً . إذ استطاع المحقق أن يصحح كثيراً من أخطاء النشـرات السابقة وأن يكمل النقص في بعض عباراتها .

كما نشر أيضاً في بيروت عام ١٩٦٤ م بعناية الأستاذ كرم البستاني ، بيد أنه أعاد ترتيبـه على القوافي ، كما أثقل النصوص بشيء غير يسير من التزيد والاضطراب ، مما أدى إلى كثرة بالغة من الأخطاء اللغوية والنحوية.

كذلك طبـع في دمشق عام ١٩٦٦ بعناية الأستاذ عبد المعين الملوحي غير أنه لم يعتمد في نشرته تلك على نسخة خطية من الديوان ، وإنما اعتمد بعض الطبعات السابقة منه ، إلا أنه لم يشر إلى أي اختلاف فيما بينها ، كما لم يبين عدد الأبيات وترتيبها في كل مطبوعة . كذلك لم يعن بتخريج الشعر أو معارضة رواية الديوان والروايات المختلفة في شتى المصادر . وثمة بعض الملاحظات الأخرى أجملها فيما يلي :

● ص ٣٥ : « قال اللحياني : يقال للمحتـال من الرجال إنه لَحُوَّلة ، وحُوَّل قُلَّب ، وحُوالي قُلَّب » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٨٧ [١] : ... إنه لحولة وحُوَّلة وحول قلب ...

● ص ٣٩ : « ماوان : واد فيه ماء فيما بين النَّقِرَة والرَّبَذَة فغلب عليه الماء فسمي ذلك الماء مَاوان . رُزَّح : قد سقطوا من الإعياء. وكانت منازل بني عبس فيما بين أبانَيْنِ والنَّقِرَة وماوان والرَّبَذَة هذه منازلهم » .

والشرح في معجم البلدان ( ماوان ) عن ابن السكيت باختلاف يسير : « هو واد فيه ماء بين النقرة والربذة فغلب عليه الماء فسمي بذلك الماء ماوان . وكانت منازل عبس فيما بين أبانين والنقرة وماوان والربذة . هذه كانت منازلهم » .

● ص ٤٢ :

إذا آذاكَ مالُكَ فامتهِنْهُ لجادِيهِ وإن قَرِعَ المُراحُ

والصواب : « إذا آداك » بالدال ، وآداك : أعانك . ويروى : « إذا ما آد » ، وآد : كثر . انظر اللسان والتاج ( أدا ) ، ( قرع ) ، والأمالي ٥٨/٣ ، وسمط اللآلي ٧١٤/٢ ، وديوان عروة بن أذينة ٣١٤ . وهذا البيت شرحه المحقق كما يلي : « قرع : خلا وفرغ . المراح : المكان يروح القوم فيه » . والصواب : قرع المراح : أي هلكت الماشية ، يقال: قرع مأوى المال ومراحه من المال قرعا . هلكت ماشيته فخلا .

(١) شرح ديوان عروة بن الورد طبع القاهرة ١٢٩٣ هـ ، وهو الأصل الذي اعتمده المحقق .

● ص ٥٢ : « والماء البارد : أي في الشتاء ، وذلك أشد » .

والذي في شرح ابن السكيت ص ٨٨ : والماء بارد : أي في الشتاء ، فذاك أشد .

● ص ٥٦ « السرير موضع في بلاد بني كنانة » .

والشرح في معجم البلدان ( السرير ) عن ابن السكيت ، وهو كذلك في اللسان ( سرر ) دون نسبة .

● ص ٥٦ :

رُويدَ عليٍّ جُدَّ ما ثديُ أمِّهم إلينا ولكن وُدُّهم مُتَمايِنُ

« يريد متفاعلن ، من المين ، وهو الكذب . يقال : كذب ومان » .
والصواب : « متفاعل » والبيت لمالك بن خالد الخناعي كما في أشعار الهذليين ٤٤٧/١ ، وهو كذلك في اللسان ( مين ) ، ( مأن ) ، ( جدد ) ، ( رود ) ، والتاج ( مأن ) ، وتهذيب اللغة ٤٦١/١٠ ، ١٦٢/١٤ ، ٥٢٩/١٥ ، والمخصص ٨٩/١٤

● ص ٥٧ : ذو النقير : هو موضع ماء لبني القين ولكلب ، وقيل موضع يقر فيه الماء .

والشرح في معجم البلدان ( النقير ) باختلاف يسير :

« موضع وماء لبني القين من كلب ... » .

● ص ٥٨ : « اليَستَعُور : موضع قبل حَرَّة المدينة فيه عِضاه من سَمُرٍ وطَلْح » .

والشرح في معجم البلدان ( اليستعور ) عن أبي عبيدة باختلاف يسير:

« ... عضاه وسمر وطلح » .

● ص ٥٨ : فطاروا في عضـاه اليستعور : وهي بعيدة لا يـكاد يدخلها أحد إلا يرجع من خوفها » .

والشرح في معجم البلدان (اليستعور) عن ابن السكيت بتصرف يسير: « وعضاه اليستعور: جبال لا يكاد يدخلها أحد إلا رجع من خوفها».

● ص ٦١ :

وكيفَ تُرجّيها وقد حِيلَ دونَها وقد جاورتْ حيّاً بتيمَنَ مُنكرا

والصواب : « تيمَن » بفتح الميم . انظر معجم البلدان ( تيمن ) ،ومعجم ما استعجم ١١٢١/٤ ، واللسان ( تمن ) .

● ص ٦١ : « قوله كَدَاء هذه التي ذكرها ممدودة وهي أرض ببيشة كثيرة الأسد وكدا غير هذه مقصورة ثنية بين مكة والطائف » .

والشرح في معجم البلدان ( كداء ) عن ابن السكيت وفيه : «.. ممدودة هي ... »

● ص ٦١ — ٦٢ : « تَيمَن أرض قبل جُرَش أو في شق اليمن وثم كَدَاء والناس ينشدونها : بتيماءَ مُنكرا . وهـذا خطأ وتيماء التي ينشدها الناس أرض قبل وادي القرى بها نخل كثير » .

والشرح في معجم البلدان ( تيمن ) عن ابن السكيت بتصرف يسير: « تيمن أرض قبل جرش في شق اليمن ثم كداء ، والناس ينشدونها : بتيماء منكراً . وهذا خطأ لأن تيماء قبل وادي القرى وهذه المواضع باليمن».

● ص ٦٤ :

لعلّكِ يوماً إن تُسِرّي ندامةً عليّ بما جشمتني يومَ غَضورا

والصواب : « أن تسري » .

● ص ٦٧ : « يقال للذي يخرج سهمه من القداح أولاً : فاز سهمك » .

والذي في شرح ابن السكيت ص ٩٤ : قد فاز سهمك .

● ص ٦٩ : « وهي في الدواهي مثل هذه الإبل » .

والصواب كما في شرح ابن السكيت ص ٩٤ : مثل هذه (١) في الإبل .

● ص ٧٤ :

فيوماً على نجدٍ وغاراتِ أهلِها ويوماً بأرضٍ ذاتِ شثٍّ وعَرْعَرِ

والصواب : « ذات شثٍّ وعوعر » . انظر اللسان والتاج ( شثث ) ، والأصمعيات ٤٧ .

● ص ٧٦ :

وبالغُرِّ والغَرّاءِ منها منازلٌ وحولَ الصَّفا منأهلِها مُتَدَوَّرُ

والصواب : « وبالغَرِّ » بالفتح . ويروى : « وبالغَرو » . والبيت في اللسان ( غرا ) ، ومعجم ما استعجم ٣/٩٩٩

● ص ٧٦ : « غَضْوَر : ثنيّة فيما بين المدينة إلى بلاد خزاعة وكنانة » .

والشرح في معجم البلدان ( غضور ) عن ابن السكيت باختلاف يسير: « غضور : مدينة فيما بين المدينة ... »

● ص ٧٧ : « يريد بأثواب خفافٍ : الأبدان » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٩٧ : يريد بقوله بأثواب..

---

(١) أي الناقة المذكر .

● ص ٧٨ : « أي متى ما يحملوا عليه ما لا يطيق من العذل والظلم يَتَعَيَّر » ..

والذي في شرح ابن السكيت ص ٩٧ : أي متى يحملوا ..

● ص ٨١ : « وعُلامة كل شيء ما جاء منه بعدما يمضي أوله » .

والصواب كما في شرح ابن السكيت ص ٩٧ : وعُلالة كل شيء . .

● ص ٨١ : « مهند منسوب إلى الهند . فما أرفىء منه بالخَط" وهي قرية بالبحرين سمي خطيا » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٩٨ : « . . . . . الهند »والأسمر : الرمح تؤخذ قناته وقد أدركت في غابتها ونضجت ويبست ، فإذا قوّمت خرجت سمراء . وهو الأظمى ، يقال : رمح أسمر وأظمى وشفة ظمياء : أي سمراء . والخطي : القنا ، كله يؤتى من الهند ، فما أرفىء منه بالخط ... »

● ص ٨٣ : « وكان الرجل إذا حسنت إبله في عينه ، وامتنع من أن ينحرها في حق ، أو يعطي منها في حَمَالة ، قيل : أخذت إبل فلان أرماحها » .

والصواب كما في شرح ابن السكيت ص ٩٨ ، واللسان ( رمح ) : يعطي ... رماحها .

● ص ٨٥ : غزت بنو عبس طيئا بعدما رمي عنترة ، فسبوا نساء خارجات من الجبل ، فتبعتهم طيء ، فقاتلتهم عبس ، وكان عامر ابن الطفيل ... » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٩٨ : « ... فقاتلتهم

عبس حتى ردوهم إلى جبلهم ، وجاؤوا بالنساء إلى بني عبس ، وكان عامر بن الطفيل .... » .

● ص ٨٦ : « والطِّفلة : الناعمة الرطبة » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٩٩ : .... النّاعمة الرَّخْصة الرُّطبَة .

● ص ٨٦ : « إذا شال السماك — أي النجم — ارتفع » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٩٩ : ... أي النجم — أي ارتفع .

● ص ٨٧ : « سبيت في الليل من آخره » .

والذي في شرح ابن السكيت ص ٩٩ : سبيت بالليل في آخره .

● ص ١١٥ : « لأن الأثل إنما تنبت بالجبل ، يعني حتى تروا يثرب » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ١٠٢ : « ... بالجبل ، فيقول : المكان الذي تطلب فيه الغارة هو منبت الأثل ، والهيمة هناك ، ومنبت النخل : يعني حتى تروا يثرب » .

● ص ١١٥ : « وحرس واد بنجد فقال حرسين لشيء آخر » .

والشرح في معجم البلدان ( حرس ) عن ابن السكيت وفيه :

« وحرس واد بنجد فأضاف إليه شيئاً آخر فقال حرسين » .

● ص ١١٦ : « لأنا نطرُدُها ونسبق الناس بها » .

والذي في شرح ابن السكيت ص ١٠٣ : ونسبق بها الناس .

● ص ١٢٠ : « وينوس يتحرك من ثقل القدر ، وفوقها أعلاها، إنما أراد أن الأثافي تحرك على هذا القدر » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ١٠٤ : ... القدر ، ولم يرد فوقها أعلاها إنما أراد ...

● ص ١٢٣ : فإذا لم يفتضها قيل: باتت بليلة حُرّةٍ » .

والذي في شـرح ابن السكيت ص ١٠٥ : فإذا لم يقتضها . وفي اللسان ( فضض ) : افتَضّ فلان جاريتهُ واقتَضّها إذا افترَعها . وتتمة العبارة السابقة : فإذا لم يفتضها من ليلتها قيل : باتت بليلةِ حُرّةٍ .

● ص ١٢٣ :

أقولُ له يا مالِ أمُّكَ هابلٌ  متى حُبست على أفَيِّحَ تُعقَلُ

والصواب كما في معجم ما استعجم ١/١٧٨ : أفيحِ تُعَقَّلُ .

● ص ١٢٥ : « بذي طلال : يروى بذي ظلال . هو ماء قريب من الرَّبَذَة وقال غيره هو واد بالشربة لغطفان » .

والشرح في معجم البلدان ( ظلال ) عن ابن السكيت باختلاف يسير . وانظر كذلك اللسان ( طلل ) .

● ص ١٢٩ : « قوله : ولم أسألك قبل اليوم ولكني على أثر الدليل » .

والصواب :

ولم أسألك قبلَ اليومِ شيئاً  ولكنيْ على أثَرِ الدَّليـــلِ

● ص ١٣٣ :

فإلا آتلِ أوساً فإني حسبُها  بِمنبطحِ الأوعالِ من ذي الشلائلِ

والصواب كما في معجم البلدان : « من ذي السلائل » ، وهو واد بين الفُرع والمدينة ، وهذه المقطعة ليست من مرويات ابن السكيت .

نسبت بعض المراجع إلى عروة بن الورد عدداً من المقطعات والأبيات المفردة التي لم ترد ضمن مرويات ابن السكيت وهي في مجموعها اثنتان وعشرون قطعة ، عدة أبياتها اثنان وأربعون بيتاً ، إلا أن أغلبها من الشعر المتنازع كالمقطعات ١ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، أما المقطعات ٣ ، ١٠ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، فهي لم تنسب إلى عروة ابن الورد إلا في مراجع متأخرة لا يمكن الاعتماد عليها . وليس يصح من المقطعات الباقية فيما أرى إلا المقطعتين ٤ ، ٢٢ .

لستُ لِمُرَّةَ إن لم أوفِ مَرقبةً يبدو ليَ الحرثُ منها والمقاضيبُ(١)

* * *

لسعدى بصافٍ منزلٌ متأبِّدُ عفاليسَ مأهولاً كما كنتُ أعهدُ (٢)
عفته السَّواري والغوادي وأدرجت به الريحُ بوغاءَ تصبُّ وتصعدُ

* * *

فلم يبق إلا النُّؤيُ كالنُّونِ ناحلًا نحولَ الهلالِ والصفيحُ المُشَيَّدُ
وكم مِن كريمٍ قد أضَرَّ به الهوى فعوَّدَهُ ما لم يكن يتعوَّدُ (٣)

* * *

(١) اللسان والأساس ( قضب ) وتهذيب اللغة ٣٤٨/٨ ، والبيت مطلع مقطعة في تسعة أبيات لأبي خراش الهذلي ، وهي في أشعار الهذليين ١٢٣٢/٣ ، والبيت في التكملة ( قضب ) ، وفيه : «قال عروة بن مرة أخو أبي خراش ، ويروى لأبي خراش أيضاً ... » وانظر الشعر والشعراء ٦٦٤/٢ ، وأشعار الهذليين ١٣٢٦/٣ ، والتاج ( قضب ) .

(٢) معجم ما استعجم ١٣٢٦/٤ ، وفيه : « وقال عروة وذكر صافا ... » ولعله عروة بن الورد .

(٣) محاضرات الأدباء ٤٢/٣

ألا إنَّ شَرَّ الناس كلهم نهدٌ وألأمهم جهداً إذا بلغَ الجَهدُ (١)
وأكثرهم حيًّا كة تنسفُ الثَّنا إذا أظلمت يأوي إلى حجرها عبدُ

* * *

إن كُنتِ كارهــةً لعيشتنا هــاتا فحُلّي في بني بدرِ (٢)
الضـــاربين لدى أعنَّتهـــم والطـاعنين وخيلُهُم تجري
متى ما يَجيء يوماً إلى المالِ وارثي يجِدْ جمع كفٍّ غير ملأى ولا صِفرِ (٣)
يجِدْ فرَساً مثلَ القَناةِ وصارماً حُساماً إذا ما هُزَّ لم يرضَ بالهَبرِ

* * *

أبتِ الروادفُ والثُّدِيُّ لقُمصها مسَّ البُطُونِ وأن تَمَسَّ ظُهُورا (٤)
وإذا الرِّياحُ مع العشيِّ تناوحت نبَّهنَ حاسدةً وهيَّجنَ غيُورا

* * *

فلا ترضَ من عيشٍ بدونٍ ولا تنَمْ وكيف ينامُ الليلَ من كان مُعسِرا (٥)

---

(١) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ٧٣٤/٢، وفي الحاشية: « والبيتان في ديوان عروة ص ١٢ » إلا أنني لم أجدها في الطبعة التي أحال عليها المحقق.

(٢) أشعار النساء ٨٢/٣ ( مخطوط ) . والصواب أنها لحاتم الطـائي، وهما في ديوانه ٢١٥، وانظر أيضاً اللسـان ( نحت )، ( نضر )، وتهذيب الألفاظ : ٥٥٨

(٣) كتاب العصا : ٢٠٦ – ضمن المجموعة الأولى من نوادر المخطوطات – وهما في البيان والتبيين ٥٩/٣ دون نسبة . والصواب أنها لحاتم الطائي، وهما في ديوانه : ٢٥٣، والحماسة ٢٩٥/٤ – ٢٩٦، والتبيان ٢٧١/٢، وشرح ديوان المتنبي للواحدي : ٧١٣ .

(٤) محاضرات الأدباء ٣٠٧/٣، وهما في ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٣٨٤ أيضاً . والبيتان في الحماسة ٢٤٦/٣، والحماسة البصرية ٩١/٢، والأمالي ٢٣/١، والبصائر والذخائر ٤٩٣/٣، والعقد الفريد ٤٥/٤، ١٠٢/٧ دون نسبة .

(٥) عيون الأخبار ٢٤٣/١، والعقد الفريد ٣١٠/٢، والمحاســن =

والنّاشئات الماشيات الخوزَرى كعُنُق الآرام أوْفَى أوصَرَى(١)

* * *

وكنتَ أخي والدّهرُ مرخٍ سُدولَهُ علـيَّ فلمّا نابني بالمغائظ (٢)
تبرّأتَ منّي واستترت بعلّةٍ وما هكذا أهلُ الوفا والحفائظِ

* * *

يا هندُ بنتَ أبي ذراعٍ أخلفتِني ظنّي ووترتِني عشقي (٣)
ونكحتِ راعي ثلّة يُثَمِّرُها والدّهرُ فانيه بما يُبْقي

* * *

فلو أنّي شهدتُ أبا سعادٍ غداةَ غدا بمهجته يَفُوقُ (٤)
فديتُ بنفسه نفسي ومالي وما آلوكَ إلاّ ما أطيقُ

* * *

كريمٌ رأى الإقتارَ عاراً فلم يزلْ يجوبُ بلادَ اللهِ حتى تموّلا (٥)

---

= والمساوىء : ٢٨٥ ، وغرر الخصائص : ٢١٦ ، ولباب الآداب : ٢٧ ، والأغاني ٧٨/١٦ ، والحماسة البصرية ١٠٩/١ — ١١٠ ، وانظر الديوان : ق/٢١ : ٨٩

(١) اللسان والتاج ( خزر ) ، ( صرى ) . والبيت الأول في المخصص ٢٦/١٤ ، وإصلاح المنطق ١٦٢ ، والأساس ( خزر ) دون نسبة ، وهو في الصحاح ( خزر ) لأبي الصهباء بن المختار العقيلي ، وهما في تهذيب اللغة ٢٢٦/١٢ ، دون نسبة .

(٢) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة : ٣٣ . وانظر مقدمة المحقق ( و — ز ) ، وديوان الشماخ : ٤٤٨

(٣) الموشح : ١٢٢ ، ونقد الشعر : ٦٨ ، والبيتان مضطربا الوزن .

(٤) ديوان الحطيئة ١٨٧ ، والموشح ١٢٨ ، ونقد الشعر ٨٧ ، ومنهاج البلغاء ١٨٤ ، والبيت الثاني في اللسان ( تيز ) ، وهو في أمالي المرتضى ٢١٧/١ للعباس بن مرداس .

(٥) الرسالة الموضحة ١٨٥ ، وهما في الحماسة البصرية ١١٣/١ لأحمد بن =

فلما استفادَ المالَ عادَ ببذلِـــهِ لمن جـــاء يبغي نداه مـــؤملا
وذي أمل يرجو تراثي وإن ما يصيرُ لهُ منـــهُ غداً لقليلُ (١)
وما لِيَ مالٌ غيرُ دِرعٍ ومِغفرٍ وأبيضُ من ماءِ الحديـدِ صقيلُ
وأسمَرُ خَطِّـيٌّ القنـاةِ مُثقّفُ وأجرَدُ عُريانُ السَّراةِ طويلُ
وكنتَ كلَيلةِ الشَّيبـــاءِ َهمَّتْ بمنعِ الشُّكرِ أتامَها القَبيلُ (٢)

* * *

إذا المرءُ لم يُقدم على الهول لم ينل رغائبَ دنياهُ وإن كانَ حازِماً (٣)
ومن تركَ الأمرَ الذي علَّهُ به إذا جدَّ فيه مُبلغُ الحاجِ سالمـــا

* * *

مخافةَ أمرٍ علَّهُ أن يكيدَهُ فليسَ بذي أوبٍ مدى الدهر غانما
مـــا ابنُ أبي جهمٍ بأوَّلِ ظالمٍ تدبُّ أفاعيهِ لنـــا وأراقِمُهْ (٤)

* * *

فدع مـــا لمتَ صاحبَهُ عليـــهِ فشينٌ أن يلومَكَ من تلومُ (٥)

= سالم المري ضمن مقطعة في سبعة أبيات . والبيتان وقبلها بيتان آخران لمضرس الأسدي في بهجة المجالس ١/٢٢٨ ، وهما في الحماسة ٤/٢٧١ دون نسبة .

(١) الوساطة ٢٣٨ ، والشطر الأول في التبيان ٢/٢٧١ ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي ٧١٣ ، وفيه : « وكلاها في الحماسة » . والصواب أن الأبيات لأبي الأبيض العبسي كما في الحماسة ٢/٤٠٢ ، وتمام القطعة ستة أبيات .

(٢) المعاني الكبير ١/٥٠٩ ، واللسان ( تأم ) ، ( شيب ) ، والتـــاج ( تأم ) ، وهو في الصحاح ( تأم ) ، والأزمنة والأمكنة ٢/٧٢ دون نسبة . وانظر الديوان ق/ ٣٥ : ١٢٨

(٣) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة ٩٤

(٤) ديوان الحطيئة ٣٢٨ ، وفيه : « وبيت عروة في الألفاظ لابن السكيت» . — لم ينسب هذا البيت إلى عروة بن الورد ، وإنما هو في تهذيب الألفاظ ٣٦٤ دون نسبة .

(٥) الصداقة والصديق ١٢٧

أتت بالمُعلَّى عنـدَ أول سَورةٍ وبالمُسبِلِ الثَّاني وبالجلِس والتَّوءَمْ (١)
وجاءت بفَــذٍّ والضَّريب يليها وبالنَّافِسِ المغلوب في الرأسِ والقدمْ
فراحَ بهـا غنمٌ وتغرمُ ما جنت وقد يُغرم المرءُ الكريمُ إذا اجترمْ
وأنتَ مَنيحٌ باليدينِ متى تَعُدْ تعد صاغِر الآمالِ نالَ ولا عَزَمْ

* * *

ألم تعرف منـازلَ أمِّ عمـروٍ بمنعرجِ النواصف من أبانِ (٢)
وقفتُ بهـا ففاضَ الدَّمعُ مني كمنحـدرٍ من النَّظمِ الجمانِ

* * *

ولكن لن يُلَبِّثَ وصلَ حيٍّ وجِـدةَ وجهِهِ مرُّ الزمانِ
إذا ما جعلتَ الشاةَ للقومِ خُبْرةً فشأنَكَ إني ذاهبٌ لشؤوني (٣)
ومُحسبةٍ قد أخطأ الحَقُّ غيرَهـا تنفَّسَ عنها حَينُها فهي كالشَّوي (٤)
فأعجبـني إدامُهـا وسنامُهـا فبتُّ أليتُ الحَقَّ والحَقُّ مبتلي

لم يرو ابن السكيت من أشعار عروة بن الورد سوى إحدى وثلاثين مقطعة بيد أن المحقق أضاف إلى ما رواه ابن السكيت عدة مقطعات أخرى ، ولكنه لم يجعلها في قسم مفرد ، وإنما أقحمها بين قصائد الديوان دون تمييز .

---

(١) محاضرات الأدباء ٢/٧٢٤

(٢) المنازل والديار ٣٨

(٣) المعاني الكبير ٢/٦٨٤

(٤) البيتان في اللسان ( ليت ) ، وتهذيب اللغة ١٤/٣٢٢ ، والبيت الأول في اللسان والتاج ( حسب ) ، وتهذيب اللغة ٤/٣٣٥ ، وهو في اللسان (نفس) والمحكم ٣/١٥٠ دون نسبة . والبيت الثاني في اللسان والتاج ( شوا ) دون نسبة أيضاً . والشطر الثاني منه في التاج ( ليت ) .

وكذلك لم يبين المحقق ما في نسبة هذه المقطعات من شك أو ترجيح كما يتضح من الأمثلة التالية :

١ — ق /٤ : ٢٩

إذا المرءُ لم يَبعثْ سواماً ولم يُرِحْ عليه ولم تعطِف عليـــه أقاربُه
فللمـوتُ خيرٌ للفتى من حياتِـهِ فقيراً ومن مولىً تَدِبُّ عقاربُه
وسائـلةٍ أينَ الرحيـــلُ وسائلٍ ومن يسألُ الصُّعلوكَ أين مذاهبُه
مذاهبُه أنَّ الفِجـــاجَ عريضةٌ إذا ضَنَّ عنهُ بالفَعـالِ أقاربُه
فلا أتركُ الإخوانَ ماعشتُ للردى كما أنّه لا يتركُ المـــاءَ شاربُه
ولا يُستضامُ الدهرَ جاري ولا أرى كمن باتَ للصـديقِ عقاربُـــه
وإن جارتي ألوتْ رياحٌ ببيتِهـــا تغافلتُ حتى يسترَ البيتَ جانبُه

الأبيات الأربعة الأولى لأبي النّشناش النهشلي في الأغاني ٤٣/١١ ، كما نسبت إليه الأبيات ١ — ٣ في الأصمعيات : ١١٨ ، وعيون الأخبار ٢٣٧/١ ، والحماسة ٣٠٢/١ — ٣٠٣ ، والحماسـة البصرية ١١٢/١ ، أما الأبيات ٥ — ٧ فلم ترد ضمن أبيات أبي النشناش . وانظر كذلك مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ٥٠ ص ٨١٦

٢ — ق /٨ : ٤٣

قالت تُماضِرُ إذ رأتْ مالي خوى وجفا الأقاربُ فالفؤادُ قريحُ
مالي رأيتُكَ في النَّدِيّ منكَّساً وَصِباً كأنّك في النّدِيّ نطيحُ
خاطرْ بنفسك كي تصيب غنيمةً إن القعودَ مع العيـــالِ قبيـحُ
المـالُ فيهِ مهـــابةٌ وتَجِلَّةٌ والفقرُ فيـــه مذَلَّـةٌ وفضوحُ

والأبيات ليست من مرويات ابن السكيت . وقيل هي للنمر بن تولب .

ولعلها كذلك ، فالبيتان ٣ – ٤ في عيون الأخبار ١/ ٢٣٨ ، وبهجة المجالس ١/٢٠٢ للنمر بن تولب ، وانظر أيضاً غرر الخصائص : ٢١٦ .

٣ — ق / ٢١ : ٨٩

إذا المرءُ لم يطلُبْ معاشاً لنفسِهِ شكا الفقرَ أو لامَ الصديقَ فأكثرا

وصارَ علىالأدْنَينَ كَلاً وأوشكت صِلاتُ ذويالقربى لهُ أن تَنَكَّرا

وما طالبُ الحاجاتِ من كلِّ وجهةٍ منالنّاسِ إلا من أجَــد وشمَّرا

فسر في بلاد الله والتمس الغنى تَعشْ ذا يسارٍ أو تموت فتعذرا

والأبيات الأربعة في العقد الفريد ٢/٣١٠ وفيه :

« كان الرّماحس بن حفصة بن قيس ، وابن عم له يدعى ربيعة بن الورد ، يسكنان الأردن ، وكان ربيعة بن الورد موسراً ، والرماحس معسرا كثيراً ما يشكو إليه الحاجة . ويعطف عليه ربيعة بعض العطف. فلما أكثر عليه كتب إليه ... » .

والأبيات ١ – ٤ في لباب الآداب : ٢٧ للنابغة ، ولكنني لم أجدها في ديوانه ، وهي في عيون الأخبار ١/٢٤٣ دون نسبة . والأبيات ١، ٢، ٤ في الأغاني ١٦/٧٨ لأبي عطاء السندي ، وهي في غرر الخصائص ٢١٦ دون نسبة والبيتان ١ ، ٢ في المحاسن والمساوىء ٢٨٦ ، وبهجة المجالس ١/٢٦٦ دون نسبة كذلك . كما نسبت بعض المراجع عدداً من أبيات هذه المقطعة إلى عروة بن الورد ، أذكر منها : الحماسة البصرية ١/١٠٩ - ١١٠ ، وفيها الأبيات ١ – ٤ ، وبهجة المجالس ١/١٩٩ ، وفيها البيتان ١ ، ٢ ، وهذه المقطعة ليست من مرويات ابن السكيت .

٤ — ق/٢٢ : ٩٠

سلي الطارقَ المُعتَرَّ يا أمَّ مالكٍ إذا ما أتاني بين قِدري ومجزري

أيسفرُ وجهي أنّه أوّلُ القِرى وأبذلُ معروفي لهُ دون مُنكري

والبيتان في الأغـاني ١٤٩/١١ للعجير السلولي ضمن مقطعة في ستة أبيات . وفيه : قال ابن حبيب : من الناس من يروي هذه الأبيات لعروة ابن الورد وهي للعجير » . وهما في البيان والتبيين ١٠/١ لحاتم الطـائي ، وعنه أثبتهما المحقق في ديوانه ص ٣٠٠ ، والبيتان في بهجة المجالس ٢٩٨/١ ، وأمالي الزجاجي ٢٠٤ ، والحماسة ٤/ ١٣٤ ، دون نسبة . والبيت الأول في الموازنة ٢١٢/١ دون نسبة كذلك . وهذان البيتان ليسا من مرويات ابن السكيت .

٥ – ق/٢٧ : ١٠١

فراشي فراشُ الضيفِ والبيتُ بيتُهُ ولم يُلهِني عنـهُ غزالٌ مُقَنَّـعُ
أحدّثهُ إنّ الحديثَ من القِرى وتعلمُ نفسي أنّـه سوف يَهجـعُ

البيتان في أمالي المرتضى ٤٧٥/١ ، وبهجة المجالس ٢٩٦/١ ، لمسكين الدارمي ، والثاني منهما كذلك في الحماسة البصرية ٢٣٩/٢ ضمن مقطعة فى ثلاثة أبيات . وهما في الحماسة ٢٤٣/٤ – ٢٤٤ لعتبة بن بجير ، غير أنهما نسبا في الحماسة البصرية ٢٤٧/٢ إلى عقبة بن مسكين الدارمي ؟

وهما أيضاً في ديوان طفيل الغنوي ١٠٢ – ١٠٣ ، ضمن مقطعة في أربعة أبيات ، وفيه : « وهذان البيتان يرويان لعروة بن الورد ولغيره » .

والبيتان كذلك في اللسان ( بصص ) ، وعيون الأخبار ٣/ ٢٤٠ ، والبيان والتبيين ١/ ١٠ ، دون نسبة ، ويروى قبلهما :

أرى كُلَّ ريحٍ سوف تسكنُ مرّةً وكلّ سمـــاءٍ لا محـالةَ تقلـعُ
وإنّي والأضيـاف في بردةٍ معاً إذا مات نصفُ الشمسِ والنصفُ ينزعُ

انظر اللسان ( بصص ) ، والحماسة البصرية ٢٣٩/٢

٦ – ق/٣٠ : ١٠٤

وخيلٍ كنتُ عينَ الرُّشدِ منهُ إذا نظرتْ ومستمعاً سميعا
أطافَ بغيِّهِ فعدلتُ عنه وقلتُ له أرى أمراً فظيعا

البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي ، وهما في ديوانه : ١٦٠ ضمن الطرائف الأدبية – غير أن ابن قتيبة نسبها في عيون الأخبار ٣/١٥ ، والشعر والشعراء ٢/٥٥٦ إلى عمرو بن أبي ربيعة ، وهما في ذيل ديوانه ٤٨٧ – ٤٨٨ . إلا أنهما نسبا إلى عروة بن الورد في محاضرات الأدباء ٣/٩ ، والأغاني ٣/٦٩ – دار الثقافة – ويروى معها بيت آخر وهو :

أردت رشادَهُ جهدي فلمّا أبى وعصى أتيناها جميعا

٧ – البيتان ٣ – ٤ من المقطعة ٦ ص : ٣٩ ، في عيون الأخبار ١/٢٣٨ ، والمعاني الكبير ١/٤٩٨ لأوس ابن حجر ، غير أنني لم أجدهما في ديوانه . وهما لأبي العيال الهذلي في العمدة ١/٢٤ ، وعنه أثبتها المحقق في شرح أشعار الهذليين ٣/١٧٤٣ ، وانظر كذلك بهجة المجالس ١/١٩٩ ، والأمالي ٢/٢٣٤ ، ونهاية الأرب ٣/٦٨ ، والحماسة ٢/٣٥ ، ومعجم البلدان ( ماوان ) ، وغرر الخصائص : ٢١٦ ، والمحاسن والمساوىء ٢٨٦ والتمثيل والمحاضرة ٥٧و٤٠٠ ، وثمار القلوب ١٠٣ ، والبخلاء : ١٩٢

٨ – البيت الأول من المقطعة ٧ ص ٤٢ في اللسان والتاج (قرع) والمحكم ١/١١٧ لعروة بن أذينة ، وانظر اللسان والتاج ( أذا ) ، والأمالي ٣/٥٨ ، وسمط اللآلي ٢/٧١٤ ، والمخصص ١٢/١٨٢

٩ – البيت التاسع من المقطعة ١٥ ص ٦٣ في اللسان والتاج (حور) ، وفي اللسان : « قال هدبة ونسبه ابن سيده لابن أحمر » .

وهو في شعر عمرو بن أحمر ص ١٨٠ صنعة الدكتور حسين عطوان . وانظر كذلك الأساس ( حور ) ، والمحكم ٣/٣٨٦ ، وتهذيب اللغـــة ٥/٢٧ ، والمخصص ٣/٤٩

١٠ – البيت الأول من المقطعة ٢٥ ص ٩٧ ، والبيت السابع من المقطعة ٢٦ ص ١٠٠ في حماسة البحتري ٣٠٨ لمسعود بن مصاد الكلبي ، وهما في الحماسة البصرية ١/٣٢ لأبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي . وانظر كذلك التيجان في ملوك حمير ٢٤٦

١١ – ق/٢٣ : ٩١

دعيني للغـــنى أســـعى فإني ... رأيتُ الناسَ شَرُّهمُ الفقيرُ
وأبعدُهم وأهونُهم عليهـــم ... وإن أمسى له حَسَبٌ وخِيرُ
ويقصيـهِ النـــديُّ وتزدريـه ... حليلتُهُ وينهـــرهُ الصغيرُ
ويُلفى ذو الغنى وله جـــلالٌ ... يـكادُ فؤاد صاحبه يطـيرُ
قليلٌ ذنبهُ والذنبُ جَـــمٌّ ... ولكن للغنى رَبٌّ غفـــورُ

وفي الحاشية : « ورد البيت الأول من القصيدة في طبعة المطبعة الوهبية في القاهرة ، ووردت الأبيات الثلاثة الأخيرة في طبعة المطبعة الأهلية ببيروت » .

– لم يرد البيت الأول ضمن مرويات ابن السكيت وإنما ورد في أول الديوان ضمن أخبار عروة بن الورد التي أثبتهـا الناشر عن الأغاني ، كما وردت الأبيـات بتمامها في مطبوعة المكتبة الأهلية . وليس كما ذكر المحقق . وهي كذلك في بهجة المجالس ١/٢٠٨ – ٢٠٩ ، وعيون الأخبار ١/٢٤١ ، والعقد الفريد ٢/٣٠٨ ، والبيان والتبيين ١/٢٣٤ ، والبخلاء ١٨٣ ، والأبيات ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ في الحماسة الشجرية ١/٤٧٨ وهذه المقطعة ليست من مرويات ابن السكيت .

١٢ — ق/٣١ : ١٠٧

تقولُ سليمى لو أقمتَ لَسَرَّنا ولم تَدرِ أنّي للمُقامِ أطَوِّفُ

وفي الحاشية : « ورد هذا البيت في طبعة المطبعة الأهلية ببيروت».

— لم يرد هذا البيت في طبعة المكتبة الأهلية ، وإنما ورد في مطبوعة دار صادر ص ٥١ . وهو كذلك في التمثيل والمحاضرة ٤٠٠ ، وعيون الأخبار ١/٢٣٤ ، والوساطة ٢٢٩ ، والأغاني ٣/٧٨ ـ دار الثقافة ـ وشعراء النصرانية ٨٩٨

حلب محمد يحيى زين الدين

# آراء وأنباء

## تقرير

### عن أعمال المجمع في دورته ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨

**أ ـ مجلس المجمع :**

عقد مجلس المجمع في دورته المنصرمة ١٩٧٧ - ١٩٧٨ تسع عشرة جلسة بحث فيها أموراً مجمعية مختلفة أهمها :

ـ ناقش ما تلقاه المجمع من بعض الهيئات والمؤسسات داخل القطر وخارجه من موضوعات ثقافية ولغوية وتوصيات ومقررات ومصطلحات مختلفة ، وأحال كلًّا منها على اللجنة المختصة لدراستها وبيان الرأي فيها .

ـ ناقش المذكرات والبحوث التي أعدها بعض أعضائه والتي دارت حول نشر التراث وتنمية البحث اللغوي ، وضمور ما ينشر في القطر عن تطور البحث اللغوي ، والعمل على نقد ما ينشر من كتب التراث ، وحول أسرار الأبجدية العربية .

ـ درس موضوع تعديل القرار الجمهوري ذي الرقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠

والمتضمن القانون الأساسي لإنشاء مجمع اللغة العربية . وألف لجنة من أعضائه ضمت السادة : الدكتور محمد كامل عياد والأستاذ المهندس وجيه السمان والأستاذ عبد الهادي هاشم لدراسة القانون ووضع مشروع جديد يقدم إلى المجلس لمناقشته .

ـ نظر في الدعوات الموجهة إلى المجمع من مختلف الهيئات العلمية والثقافية داخل القطر وخارجه للمشاركة في مؤتمرات أو ندوات أو حلقات دراسية ، ورشح من يمثل المجمع من أعضائه فيما قرر المشاركة فيه .

ـ إضافةً إلى اللجان الخمس الدائمة ألف لجنة سادسة هي لجنة ألفاظ الحضارة وقد ضمت الأعضاء السادة : الدكتور عدنان الخطيب ، والدكتور شكري فيصل ، والدكتور عبد الكريم اليافي .

ـ عمل على زيادة توثيق الصلات وروابط التعاون بالهيئات العلمية والثقافية في القطر وخارجه وذلك بطريق المشاركة في نشاطاتها التي دعي إلى الإسهام فيها ، وتبادل المطبوعات والمجلات والأفلام الدقيقة المصورة والمكبرة على الورق وغيرها من الوسائل الأخرى .

ـ تابع الاهتمام من أجل إيجاد مطبعة حديثة للمجمع تفي بمتطلباته واطلع على ما آلت إليه مساعي رئيس المجمع في هذا الأمر .

ـ تتبع المراحل التي اجتازها البناء الجديد للمجمع ووقف على سير أعمال تنفيذ المرحلة الأخيرة من بنائه وهي مرحلة الكسوة والتجهيز .

### ب ـ أعمال اللجان :

#### اللجنة الادارية :

قامت ، خلال جلساتها التي عقدتها في هذه الدورة ، بدراسة الأمور

الإدارية والشؤون المالية ، وقضايا الموظفين وفقاً لما نصت عليه اللائحة الداخلية واتخذت القرارات اللازمة والتي تقضي بها مصلحة المجمع .

ومن أعمالها :

وافقت على مشروع قرار وضعته الإدارة ينظم شؤون مكتبة المجمع ويحدد أغراضها وأهدافها ومهام موظفيها ، وطرق تصنيف كتبها وفهرستها وقواعد الإعارة وغير ذلك من الأمور التنظيمية والإدارية والفنية — وقد أحيل المشروع على وزارة المالية لنشره .

وافقت على مشروع قرار وضعته الادارة يتناول تعديل القرار ذي الرقم ٧٩ والمؤرخ في ٣١/١٠/٩٧٦ والمتضمن حدود التعويضات عن المقالات التي تنشر في المجلة ، وعن الكتب المؤلفة والمحققة التي ينشرها المجمع . وقد نص المشروع على رفع حدود هذه التعويضات إلى مستوى يتناسب مع الظروف الحاضرة ، ومع ما تمنحه بعض الوزارات والمؤسسات الرسمية الأخرى من تعويضات في مجال النشر والتأليف والتحقيق .

درست مشروع موازنة المجمع للعام ١٩٧٩ والبيانات الموضحة لها والتي أعدتها الإدارة والمحاسبة وأقرتها . وقد بلغت الموازنة العامة للمجمع للعام ١٩٧٨/١،١٨٣٠٠٠/ ليرة سورية . وبلغت الموازنة الاستثمارية/١،٣٢٢٠٠٠/ ليرة سورية .

لجنة المجلة والمطبوعات :

درست في جلساتها التي عقدتها في غضون هذه الدورة ما ورد عليها من مقالات وبحوث من داخل القطر وخارجه ، وأقرت نشر ما كان مناسباً منها لأغراض المجلة وأهدافها .

**لجنة المخطوطات وإحياء التراث :**

عقدت سبع جلسات قامت خلالها بدراسة وتدقيق ما تلقته من كتب التراث المحققة ، وقد أقرت طبع ونشر : كتاب تاريخ أبي زرعة الدمشقي تحقيق الأستاذ السيد شكر الله نعمة الله وكتاب شرح أرجوزة أبي نواس وكان المجمع قد طبعه ونشره سنة ١٩٦٩ ولكن عضو المجمع المراسل الأستاذ محمد بهجة الأثري أعاد النظر في تحقيقه بعد العثور على مخطوطة جديدة له . وقدمه إلى المجمع للموافقة على إعادة طبعه بصورته الجديدة كما أنها درست كتابين آخرين هما :

جزء من تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق الأستاذ الشيخ عبد الغني الدقر .

وكتاب شعر ربيعة الرقي . جمع وتحقيق الدكتور يوسف حسين .

وقد أبدت بعد دراستها ملاحظات حول كل منها وأبلغتها إلى صاحبيها ليعيدا النظر في التحقيق في إطار هذه الملاحظات .

**لجنة ألفاظ الحضارة :**

عقدت اثنتي عشرة جلسة استعرضت فيها مختلف ميادين الحضارة بغية اختيار موضوع للدرس . وقد وقع اختيارها على مادة ( اللون ) وذلك لعلاقته بالفنون وبعلمي الكيمياء والفيزياء وبجوانب أخرى من جوانب الحياة الحضارية . وتدارست الوسائل المجدية لاستقصاء كل ما جاء عن اللون في كتب اللغة والتراث والمعاجم والموسوعات . وعهدت إلى كل من الأعضاء بطرف من أطراف البحث والتنقيب تمهيداً للبدء بالعمل المشترك .

لجنة المصطلحات :

عقدت سبع جلسات قامت خلالها بدراسات تمهيدية لتحديد الأعمال والمهام الملقاة على عاتقها ووضع أسلوب لتحقيق هذه المهام وجمع مكتبة خاصة تحوي المصادر والمراجع التي تحتاج إليها في دراساتها . كما أنها بحثت موضوع توصية اللجنة الثقافية التي تنص على أن المجمع هو المرجع الأساسي للتعريب في القطر وعلى تأليف لجنة وطنية للتعريب ، وكذلك درست توصية مدير مكتب تنسيق التعريب في الرباط للاشتراك في مؤتمري التعريب الذين سيعقدهما المكتب خلال عامي ١٩٨٠ و١٩٨٣ للاستفادة من التجربة السورية في تعريب مصطلحات التعليم العالي والجامعي ومصطلحات التعليم التقني العام وأبدت رأيها واقتراحاتها في ذلك إلى مجلس المجمع وقد تبناها ونقلها المجمع إلى مكتب تنسيق التعريب في الرباط .

لجنة الأصول :

عقدت ثماني جلسات درست خلالها موضوعات شتى أحالتها عليها رئاسة المجمع ، وتصدت لموضوعات أخرى تتصل بأغراضها .

ومن أهم الموضوعات التي أحالها المجمع عليها لدراستها ومعالجتها :

ـ كتاب ( المفتاح ) للأستاذ محمد الكسار ـ وكتاب ( جدلية الحرف العربي ) للأستاذ عنبر .

ـ سؤال طرح على المجمع وموضوعه : ( ألغة الضاد هي العربية أم لغة الظاء ) .

ـ أجابت أحد الباحثين وأرشدته إلى الوجه الصواب في ما أشكل

عليه من الألفاظ الفصحى والعامية في موضوع الألفاظ الشائعة على ألسنة الأطفال العرب وتصنيفها والاستعاضة عن عاميتها .

ـ أجابت عن استفتاء وجهته إليها لجنة المصطلحات بالمجمع بشأن كتابة المصطلحات العربية المنكرة إذا كانت منقوصة .

ـ نظرت في مقترحات بشأن إصلاح الكتابة العربية .

أما الموضوعات التي تصدت لها فهي:

ـ وسائل خدمة الأصول — وضع قواعد الترقيم في الكتابة العربية .

— ما يجب أن يكون عليه المعجم العربي الجديد — تطور الألفاظ العربية وتغير دلالاتها — طغيان الأساليب الأعجمية وعلاجه .

**جـ ـ نشاط المجمع داخل القطر :**

ـ شارك رئيس المجمع الأستاذ الدكتور حسني سبح في اجتماعات اللجنة الثقافية التي عقدت في مقر رئاسة مجلس الوزراء والتي بحث فيها موضوع الحفاظ على اللغة العربية والسبل التي تؤول إلى تحقيقها .

ـ شارك الأستاذ رئيس المجمع في الاجتماع الذي عقد بوزارة التعليم العالي والذي بحث فيه أمر تشكيل اللجنة الوطنية للتعريب .

ـ كلف العضو الدكتور شكري فيصل بالمشاركة ، ممثلاً المجمع في الاجتماعات التي تعقدها اللجنة المكلفة بدراسة وضع مشروع قانون لحماية المخطوطات في القطر العربي السوري .

ـ كلف العضو الأستاذ عبد الهادي هاشم بالمشاركة في اجتماعات اللجنة التي تدرس وسائل تنفيذ التوصية السابعة من توصيات اللجنة الثقافية والتي تنص على ( تحسين طرائق تدريس اللغة العربية بغية تسهيل تعلمها ) .

ـ شارك المجمع في جناح الكتب الخاص بوزارة التعليم العـالي في معرض دمشق الدولي السابع والعشرين لعام ١٩٧٨ .

**د ـ نشاط المجمع خارج القطر :**

شارك رئيس المجمع الأستاذ الدكتور حسني سبح في اجتماعات اللجنة الاستشارية للمكتب الصحي الاقليمي لشرق البحر المتوسط لبحث موضوع استعمال اللغة العربية في منظمة الصحة العالميـة وما ينبغي لتحقيق ذلك من إجراءات ، في مقدمتها دعوة لجنة من الأطباء الاختصاصيين من الأقطـار العربية لتحضير معجمين طبيين أحدهما انـكليزي عربي والثاني إفرنسي عربي ، ثم النظر في مطبوعات التوعية الصحية التي صدرت عن المنظمـة المذكورة في جنيف وتهيئة جدول بأفضلية ترجمة بعض تلك المطبوعات للغة العربية ، وتنفيذاً للقرار المذكور دعي رئيس المجمـع والعضو الدكتور محمد هيثم الخياط إلى المشاركة في جلسات لجنة المعجمين التي انعقدت خلال هذه السنة في كل من الاسكندرية وبغداد وتونس لتهيئة المعجمين المذكورين واللجنة ماضية في سبيل تحقيق هذه الغاية .

ـ شارك العضو الأستاذ عبد الهـادي هاشم في المؤتمر الدولي الثاني عشر لعلماء الألسنيات في العالم الذي انعقد في فينا .

ـ شارك العضو الدكتور شكري فيصـل في مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي الذي عقد في جامعة بغـداد في المدة الواقعة بين ٤ و ٧ آذار ١٩٧٨ .

ـ شارك العضو الدكتور عبد الكريم اليافي ممثلاً للمجمع في اجتماع الخبراء العرب لإجراء المراجعة النهائية للجزء الأول من مشـروع دليل

مصطلحات الحاسبات الالكترونية الذي عقدته المنظمة العربية للعلوم الإدارية بمدينة عمان في المدة الواقعة بين ١ و ١٣ /١٩٧٨/٧ .

ـ شارك رئيس المجمع الأستاذ الدكتور حسني سبح والعضوان السيدان المهندس وجيه السمان والدكتور محمد هيثم الخياط في الندوة التي أقامها مجمع اللغة العربية الاردني في ٢٢ و ٢٣ آذار ١٩٧٨ في عمان والتي تناولت موضوع تجربة دمشق في تعريب التعليم العالي الجامعي . وقد رأس هذه الندوة رئيس المجمع الدكتور حسني سبح .

**هـ ـ أعضاء المجلس :**

ـ انتخب المجلس العضو الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائباً لرئيس المجمع .

ـ انتخب العضو الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد عضواً في اللجنة الإدارية .

ـ قررت محافظة مدينة دمشق إطلاق اسم العضو الراحل المرحوم الأستاذ جميل صليبا على أحد شوارع مدينة دمشق ، ويسعى المجمع لدى المحافظة لتسمية بعض شوارع المدينة بأسماء الزملاء الراحلين جميعاً .

ـ اطلق اسم العضو المرحوم الشيخ محمد بهجة البيطار على مدرسة من مدارس حي الميدان بمدينة دمشق .

**و ـ مطبوعات المجمع :**

**الكتب التي صدرت :**

ـ فهارس مجلة المقتبس من وضع الأستاذ رياض عبد الحميد مراد .

- كتاب ( محمد كرد علي مؤسس المجمع ) ويضم ما ألقي من مقالات وقصائد في مهرجان ذكرى مرور مئة عام على ولادته ، والذي أقيم بدمشق خلال أسبوع العلم السادس عشر سنة ١٩٧٦ ، وما تلقاه المجمع من كلمات بعد انقضاء المهرجان .

كما صدر الجزء الرابع من المجلد الثاني والخمسين والجزءان الأول والثاني من المجلد الثالث والخمسين من مجلة المجمع .

**الكتب التي بوشر طبعها :**

- فهرس لمخطوطات دار الكتب الظاهرية في التصوف وضع الأستاذ محمد رياض المالح .

- فهرس لمخطوطات دار الكتب الظاهرية في الفقه الحنفي من وضع الأستاذ محمد مطيع الحافظ .

- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري بتحقيق الدكتور محمد يوسف .

- الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري تحقيق الدكتور أمجد طرابلسي .

- تاريخ المنصوري بتحقيق الدكتور أبو العيد دودو .

- جزء من تاريخ دمشق لابن عساكر ويضم تراجم الرجال - من عبد الله بن جابر إلى عبد الله بن زيد .

- تصنيف العلوم والمعارف من وضع المرحوم الدكتور يوسف العش وبمراجعة السيدة سماء المحاسني .

**الكتب التي قرر نشرها ولم يبدأ بطبعها :**

- جزء من تاريخ دمشق لابن عساكر ويضم تراجم الرجال من عبادة إلى عبد الله بن ثوب .

- المعاصرون من تأليف الأستاذ المرحوم محمد كرد علي .

- تاريخ أبي زرعة الدمشقي تحقيق الأستاذ السيد شكر الله نعمة الله .

**ز ــ البناء الجديد للمجمع :**

بعد أن تم بناء هيكله ، عهدت الهيئة العامة لأبنية التعليم المكلفة بالإشراف على تنفيذ المشروع إلى مكتب هندسي ، وفقاً للأصول القانونية، بأمر استكمال كسوته وتجهيزه بوسائل التدفئة والتبريد وإنجازه خلال سنة تبدأ من الشهر الرابع من العام ١٩٧٨ .

وحرصاً على سير العمل وعلى اتساقه في مرحلتيه الأولى والثانية كلفت الهيئة العامة لأبنية التعليم ، بناء على رغبة المجمع ، الأستاذ المهندس السيد شكيب العمري الذي أشرف على المشروع منذ تنظيم تصاميمه ووضع حجر أساسه ، الاستمرار في الإشراف على تنفيذ هذه المرحلة الأخيرة ، والمجمع يتابع سير العمل خطوة فخطوة .

**ح ــ مكتبة المجمع :**

**الكتب والمخطوطات :**

- بلغ عدد ما اقتنته من الكتب إهداء وشراء خلال هذه الدورة ٤٥٦ وننشر أسماءها تباعاً في أجزاء المجلة .

المجــــلات :

بلغ عدد المجلات العلمية والثقافية التي اقتنتها المكتبة باللغـة العربية ١٢٥ مجلة وباللغات الأجنبية ٤٠ مجلة .

ط ـ دار الكتب الظاهرية

المخطوطات :

ـ انتهى فهرس البطاقات حسب شهرة المؤلف .

ـ يوالي قسم المخطوطات العمل على إعداد بطاقات حسب عنوان المخطوط.

ـ بلغ عدد المخطوطات التي صورت على الأفلام الدقيقة وعلى الورق للمؤسسات والهيئات والباحثين ١٨١٥ مخطوطة .

ـ بلغ عدد المخطوطات المعارة داخلياً للباحثين ٢٧٧٨ مخطوطة .

ـ نظم سجل جديد تدون فيـه المخطوطات التي تصور والبيـانات الخاصة بها .

ـ توقف القسم عن التصوير عن الأصول حفاظاً على المخطوطات من التأثر والتلف وعمد إلى التصوير نقلاً عن الأفلام الدقيقة المصورة .

الكتب المطبوعة :

ـ يسير العمل بخطى حثيثة في سبيل فهرسة الكتب الأجنبية ، وإعداد فهرس خاص ببطاقات حسب عناوين الكتب ذات الأجزاء المتعددة.

ـ أعدت قائمة بيليوغرافية بالكتب والوثائق التي تتناول تاريخ فلسطين والقضية الفلسطينية .

- بلغ عدد ما اقتنته من الكتب إهداء وشراء ١٧٥٩ كتاباً في اللغة العربية و٢٤٣ كتاباً في اللغات الأجنبية .

- بلغ عدد الكتب المعارة ٢٣٧٠٦

- تستمر النشرة بالصدور حاوية تعريفاً بما يرد المكتبة من كتب ومجلات ونشرات .

**الدوريـــات :**

- بلغ عدد المجلات العربية ٣٠٧ والأجنبية ١٤٧

- تم وضع فهرس للصحف .

**الـــرواد :**

- بلغ عدد الرواد إلى دار الكتب الظاهرية حوالي ٦٠ ألفاً وعدد الذين يؤمون قاعة الباحثين ١٥٠ .

## الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

## خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٨

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| تشريعات العمل في الدول العربية | د. أحمد زكي بدوي | الاسكندرية ١٩٦٥ |
| القياس في النحو العربي من الخليل إلى ابن جني | د. صابر بكر أبو السعود | أسيوط ١٩٧٨ |
| شرح مشكل أبيات المتنبي | علي بن إسماعيل بن سيده تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين | باريس ١٩٧٧ |
| الآثار الخطية في المكتبة القادرية الجزء الثالث | د. عماد عبد السلام رؤوف | بغداد ١٩٧٨ |
| الانتاج الفكري العراقي لعام ١٩٧٥ | إعداد المكتبة الوطنية بإشراف فؤاد يوسف قزانجي | « ١٩٧٧ |
| العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف الهمزة) | الحسن الصغاني تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين | « ١٩٧٧ |
| ما كتب عن اللغة الكردية | د. عبد الرحمن معروف | « ١٩٧٨ |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| المعجم الطبي الموحد (انكليزي-عربي) الطبعة الثانية | اتحاد الأطباء العرب رئيس التحرير د. محمود الجليلي | بغداد ١٩٧٨ |
| تأملات | مالك بن نبي | بيروت ١٩٧٧ |
| دمشق والقدس في العشرينات | خليل مردم بك، شرحه وقدم له عدنان مردم بك | » ١٩٧٨ |
| فتح الغفار ١ ٢ | الحسن بن أحمد الرباعي اليمني تحقيق أحمد علي زبارة | بيروت والقاهرة ١٩٧٥ و ١٩٥٢ |
| فهرس الكتب العربية الموجودة في المكتبة المركزية (التاريخ والجغرافية والتراجم) | جامعة البصرة | البصرة ١٩٧٨ |
| معارك | عبد الله كنون | تطوان — |
| الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٣٠—١٩٤٥ الجزء الثالث | د. أبو القاسم سعد الله | الجزائر ١٩٧٧ |
| بيئات ونباتات ومراعي المناطق الجافة وشديدة الجفاف السورية | د. محمد نذير سنكري | حلب ١٩٧٧ |
| الاسلام أهدى | عبد الله كنون | الدار البيضاء |
| منتخبات من نوادر المخطوطات | الخزانة الملكية - القصر الملكي | الرباط ١٩٧٨ |
| معجم اليمامة (آ – ز) | عبد الله بن محمد بن خميس | الرياض ١٩٧٨ |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| عطر نسيم الصبا | أحمـــد بن محمد الحيمي الكوكباني | صنعاء ١٣٦١ هـ |
| اجتماع خبراء متخصصين في اللغة العربية | المنظمة العربيـة للتربية والثقافة والعلوم | القاهرة ١٩٧٥ |
| أخبار مصر ( الجزء الأربعون ) | محمد بن عبيد الله المسبحي تحقيق أيمن سيد وتياري بيانكي | القاهرة ١٩٧٨ |
| البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ( ١ — ٥ ) | أحمد بن يحيى بن المرتضى طبع بإشراف عبد الله الصديق وعبد الحفيظ عطية | القاهرة ١٩٤٧ |
| البرهان القاطع في اثبات الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع | محمد بن إبراهيم الوزير | القاهرة ١٣٤٩ هـ |
| البهاء السبكي وآراؤه البلاغية والنقدية | د . عبد الفتاح لاشين | « ١٩٧٨ |
| ترجيح أسـاليب القرآن على أساليب اليونان | محمد بن إبراهيم الوزير | القاهرة ١٣٤٩ هـ |
| التقرير النهـائي لندوة خبراء لدراسـة نتائج تجربة تيسير الكتابة العربية | المنظمة العربية للتربيـة والثقافة والعلوم | « ١٩٧٧ |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| تهذيب سيرة ابن هشام | عبد السلام هارون | القاهرة ١٩٦٤ |
| الحياة الفكرية في ضوء الفلسفة الاسلامية | د . حسن الفاتح قريب الله | » ١٩٧٨ |
| توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ( ١ – ٢ ) | محمد بن إسماعيل الصنعاني | » ١٣٦٦ ﻫ |
| ديوان ابن الرومي الجزء الرابع | تحقيق د . حسن نصار | » ١٩٧٨ |
| ديوان عمر بن أبي ربيعة | الهيئة المصرية العامة للكتاب | » ١٩٧٨ |
| الحور العين | الأمير نشوان الحميري | » ١٩٤٨ |
| دليل المصطلحات العربية الموحدة في العلوم الادارية | المنظمة العربية للعلوم الادارية | » ١٩٧٤ |
| شرح الأزهار | عبد الله بن مفتاح | » ١٣٥٧ ﻫ |
| الشماع الفائض شرح مختصر علم الفرائض | علي بن هلال الدبب | القاهرة ١٣٦٥ ﻫ |
| شعر فهد العسكر ( دراسة نقدية وتحليلية) | نورية صالح الرومي | » ١٩٧٨ |
| شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ( ١ – ٢ ) | نشوان الحميري | » |
| العلاقات العربية الافريقية ،دراسة تحليلية في أبعادها المختلفة | المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم | » ١٩٧٨ |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| المدخل إلى دراسة البلاغة | د . فتحي فريد | القاهرة ١٩٧٨ |
| مشاهير كرماء العرب في الجاهلية والاسلام | هزاع بن عيد الشمري | » ١٩٧٨ |
| مشكلة فلسطين والصراع الدولي ١٩٤٥ – ١٩٦٧ | محمد نصر الدين مهنا | » ١٩٧٨ |
| مصادر الحديث عند الامامية | مرتضى السيد محمد الرضوي | » ١٩٧٥ |
| معالم اللهجات العربية | د . عبدالحميد محمد أبوسكين | » ١٩٧٨ |
| المنهج الصوتي للبنية العربية ورؤية جديدة في الصرف العربي | د . عبد الصبور شاهين | » ١٩٧٧ |
| الموجز في نشأة النحو | محمد الشاطر أحمد محمد | » ١٩٧٨ |
| الموسم الثقافي مجموعة المحاضرات العامة التي ألقيت بالجمعية (١٩٧٦ – ١٩٧٧) | الجمعية المصرية للدراسات التاريخية | » ١٩٧٨ |
| نثر الدر الجزء الأول (١ – ٢) | أبو سعد منصور الآبي تحقيق محمد علي قرنة | » ١٩٧٨ |
| نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون | محمد بن علي الأهدلي اليمني | » |
| نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف إلى سنة ١٣٥٧ هـ | محمد بن محمد زبارة الصنعاني | » ١٣٥٩ هـ |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
| --- | --- | --- |
| النقد في عصر التنوير «كنت» | د . نازلي إسماعيل حسين | القاهرة ١٩٧٦ |
| نيل الوطر في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر (١ - ٢) | محمد بن محمد زبارة الصنعاني | « ١٣٤٨ هـ |
| الوزارة : نشأتها وتطورها في الدولة العباسية | د . توفيق سلطان اليوزبكي | الموصل ١٩٧٦ |
| المعجب في علم النحو | رؤوف جمال الدين | النجف ١٣٩٨ هـ |

## تصحيح أخطاء

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
| --- | --- | --- | --- |
| ٧٠٦ | ٨ | الشيئة | الشيئية |
| ٧٠٧ | ٨ | pharingite | pharyngite |
| ٧١٣ | ٢ | القطر | القطر الكثيف |
| ٧١٥ | ١٧ | Qruquill dictionnaire encyclohédique | Quillet dictionnaire encyclopédique |
| ٧١٦ | | Leyy | Levy |

# الفهارس العامة للمجلد الثالث والخمسين

## ا - فهرس المـــواد

### منسوقة على حروف المعجم

## ب — فهرس الأعلام ـ كتاب المقالات
## منسوقة على حروف المعجم

# فهرس الجزء الرابع من المجلد الثالث والخمسين

No 4 Vol. LIII

# REVUE

# DE L'ACADÈMIE ARABE DE DAMAS



تباع مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

في كل من المكتبات الآتية :

— المكتبة العربية لأصحابها عبيد إخوان (شارع غسان ـ دمشق)

— دار الكتاب الجديد (بيروت ـ لبنان)

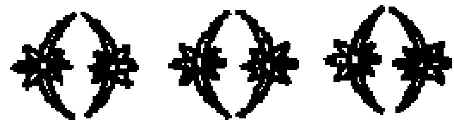
— مكتبة دار البيان ـ شارع المتنبي (بغداد ـ العراق)

— مكتبة السيد محمد حسين الأسدي (كتابفروشى أسدي)

(ميدان بهارستان ـ طهران ـ إيران)

— مؤسسة دار الكتب الثقافية ـ السيد محمود الخطيب (الكويت)

— مكتبة المتنبي ـ حامد وسعد الدين (١٤ شارع الجمهورية القاهرة)



مطبعة الحجاز بدمشق

١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م


Bibliotheca Alexandrina
06552699
